

حلم الغرفة الحمراء

t.me/fantazynov

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

حقوق الطبع محفوظة

1437 هـ - 2016 م

دار الحكايات

للطباعة والنشر والتوزيع

00961/1/553873 بيروت - لبنان - تلفاكس:

E-mail: dar.alhikayat@gmail.com

صُنِعَ فِي
لِبَنَانٍ

حلم الغرفة الحمراء

رواية

تساؤف هوشيه تشين

ترجمة

محمد خليل فرات



t.me/fantazynov

الفصل الأول

وفيه تلقي قشن شيء بين، حجر الإدراك الروحاني.
ويُصادف شيئاً يو-تسون العذراء ذات البصيرة الفذة.

عندما بدأت الآلهة نو غوا، بإصلاح قبة السماوات، قامت بصنع 36,501 قطعة من كتل الرخام الحجرية، ووضعتها على المُنحدر الهائل للجبل الأسطوري العظيم – كان ارتفاع كل واحدةٍ منها 120 قدماً، وقطرها لا يقل عن 240 قدماً. لم تستخدم الآلهة من هذه الكُتل الحجرية، سوى 36,500 تاركةً القطعة الأخيرة مطروحة في الظل تحت قمة المروج الخضراء؛ إلا أن يدي الآلهة المقدستين لامستا هذا الحجر، فدبّت فيه الحياة الروحانية الأبدية، وفتحَ قُوى خارقة للطبيعة، وأصبح بمقدوره التحرّك كيّفما يشاء – فيروح ويجيء ويبدل حجمه ويغيّر شكله بالطريقة التي يريدها. لكنه كان حزيناً جداً؛ فهو الحجر الوحيد الذي أهملته الآلهة، وتركته مرمتياً في الظلّ يائساً يندب حظه التّعيس.

وفي أحد الأيام، وبينما كان قابعاً في مكانه يتّحسن على مصيره، لمح راهباً بوذياً وكاهناً طاوياً بمظہرين غريبين قادمين باتجاهه، وهما يتحدثان ويضحكان .

عندما وصل هذين البشرتين إلى ظلّ القمة، جلسا بالقرب من الحجر وتابعا الحديث. فتحدثا في البداية، عن العجائب التي تلفّها العيون، والبحار التي يُعظّمها الضباب، وعن غرائب الحياة الأبدية – ثمّ ما لبثا أن بدلاً الموضوع، وتتكلما على الثروة والتّرف والرفاهية، والأشياء الجميلة في الحياة، وعن عالم التربة الحمراء^(١).

(١) عالم الأرض، أي عالم الحياة الفانية.

وكائناتها وأشجارها وزهورها وجمالها. حزك ذلك الفضول في الحجر والنزعة إلى الطبيعة البشرية، وأثار لديه الرغبة بتجربة متعة الحياة الفانية بنفسه. ومن أجل هذا الغرض، خاطب كلاً من الراهب والكافن، قائلاً:

- «عذراً أيها السيدان الموقرين على المقاطعة، لكنني غير قادر على الاستمرار في سماع ما تقولان وأنا تغمرني رغبة شديدة في تذوق متعة العالم الدنوي التي تتكلمان عنها. لكنني، وبالرغم من شكري الذي يوحى بأنني مجرد مادة صلبة صماء، لكن لدى القدرة على الفهم والإدراك والشعور بالامتنان؛ فلو أنكم سيدي الموقرين، تفضلان علي وتأخذانني بجولة في التربة الحمراء وتدعاني أذوق متعتها وملذاتها لبعض سنوات، فسأكون ممتناً لكم، ولن أنسى جميلكم هذا أبداً».

أجاب البشرَين وقد ارتسمت على وجهيهما ابتسامة سمححة:

- «صحيح أن أرض التربة الحمراء لها ملذاتها وبهجتها، لكنها خداعة وزائلة، والسعادة فيها غير كاملة، وكل الأشياء الجميلة يُسممها طمع البشر وحسدهم، وفي النهاية ستتجدد أن كل متعتها وملذاتها قد ملأتها الآلام، وغلبت عليها الأحزان. فلسنا ناصحين لك القيام بهذه المغامرة».

إلا أن نار الاشتياق للتمتع الأرضية التي اتقدت في جوف الحجر، لم يكن من السهل إخمادها. فتجاهل تحذير الرجلين، واستمر بالتوسل إليهما. فالتفت الراهب إلى صديقه الكافن وقال متهداً:

«لدينا هنا مثال آخر على الجمام الذي يتوق إلى الحركة وعلى اللاوجود الذي يهوى الخضوع للوجود...»
ثم التفت إلى الحجر، وقال:

- «سنأخذك بجولة إلى أرض التربة الحمراء طالما أنك مصر على ذلك،

ولكن لا تلمنا إذا ما خالفت مرادك».

فهتف الحجر بلهفةٍ على الفور:

«نعم، نعم! بالتأكيد لا... بالتأكيد لا...»

عندما قال الراهب:

- «بما أتيت على قدرِ من الفهم والإدراك، فلا بدّ من إضفاء شيءٍ من التحسين على مادتك؛ لأنّنا لو حملناك إلى ذلك العالم على حالتك هذه، فلسوف تُركل وتُضرب وتشتم كما يُفعل مع الأجسام الجامدة الأخرى. فهل تحب أن تكون جوهرةً طوال رحلتك وتعود من بعدها إلى شكلك الأصلي؟»

وافق الحجر على العرض، فقام الراهب بمعارسة بعض الطقوس الخاصة بطاقة قانون الوجود المطلق، وحول الحجر إلى جوهرة خلابة بيضاوية الشكل من الجاد الشفاف، وبحجم القلادة. وضع الراهب الحجر على راحة يده وخطبه مُبتسمًا:

- «ستعتبر منذ الآن جوهرة ثمينة، لكنك لا زلت تفتقر إلى مسحةٍ من الصقل النهائي - من الضوري حفظ بعض الكلمات المميزة عليك لتبدو معها لكلّ ناظرٍ فريداً ونادراً، وعندما سنأخذك إلى الأرضي الظاهرة، حيث ستنعم بعطيا إحدى العائلات الغنية والمُرفهة، وتُسرّ بكلّ ما يمكن أن توفره الثروة من المسرات، والملذات والمتع». .

إنغطط الحجر بما سمعه، ثم قال للراهب:

- «هل لي أن أسأل عن طبيعة الأحرف التي سيمضي حفظها عليّ؟ وإلى أين سنأخذونني؟»

اكتفى الراهب بالابتسام قائلاً:

- «لا تكن فضوليَا الآن، فستعرف كلّ شيءٍ في وقته».

أنهى الراهب كلامه، ثم وضع الحجر في كُمه، وسار مع الكاهن إلى مكانٍ مجهولٍ.

لا نعلم تماماً كم هو عدد العصور والحقبات التي مضت قبل أن يمزّ كاهن

الفراغ الكبير بمحاذاة الجبل الأسطوري العظيم (بالقرب من المنحدر الهائل وقمة المروج الخضراء)، ولكن ما نعلم، أنه وصل إلى ذلك الحجر المركون في الظل، وهو على شكله الأول وبماته الأصلية.

أما الكلمات التي كانت قد حُفِرتْ عليه، فلها قصتها المشوقة والطويلة.قرأ الكاهن تلك الكلمات حتى النهاية، وأدرك من خلالها بأنَّ هذا الحجر هو نفسه الذي كان قد نُقل منذ زمنٍ إلى أرض التربة الحمراء، ثمَّ إلى الساحل الآخر على يد الراهب البوذي - راهب الفراغ الأبدي، ورفيقه كاهن الزَّمن الامحود.فما كان محفوراً هو إذن قصة الحجر نفسه: قصة الأرض التي ينحدر منها، ومكان تجسيده، وطريقة جمع الثروات وانهيارها، والصعود والسقوط، والنجاح والفشل، ولذة اللقاء وألم الفراق - قرأ الكاهن كل ذلك بالتفصيل - وتابع يقرأ كل ما له علاقة بشؤون العائلة التي زارها الحجر أول الأمر، ثمَّ المشاعر الرقيقة لعذاري الغُرف الحمراء، والقصائد والألغاز التي ترد عادة في هذا النوع من القصص. وأخيراً، ختَّمت كتابات الحجر، بالأبيات التالية:

لا فضائل خولتني ارتفاع مكانٍ في السماء،
وما جنيتُ إلا الحزن من حياتي في أرض الفناء،
تلك الحقيقة لم تزل موجودة منذ الأزل،
كانت من قبل مولدي، وستبقى من بعد السفر -
فمن يُدون حروفها حكاية تُروى للبشر؟

ارتَأى الكاهن أنَّ هذه السطور يُمكن أن تتحوَّل إلى مادة مناسبة للتسلية في لحظات الخمول ووسيلة للتخفيف من الملل، فنقلها بكامل تفاصيلها، ووضع لها عنواناً جديداً: «نسخت بيد كاهن». وفيما بعد وضع لها وو يو - فينفع عنواناً آخر هو: «حلم الغرفة الحمراء»، في حين أطلق عليها كونغ مي - تشي إسم «مرأة النسيم وضوء القمر النادرة». وعمل تساو هوشيه - تشين عليها في وقتٍ لاحق، لعشر سنوات متواصلة، وقام بمراجعة ترتيبها وتنقيحها خمس مرات. وقسمها إلى فصول، ثمَّ وضع لكل فصل شطرين تحليليين. وما لبث أن وضع لها عنواناً جديداً هو: «عذاري

تشين لينغ الإثنى عشر»، ثم أضاف لهذه الرواية قصيدة جديدة:
 صفحاتٌ تفيس بالكلام وحروفٌ لا تُرضي الأنام-
 ونفحاتٌ من حزّ الهوى ومزيج دمعٍ وألام.-
 ويقولون أنَّ مؤلفها أحمق العقل بليد-
 فهم ما طالوا مقصدِه ولا نالوا مغزاها المُفید.
 وأخيراً، عندما أعدَّ تشيه بن تشاي نسخة إضافية وزوّدَها بالشروحات الجديدة
 في عهد تشاي-هسو، أعطاها عنواناً مناسباً إضافياً هو: «قصة الحجر».
 إذَا، أصبحَ أصل قصتنا التي ستتابعها الآن جلياً، وأصبح بإمكان القارئ فهم
 مضمون الكتابات المنقوشة على الحجر بشكلٍ واضحٍ وصريح. أما الآن، فستتابع
 هذه القصة معاً:

في الجنوب الشرقي كان هناك مدينة تُدعى سوشاو، وكان يوجد في المنطقة
 المحبطة بـ«تشانغ-من»، أحد المداخل الأساسية للمدينة، مركزاً من أهم المراكز
 المعروفة بالغنى والرفاهية في أرض التربة الحمراء. وكان خارج المدينة يقع أحد
 المعابد المعروفة بـ«معبد القرع» نسبة إلى شكله الذي يُشبع ثمرة القرع إلى حدٍ
 بعيد. وإلى الجوار من هذا المعبد كان يعيش أحد رجال طبقة النبلاء، تشين شيه-
 بين⁽²⁾ مع زوجته فينغ-شيه⁽³⁾. وبالرغم من أنَّهما لا يتميّزان بالغنى المُفرط الذي تتميّز
 به عادة عائلات هذه الطبقة من المجتمع، إلا أنَّهما كانا يتميّزان باللبياقة الأخلاقية
 وحسن السلوك ومن ذوي المكانة المُحترمة في المنطقة. لم يكن تشين-شيه من
 الذين يهتمون بالشهرة والثروة.. فكان قانعاً بما لديه، ولا يحلم بأكثر مما يستطيع
 الوصول إليه. كان تشين-شيه يُكرس وقتَه في زراعة الخيزران وري الأزهار، وهو
 يحتسي النبيذ ويكتب الشعر. إلا أنَّ شيئاً وحيداً كان يُنْفَضُّ عليه سعادته: فها هو قد
 زاد عمره على الخمسين دون أن يُرزق بولدي ذكر يتمناه من أجل كِتْرِه... لكنَّ ما كان

(2) لفظ مُتجانس بمعنى «جوهر الحقيقة الخفي».

(3) أي تنحدر من الأسرة «فينغ».

يسهل عليه مسيرة حياته هذه، ابنته الوحيدة، لتوس الصغيرة، والتي لم يكن عمرها قد تجاوز الثلاث سنوات بعد.

وفي يوم صيفي طويل شديد الحرارة، وبينما كان شيه-بين جالساً في مكتبه يُشغل نفسه بالقراءة، سقط الكتاب من يده الواهنة ، وارتدى على مكتبه غارقاً في نوم عميق. وبدا وكأنه قد انتقل في منامه إلى عالمٍ بعيدٍ لم يألفه من قبل. وفجأةً، لمح راهباً بوذياً وكاهناً طاوياً قادمين باتجاهه. وكان الطاوي يُخاطب صديقه البوذي:

- «أخشى من أنه كان عليك عدم تحمل مسؤولية التدخل في مصير الحجر. فما الذي تنوی فعله الآن؟».

- «لا تقلق»، قال الراهب، وأضاف: «الحقيقة أنَّ هذا الحجر مُنغمَسٌ في قصة عاطفية لا بدَّ وأنْ تقع على الأرض عاجلاً أم آجلاً... وبعيداً عن التدخل في مصيره كما تقول، فإنَّا لستُ ألعب الآن سوى دور الوسيلة ليقوم بما عليه القيام به».

- «إذاً، لدينا مجموعة أخرى من الأرواح التي جلبت على نفسها لعنة التجسيد! فمن أين أتت هذه المأساة، ومتى سيحين موعد وقوعها الفعلي؟»

أجاب الراهب البوذي:

- «إنها قصة طويلة وظرفية. فالحجر، وكما تعلم، راح يطوف ويتجول في الكون منذ أن اكتسب قواه الخارقة للطبيعة. وفي أحد الأيام، وصل إلى قصر السحب البنفسجية- قصر الإله الاسترشاد. ثم قامت الإلهة، والتي تعرف الكثير عن موضوع هذا الحجر وعن مصيره، بالاحتفاظ به في خدمتها، ومنحته عنوان «صفحة الحجارة القدسية». وفي أحد الأيام، وبينما كان يقوم بنزهة على طول ضفاف نهر لينغ، وصل إلى مكان رأى فيه زهرة قرمدية تنمو بالقرب من صخرة التجسيدات الثلاث. صُدم الحجر بجمال هذه النبتة الأخاذ، ثم قرر رعايتها، وريها يومياً من قطرات الندى العذب. وفي ظل هذه الرعاية الرقيقة، نشطت زهرة الأرجوان، واستمرَّت تمتَّص سنة بعد سنة، الجوادر الكونية للسماء والأرض إلى أن تشبعت

بها، واكتسبت هي أيضاً خصائص خارقة للطبيعة، وحوّلت نفسها إلى إلهة جنتية فائقة الجمال. ثمَّ ما لبثت أن أظهرت طبيعة بشرية فريدة مفعمة بروح الانحراف. ثمَّ اعتادت بعد ذلك على سبر عالم الفراق الحزين، والتغذى على فاكهة الحبَّ العذري، والشرُب من نافورة الحزن الشديد. لقد كانت شديدة الشكر والامتنان للرعاية اللطيفة التي أبدتها الحجر لها، لكنَّها كانت حزينة، لأنَّها لم تعرف كيف تُسدِّد هذا الدين له، وظلَّت تُفكَر بالطريقة التي تستطيعُ من خلالها ردُّ الخدمة له عرفاناً بالجميل... وكانت أحياناً تُحدِّث نفسها بهذا الخصوص وتقول: "لا أستطيع ردُّ المعروف بالطريقة الرقيقة التي عاملني بها، فهو ليس بحاجة إلى الندى العذب..." ولكن لعلَّني أُسدِّد ذلك من دموعي، عندما نهيب معاً على شكل بشر إلى أرض التربة الحمراء".

«كانت تلك فكرةً غريبة، لكنَّها تتماشى مع رغبة الحجر الدينيَّة. والنتيجة، هي أنَّ كلاهما سيتجسداً وسيهبطان إلى العالم الدينيَّ مع عدد كبير من الأرواح المتوزَّطة معهما بطريقَة أو بأخرى، وكلُّ سيلعب دوره في تلك المأساة الأرضية»
قال الطاوي:

- «إنَّها لقصةٌ غريبةٌ فعلاً، فأنا لم أسمع من قبل بشيءٍ كتسديد الدين بالدموع. وأعتقد بأنَّ قصص هذه المخلوقات ستكون مُختلفة تماماً عن قصة "النسيم وضوء القمر" المدرسيَّة».

أجابه البوذِيَّ:

- «نعم، لا شكَّ في ذلك. ففي قصص الشخصيات الشهيرات، عادةً ما نهتم بالخطوط الموجزة لسيرتهم، بالإضافة إلى القصائد التقليدية التي تأتينا منها، أو تلك التي تتناولهم. لكنَّا لا نتعارف عادةً على تفاصيل حياتهم اليومية، وما يأكلونه أو يشربونه، وكذلك ما الذي يُفكرون به أو يقولونه لبعضهم البعض. أمَّا في ما خصَّ قصص النسيم وضوء القمر، فهي عادةً ما تتناول خطوطَ واضحةً كاللقاءات أو المواجهات السرية أو التسللات المخفية؛ ولا

يجروء أحد على وصف المشاعر والرغبات الحقيقة التي تدفع أو تحرّك أبطال وبطلات هذه القصص. ولكن لدى ما يكفي من الأسباب لاعتقاد بأنّ قصص هذه المخلوقات ستكون مُختلفة تماماً، سواءً أكانت جيدة أم سيئة، أم أنها مفعمة بالأحساس البالغة الرقة أو الإسراف المُفرط».

قال الطاوي:

- «أقترح بأن نهبط نحن أيضاً إلى العالم الأرضي عندما يحين الوقت، والعمل على إنقاذ ما يستحق إنقاذه».

أجابه البوذى وقد أبدى نوعاً من الدهشة:

- «هذا ما كنت أفكّر فيه أنا أيضاً! ولكن علينا أولاً أن نأخذ الحجر إلى إلهة الإرشاد وتسجله. علينا أن ننتظر حتى تهبط كل الأرواح المتورّطة قبل أن نهبط نحن أيضاً - فلم يهبط منهم سوى النصف حتى الآن».

سمع شيء-يin كل كلمة من هذا الحديث، ولم يستطع مقاومة الرغبة في التوقف عند هذه النقطة منه ليقول:

- «تحياتي لكما يا سيدا العالم الروحاني. لقد سمعتكم للتو تتحدثان عن شيء لم أسمع به من قبل، والذي لم أفهمه ولم يستوعبه عقلي جيداً. هلا تكرّمتما وأوضحتا شيئاً من ذلك لعقلـي البليـد، فـلربـما كانت تلك وسيلة لإنقادي من آلام الجحـيم؟»

تبسمـ الخالـدين معاً و قالـا:

- «للأسـف، لا نـستطيع إـفشـاء أـسرـار السـماءـ، ولـكنـ، إـذا ما تـذـكرـتـناـ عـنـدـمـاـ يـحـينـ الـوقـتـ، سـتـكـونـ قـادـراـ عـلـىـ تـجـبـ لـسـعـاتـ الجـحـيمـ الـحـارـقـ».

فـكـرـ شـيـهـ-يـiـnـ قـلـيـاـ، ثـمـ تـابـ يـقـولـ:

- «بـماـ أـنـكـماـ لـاـ تـسـتـطـعـاـ إـفـشـاءـ أـسـرـارـ السـماءـ كـمـ تـقـولـانـ، فـلـربـماـ أـرـيـتمـانـيـ

الـحـجـرـ الـذـيـ تـحـدـثـانـ عـنـهـ».

أـجـابـ الـبـوـذـىـ، وـهـوـ يـخـرـجـ الـحـجـرـ مـنـ كـمـ ثـوـبـهـ وـيـقـدـمـ إـلـىـ شـيـهـ-يـiـnـ:

- «سأريك هذا الحجر، لكن ذلك سيكون جزءاً من مصيرك». كان الحجر هو نفسه الذي عرفنا سابقاً يتّخذ شكل قلادة، نصف شفافة وواضحة، ولكن قد حُفِرت عليه أربع كلمات صغيرة هي: "تونغ لينغ باو يوو" (حجر يشم الإدراك الروحاني الكريم). ولكن قبل أن يتمكّن شيء-يُبَيَّن من النظر إلى الجهة الثانية للحجر، أخذه الراهب منه وقال:

- «ها نحن قد وصلنا الآن إلى أرض الوهم».

ثم رأى شيء-يُبَيَّن أمامه قوساً صخرياً ضخماً، وقد حُفرت في أعلى مقدّمه ثلاثة كلمات: "أرض الوهم العظيمة". ثم ظهر على عمودين يقعان في أسفل وسط القوس أبياتاً من الشعر تقول:

حينما يطغى الباطل على الحقيقة، تصير الحقيقة عندها ضلالاً؛
وحينما يصير اللاوجود واقعاً، سيكون الوجود في الأذهان باطلاً.

عبر كلٌ من الراهب والكافر القوس، ولكن عندما حاول شيء-يُبَيَّن اللحاق بهما، سمع صوتاً هائلاً يُشبه انهيار الجبال وتشقق الأرض. وفجأة صحي من نومه فلم ير شيئاً سوى سطوع الشمس المتوجّهة على فناء الدار، والظلّ البارد الذي تُشكّله أوراق شجر الموز العريضة المتبدلة. وفي تلك اللحظات، كان قد نسيَ الكثير مما رأه في الحلم، وتراجعت أغلب الأحداث من ذاكرته.

في هذه الأثناء، وصلت المُربية وهي تحمل ابنته لتوس بين ذراعيها. وشعر شيء-يُبَيَّن بالسعادة والاعتزاز حينما لاحظ كيف أن ابنته قد أصبحت أكثر جمالاً، وأصبحت تبدو كالجوهرة المشرقة. وعلى الفور مدّ ذراعيه، وأخذ الطفلة ولعبها قليلاً، ثم أخذها إلى المدخل لتشاهد أحد الموابد الذي كان مازلاً من أمامه. وحينما هم بالدخول إلى البيت، لمح كافراً بوذياً وراهباً طاوياً يسيران باتجاهه. كان البوذي يسير حافي القدمين وينعطي رأسه الجرب. وكان الطاوى أعرج القدم، وأشعث الشعر. وما إن وصلا إلى الباب وشاهدا شيء-يُبَيَّن حاملاً ابنته بين ذراعيه، انفجر الراهب بالبكاء وقال:

- «أيتها المتربي السخني، ما الفائدة من احتضانك لهذه المخلوقة البائسة بهذه

الطريقة، فهي لن تجلب لأهلها سوى التعasse والحظ السيء؟
عمل شيء-يُبيّن على تجاهله، وظنّ أنه واحد من المسؤولين الذي يعمل على
لفت الانتباه، لكنَّ الراهب استمر في الكلام:

- «أعطنني إياها كضحية من أجل بوذا، هيَا هانها».

شعر شيء-يُبيّن بالانزعاج. وبينما كان يهم بالدخول إلى البيت،
انفجر الراهب ضاحكاً، وهو يُشير بيده نحو شيء-يُبيّن ويردد الأبيات التالية:

لا طائل من العَبْ و الرِّعَايَةِ وَالْحَنَانِ؛

فنبات الكالتروب ستفسدِ الثلوج...»

والبهجة، وإن زيتها فوانيس الأعياد،

فسيعتمها الحزن ويلفها السواد.⁽⁴⁾

وبينما وقف شيء-يُبيّن يتأمل في معاني القصيدة ومقاصدها، وبطريقة تصرف
الراهب ورفيقه الغريبة، سمع الكاهن يقول لرفيقه:

- «لن نغادر المكان معاً الآن، فليذهب كل منا في طريقه الخاص. وعندما
يحين الوقت، سأكون بانتظارك على جبل باي مانغ، وسأذهب معك إلى
أرض الوهم الباطل⁽⁵⁾، وسنقوم بما يجب علينا القيام به».

- «هذا رائع، قال الراهب»

وقبل أن يتمكّن شيء-يُبيّن من التحدث إليهما، كان كل منهما
قد اختفى في جهة على نحوٍ مفاجئ. لكن ما قطع تفكيره كان ظهور تشيما يو-
تسون⁽⁶⁾ بحالةٍ مُزرية، وهو تلميذ جامعي يسكن إلى جواره في معبد القرع. كان

(4) هو نوع من الشعر على شكل ألغاز أو كلماتٍ مفتاحية تخبر عن المستقبل. والقصد من وراء ذكر «نبات الكالتروب»، أنَّ الطفلة لوتوس، ستُصبح خليلة سيئة لـ هسوبيه بآن الفؤ والغمور، وكلمة «الثلوج»، هي لفظٌ مُتجانس مع هسوبيه.

(5) تسمية أخرى لـ «عالم الأرض الفاني».

(6) أي. غير المثقف.

هذا الشاب من مواطني بلدة هوشُو من عائلة جيدة ولكنها كانت تعاني من الفقر المدقع، وكان في طريقه إلى العاصمة من أجل إجراء امتحاناته المقررة لكنه وجد نفسه مُحاصرًا في سوشُو. كان تشيي يعمل على تأمين معيشة له غير ثابتة عن طريق بيع المخطوطات اليدوية والنقوش الخطية.

حينما لمح تشيي جاره شيه-يين قال وهو يُحييَه:

- «ما الذي أتى بك إلى المدخل؟»

- «لا شيءُ البتة»، أجاب شيه-يين، وأضاف: «كنتُ أحاول تهدئة طفلتي الباكية. لكنك وصلت في الوقت المناسب. رجاءً أدخل وساعدني على تمضية هذا اليوم الصيفي الطويل».

أخذت المربية لوتوس من يدي شيه-يين، وأحضر الشاي إلى المكتب... وهكذا وجد شيه-يين مُبزراً لوجوده في البيت - فهو يستقبل زائراً جديداً اليوم. كان يو-تسون يُسلّي نفسه بتفحص الكتب المصنفوفة على الرفوف في المكتب. وفجأة سمع صوتاً قادماً من الخارج عبر النافذة. إقترب من النافذة ولاحظ خادمة تجمع الزهور في فناء الدار. ولكن، وبالرغم من أنها ليست مثالية الجمال، ولا تمتلك ذلك السحر الكافي لإثارة المشاعر، وقف يو-تسون يُحدق في وجهها، وعيناه ثابتتين عليها. وعندما انتهت من عملها وهمت بالmigration، أدارت رأسها إلى الأعلى فجأة فالتفت عينها بعينيه، وأصبحت على بيته من وجود شخص ينظر إليها من وراء النافذة: كان رأسه ملفوفاً بعمامة يرثى لها، في حين كانت ملابسه من أسوأ ما رأته. لكنه، وعلى الرغم من الفقر الذي كان واضحاً على حاله، كان حسن الشكل، بهي الطلعة، واسع الصدر، عريض المنكبين، بضمِّ مرسوم؛ يُضاف إلى هذا حاجبيه الدقيقين كسيفين فوق عينين واسعتين أشبه بنجمين في الليلة الظلماء. وكان أنفه متوسط الحجم، ووجنه مربعتان.

انطلقت الخادمة بعيداً إلى البهو الداخلي في عجلة من أمرها ثم قالت في نفسها:

- «إنه رجل قوي البنية وحسن الملامح. لكنه في الوقت نفسه، فقير الحال... كما يبدو من مظهره - فلا بد أنه تشيي يو-تسون الذي كان يُشير إليه سيندي

في أغلب أحاديثه... والذى قال عنه الكثيرون بأنهم تمنوا مذى العون له، لكنهم كانوا يفشلون في العثور على الفرصة المواتية لذلك، من الواضح أن فقره كبير، لكنه لا يجد كأولئك الذين سيقولون فقراء طوال حياتهم. ولعل سيدى كان على حقٍ حين توقع له مستقبلاً زاهراً، وبأنه لن يستمر على مثل هذه الحال من البؤس».

لبيت تفكّر للحظات، لكنها لم تستطع منع نفسها من استرافق نظرة أخرى إليه وهي تبتعد عن المكان إلى الفناء الداخلي. وهذا دليلٌ على ما أصبح في قلبها من مشاعر حميمة ممزوجة بالفرح الذي لا يمكن كنته. أما يو-تسون، فقد كان سعيداً بالانطباع الذي أحدهذه للوهلة الأولى، وراح يُحدث نفسه:

- «بالتأكيد هي ليست خادمة عادية، ويبدو أنها ستُقدّرنِي كثيراً وإن كانت إنجازاتي قليلة في هذا العالم...»

وفي إحدى الليالي التي يحتفل فيها الأهالى بعيد الحصاد، كان يو-تسون يقبع وحيداً في غرفته داخل معبد القرع - لكنه لم يكن قد نسي تلك الخادمة بعد - فعاد إلى التفكير بها في هذه المناسبة الاحتفالية. فأيقظ ضوء القمر أحاسيسه، وألف أبياتاً من الشعر قرر أن يقولها لها في لقاءهما الأول. ثم تنهَّد مُتحسراً على المسافة الزمنية التي تفصل بينه وبين تحقيق ما يصبو إليه، وراح يُلقي أبياته بصوتٍ عالٍ - وهو يُقارن نفسه فيها بقطعة حجرٍ كريم تنتظر من يكتشفها ويعرف قيمتها ويعذرها. وفجأة سمع صوت شيء-يin الذي وصل إليه في هذه اللحظة. قال شيء-يin مُبتسماً:

- «أرى أنك رجل مفعمٌ بالطموح يا أخي يو-تسون!»

- «أوه، لا!»، رد يو-تسون، وقد ارتسمت على وجهه بسمة تملؤها الدهشة، وأضاف: «إنها مجرّد سطور شعرية قديمة أرددتها فقط. ولكن ما الذي جاء بك إلى هنا يا أخي شيء-يin؟»

- «الليلة عيد الحصاد، وهو عيد لم الشمل وجمع أهالى البلدة. وقد ارتأت في هذه المناسبة أن تتشرّف برفقتي. لقد أعددت بعض أنواع الشراب في مكتبي، وسأكون سعيداً لو قبّلت دعوتي لتناول الشرب ونحتفل معاً».

وعلى الفور، قبل يو-تسون الدعوة دون تردد، ورافق شيه-يin إلى منزله. في البداية، صب كل منهما الشراب في أقداح صغيرة، وراح يرشفانه جرعةً جرعة... ولكن بعد أن انسجمما وفاضا سعادة، راحا يملآن الأقداح الضخمة ويشربان بنهم. كانت أصوات الآلات الموسيقية تصدح في كل بيتٍ من بيوت البلدة، وبدأ القمر في الأعلى بدرًا كاملاً وضوءه ينير كل شيء. أمد الشراب يو-تسون بالجرأة وراح يرتجل شعراً للقمر الذي يتلألأ كالفضة المُمشعة في قلب السماء. صفق شيه-يin لما سمعه من كل قلبه، وقال لصديقه مغبطاً:

- «كنت دائماً أقول بأنك لست من الأشخاص الذين يبقون متخفين في الظل. إن قصيتك هذه لبشير خيرٍ ينبع بأشياء جميلة قادمة. والآن دعني أهتئك على ذلك!»

وما لبث أن ملأ قدح يو-تسون، ثم ملأ قدحه وارتشفه بجرعة واحدة.

قال يو-تسون بشيءٍ من الخجل:

- «أرجو منك أن تعذرني على قلة تواضعـي - فـما أود قوله هو أنـني لـست خالـيـة من الـقدرة على استـحضار واستـعمال التـراكـيب التي تتـطلـبـها الـامـتحـانـاتـ والـاخـبارـاتـ. وأـعـتـقـدـ بـأنـيـ أـتـمـتـعـ بـالـقـدـرـةـ وـالـفـرـصـةـ المـقـبـولـةـ منـ أـجـلـ النـجـاحـ. لكنـ ماـ يـعـيقـ حـرـكـتـيـ وـقـدـرـتـيـ هوـ أـنـ مـحـفـظـتـيـ فـارـغـةـ، وـالـعـاصـمـةـ تـقـعـ فـيـ مـكـانـ بـعـيدـ عـنـ هـنـاـ. ولـنـ يـكـونـ باـسـطـاعـتـيـ أـبـداـ توـفـيرـ الـمـصـرـوـفـ الـلـازـمـ لـلـرـحـلـةـ عـنـ طـرـيقـ الـعـلـمـ الـمـتـواـضـعـ وـالـسـخـيفـ الـذـيـ أـقـوـمـ بـهـ». الـلـازـمـ لـلـرـحـلـةـ عـنـ طـرـيقـ الـعـلـمـ الـمـتـواـضـعـ وـالـسـخـيفـ الـذـيـ أـقـوـمـ بـهـ».

وعلى الفور سأله شيه-يin:

- «ولماذا لم تذكر هذا من قبل؟ لقد كنت أفكـرـ فيـ هـذـهـ النـقـطـةـ كـثـيرـاـ، ولـكـنـ لمـ يـكـنـ مـفـتـرـضاـ بيـ أـنـ أـتـحـدـثـ فـيـ الـأـمـرـ. إـنـ اـمـتـحـانـاتـ الـمـطـرـانـيـةـ سـتـقـامـ السـنـةـ الـقـادـمـةـ، وـعـلـيـكـ أـنـ تـحـرـكـ إـلـىـ الـعـاصـمـةـ مـنـ أـجـلـ الـدـرـاسـةـ وـالـمـتـابـعـةـ. وـيـشـرـفـيـ، لوـ سـمـحتـ لـيـ، أـنـ أـتـحـمـلـ كـامـلـ مـصـارـيفـ رـحـلـتـكـ وـرـعـاـيـةـ أـحـوالـكـ بـسـعـادـةـ تـامـةـ».

وما لبث أن أنهى كلامه، حتى طلب إلى خادمه إحضار خمسين قطعةٍ من

الفضة، ويدلَّين من الثياب الشتوية السميكة، وقال:

- «سيكون يوم التاسع عشر من هذا الشهر يوماً مُشرقاً ومؤاتياً للسفر. فيمكنك أن تستأجر مركباً وتبدأ رحلتك إلى العاصمة. وسأكون في الشتاء القادم مُنتظراً ومستعداً لتهنئتك على عودتك بالنجاح المؤكَد».

قبل يو-تسون الفضة والثياب دون تردد. وفي اليوم الثاني، بعث شيء-يin بكتابٍ توصية إليه مع خادمه ليقدمهما في العاصمة إلى بعض الأشخاص المرموقين لتأمين مبيتٍ له. لكن الخادم عاد دون تسليمهما وهو يحمل أخباراً ترکها يو-تسون مع خادم المعبد إلى شيء-يin يشكوه على لطفه وكرمه، ويُبلغه فيها بأنه قد انطلق برحلته عند الخامسة فجر اليوم لأنَّه لا يؤمن بالتوقعات، ولذلك غادر دون انتظار اليوم التاسع عشر.

والحقيقة، أنَّ الوقت قد مرَّ بسرعة، بينما كانت الأيام زاخرة بالأحداث. وما لبث مطلع العام الجديد أن وصل ثُمَّ مضى، وسرعان ما جاء عيد الخامس عشر من بداية الخريف - عيد الفوانيس. ولمَّا كان شيء-يin لا يشعر بأي ميل لحضور هذه الاحتفالات الفصلية، طلب من خادمه هُوْ تشاي⁽⁷⁾ أخذ ابنته لوتوس لمُشاهدة الألعاب النارية ومواكب الفوانيس.

ومن أجل قضاء حاجته المُلحَّة، ترك الخادم التعيش الطفلة وحيدة تحت سقية أحد المداخل. وعندما عاد لاصطحابها، لم يجد لها أي أثر، وشعر بمحنة رهيبة، وهبَّ يبحث عنها طوال الليل - وحينما أيقن بأنها قد تكون وقعت بين يدي أحد الخاطفين، اختفى بدوره خائفاً من مواجهة سيده وسيدته، وغادر على وجه السرعة إلى قريته.

كان خبر فقدان الإبنة الوحيدة أشبه بصاعقة وقعت على شيء-يin وزوجته. ويسبب الحزن الشديد الذي أنهك صحتهما، ارتدى شيء-يin أولاً مريضاً طريحاً الفراش، وما لبثت أن ارتمت زوجته هي الأخرى إلى جانبه تُعاني المرض الشديد. وبقيا لفترة طويلة يخضعان للعلاج والاستشارات الأطباء ومعايناتهم، وحتى لقارئي

(7) أي. بداية المتابعة.

كان لخسارة لوتوس الأثر الكبير على حياة الأبوين؛ فقد اختفت السعادة من البيت، وكانت ساعات العذاب تأتي بالجملة بينما تمر لحظات الفرح كلمعان البرق. وبعد مرور شهر على المصيبة، وبالتحديد في الخامس عشر من الشهر الثالث، شب حريق داخل معبد القرع، ولما كانت قضبان الخيزران والخشب تُستخدم بكثرة في جسور وركائز وتقسيمات المعبد، فقد خرجت النيران عن السيطرة وامتدت إلى كل أنحاء المنطقة المحيطة بالمعبد - بما فيها منزل شيه-يين المتاخم للمعبد والذي أتت عليه النيران بالكامل. في هذه الأثناء تحدث شيء-يين مع زوجته قليلاً، ثم قررا الانتقال للعيش في مزرعتهما. ولكن في السنوات التالية، تتبع وقوع القحط والطوفان على نحو متسلسل، وانتشرت العصابات وقطعان الطرق فيأغلب المناطق والمسالك. ثُمَّ تلا ذلك وصول الفرق العسكرية، وبين ابتزاز هؤلاء ونهب قطاع الطرق، أصبحت الحياة مستحيلة. وفي ظلَّ هذه الظروف، أخذ شيء-يين باقتراح زوجته - فباعا المزرعة وغادرا للعيش عند أهلها.

كان فِيْنُغ سو - والد زوجة شيء-يين - من ملّاكِي الأراضي، الذي جنى ما يكفي من المال ليعيش مع عائلته حياة مقبولة وكريمة. لكنه لم يكن من ذوي الجود، كما أنه لم يكن سعيداً بتة بقدوم ابنته مع زوجها كلاجئين للإقامة عندَه - فأشعره ذلك بالضيق والاستياء الشديدين. ولحسن الحظ، كان شيء-يين لا يزال يحتفظ ببعض الأموال المتأنية من بيع مزرعته، وكان قادرًا على المشاركة في مصاريف العائلة، لكنه لم يكن يعرف إلا القليل عن تفاصيل الشؤون المالية، كما أنه كان يجهل الكثير عن طرق المساومة والاستغلال. وهكذا، عندما طلب من عمه فِيْنُغ - سو استئجار بعض المال في ملكياته، وجد هذا الأخير الفرصة للاستغلال، وتجاهل أوضاع صهره وابنته، وطلب مبلغًا لا يُستهان به. وفي غضون سنة أو سنتين، تبخّرت الأموال، وبدأ فِيْنُغ - سو يتذمر من صهره، ويشتكي من تقاعصه، وينادي سخطه متهماً إياه بالتبذير في معيشته، ويتهمه باللامبالاة تجاه العمل، والاهتمام فقط بملذاته الشخصية والأكل واللعبة والتكاسل. تنبه شيء-يين، وعلى نحوٍ متأخرٍ من أنه قد

وضع نفسه تحت رحمة الرجل الخطأ؛ وكان المرض وسوء الحظ قد زادا في هرم شيءٍ بين وعجاً في شيخوخته؛ فبدأ كمن يعيش أيامه الأخيرة. وفي أحد الأيام، وبينما كان يتمشى متعكزاً على عصاه،رأى كاهناً طاوياً أعرجاً يسير نحوه وهو يتغول صندلاً رثأ، ويردد الأغنية التالية:

الحسدُ يملأ قلوبنا للخالدين وهم أحرار،
ولا ننسى أن نجري وراء المال والشهرة.
أين الملوك، وأين العزّ والثروة؟
ألم يصيروا في القبورِ المُمقفلة -
من تحتِ أعشاب الياس،
والقِفارُ المُهملة؟

الحسدُ يملأ قلوبنا للخالدين وهم أحرار،
ولا ننسى أن نجمع كنوز الذهب والفضة،
ونحيا حياتنا رغداً،
ونشتهي منها مداداً،
وننسى أن أنفسنا، ستلفها غفلة الأسرار؟
الحسدُ يملأ قلوبنا للخالدين وهم أحرار،
ولا ننسى زوجاتنا ذات الجمال والوقار -
وتُغريننا وعودهن، طالما نحن أحيا،
بالإخلاص والوفاء!

ثم يتزوجن من جديد فور رحلتنا للبعيد.
الحسدُ يملأ قلوبنا للخالدين وهم أحرار،
ولا ننسى أن نرعى، الأحفاد من قبل البنين.
فكم من أهلٍ قد أعجزتهم الأعمار؟
وكم من الأبناء كانوا أبناءً مطعفين؟

عند سماعه لهذه الكلمات، تقدم شيء-يُبَيِّن من الكاهن على عجلٍ، وسألَه:
- «ما الذي تُحاوِل قوله؟» فكلَ ما فهمته من ذلك ينحصر في كلمتين فقط
هما: أحْرَاراً وَ اتَّنْسِي». .

أجابه الطاوي وهو يبتسم:
- «هذا كلَ ما تحتاج إليه. لأنك إذا كنت حُرَّاً، فسوف تنسي. وإذا نسيت،
فسوف تكون حُرَّاً. وبمعنى آخر، حينما تنسي تُصبح حُرَّاً وحينما تُصبح
حُرَّاً، تنسي. لذلك أسميت قصيَّتي: إِنْسِي وَ كَنْ حُرَّاً». .

وبما أنَّ شيء-يُبَيِّن كان رجلاً يتمتع بسرعة البديةَة والذهن التير، استوعب على
الفور الهدف من كلمات الكاهن المُبَهِّمة، وقال سائلاً الكاهن:

- «هلاً سمحت لي بالإِضاءة على ما تفضلت به من الشَّعْر آنفًا؟»
أجاب الطاوي مُشَجِّعاً:
- «تفضَّل أرجوك». .

وهُنَا، شرع شيء-يُبَيِّن بِرُدِّ الأبيات التالية:

في الغرف القذرة والقاعات المهجورة
التي امتلأت يوماً بالشارات والرُّتب.
وكم كانت حقول العُشُب والأشجار اليابسة
يوماً، جناناً للجمال وللمرقص والشجن.
هذي العناكب تخيط بيوتها في زواياها، وقد أهملها الزَّمن.
يا من تستبدلون حصران النوافذ بالحرير!
وتتفاخرون بالبنيان والثروات والدُّرر،
تلك معابدكم سِيَغطِّيها الصقِيع
وذلك أجسادكم ستتصير يوماً في السعير!
اليوم عُرْسٌ، وألحانٌ وسَهَر، وأفراحٌ وأقواسٌ وقمر؛
وتناسِيتم أكوام العظام الفانية،

في الحُفَرِ تحت الرياح العاتية.

ذهب يملاً الخزائن وفضةً تملأ الصناديق -

وجائعون يُنادون، ومتسلون يسخرون!

ونبكي على فراق الأحبة جاهلين - أتنا عما قريب راحلون!

بالأبناء نعتني، ونبالغ بالدروس،

ثم في يوم الحصاد، ترى أغبلهم لصوص؛

ونهتم بالبنات، ليصرن سيدات -

فمن ذا الذي يضمن ألا يصرن موسمات؟

فمن يسخط بمكانه، يهلك الدهر بنانه.

اليوم، تشعر بالبرودة - فمعطفك أمسى قصير،

وغداً، كفنك أطول، ألم يأتيك النذير؟

فإليك ما دأب الحياة: ناسٌ تجيء وتروح؛

وما تزرعه بيديك، غداً يدميك بالجروح!

فلا تغترّ بزيتها، ولا تُغالي بالتقدير!

وما تبنيه من ترف، قد صار للوارثين:

(فما نزرعه ونمسي، هو من نصيب الآخرين...)

وفور انتهاء شيء-يُبين من قصيده، هتف الطاوي مهلاً ومُصفقاً بيديه:

- «عظيم، مدهش!»

ثم قال شيء-يُبين على الفور، وهو يحمل الكيس عن الطاوي:

- «هيا ننطلق معاً!»

ثم انطلقا معاً.

لم توفر زوجة شيء-يُبين بعد رحيله مع الكاهن، أي جهد في البحث عن زوجها.

ولكن كيف يمكن إيجاد رجل غريب الأطوار أراد بنفسه أن يضيع ويغيب عن الأ بصار؟ لكنها، ولحسن الحظ، كانت لا تزال تحفظ بالخدمتين اللتين أتت بهما

من سوشُ. وتابعت مُستعينة بهما بعملها الخاص في الخياطة والتطریز.

الفصل الثاني

وفيه يتسلّم تشاي يو-تسون عمله الجديد كمعلم لـ لين تاي-يو ويعطى
لينغ تزو-هسینغ تقییماً لـ یونغ کوفو.

في أحد الأيام، كانت إحدى الخادمتين واقفة على المدخل تشتري بعض الخبز من أحد الباعة المتجولين، عندما سمعت بشكل مفاجئ مُنادين يطلبون من الجميع إفساح الطريق لمرور موكب رفيع المقام. ومن خلال همسات وثرارات الناس في الشارع، فهمت أنهُ الحاكم الجديد، وهو في طريقه لتسلّم منصبه. كان الموكب الذي يعبر من أمامها يتألف من شارة الرتبة والشرف التي يحملها بعض الجنود والعدائين في المقدمة، ومن خلفها كرسيٌّ ضخم يجلس عليه أحد الرسميين يرتدي عباءة حمراء ويضع على رأسه قبعة سوداء. دُھشتِ الخادمة بمشهد هذا المسؤول؛ فهي قد سبق لها وأن رأته من قبل. في هذه الأثناء، استكملت شراء الخبز، وانصرفت إلى داخل البيت دون أي اهتمام إضافي بالموضوع.

عند المساء، وفي الوقت الذي أرادت فيه عائلة السيد فيننغ الاستراحة من عنا النهار، سمع طرق على باب المدخل، وصوتٌ يهتف:

- «نحن رُسلٌ أتينا من قبلِ الحاكم».

تقدّم فيننغ إلى الباب وفتحه، فقال له أحد الرُّسل بصوتٍ جهوريٍّ:

- «إنا موّدون من قبلِ الحاكم الجديد لاستدعاء تشين لاو-يه⁽¹⁾».

عند سماع فيننغ لهذه الكلمات، استبدَّ به الذعر، وتجمّد فاغرًا فاهه وهو يُحدق

(1) صاحب السعادة تشين.

بالرسول. وبعد أن استوعب الموقف، قال، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامةً باردة:

- «أنا فينبع سو، وزوج ابتي هو تشنين، لكنه رحل مع كاهن طاوي ولن يعود قبل سنوات، وهذا هو من تُريدونه؟»

أجابه الرسول:

- «ربما هو، على كلّ، ستذهب معنا إلى الحاكم طالما أنه صهرك كما تقول، وهناك سُتُخبر سعادته بما تعرف».

في هذه الأثناء، سار فينبع سو برفقة الرُّسل إلى الحاكم، وأمضت عائلته ساعات عديدة من الاضطراب والقلق بانتظار أن يعود.

كانت الساعة قد قاربت على الثانية، عندما عاد فينبع سو إلى المنزل؛ وكان كل واحد من أفراد العائلة تشغله التساؤلات الكثيرة والمتابعة حول ما حصل.

فور وصوله إلى النزل، بدأ فينبع بسرد تفاصيل ما حصل معه:

- «الحقيقة أنَّ الحاكم الجديد لم يكن سوى تشاي يو-تسون – وهو صديقٌ قديم لصهرنا، وكان على علاقة حميمة به في السنوات الماضية. وعند مرور موكبه صباحاً من أمام بيتنا، شاهد خادمة شيء-يين – آبريكوت، واقفة عند الباب وهي تشتري الخبز، فاستنتاجَ أنه لا بد من أنَّ شيء-يين قد استقرَ في إقامته هنا، ولذلك بعث رُسله ليتأكدَ من الأمر. وحينما رويت له كلَّ ما حدث، أصابه القلق والأسى. كما أنه سألني مُستفسراً عما حدث لحفيديثنا لوتوس، وشرحَ له قصة اختفائها وكيف خُطفت، فوعدهني بإجراء التحقيقات اللازمة، وبأنَّ سيأمر رجاله ببذل أقصى جهودهم في البحث عنها... وأنا على يقين من أنه سيجدها ويعيدها إلينا.

وبعد انتهاء حديثنا، قدم لي أونصتين من الفضة، فشكرته وغادرت».

مضت تلك الليلة من دون أيَّ حوادث تُذكر. وفي اليوم التالي، وفي ساعات الصباح الأولى، أرسل يو-تسون بعض رجاله إلى منزل فينبع يحملون الكثير من الهدايا: طوقين من الفضة وأربع قطع من الحرير المطرز لزوجة شيء-يين، كعربون امتنان لما فعله معه شيء-يين من قبل، كما أنه بعث برسالة إلى فينبع سو، يطلب فيها

من السيدة شيء-يin يد الخادمة آبريكوت لتكون زوجته الثانية، وبأنه ما زال يبذل ما في وسعه مع الرسميين من أجل الوصول إلى لوتوس.

وكان فينغ سو مسروراً لذلك بالطبع، وحريراً على أن يرضي الحاكم الجديد؛ فسارع إلى توظيف كل طاقاته من أجل إقناع ابنته لتوافق على طلب الحاكم في ما خص آبريكوت، لتعزيز هدفه، فوافقت ابنته على هذا الطلب - لا سيما وأن آبريكوت قد بلغت من العمر مبلغاً يتطلب تزويجها في كل الأحوال. وهكذا، وفي أمسية اليوم نفسه، نقلت الخادمة محمولة على كرسى جميل مُزخرف إلى تشاي يو-تسون، الذي كان مسروراً جداً بذلك. وللتعبير عن امتنانه، أرسل مئة قطعة فضية لـ فينغ سو، والكثير من الهدايا القيمة إلى زوجة شيء-يin.

والآن، بدأ يو-تسون الاهتمام بـ آبريكوت ورعايتها. ونتيجة للواقعية البديهية التي حدثت منذ بضع سنوات، فقد أصبحت آبريكوت الزوجة الثانية للحاكم. ليس هذا وحسب، بل أنه وفي إحدى السنوات، حملت آبريكوت بطفل لـ يو-تسون، وبعد ستة أشهر - عندما تُوفيت زوجته الأولى - تحولت آبريكوت لتصبح الزوجة الوحيدة بالنسبة للحاكم.

إن هذا الوضع الاستثنائي الذي وصل إليه يو-تسون يتطلب العودة إلى الوراء لتوضيح الأمر:

والحقيقة هي أن يو-تسون كان قد غادر إلى العاصمة فور تلقيه قطع الفضة كمساعدة له من شيء-يin (كما رأينا سابقاً). ويسبب نجاحه في الامتحانات، وتفوقه، حصل على درجة تشين-شيhe في الدراسات العليا من المرتبة الثالثة، وأدرج اسمه عن طريق الانتقاء على لائحة تعيينات المحافظين. وبعد متابعته الدراسة وتخطيه لمرحلة القضاة، تم تعيينه كحاكم على مقاطعة جو-شاو؛ ولكن، وعلى الرغم من التميز والكفاية في إنجازاته وقدراته، إلا أنه كان أكثر فساداً ويتصرف بشكل مُغطرس مع أفرانه، ولا يُidi إلا السلوك الواقع تجاه رؤسائه.

وفي أقل من سنة، كان يو-تسون قد اتهم بالعديد من المخالفات العامة، بالإضافة إلى حالات معينة من الابتزاز والفشل في تحقيق العدالة.

وما كاد العام أن ينقضي، حتى عاود يو-تسون سلوكه الشاذ، فندد بإقامة أحد النصب التذكارية للعرش من قبل السلطات المحلية العليا، ثم استمر في إظهار تصرفاته المتعجرفة؛ فراح يُبدع في ابتكار الشعائر والطقوس، وبشكل علني ، وفي الوقت نفسه، سعى للتمتع بسمعة ونزاهة واستقامة الكثيرين، فكان أشبه بمخلوق قد جُبلَ جوهه بمزيج من طبيعة النمر والذئب معاً؛ والحقيقة أنه، وبعد أن تسبب في الكثير من المتاعب للمنطقة، وبعد أن جعل الحياة لا تطاق بالنسبة للشعب، غضب جلاله الإمبراطور منه إلى حدٍ كبير، وأصدر الأوامر، بتنحيه عن منصبه فوراً، وبحرمانه من أي صفة رسمية بعد الآن. وبالرغم من شعور يو-تسون بالذلة، إلا أنه عمل على عدم إظهار ذلك وراح يتصرف بشكل طبيعي. وبعد أن تم تسليم مسؤولياته إلى خلفه الجديد، أرسل عائلته مع كل ما يملكه إلى بلدته، وبدأ جولة له في الإمبراطورية. وفي أحد الأيام، وصل إلى يانغشو، إحدى المراكز الحكومية الأساسية لاحتياط الملحق، وهناك وقع طريق الفراش مريضاً لمدة تزيد على الشهر. وبعد أن شُفي تماماً، كانت مُدخراته قد تناقصت إلى حدٍ كبير، وقرر البحث عن وظيفة له في هذه المنطقة، والمكوث فيها مدة من الزمن قبل أن يتابع رحلته. وفي هذه الفترة بالتحديد، التقى ببعض الأصدقاء القدامى، وعلم منهم بأنَّ لين دجو-هاي، أمَّر مركز إنتاج الملحق الحكومي، كان يبحث عن مُعلم لابنته. ونظرًا لما يتمتع به هؤلاء الأصدقاء من نفوذ ومراكز مهمة، فقد استطاع بمعونتهم أن يحصل على هذه الوظيفة.

كان لين دجو-هاي من مواطني سُوشاؤ وينتمي إلى إحدى العائلات النبيلة في المنطقة. وكان جده ماركيزاً ذو مكانة مرموقة فيما مضى. وقد توارثت العائلة هذا اللقب أباً عن جد، لكنَّ وبسبب طبيعة نظام التسلسل الأرستقراطي، توقف هذا اللقب وأُلغى عن العائلة مع وفاة والده - لكنَّ دجو-هاي، استطاع الحصول على موقعه من خلال امتحانات التوظيف التي كانت تُجرى لكتار موظفي الدولة؛ فتحظى ذلك بنجاح باهر، لا سيما وأنَّه كان في مركز تان هُوا⁽²⁾ - وهو أحد أهم المراكز

(2) هو لقب يُعطى لثان أعلى مناصب في الامتحانات الإمبراطورية.

العليا من الدرجة الثانية في مركز الامتحانات التي يُشرف عليها القصر الإمبراطوري. كانت عائلته صغيرة الحجم، ولم يكن لديه أي أشقاء أو شقيقات. أما ولده الذكر الوحيد الذي رُزق به، فقد توفي السنة الماضية عن عمر لم يتجاوز الثلاث سنوات - وبالرغم من أن دجو-هاي كان قد اتّخذ العديد من الخليلات، إلا أن قدره كان أقوى ومُصرّاً على ألا يُرزق بوريثٍ من الذكور. أمّا الآن، وهو في عمر الأربعين، فقد رُزق بطفلةٍ من زوجته مدام تشيا، كانت الطفلة بعمرِ الخمس سنوات، وتُدعى بلاك دجاييد.

كان دجو-هاي وزوجته يُحبان طفلتهما الوحيدة حبًا جمًا، لا سيما من بعد وفاة ابنهما الوحيد، وقررا تربيتها وتعليمها بالطرق نفسها التي كانت مُتبعة بالنسبة للأولاد الذكور. كان دجو-هاي مسوروًّا وسعیداً جداً بما يفعله بالنسبة لـ بلاك دجاييد، ابنته الوحيدة، التي كانت تتمتع بالذكاء الطبيعي وبالنظرة الثاقبة. وبعد مرور ما يزيد على السنة تقريبًا، تُوفيت مدام تشيا بسبب مرضٍ حاد، ووُقعت الطفلة جائيد فريسة الحزن والألم على فرائها، الشيء الذي حملها على ترك الدراسة. اعتاد دجو-هاي على الانطلاق بجولات في محيط المنطقة، والسير في الحقول في أيام تميّزت بالنسيم العليل والجو الدافئ.

وفي يومٍ من أيام هذه الجولات، مر دجو-هاي، على إحدى الحانات والتلقى بأحد أصدقائه القدامى. كان اسم هذا الصديق لينغ تزو-هسيونغ، تاجر التحف، والذي كان شيه-يين قد التقى به أثناء الامتحانات في العاصمة. كان شيه-يين يفتخر كثيراً بعلاقته بهذا الرجل، بينما كان هم تاجر التحف هذا، مُنصبٌ على جمع أكبر عددٍ من الموظفين النافذين والرجال الكبار واللامعين. وما لبثا أن أصبحا من أشد الأصدقاء بعد أن تطورت العلاقة بينهما على نحوٍ سريع.

سأل يو-تسون صديقه، بعد أن تبادلا التحيات والاستفسار عن أوضاع بعضهما البعض:

- «ما الأخبار التي لديك من العاصمة؟»
- «لا شيء يذكر»، أجابه دجو-هاي، وتتابع قائلاً: «ولكن، لعلك تُريد الاطلاع

- على ما حصل في منزل أحد أقربائك هناك.
- «ولكن ليس لدى أقرباء في العاصمة».
- «لكنهم يحملون كُنيتك نفسها».
- «ما هي العائلة التي تلمع إليها؟»
- رد عليه دجُو-هاي مُبتسماً:
- «أنا أتحدث عن عائلة يونغ كوفُو، وأتمنى أن لا يشعرك ارتباط اسمك بهم بأي نوع من العار أو الخجل».

أجابه يو-تسون:

- «الواقع، أن عائلتنا كبيرة جداً؛ فمنذ عهد تشيابا فا، أحد سلالات عائلة هان الإمبراطورية في الجانب الشرقي، نمت عائلتنا وتفرعت وتمددت إلى العديد من المُقاطعات. أما بالنسبة لفرع عائلة يونغ كوفُو، فنحن على صلة، ولكن من جهة بعيدة جداً. وبكل الأحوال، لست بصدّد جمعهم، لا سيما وأنهم من طبقة أعلى من طبقي بكثير».

قال دجُو-هاي بنوعٍ من المُسایرة:

- «عليك أن لا تكون متواضعاً إلى هذه الدرجة يا صديقي؛ فالحقيقة أن أوضاع يونغ كوفُو المالية قد انحدرت كثيراً، وهم يُعانون الآن أزمة كبيرة. فلم تعد أوضاعهم الآن كما كانت عليه سابقاً».

قال يو-تسون مُستغرباً:

- «أيُعقل ما تقوله؟ لقد مررتُ السنة الماضية على تشينلينغ، وشاهدتُ معالم المدينة، ومن بين ما رأيته، كانت قصور تشيابا القديمة - والتي كانت تنتشر تقرباً على طول امتداد الشارع الشمالي من الجانبيين؛ فمن الجانب الشرقي أملاك نينغ كُوفُو، ومن الجانب الغربي أملاك يونغ كوفُو، ومن ثم يلتقيان معاً عند نقطة في الجهة الغربية. وكان الانطباع الذي راودني هو أنَّهم في عزِّ ازدهارهم».

عند ذلك سأله يو-تسون:

- «ألم تسمع بالمثل القائل: "أن مئوية الأقدام تموت، لكنها لا تسقط أبداً؟" وهذا بالتحديد ما يمكن أن يُطبق على عائلة تشيما. فالرغم من مظاهر الرقي والازدهار الذي لا يزال يbedo عليهم، إلا أنهم بعيدون كل البعد عن رفاهية الثروة الضخمة التي كانوا يتمتعون بها من قبل. فكل أفراد العائلة قد اعتادوا على حياة الترف والرفاهية، ولكن لم يتتبه أيّاً منهم لضرورة الاقتصاد في عمليات الإنفاق والمصاريف التي لم تعد تناسب مع مداخيلهم المُتدحورة. أنا أفهم بأنّ أولئك المسؤولين عن مالية العائلة يعرفون جيداً مدى صعوبة مواجهة الأزمة، ولكن كل ما هم فيه الآن كان متوقعاً. أما الذي يُخيب الآمال، هو أنّ هذه الأجيال الصاعدة تُفaciم الأمرو سوءاً أكثر من الأجيال التي سبقتها».

- «وكيف يمكن حدوث ذلك؟»، قال يو-تسون، وأضاف: «لقد أخبرت بأنّ هاتين العائلتين قد عانتا الكثير من أجل توفير متطلبات العيش والتعليم لأولادهما».

أجاب تزو-هسينغ، بإصرار:

- «لكن الحقيقة هي التي أُخبرك بها. والآن دعني أقول لك شيئاً عن هاتين العائلتين: إنّ مؤسسي كلاً من نينغ كوفو ويونغ كوفو كانوا أخوين. وكان تشيما ين، اللورد الأول لـ نينغ كوفو هو الأكبر؛ فقد كان لديه أربعة أبناء، وبعد موته، حلّ مكانه في اللقب أخيه الأصغر تاي-هُوا. كان لهذا الأخير ولدين - مات الأول بسن الثامنة أو التاسعة، أمّ الثاني وهو الأكبر، ويندعي دجينغ، فقد أصبح الوريث الوحيد. لكنّ دجينغ لا-يه هذا، كان قد أصبح مبهوراً ومولعاً بالسحر الطاوي وبما يُسمى إكسير الحياة، اللذين جذبا كل اهتمامه، ولم يعد يأبه لأي شيء آخر. ثم ترك كل شيء، حتى اللقب، وذهب ليعيش في أحد المعابد الطاوية. لم يكن تشيما حين يهتم كثيراً بالكتب؛ فاستهلك طاقته وصرف وقته في أشياء لا قيمة لها، وغير ذلك من الأشياء التي أدت إلى قلب نينغ كوفو رأساً على عقب. وقد ترك

خلفه ولداً هو في السادسة عشرة، ويدعى دجونغ.

«هذا يكفي بالنسبة لعائلة نينغ كوفو. أما الآن، فدعني أخبرك شيئاً عن عائلة يونغ كوفو، والتي وقع لها ما وقع للعائلة السابقة التي أخبرتك عنها. بعد وفاة تشيافا، اللورد الأول في أسرة يونغ كوفو، نجح ابنه البكر تاي-شان في الحصول على اللقب. تزوج تاي-شان من ابنة الماركيز شيه - الذي كان ماركيزاً على تشينلينغ - وأنجب منها ولدين، وهما شيه وتشينغ. ولم يلبث تي-شان أن توفي بعد بضع سنوات، لكن زوجته مدام شيه لا تزال على قيد الحياة. ورث تشيافا-شيه لقب أبيه، لكنه لم يكن يتميز بأي قدرات استثنائية، كما أنه لم يكن له أي دور مهم في إدارة شؤون الأسرة. أما أخيه الأصغر، تشيافا تشينغ، فقد كان ذات شخصية قوية وقدرات عالية، كما أنه كان من المفضلين لدى جده. عمل هذا الأخير على شق طريقه بنفسه وبني له مستقبلاً جيداً عن طريق الامتحانات الإمبراطورية، لكنه عند وفاة والده، أفاءه من وظيفة الأعمال العادية، وعيته - كتكرير لذكرى والده الذي كان من أفضل أعضاء حاشيته - سكرتيراً مساعداً في إحدى الوزارات. وفي حملها الأولى، وضعت له زوجته، مدام وانغ صبياً أسميه تشو. وبعد أن نجح في امتحانات المقاطعة وهو بعمر الرابعة عشر، تزوج تشو وأنجب ولداً، لكنه توفي قبل أن يبلغ العشرين. وفي حملها الثاني، وضعت الزوجة فتاة في أول العام. ولكن المميز في الأمر هو ولادة طفلها الذكر الثاني الذي خرج إلى هذا العالم وفيه قطعة حجر كريم لامع، وكان عليه نوع من التقش! أليس ذلك مفاجئاً واستثنائياً؟»

رد يو-تسون:

- «نعم إنه كذلك بالتأكيد. وأتصور بأنه سيحدث علامة فارقة في العالم».
- «هذا ما يقوله الجميع»، قال تزو-هسینغ، وتتابع: «ومهما يكن من أمر، فقد شغفت به جدته وفضله على جميع أحفادها. وفي عيد ميلاده الأول، قام والده - بهدف تحديد ميلوله وشخصيته - بوضع أشياء كثيرة أمامه وتركه يختار من بينها أولاً؛ لقد تجاهل الطفل كل شيء من حوله، وتحرك مباشرة ليمسك بمساحيق التجميل. استاء الوالد من ذلك، وقرر بأنّ ولده عندما

يُكَبِّرُ سِيكُونَ مِنْ النَّوْعِ الْفَاسِقِ وَالْفَاجِرِ. وَلَذِلِكَ، لَمْ يُعْرِ هَذَا الْإِبْنُ أَيْ اهْتِمَامٍ. لَمْ تَأْبِي الْجَدَّةَ بِكُلِّ ذَلِكَ، وَلَمْ يُحَدِّثْ لَدِيهَا أَيْ فَرْقٌ بِالنِّسْبَةِ لِلْطَّفْلِ. بَلْ عَلَى الْعِكْسِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَحْبَبَهُ أَكْثَرُ، وَازْدَادَتْ تَعْلِقاً بِهِ وَعَمِلَتْ عَلَى تَكْرِيسِ حَيَاتِهَا مِنْ أَجْلِهِ. أَصْبَحَ هَذَا الْوَلَدُ الْآنَ فِي سِنِّ السَّابِعَةِ أَوِ الثَّامِنَةِ، كَثِيرُ الْإِيْذَاءِ، لَكِنَّهُ ذَكِّيٌّ جَدًا لِلْدَّرْجَةِ أَنْكَ لَنْ تَجِدْ مِنْ يُشَبِّهُهُ مِنْ مَئَةِ مِنْ أَقْرَانِهِ. كَانَ يَقُولُ أَشْيَاءَ غَرِيبَةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى طَفْلٍ فِي مَثَلِ سَنِّهِ - مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُهُ بِأَنَّ النِّسَاءَ خُلِقْنَ مِنَ الْمَاءِ وَالرِّجَالَ مِنَ الطِّينِ، وَهَذَا سَبَبَ شَعُورَهُ بِالنَّقَاءِ وَالظَّهَارَةِ، وَيَشْعُرُ بِالشَّاطِئِ فِي حُضُورِ شَخْصٍ مُعِينٍ، وَبِالْفَسَادِ وَالاضْطَهَادِ فِي حُضُورِ شَخْصٍ آخَرِ . أَلَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ غَرِيبٍ يَصُدِّرُ عَلَى لِسانِ وَلَدٍ فِي مَثَلِ عُمْرِهِ؟ إِنَّهُ بِلَا شَكٍّ، سِيَصِيرُ عِنْدَمَا يَكْبَرُ كَمَا قَالَ عَنْهُ وَالَّدُ فَاسِدًا وَفَاجِرًا .

قال يو-تسون:

- «أَخْشَى بِأَنْكَ قَدْ أَخْطَأْتَ بِحَقِّ بَأْوِ-بِيُّ. أَعْتَدَ بِأَنَّهُ يُمَثِّلُ أَحَدَ الْمُخْلُوقَاتِ الْاِسْتِثنَائِيَّةِ الَّتِي وُلِدَتْ فِي ظَرُوفَ خَاصَّةٍ، وَالَّتِي لَمْ تُقْدِرْ حَقَّ تَقْدِيرِهَا، وَلَذِلِكَ يَصُعبُ فَهْمَهُ أَحْيَانًا . وَلَنَقُولُ بِصَرَاحةٍ، إِنَّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ يَهْبَانُ الْإِنْسَانُ عَادَةً مِيزَاتِهِ الْخَاصَّةِ إِلَى جَانِبِ بَعْضِ الْمِيزَاتِ الْمُتَوَسِّطَةِ، وَلَهُذَا سِيكُونَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى أَحَدِنَا التَّفَرِيقُ بَيْنَهُمَا . وَبِكُلِّ الْأَحْوَالِ، فِي الْأَمْثَالِ النَّادِرَةِ وَالْعَدِيدَةِ مِنَ الْمَراحلِ التَّارِيْخِيَّةِ، فَالْخَيْرُ الْاِسْتِثنَائِيُّ وَالشَّرُّ الْاِسْتِثنَائِيُّ لَا يَزَالُ يَلْمِعَنَ عَلَى صَفَحَاتِ التَّارِيخِ مِنْذِ الْقِدَمِ؛ فَالْأُولُّ يُجَسِّدُ الْمُعِيَارَ الْمَثَالِيَّ لِلْسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ وَالثَّانِي، إِنْحِرَافَاتِهِ الْمَرْوَعَةِ . الْأُولُّ يَجْجِيءُ إِلَى الْعَالَمِ حِينَما يَسُودُ الْأَنْسُجَامُ؛ وَالثَّانِي، عَنِدَمَا تُهَدَّدُهُ الْكَوَارِثُ . الْأُولُّ يَقُودُ إِلَى السَّلَامِ وَالنَّظَامِ؛ وَالثَّانِي، يَجْلِبُ الْحَرْبَ وَالنَّزَاعِ . وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْوَاضِحةِ عَلَى الْأُولِيَّ: الْأَبَاطِرَةُ بِيَاؤُ، وَشُؤُونُ، وَبِيُّ، وَتَانَغُ . وَوُوُ، وَالْحَكَمَيْنِ كُونْفُوشِيوسُ وَمِينْشُوسُ، وَبَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ أَمْثَالُ الْأَخْوَيْنِ تَشْيِنُغُ وَتَشْوُهُ هَسِيٌّ؛ وَمِنَ الْأَمْثَالِ عَلَى الْثَّانِيِّ: الطُّغَّاهُ تَشِيهُ بِيُّ، وَكُونْغُ كُونْغُ، وَتَشِيهَاهُ،

وتشو والإمبراطور الأول، والعديد من المغتصبين والخونة أمثال: وانغ مانغ، وهوان وين، وتشين كواي.

«والى يوم، وتحت سلطة حاكمنا المقدس، يعم السلام والازدهار، والمعيار المثالي واضح المعالم في كل مكان. وفي الحقيقة، هناك فائض بخصوص هذا المعيار المثالي الذي يجسّد نفسه على شكل الندى العذب والنسيم العليل. ومن جهة ثانية، ليس هناك من مكانٍ تحت السماء أو تحت الشمس دليلاً على أي انحرافات قد تُصيب هذا المبدأ على الإطلاق؛ بل على العكس من ذلك، كان على هذه الانحرافات إخفاء رؤوسها القبيحة في الهوة الساحقة في أعماق الأرض حيث تقع هناك ساكنة وخائرة القوى. ولكن ما يحصل بين الحين والأخر، بسبب تأثير ضغط الغيوم أو هبوب الرياح، هو أن بعض هذه العناصر الشريرة تشقت طريقها إلى الفضاء، وتتشبث مع أشكال ضئيلة من المعيار المثالي، مُتبعة بحدوث عواصف عنيفة ورعد وبرق هائلين.

«وتحت تأثير هذه الظروف الخاصة، يظهر النوع الثاني الذي تحدثت عنه سابقاً، مما يؤدي إلى تشكّل قوة جديدة، وهي الناتجة عن اتحاد بعض أشكال المعيار المثالي مع انحرافاته. وبناء على هذا كله، فإن الأشخاص من هذا النوع، لن يكونوا قادرين على أن يكونوا حكماء، ولا أن يكونوا من أولئك القادرين على تخريب أو تدمير العالم. بل على العكس من ذلك، فهم قد يتحولون إلى أشخاص رومانسيين إذا ما ولدوا في أسرِ ذات مركز وثروة، أو شعراء وناسكين إذا ما ولدوا في أسرٍ مثقفة في ظلّ ظروفٍ متوسطة. وحتى أن الأشخاص الذين قد يولدون في أوضاعٍ من الفاقة والتواضع، فإنّهم سيتحولون إلى ممثلين أو عاهرین. وليس هناك من احتمالاتٍ بأن يصبحوا فيها خدماً أو عبيدًا، كأولئك الذين يُؤمرونَ من قبل أصحاب الطبقات الوسطى بطرقٍ فطرة، وهم في ظروفٍ أكثرٍ حظاً.

«وأستنتاج من كلّ ما أخبرتني به عن باو-يو، بأنّني ليس عندي أدنى شكّ من أنه يُمثل إحدى هذه الانحرافات الباهرة للمعيار المثالي. لعله مولع إلى حد الإفراط

بالجنس اللطيف وعاطفي جدًا تجاههن، لكنه لن يتحول إلى خليع أو فاسق بالمعنى العادي للكلمة».

- «قد يكون ما تقوله صحيحاً»، قال لينغ نزو-هسینغ بتلعم، وتابع: «والآن، دعني أخبرك عن البنات. كانت الكُبرى ابنة تسانغ لاو-يه، وتُدعى كاردينال سبرينغ لأنها ولدت في اليوم الأول من السنة الجديدة كما سبق ذكرت. وكانت قد اختيرت سيدة لخدمة الموائد في البلاط الامبراطوري بسبب جاذبيتها وعفتها. أما الثانية، والتي ولدت من إحدى خليلات شيه لاو-يه السرية، تُدعى ولكوم سبرينغ. وكانت الثالثة من بنات شيه لاو-يه أيضاً، ولكن ليس من زوجته الأولى، وتُدعى كويست سبرينغ. وأما الرابعة فكانت شقيقة تشاري دجين، رئيس أسرة نينغ كُوفُو، وتُدعى كومباشن سبرينغ. تعلمت جميع الفتيات على يد معلمٍ خاص، كما أخبرتك، وأصبحن ضليعات جدًا في الكلاسيكيات».

- «ويا لها من أسماء مُشتركة يحملنها!»، قال يو-تسون مندهشاً، وأضاف: «فقد تتوقع من أي واحدٍ مِنَّا تجتب إطلاق أسماء مثل: سبرينغ، وكريمسون، وفيرغينس وغيرها على بناته. ولعلها أسماء مُستعملة من قبل الناس المُبتذلين أو العامة».

- «أرى أنك مُخطئ في اعتبار اختيارهم لإسم سبرينغ يُعبر عن الابتذال أو قلة الذوق. لقد تم اختيار هذا النوع من الأسماء لأنَّ ولادة ابنتهما الأولى قد حدثت في اليوم الأول من السنة، كما سبق لي وأخبرتك، وهو بدایة الربيع. وقد كانت أسماء الفتيات من الجيل السابق تتشابه مع أسماء الصبيان إلى حدٍ بعيد. فمثلاً: اسم والدة تلميذك هو 'مين'، وهذا الإسم، بالطبع، فيه الأصل الجذري كما في شيه وتشينغ. ويُمكنك أن تسأل تلميذك عن ذلك في أي وقت».

- «لا بد أنَّ ذلك صحيحاً»، قال يو-تسون، وأضاف: «لأنني الآن أدركتُ لماذا يقرأ تلميذي دائمًا كلمة 'مين' وكأنها 'مي' ويكتبها دون أي نوع من التشديد

اللفظي⁽³⁾. لكنك لم تأتِ على ذكر أولاد شيه لاو-يه. ألم يكن لديه أيّاً منهم؟»

- «بلى، ولكن دعني أقول أولاً أنَّ تشيا تشينغ كان لديه ولد آخر من خليلته. ولستُ أدرِي أيّ نوع من الأبناء هو. أمّا بالنسبة لـ تشيا شيه، فقد كان لديه ولدين أيضًا، كان اسم الأول لي يان - وعمره الآن يزيد على العشرين. ومنذ حوالى السنتين، تزوج ابنة أخت مدام وانغ. ومن المعروف أنَّه لم يهتم بالتعليم والكتب، لكنه دبلوماسي التصرُّف ولطيف الكلام، وهو إلى حدٍ كبير رجل على مستوى عالمي. عاش لي يان مع تشيا تشينغ قوله دورٌ فعال في إدارة شؤون أسرة يوونغ كوفو. لكنه ومنذ زواجه، كان يتعرّض لكثير من النكسات من قبل زوجته؛ فهي لم تكن جميلة جدًا، بل أنها كانت ذكية وقدرة. والجميع يقول بأنَّها تعرف الكثير عما يدور في أسرتَي تشيا أكثر من كل الرجال مجتمعين».

- «تبَدو لي مثل أيٍ واحدٍ من أولئك الناس الذين يتميّزون بقدْرٍ غير عادي»، قال يو-تسون ذلك، ثم نظر من النافذة، وتابع: «أصبح الوقت متاخرًا ومن الأفضل الشروع بالعودة قبل أن يُقفل باب المدينة».

وبينما كان الصديقان يدفعان الحساب ويستعدان لمغادرة الحانة، دخل أحد زملاء يو-تسون القُدامى. وبعد الانتهاء من تبادل التحيات، علِم يو-تسون من صديقه بأنَّ المحكمة قد قررت إعادة تعيين الموظفين الذين كانوا قد أحيلوا على التقاعد مؤخرًا. وعلى الفور اقترح لينغ تزو-هسيينغ بأنَّه على يو-تسون التحدث مع راعيه للبحث في أمور الوظائف واغتنام الفرصة.

وفي اليوم التالي، عندما تناول يو-تسون المسألة مع دجُوهاي ردَّ هذا الأخير قائلاً:

(3) كان ذكر أسماء الحُكَّام والوالدين بشكلٍ واضح من المحرّمات، ولذلك كانت لا تُذكر إلا في أشكالٍ أو ألفاظٍ مُموَّهة.

- «سأكون سعيداً للقيام بما يُمكّنني بهذا الخصوص. الواقع أن والدة زوجتي ترحب بأخذ ابنتي للبقاء في بيتها والاعتناء بها. والحقيقة، أنَّ الخدم الذين أرسلتهم من أجل ذلك كانوا قد وصلوا، وهم هنا الآن، إلا أنَّ ما أُخِرَ الموضع هو مرض الصغيرة - وهي الآن قد تمثلت للشفاء تقريرياً، وسأُعدُّها للانتقال معهم في الثاني من الشهر المقبل. وبمناسبة ذهابك إلى العاصمة، هلاً أمكن لك مُراقتها في هذه الرحلة، وسأعتبره جميلاً منك؟»

وافق يو-تسون على ذلك فوراً. كانت الطفلة بلاك دجايid مُستاءة من فراق والدها، إلا أنَّ الجدة أصرَّت على ذلك. وعمل والدها على إقناعها بأنه لا يُخطط للزواج من جديد، وبأنَّها ستكون سعيدة في ظل رعاية جدتها ورفقة أبناء عمها. وهكذا، غادرت الطفلة في الوقت المُحدَّد وبرفقتها مُربيتها والخادمة، بالإضافة إلى الخدم التي كانت الجدة قد بعثت بهم لاصطحابها، وانطلق معهم يو-تسون في مركبٍ آخر. وصل الجميع إلى العاصمة في الوقت المُقرَّر. وانصرف يو-تسون على الفور للقاء تشيما تشينغ، الذي وفاه ورحب به بحرارة - لا سيما وأنَّه كان قد تلقى رسالة من دجو-هائِي يوصي بـ يو-تسون. سُرَّ تشيما تشينغ بضيوفه وخدمه بقدر استطاعته. وما إن مضت بضعة شهور، حتى تلقى يو-تسون ترقية عالية لمثالি�ته في العمل.

الفصل الثالث

وفيه تتلقى بلاك دجايid كل الترحيب والرعاية من جدتها ويكون باو-يو مُزعجاً جداً من ابن عمّه

في هذه الأثناء، التقت بلاك دجايid بالمزيد من الخدم في أسرة يونغ كوفو، كما أنها سمعت الكثير عن ترثي وثروة عائلة جدتها، وكانت شديدة الإعجاب بكياسة وملابس الخادمات اللواتي كن قد أرسلن لمراقبتها إلى العاصمة، بالرغم من أنهن خادمات من الدرجة الثانية أو الثالثة. وانطلاقاً من كونها طفلة متباهية وحسّاسة، فقد صقمت على مراقبة خطواتها وزن كلماتها لتجنب أي خطأ قد ترتكبها.

كانت بلاك دجايid تشاهد من نوافذ محفظتها، روعة المدينة الامبراطورية وتراثها الذي لا يُضاهى، والتي بلا شك، تتفوق على كل ما تميز به يانغشون. ففجأة، لمحت على الجانب الشمالي لأحد الشوارع بوابة ضخمة مهيبة، تتالف من مدخلٍ رئيسي كبير، ومدخلين صغيرين على كلا الجانبين. وتماثلين ضخمين لأسددين نافرين من الجهتين، وفي أعلى المدخل الرئيسي لوحة حُفرت عليها الكلمات: «نينغ كو فو»⁽¹⁾. كان المدخل الرئيسي مغلقاً، بينما ظهر واحدٌ من المداخل الصغيرة مفتوحاً، وبقربه عدد كبيرٍ من الخدم يجلسون على مقاعد طويلة. ولمسافة قصيرة إلى الغرب، كانت هناك بوابة ضخمة أخرى مُقسمة تماماً كال الأولى، مع لوحة مُشابهة من فوق مدخلها الرئيسي تحمل الكلمات نفسها. عبرت محفة بلاك دجايid المدخل الجانبي إلى جهة

(1) أي: «السلام والأمان للقصر وأهله».

الغرب. وبعد عبورها مسافة لا تتعدي رمية سهم، توقف حملة المحفظة وانسحبوا من المكان، وحل محلهم أربعة من الصبية لم يتجاوز عمر كل منهم الأربع عشرة، يرتدون أزياء رسمية لافته. ثم ترجلت الخادمات من عرباتهن وسرن من خلف محفظة بلاك دجاييد سيراً على الأقدام، إلى أن وصل الجميع إلى باب مغطى بالزهور المتولدة. وأمامه، وضع الحملة المحفظة وانسحبوا، ثم رفعت الخادمات عن بلاك دجاييد الستائر من حولها لكي تنزل.

وظهر إلى الجهة الداخلية من الباب المغطى بالزهور، شرفتين تؤديان إلى قاعة مرور يُزين وسطها حاجز ضخم من الرخام. يليها قاعة ضخمة تتألف من الردهة الرئيسية التي تعج بالعوارض المقوسة والأعمدة المُزخرفة المطلية بالألوان المختلفة. وتتدلى من العارضات الخشبية، أقفاص طيور البيغاء والطيور المغزدة، وغيرها من الطيور المختلفة الأشكال والأحجام. حينما وصلت بلاك دجايدي، وقفت الخادمات اللواتي كنّ يجلسن على شرفة القاعة الرئيسية كصفٍ واحدٍ، وقلن بصوتٍ واحدٍ:

- «لقد كانت السيدة لاو تاي⁽²⁾-تاي⁽³⁾ تسأل بقلقٍ منذ لحظات، وهي على أحراز من الجمر، عن حفيتها، المتوقع وصولها بين لحظة وأخرى كونيانغ⁽³⁾.»

ثُمَّ تقدَّمَ إِلَى الْبَابِ وَرَفَعَ الْسَّتَّارَةَ، وَهَتَّفَنَ:

- «أوه! لين كُو-نيانغ قد أصبحت هُنا!»

وما إن دخلت بلاك دجاييد الباب، حتى هبت سيدة مُسنة ذات شعرٍ فضي
لاستقبالها. شعرت بلاك دجاييد أنَّ هذه السيدة هي جدتها، فحاولت أن تتحنني
أمامها، لكنَّ جدتها احتضنتها على الفور وهي تبكي، وراحت تُدللُها بشتى الأسماء
اللطيفة والمُحببة – ثمَّ أجهش كلَّ مَنْ كان بالغرفة بالبكاء مأسورين بهذا المشهد

(2) هو لفظ تشريف لوالدة سيد القصر. وستستخدم في هذه الرواية تحت أسماء متعدد، مثل: «الأم الكبيرة، الأم الحاكمة، السيدة الكبيرة... إلخ.

(3) هو تعبير يستخدم للإشارة إلى السيدات غير المتزوجات.

العاطفي المؤثر. عندما توقفت سيدة العائلة⁽⁴⁾ عن البكاء، انحنت بلاك دجايدي، وتم تقديمها إلى خالاتها، مدام هسينغ و مدام وانغ، ولily هوان - زوجة الراحل تشاي تشو. ثم التفتت سيدة العائلة إلى الخادمات وقالت:

- «أطلبن من سيداتكن أن يأتين، وأخبروهن بأنّ عليهن الذهاب إلى المدرسة اليوم فهناك ضيف قادم».

وما هي إلا لحظات، حتى دخلت ثلاث سيدات برفقة العديد من المربيات والخدمات: كانت الأولى ولكوم سبرينغ، السميّنة لكنّها طيبة. والثانية، كويست سبرينغ النحيفة والمفعمة بالحيوية والمتحژرة، وأخيراً الثالثة، وهي كومباشن سبرينغ التي كانت لا تزال طفلة.

بعد تقديمهن، أعد الشاي، وقدم للجميع. بدأت بلاك دجايدي بالإجابة على الأسئلة الغزيرة التي انهمرت عليها من قبل الجدة والخالات. ومن جملة هذه الأسئلة: متى مرضت والدتها؟ وما هي الأدوية التي وصفت لها؟ ومن هم الأطباء الذين حضروا لمعالجتها؟ ومتى حصلت الوفاة؟ ومن حضر عملية الدفن؟ وكانت كلاماً غاصتاً بلاك دجايدي في الحديث عن مرض والدتها ووفاتها، ازدادت الجدة في البكاء والتحبيب. وتقول:

- «من بين كل أولادي، أحبيت والدتك أكثر من الجميع.وها هي الآن قد سبقتني إلى القبر، حتى أنني لم أستطع إلقاء نظرة الأخيرة عليها».

ثم عاودت احتضان بلاك دجايدي بين ذراعيها وانفجرت في البكاء.

وبالرغم من أن بلاك دجايدي كانت تبدو للوهلة الأولى نشيطة ومتعافية ، إلا أنها كانت لا تزال ضعيفة القوى نتيجة المرض الذي كانت تعاني منه سابقاً. ولهذا، راحت الجدة تسألها عن نوع الدواء الذي تأخذه، وعن الفحوصات التي أجريت لها.

أجبتها بلاك دجايدي وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة شاحبة:

- «كنت ولا زلت على هذه الحال منذ فترة طويلة. لقد أشرف على علاجي

(4) تعبير هو في الأصل «تشاي-مو»، أو «والدة آل تشيا».

العديد من الأطباء المعروفين، ووصفوا لي كل أنواع الأدوية والعقاقير، لكنني لم أتحسن كثيراً. وأذكر وأنا في الثالثة من عمري، بأن أحد الرهبان البوذيين قد جاء لزيارة والدي وطلب إليهما أن يهونني له كضحيّة له بوداً، وقال بأنني سأبقى مريضة طوال عمري في حال رفضوا طلبه. وقال بأن العلاج الآخر يكون في ابتعادي عن البكاء والنحيب، وأن لا يُسمح لي أبداً برؤية أحد من أقرباء أمي. وكما تعلمون، لا أحد يأبه بهذه التفاهات والخرافات، لكنني ما أزال حتى الآن أتناول بعض حبوب الجنكة أو الجينسنج الصيني».

قالت لها الجدة تطمئنها:

- «لدينا هنا من يُركب بعض أنواع الحبوب، وسأمر بإعداد النوع الذي تتناولينه منها».

وفجأة، سمعت بلاك دجاييد قهقهة صادرة من الفنان الأمامي، وصوت سيدة شابة يقول:

- «لقد تأخرت عن إلقاء التحية على ضيفتنا القادمة إلينا من الجنوب». راحت بلاك دجاييد تسأله في نفسها: 'من تكون هذه يا ترى؟ ولما لاذ الجميع بالصمت والرchanة؟ - لأن هذه القهقهة لا تناسب مع جو الهمبية أو المُحافظة التي تُخيّم على المكان؟' وبينما بلاك دجاييد سارحة في تفكيرها، إذا بسيدة شابة تدخل القاعة. كانت طويلة ونحيفة، وتبدو عليها علامات النعمة والكياسة والثقة بالنفس. كانت ثيابها مزданة بالألوان الفاقعة أكثر من تلك التي على شقيقات الجدة الكبيرات، وتوضع كمية لا يأس بها من الحلي والمجوهرات؛ فال واضح أنها قد صرفت الكثير من الوقت على تجهيز نفسها، ولكن كان هناك شيء ما فيها يبدو كعلامة فارقة لا يمكن إلا وأن تكون محطة اهتمام كل مُراقبٍ دقيق.

- «لم تتمكن من التعزف إليها بالتأكيد».

قالت الجدة ذلك تُخاطب بلاك دجاييد، بينما نهضت هذه الأخيرة لتحيي القادمة الجديدة. وتابعت الجدة:

- «لكنها صاحبة أكثر الألسنة تسلطاً وحذاقة في هذه الأسرة. وهي التي يلقيبونها بـ'الفلفلة الحارة' في نانكينغ، ويُمكنكِ أن تُناديها بذلك أنتِ أيضاً».

وفي الحال، هبت إحدى حالات بلاك دجايدي لتقديم الزائرة كعملية إنقاذ لها:

- «أقدم لكِ 'الفلفلة الحارة'، فينيكس، زوجة تشاي لِين».

أمسكت فينيكس بيدي بلاك دجايدي، وراحت تنظر إليها بإعجاب لفترة طويلة قبل أن تُعيدها إلى الجدة. وهي تقول:

- «يا لها من فتاة رائعة. وبصراحة هي من أجمل الأشياء التي رأيتها حتى الآن. ولا عجب أنَّ السيدة لاو تاي-تاي تتحدث عنها باستمرار. ولكن كم هي قساوة القدر عندما يحرم هذه الفتاة الجميلة من والدتها».

وما إن أنهت فينيكس كلامها، حتى ساحت منديلها وراحت تمسح به عينيها الدامعتين. وهنا التفتت إليها الجدة وقالت بصوتٍ رقيق:

- «أتُحاولين دفعي إلى البكاء من جديد؟ فضلاً عن أنَّ شقيقتكِ الصغرى هذه قد وصلت من بعد رحلةٍ طويلة وشاقة وليس على ما يُرام. لقد عملنا ما بوسعنا لتهديتها، فلا تُحاولي إزعاجها من جديد».

قالت فينيكس وقد ارتسمت على شفتيها بسمة الأسف:

- «سامحيني، لقد كنتُ مأخوذة بمزيجِ من السعادة والحزن على لقاء مي-⁽⁵⁾، ولم أحسب أنَّ ذلك سيزيد من حزن سيدة العائلة».

ثم عادت وأمسكت بيدي بلاك دجايدي، وسألتها عن عمرها، وإذا ما كان لديها مُعلم، وما نوع الدواء الذي تتناوله. ثم نصحتها بأن لا تُشغل بالها بالحنين إلى الوطن، من أجل أن تشعر بالراحة هنا، وبأن لا تتردد في طلب ما تُريد، وأن تُبلغها عن أي إهمال أو فظاظة قد تلقيها من الخادمات في القصر. وختمت كلامها لها بالقول:

- «وعليكِ أن تتذكري دائماً، يا مي-مي بأنكِ لستِ في منزلٍ غريب».

(5) «الشقيقة الصغرى».

في هذه الأثناء، أخذت مدام هسينغ الآنسة بلاك دجايدي لتقديم الاحترامات والتحيات لـ تشاي شيه؛ فدخلها عربة كانت تقف عند الباب المُغطى بالأزهار، وعبرتا الجانب الشرقي للمدخل الرئيسي، ثم دخلتا باباً مطلياً باللون الأسود. وبدا لـ بلاك دجايدي بأنّ هذا المجمع السكني قد كان في ما مضى جزءاً من حديقة يُونغ كُوفو – لكن عملية بناءه كانت أقل مستوى من منازل يُونغ كُوفو المعروفة، بالرغم من وجود الشرفات والممرات، والغرف الجانبية، وتصاميم الزهور، والصخور المنقوشة، وكل ما يُشير إلى التخطيط الجيد لقصرٍ من القصور المبنية وفق تخطيط نظام. وما أن دخلت مدام هسينغ وبلاك دجايدي بهو الداخلي، حتى أقبل عددٌ من الخدمات لاستقبالهما. وبعد أن جلستا في غرفة جلوس مدام هسينغ، أرسلت إحدى الخادمات لإبلاغ تشايا شيه عن وصول بلاك دجايدي. عندما عادت، اقتربت من سيدتها وقالت:

- «يقول سيدي لاو-يه، بأنه لا يشعر بالراحة، وبما أنّ هذا اللقاء الآن سيُشغل الحزن في قلبه، فلن يُقابل الضيفة اليوم. وقال أنّ على لين كُوفو-نيانغ أن تشعر بالراحة هنا، وأن تعتبر بيت جدتها كبيتها».

نهضت بلاك دجايدي من مكانها وهي تصغي إلى الرسالة التي تتلوها الخادمة من عمّها الأول. طلبت إليها مدام هسينغ أن تبقى على الغداء، لكنها رفضت كنوعٍ من قواعد التشريفات التي تفرض عليها قبول دعوة عمّها الثاني دون تأخير.

عفت مدام وانغ بلاك دجايدي من دعوة تشايا تشن، وقالت لها:

- «إنه مشغول اليوم، وسترينه في وقت آخر، ولكن هناك أمرٌ عليٌ تحذيرك منه. أعرف بأنك لن تخوضي في المشاكل مع أخواتك، وبأنك ستدرسن معاً وستعجب إحداكن الأخرى. ولكن تنتابني الكثير من الشكوك حول ابني – المصيبة التي عندي؛ فهو ليس في البيت الآن، لكنه سيعود لاحقاً، وسترينه وتتعرفين عليه بنفسك – فلا تعيريه أي اهتمام. مع أنّ أيّاً من شقيقاته لا تجرؤ على تشجيعه في النهاية لكي لا يتغير على نحوٍ مفاجئ». وقفت بلاك دجايدي تفكّر في نفسها: «القد سبق لي وأن سمعت من والدتي الكثير

عن ابن عمّي هذا، وكيف أنه ولد وفي فمه قطعة حجر كريم، وشغف جدّته به، وكيف أن والده لم يتحمّل عناء تربيته وتعليمه. فعلّه هو من تُشير إليه مدام وانغ الآن⁽⁶⁾. ثمّ قالت تُخاطب مدام وانغ:

- «لقد سمعت والدتي تتحدث عن هذا الأخ الأصغر، ولكن ما المُخيف في الأمر؟ إذ من الطبيعي أن أكون مع أخواتي، أما هو فسيكون مع الإخوة». ردّت مدام وانغ موضحة:

- «لكنه لم يولد كبقية الأطفال؛ فهو يعيش مع لاو ناي-تاي تربطه علاقات جيدة مع الفتيات والخدمات. والحقيقة، أنه يتصرّف على نحوٍ مقبول إذا ما ترك لوحده، ولكن عندما تقوم أيّاً من الفتيات بتشجيعه، فسيتحول إلى ما يُشبه المستحيل، ويتفوه بأنواع غريبة من الكلمات والأشياء. لهذا أقول لك بأن لا تعيريه أي انتباه ولا تهتمي لأي شيء مما يقوله».

وأثناء العودة لتناول الغداء في منزل الجدة، عبرا بالقرب من منزل فينيكس، وأشارت مدام وانغ إليه وقالت لـ بلاك دجايدي:

- «أصبحت تعلمين الآن إلى أين تذهبين عندما تحتاجين أي شيء». عندما وصلا إلى غرفة طعام الجدة، كانت الخدمات تعملن على تحضير المائدة. وتم وضع كرسيّاً على كل جانب من مكان جلوس الجدة. تقدّمت فينيكس إلى الكرسي الذي على الجهة اليسرى إلى جانب الجدة، وأشارت إلى بلاك دجايدي للجلوس عليه؛ رفضت بلاك دجايدي الجلوس، لكن الجدة خاطبتها على الفور:

- «إن خالاتك وشقيقاتك لا يتناولن الغداء هنا، بالإضافة إلى أنك ضيفنا اليوم، ولذلك عليك بالجلوس الآن».

عندها، ارتبكت بلاك دجايدي، ثم اعتذرّت وجلست؛ جلست مدام وانغ، أما فينيكسولي هوان، فبقيتا واقفيتا ومستعدّتين لتلبية طلبات الجدة. وبالنسبة لفتيات الربيع⁽⁶⁾، فقد جلسن بالترتيب ووفقاً للعمر: فجلست ولكوم سبرينغ على الجانب

(6) أي الفتيات اللواتي يحملن إسم «سبرينج» الآتي ذكرهن.

الأيمن للجدة، وجلست كويست سبرينغ ثانية إلى اليسار، وجلست كومباشن سبرينغ ثانية على اليمين. أما في الفناء الخارجي لغرفة الطعام، فقد وقفت العديد من الخادمات ينقلن الأواني من وإلى المطبخ. بعد الغداء، صرّفت سيدة العائلة كل من مدام وانغ، ولily هوان، وفينيكس، من أجل أن تتكلّم بحرية مع حفيدتها بلاك دجايده.

وفجأة، سمع صوت أقدام في الفناء الخارجي للغرفة، وأطلّت إحدى الخادمات تعلن عودة باو-يُو. وبغض النظر عن حركاته وشيطنته الصبيانية، فقد كانت بلاك دجايده تتوقع رؤيتها.

وقفت بلاك دجايده تتأمله: فرأّت شاباً مفعماً بجمالٍ وجاذبية لا توصف؛ كان وجهه يُضيء كالقمر الكامل، وكانت حيويته أشبه بزهور الربيع في صبيحة ربيعية، وكان شعره مصفوفاً وكأنه قد نُقِش بإيميل نحاتٍ محترف، أمّا الحاجبين فكانا أسودين وكأنهما قد رُسما باتفاق، ولُونا بالحبر. كان كريماً حتى في غضبه، وكان محبوباً حتى في عبوسه. كان يرتدي قبعة رخامية مُزданة بالحجارة الكريمة والنفيسة، وعباءة حمراء مُزخرفة بالفراشات والأزهار. كان الحجر الكريم الذي ولد معه، يتدلّى من عنقه في خيطٍ من الحرير الملون.

كانت بلاك دجايده تقف مشدوهة؛ فقد كانت ملامحه مألوفة لدتها، ولربما سبق لها وأن رأته في مكان ما من قبل. أمّ باو-يُو، فقد كان بدوره مأسوراً بلامحها الجذابة والأخاذة. فقد كان حاجبيها الجميلين متقوسين وكأنما رسمتهما ريشة فنان حاذق. وكانت عيناها السعيدتين، تلمعان وكأنهما تستاقان الدموع - أمّا أنفاسها الرقيقة والسريعة، فكانت دليلاً على تركيبتها الرقيقة. كانت في هدوئها أشبه بالوردة المُنكسرة المنعكسة على سطح المياه الجارية؛ وفي حركتها، كانت تُشبه الصفاصفة الرشيقه المتمايلة مع الريح. كان في قلبها نقطة ضعفٍ إضافية أكثر من تلك التي لدى بايٌ كان⁽⁷⁾؛ كما أنها كانت رقيقة وهشة أكثر من هسي شيء.

(7) هو تعبير يُشير إلى أنَّ بلاك دجايده كانت تفيض بالأحساس الرقيقة.

قال باو-يُو وكأنما يُيدي إعجابه:

- «يبدو لي وكأنني قد سبق ورأيت هذه الـ 'مي-مي' من قبل».

رددت الجدة على الفور باستهزاء:

- «كلام سخيف، كيف يمكن أن تكون قد رأيتها من قبل؟»

- «لا أقصد بأنني قد رأيتها حقيقة»، قال باو-يُو متجاوياً مع سؤال الجدة

وتتابع: «ولكتني، أشعر وكأنني أقابل صديقاً لم أره منذ زمن بعيد».

- «أنا سعيدة لسماع ذلك»، قالت الجدة، وأضافت: «ولذلك، من المفترض أن تكونا صديقين جيدين».

تقدّم باو-يُو وجلس إلى جوار ابنة عمه، وبدأ بطرح أنواع مختلفة من الأسئلة المتعلقة بالمقاطعة الجنوبية. ثم سأّلها:

- «أليدك أي حجر يشم كريم⁽⁸⁾؟»

- «لا، ليس لدى منه»، أجبته بلاك دجاييد، وقالت: «إنه نادر ، ولا يوجد مع أحدٍ كما هي الحال معك».

وعلى الفور، انفعل باو-يُو واحمرّ غضباً، وصرخ:

- «إنه نادر بالفعل!، أعتقد بأنه شيء سخيف، لا أرغب في اقتناء أي نوع منه». ثم سحب الحجر من عنقه وطرحته أرضاً. هرعت الخادمات إلى الحجر لرفعه عن الأرض، بينما أخذته الجدة بين يديها، توبخه، وتعمل على تنفيس غضبه تجاه الحجر النفيس الذي توقف عليه حياته. قال باو-يُو باكيًا:

- «ليس لدى أخواتي أي شيء مثله، وأنا الوحيد الذي ولدت به. والآن عرفت أيضاً أن هذه الـ 'مي-مي' الجميلة كالحورية، لا تملكه هي الأخرى، فلماذا أريد هذا الحجر السخيف، وماذا أفعل به؟»

رددت الجدة على الفور بصوتٍ رقيق:

(8) يقصد الحجر الكريم الذي كان في فمه وقت ولادته.

«إنَّ مِي-مي تملك واحداً مثله بالفعل. لكنَّ عَمَّكَ كان مُتأثراً جدًا لفراقها، فأشَّرَ على الاحتفاظ بهذا الحجر كذكرى منها. أمّا قولها لك بأنَّها لا تملك مثله، فلأنَّها لم ترد أن تبدو لك بمظهر المُتبَّحة. والحقيقة، أنَّ حجرها الكريم هذا كان أفضل من حجرِك. والآن، أعدُه إلى عنقك قبل أن تعرف والدتك بالأمر».

بـدا باـوـ يـوـ مـقـنـعـاً بـتـفـسـيرـ الجـدـةـ، فـلـمـ يـعـدـ يـبـدـيـ أـيـ اـعـتـرـاضـ وـهـيـ تـعـيدـ تـعلـيقـ
الـحـجـرـ فـيـ عـنـقـهـ.

خُصصت لـ بلاك دجايـد غرف قرية من غرف باـوـيـو في جناح الجدةـ. وعندما انتقلت إليها مع راعيتها الوحيدة وخادمتها الشابة سنـوـ دـاكـ، قدمـت لها الجدةـ أيضـاـ، بيرـيل كـوـكـوـ، إحدـى خادـماتـها المـفضلـاتـ. بالإضافةـ إلى ذلكـ، أعـطـيتـ بلاـك دـجـايـدـ أيضـاـ، أربعـ قـيمـاتـ علىـ العـمـلـ المنـزـليـ، وأربعـ أوـ خـمـسـ خـادـماتـ لـكـلـ الخـدـمـاتـ، كالـلـلوـاتـيـ لـدىـ الجـدةـ بالـضـيـطـ.

كانت راعية باو-يُو تُدعى لي ما؛ أما خادمتها فكانت بيرفاديونغ فريغرانس، والتي كانت أيضاً من المفضلات عند الجدة – كانت هذه الخادمة جيدة ويقظة وأمينة، ومخلصة لكل من تُرسل لخدمته – ولذلك، كانت لا تأبه لأحد أبداً حين كانت بخدمة الجدة. أما الآن، وهي في خدمة باو-يُو، فقد كانت تكرّس كل وقتها له؛ وكانت هذه الخادمة في الأصل تُدعى بيرل، ولكن بسبب اسم عائلتها هُوا (أي وردة)، فقد عمد باو-يُو إلى استبدال اسمها باسم جديد مُشتَقٌ من أحد المقاطع الشعرية: من عطر الرَّهْر الفوَاحِ، نعرُفُ بأنَّ اليوَم دافِعٌ. وكانت قد خُصصت له من أجل توثيقه وتقويم سلوكه المنحرف، لكنَّها كانت تحزن في أغلب الأحيان لأنَّه لم يكن يَستمع إلى أيِّ من نصائحها أو توجيهاتها.

في تلك الليلة، وبعد أن آوى كل من باو-يُو ولِي ما إلى الفراش، لاحظت بيرثا يدينغ فريغرانس أنَّ بلاك دجايده وبيريل كُوْكُوُ لا تزالان صاحبيتين، فصعدت إليهما بصمتٍ للزيارة.

عندما رأتها بلاك دجايid قالت:

- «اجلسي يا تشبيه-تشبيه⁽⁹⁾».

جلست فريغرايسن على حافة السرير. فقالت لها بيريل كوكو:

- «لقد كانت لي كوكو-نيانغ تبكي منذ لحظات، لأنها كانت قبل ذلك قد تسببت

عن غير قصد بإثارة غضب باو-يُو، ودخل في إحدى نوباته الجنونية».

قالت فريغرايسن تُخاطب بلاك دجايده:

- «يجب أن لا تأبهي له يا كوكو-نيانغ. فأنت لم تري شيئاً من تصرفاته المفاجأة

بعد. فلو تركت نفسك تتأثرين بشيء بسيط كالذي حدث اليوم، فلن تشعري

بأي نوع من لحظات السلام والهدوء».

وفي الصباح التالي، وبعد أن حضرت أمام سيدة العائلة، ذهبت بلاك دجايده لتدعو مدام وانغ، فوجدتها تتحدث مع فينيكس، ومع خادمتين من منزل أخيها. لكنها لم ترد مقاطعتهن، فانضمت إلى فتيات "الربيع"، اللواتي كان حاضرات من أجل صباختة الجدة. وعلمت من كويست سبرينغ بأنهن كان يُناقشن كيفية مساعدة نجل شقيقة مدام وانغ، المُتهم بجريمة القتل التي كانت مقامة ضده في دوائر حاكم بِنغييانفو.

والجدير ذكره هنا، أن تشبيا يُو-تسون كان قد عُيّن حديثاً حاكماً لمقاطعة بِنغييانفو عن طريق مساعي تشبيا تشينغ الحميدة. وليس هناك من حاجة للقول بأنه لم يوفر جهداً في تبرئة هسوبيه بان. ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أن القضية تتعلق بـ لوتوس، إينة تشيه شيه-بن المفقودة، والتي كانت قد بيعت من قبل خاطفها أولاً إلى فينغ يوان، ثم إلى هسوبيه بان. وقد وقع شجار على أحقيته امتلاك الفتاة الضحية - حيث تلقى فينغ يوان ضرباً مُبرحاً من قبل خادم هسوبيه بان، حيث توفي لاحقاً متأثراً بجروحه.

والآن يعتبر هسوبيه بان الإبن الوحيد؛ فقد توفي والده عندما كان لا يزال طفلاً،

(9) أي يا أختي الصغرى؛ نلاحظ هنا كيف كانت تُعامل الخادمات المُقربات، لا سيما بيرفابيدينغ فريغرايسن، التي كانت تعتبر خادمة الجدة وقريبة إلى منزلتها.

وكنتيجة، فقد كان أصحابه الفساد جراء تصرفات أمه، كما أنه كان أمياً تقريباً - بالرغم من انحداره من عائلة «يفوح منها عطر الكتب». الواقع، أنه كان مغطوش وسرير الاندماج بالبيئات الفاسدة، وكان يُفرط في مسالك الفجور والفسق. وبالرغم من زعمه بأنه تاجر ووكيل شراء للعائلة الإمبراطورية، إلا أنه لم يكن يعرف شيئاً عن موضوع الأعمال، واعتمد كلّياً على أساليبه الاحتيالية الخاصة ووثق بالخدم. كانت والدته شقيقة الجنرال وانغ تزو-تينغ، قائد حامية العاصمة، وشقيقة مدام وانغ، زوجة تشيابا تشينغ. ومن هنا صلتها بأسرة يوونغ كوفو، كما أنها كانت تُعرف بين أفراد تشيابا باسم هسوويه بي-ما⁽¹⁰⁾. كانت تربو على الأربعين ولديها، عدا هسوويه بان، ابنة تُدعى بريشوس فيرتشو، وكانت تكبر هسوويه بان ببعض سنوات. وكانت هذه الإبنة جميلة وحسنة السيرة والسلوك. كان والدها يحبّها بقوّة، وقد وفتح لها المجال للتعليم تحت إشراف معلم خاص، ففوقت على أخيها من حيث الثقافة والعلم بعشرين المراّت. لكنّها، وبعد وفاة والدها، لم تعد تهتمّ بكتابها إلا النذر اليسير؛ كانت مُدركة بعدم مسؤولية أخيها وتهوره، وقررت مشاركة والدتها بالعناء به.

كان لِمُغادرة أفراد عائلة هسوويه إلى العاصمة ثلاثة أسباب أساسية: كان هدف الأول، رغبة هسوويه بي-ما تقديم ابنته مُرشحة كوصيفة شرف لدى العائلة الإمبراطورية. أما الثاني، فكان مُرتبطًّا بزيارة شقيقتها وشقيقها الذين لم ترهما منذ عدّة سنوات. وأخيراً، كان هسوويه بان يُريد، ولو ظاهرياً، تدقيق حسابات العديد من المحلات التجارية الخاصة هناك، مع أن السبب الحقيقي لذهابه، التمتع ببعض أنواع اللهو والتسلية المُتوافرة في بعض نواحي المدينة.

و قبل وصولهم إلى العاصمة بقليل، سمعوا بأن الجنرال وانغ قد عُين مُفتشاً عسكرياً على تسع مقاطعات، وأنه كان على وشك المغادرة لاستلام مركزه الجديد. أفرح هذا الخبر هسوويه بان، لأنّ الوالدة، لو كانت قادرة على البقاء مع شقيقها كما هو مُخطط، فلن يكون هو قادر على التصرف بحرية وفعل ما يشاء. فاقترح على

(10) .الحالة.

والدته فتح أحد منازلهم في العاصمة. وبما أنَّ والدته تعرف سلوكه وغايته، فقد فهمت ما يُخطط له، فقالت:

— «يمكنا الذهاب إلى بيت خالتك والمكوث عندها؛ فأنا على يقينٍ من أنها ستغضب في حال لم نفعل ذلك. عدا عن أنني لم أرها منذ عدة سنوات وأ فقدتها ومشتاقةً كثيراً لرؤيتها. وإن كنت تخشى من أنك لن تكون حراً بالطريقة التي تُريدها، فلما كانك العيش لوحدهك، أما من ناحيتها، أنا وشقيقتك، فسنبقى في بيته».

وكما كان توقع هسوبي بي-ما، فقد أصرت مدام وانغ على بقائهما في يونغ كوفو، فقد أقاما في بير فريغرانس كورت، على الزاوية الشمالية الشرقية للقصر. كان لهذا المنزل مدخله الخاص من الشارع مباشرة، ويرتبط بمسكن مدام وانغ بممر، حيث كان بإمكان هسوبي بي-ما وابنته الدخول إلى أقسام يونغ كوفو الداخلية دون الاضطرار للعودة إلى المدخل. وكانوا يفعلان ذلك كل يوم - بعض الأوقات بعد الغداء، وأحياناً كثيرة في المساء. كانت الأم تمضي أوقاتها أحياناً مع سيدة العائلة وشقيقتها، بينما كانت بريشوس فيرتشو تتسلّى مع فتيات الربيع الثلاث، أو مع بلاك دجايدي؛ أما في ما خص هسوبي بان، فلم تكن لديه من الأسباب ما يمنعه من تنفيذ ما جاء من أجله؛ فسرعان ما وجد ضالته بين أفراد زمر تشييا - حيث وجد العديد من أمثاله الذين يحتسون الخمر، ويُمارسون ألعاب القمار، أو يزورون أماكن المؤسسات. والواقع، أنه اكتشف الكثير ليتعلّمه من أصحابه الجدد. لأنّه، وبالرغم من كون تشييا تشينغ انضباطي بشكل صارم، إلا أنّه لم يكن قادرًا على فهم كل ما يدور بين أفراد زمرته الجديدة. بالإضافة إلى أنّ تشييا دجين، وهو الرئيس المدبر لللزمرة، كان بعيداً عن أي شك أو شبهة هو نفسه. وهكذا وجد هسوبي بان نفسه منهمكاً في تقبيل نصائحه، رافضاً أي نوع من النصائح التي كانت تأتيه من أفراد أسرته.

الفصل الرابع

وفيه تعجز صفحة الحجر القدسية عن تمييز طريدها الأول
وتفشل إلهة الإرشاد في إيقاظ مُرافقها السابق

منذ أن وصلت بلاك دجايid إلى يوونغ كوفو، أغدقـت عليها جـدتها العـاطفة والـحـب والـموـاسـة ما لم تـقـدـم مـثـلـه لـباـوـيـوـ. وقد اـحتـلـت هـذـه الفتـاة الشـابـة مـكانـاً دـافـتاً في قـلـب سـيـدة العـائـلـة أـكـثـر من فـتـيـات الرـبـيع الـثـلـاثـ، حـفـيـدـاتـها الحـقـيقـيـاتـ^(١). كانت العلاقة بين بلاك دجايid وبـاـوـيـوـ تـزـدـاد أـكـثـر فـاكـثـرـ - ليس فقط لأنـهما يـعـيشـان في مـسـكـنـ واحدـ، ولكن بـسبـب التـقـارـب الطـبـيـعـي الذي اـحـتـلـ مـكانـه مـنـذـ لـقـائـهـما الأولـ. في هـذـه الأـثـنـاءـ، ظـهـرـت الأـنـسـةـ بـرـيشـوسـ فـيرـتشـوـ.

و مع أنها أكبر من بلاك دجايid بمقدار ضئيل، إلا أنها كانت تميّز ببرؤية وفهم واسعين يتخطيـان سنوات عمرها بكثير. كانت لا تشوّبها شائبة؛ فكانت دائمـاً مُستعدة لـإرضاء غيرها، والدخول في جـزء أي مناسبـة دون تـكلـف، كما أنها كانت تـتعامل بـعطف وإنـسانـية مع الخـدمـة والـعـبـيدـ. لكنـ بلاك دجـايـd، فقد كانت على العـكـسـ من ذلك - تمـيلـ إلى التـكـبـرـ وتـتـأـىـ بـنـفـسـهـاـ عنـ كـلـ شـيـءـ. وهـكـذاـ، استـطـاعـتـ بـرـيشـوسـ فـيـرـشـوـ، وـفيـ وـقـتـ قـصـيرـ، أـنـ تـرـبـعـ قـلـوبـ جـمـيعـ منـ حـولـهـاـ، بـينـماـ كانـتـ بلاـكـ دـجـايـdـ غـيرـ قـادـرةـ عـلـىـ إـخـفـاءـ غـيرـهـاـ مـنـ ذـلـكـ. وـالـوـاقـعـ، أـنـ بـرـيشـوسـ فـيـرـشـوـ، كـانـتـ لـاـ تـأـبـهـ الـبـتـةـ لـكـلـ مـاـ أـحـدـثـهـ وـجـودـهـاـ فـيـ الـبـيـتـ.

أما بالنسبة لطبيعة باو-پيو، فقد كان يتميز بالبساطة، وهكذا كان سلوكه البريء

(1) أي بنات الإبنة، ووردت هنا بهذا المعنى للدلالة على قرابة الدم.

تماماً يبدو للجميع، في كثير من الأحيان، كضربٍ من الغرابة أو الغموض، إن لم يكن من الجنون.

كان يُعامل الجميع على حد سواء، ولم يتوقف أبداً عن اعتبار قرابة الفرد للأخر تسير على نسق واحد ولا تختلف بين شخص وآخر. وكان يعمل في كثير من الأحيان على إغضاب بلاك دجايده عن غير عمد، وكان قصده من وراء ذلك التسلية معها وإسعادها. وفي هذا النوع من المناسبات، كان باو-يو دائمًا هو الذي يُبادر إلى اللفتة التصالحية في المنزل.

وفي يومٍ كانت فيه أزهار شجر الخوخ في حديقة يُونغ كُوفُو تبلغ أوج إزهارها، اغتنمت يو-شيه زوجة تشيما دجين الفرصة لدعوة سيدة العائلة، ومدام وانغ، ومدام هسينج وغيرهن من أفراد العائلة، للاحتفال بعيد إزهار الخوخ.

لم يحدث خلال هذا الحفل أي شيء استثنائي، لكنه كان مجرد تجمع سنوي للعائلة. بعد العشاء، أحسن باو-يو بالإلهاق وقال بأنه يرغب فيأخذ قيلولة. فقالت تشنين-شيه للجدة:

- «لدينا غرفة جاهزة دائمًا من أجل العم باو⁽²⁾، سأخذ باو-يو إليها، وأطمأن على راحتته فيها».

كانت تشنين-شيه زوجة تشيما دجانغ وكنت سيدة العائلة الكبرى والمفضلة لديها؛ كانت هذه الكنة شابة فائقة الجمال وتمتلك شخصية مرهفة الإحساس، وتتصرف بكثير من الود واللطف. ولذلك، اطمأنّت سيدة العائلة لترك باو-يو بين يدي رعايتها. كانت الغرفة التي أخذت تشنين-شيه باو-يو إليها، من أهم الأجنحة في يُونغ كُوفُو وأكثرها فخامةً وترف. إلا أنّ باو-يو اعترض على وجود اللفافة المزخرفة والمعلقة في وسط الجدار - وهي لوحة زيتية تمثل عالم هان الشهير ليو هسييانغ وهو يتلقى التنوير الإلهي. كما أنه أبدى اعتراضًاً أشدّ صرامة بخصوص اللفافتين المعلقتين على جانبي هذه اللوحة والتي كُتب على كلّ منها الأبيات التالية:

(2) تقصد بذلك باو-يو نفسه، وهو لقب يطلق عليه احترامًا لمكانة قرابته من الجدة.

إنَّ التعمق أكثر وأكثر بمسالك العالم

هو المعرفة الحقيقة

وإنَّ التكيف مع تفاصيل عادات وتقاليد المجتمع

هو الإنجاز الحقيقي

ثم قال مُخاطباً تشين-شيه قائلاً لها»

- «بصراحة، من المستحيل أن أنام في هذه الغرفة».

- «إذا كنت لا تحب هذه الغرفة بالذات، فلن تُناسبك أي غرفة أخرى»، ردت

تشين-شيه، وأضافت: «إلا إذا أردت أن تستخدم جناحي الخاص».

عند سماعه ذلك، ارتسمت على مُحياها باو-يُو ابتسامة رضى. لكن مُربيته لم ي

اعتراضت على هذا الاقتراح، وقالت:

- «لن يكون من اللائق لـ عم أن ينام في غرفة نوم زوجة ابن الأخ».

- «لا تكوني سخيفة إلى هذه الدرجة»، قالت تشين-شيه مُبتسمة، وتابعت:

«إن العم باو لا يزال صبياً الآن، إن لم يكن قوله هذا يزعجه. ألم تلاحظي

أخي الأصغر عندما زارنا الشهر الماضي؟ إنه بعمر العم باو لكنه أطول منه

بقليل».

وعلى الفور غير باو-يُو مجرى الحديث وسأل تشين-شيه:

- «أين هو أخيك؟ أرسلني بطلبه ودعيني أقابله».

والواقع، أن باو-يُو أراد من وراء هذا الطلب، رؤية شكل شقيق تشين-شيه الجميلة والجذابة.

- «إنه في البيت، ويبعد مسافة طويلة من هنا»، أجبت تشين-شيه، وتابعت:

«ومن المؤكد أنك ستُقابله في وقتٍ من الأوقات».

أحسن باو-يُو داخِل الغرفة برائحة عطر رقيق ولكن قوي.

ورأى على أحد الجدران في جهة أخرى لوحة للرسام 'تانغ بين' تحت عنوان

«سيدة تأخذ قبولة تحت شجرة البوغونيا»، وبيتين للشاعر صانع يقولان:

برودة لطيفة تعم أحلامها لأنّه الربع؛
وعطر الورود يُسّكر المساء كالخمرة.

وفي وسط الطاولة كانت هناك مرأة قد استخدمتها ذات مرّة الإمبراطورة وفُتُحي تيآن. وعلى أحد جانبيها، وُضعت صفيحة ذهبية تُجسّد تمثال تشاو في-بن وهو يرقص، أمّا الصفيحة على الجانب الآخر فتُجسّد حبة سفرجل رماها لو-شان عابثًا على الحسناء يانغ كُووي-في. وكان السرير المحفور قد نامت عليه يوماً الأميرة شوُ يانغ، أمّا الستائر اللؤلؤية فقد كانت قد صُنعت من أجل الأميرة تونغ تشاو⁽³⁾.
قال باو-يُو يُخاطب تشين-شي، وقد غمرته الدهشة والسعادة:
- «لقد أحببت جناحك أكثر».

ردّت تشين-شي وهي تبتسم:

- «إنه مناسب للخلالدين، إذا جاز لي أن أقول ذلك».

ثم قامت بفرش غطاء السرير الذي كانت قد غسلته من قبل هسي شي، ووضع مكان الوسادة المُزخرفة التي احتضنتها مرّة رد مايد. انصرفت مُريمة باو بعد أن ساعدته على الإيواء إلى الفراش، وبقيت فقط خادماته الأربع - بيرفایدينج فریغرانس، برايت دیزاين، أوتومن سکای، وماسلك موون - وقد طلبت إليهن تشين-شي الخروج لمُراقبة القلط التي تلعب تحت المزاريب.

غرق باو-يُو في النوم بمُجرد أن أغمض عينيه. ورأى في منامه بأنه يسير وراء تشين-شي إلى مكان رائع - فيه قاعات وغرف مصنوعة من الأحجار الكريمة والذهب، وحدائق مليئة بالأزهار الجميلة والغريبة. أحس باو-يُو بالغبطة، وشعر بأنه سيقضي بقية عمره في هذا المكان. وفجأة، سمع أحد الأشخاص يُعني من الطرف الآخر للتلة:

أحلام الربع تنذر كما الغيم العائرة،

(3) كل هذه الأسماء تُمثل العاشقات الشهيرات في التاريخ الصيني وأساطيره.

والزهور ترحل مع المياه السائرة.
والعاشقين اليوم هم، كما كانوا منذ الأزل،
حبٌّ وسهرٌ ودموع واستياقٌ وغزل؛
فليأخذوا كلامي المعتبر كحكمةٍ لا تنتظرون:
"عشقكم هذا ندم - لن تحصدوا إلا الألم".

بقي صدى هذه الأغنية يرن في أذني باو-يو، إلى أن ظهرت أمامه إلهة جنية ذات جمال رائع وبهاء أخاذ، ولا يُشبهها أي شيء في العالم الفاني. ألقى باو-يو التحية عليها وقال:

- «أيتها الأخت الخلدة، من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟ لقد أضعت طريقي، وأرجو منك المساعدة».

ردت قائلة:

- «أنا إلهة الإرشاد. وأسكن عالم حزن الفراق الموجود في محيط الندم. أنا مسؤولة عن شكاوى العذارى التعيسات والعاشقين الباكين، وعن آثار حبهم، وعن رغباتهم غير المحققة. لم يكن لقائي بك مصادفة؛ فمنزلي ليس بعيداً من هنا، وليس لدى الكثير لأقدمه لك، ولكن لدى بعض أوراق الشاي الطيرية التي جمعتها بيدي، والقليل من جرار النبيذ التي صنعتها بنفسي أيضاً. ولدي أيضاً العديد من المغترين المدرسين على الرقصات الغريبة، وقد أنهوا للتو سلسلة من إثني عشرة أغنية وقد أسميتها: 'حلم الغرفة الحمراء'. فلماذا لا تأتي معي؟»

في هذه الأثناء، اختفت تشين-شيه، ولحق باو-يو بالإلهة ووصل إلى مكان يُعطيه قوسٌ صخريٌ هائل، حفرت في وسطه العبارة: «أرض وهم الباطل العظيمة». وقرأ على جانبي هذه العبارة البيتين التاليين:

حينما يطغى الباطل على الحقيقة، تصير الحقيقة

عندما ضلال؟

و حينما يصير اللاوجود واقعاً، سيكون الوجود في
الأذهان باطل.

ويعد أن عبر من تحت القوس، وجد باو-يُو نفسه أمام مدخل قصرٍ، ومن فوقه
قرأ العنوان: «بحر العاطفة وفردوس الحب»،
ثم قرأ من تحتها بيتهن يقولان:

في البقاء، كخلود الأرض والسماء،
لن يموت حبّ مهما تطويه العهود.
وفي الدّوام، كتوالي الظلّ والضياء،
لن يغيب وقت للنسيم والشهر في اللاوجود.

كان باو-يُو أصغر من أن يفهم معاني هذه الأبيات. وبالرغم من أنّ لديه فكرة
ضئيلة ومُبهمة عن الحب، إلا أنه لم تكن لديه فكرة واضحة عن المقصود بالنسيم
والشهر. حزك ذلك في نفسه الفضول وقرر اكتشاف الأمر قبل مغادرته للقصر.
ونتيجة لهذا التفكير البريء، أصبح باو-يُو، ولسببٍ غير مفهوم، تشغله شياطين
العاطفة.

بعد دخوله الباب الثاني، رأى باو-يُو صفوّاً من المعابد مع كلماتٍ محفورة
عليها مثل: «قسم المشاعر المنحرفة»، «قسم الغيرة المتنافسة»، «قسم بكاء الصباح»،
«قسم مرثاة المساء»، «قسم عواطف الربيع»، و«قسم أحزان الخريف».
بعد أن قرأ باو-يُو كل ذلك، سأل الإلهة:

- «هل من الممكن لكِ أن تأخذني عبر هذه المعابد؟»
- «لا»، أجبته الإلهة بحزم، وأضافت: «إنها تحتوي كل ما له علاقة ب الماضي
و الحاضر و مستقبل عذاري العالم كلّه - اللواتي لن ترعاهن عين الخلود».
وبينما هما يتقدمان، استمرّ باو-يُو يلحّ على الإلهة حتى وافقت أخيراً على طلبه
قائلة:

- «حسناً، سترى هذا فقط»؟

نظر باو-يُو إلى أعلى فرأى ما كُتب في أعلى المعبد الذي أشارت إليه الإلهة:
«قسم سيئي الطالع». وقرأ هناك أيضاً البيتين التاليين:

من الربع وأحزانه حتى الخريف وماسيه؛ نصنع
بأيدينا البلاء؛

إن كانت وجوهنا كاللورود وملامحنا كالقمر...
كل ما فينا سواء.

وفي الداخل، رأى باو-يُو أكثر من عشر حُجرات صغيرة مُقلقة ومُصنفة وفقاً
لأسماء مُختلف المُقاطعات. وهُنَا، رغب في الاطلاع على يتعلّق بِمُقاطعته، فتقدّم
إلى المُقاطعة المُصنفة تحت عنوان: «عذاري تشيلينغ الثلاث عشرة، الملف رقم 1».
وبعد قراءة ذلك، قال يسأل الإلهة:

- «لقد سمعت بأنَّ تشيلينغ هي مدينة كبيرة. فكيف يُعقل أن يكون فيها ثلاثة
عشرة عذراء فقط؟ ففي عائلتنا لوحدها يوجد المئات منهنّ».
ابتسمت الإلهة وردَّت:

- «نحن نحتفظ بسجلات الأكثَر أهمية منهن».

نظر باو-يُو باتجاه الحُجرتين التاليتين، وقرأ على التوالي ما هو محفور فوقهما:
«عذاري تشيلينغ الثلاث عشرة، الملف رقم 2»، و«عذاري تشيلينغ الثلاث عشرة،
الملف رقم 3». ثم تقدّم وفتح الحُجرة الأخيرة وأخرج منها ملفاً كبيراً. كانت
الصفحة الأولى مُعتمة وغمورة كلية بالضباب الكثيف والغيوم السوداء، ولم يكن
فيها أيَّ شيء واضح. وقد نقشت على هذه الصفحة الأسطر التالية:

في الأيام الصافية، التي نادراً ما نراها،

وعبر الغيوم المُشرقة التي تفرقـت في هواها.
 كان قلبها مُتباهياً في علـاها كالسماء،
 لكنَّ موطنـاً لها كان على أرضِ الوضـاعة والبلاء.
 لم يستدـع فيها الجمال والكمـال إلـا الحسد،
 ولم يكن موتها المـعجل إلـا افتـراء وادـعاء –
 ولم يكن رثـاء أمـيرها المـخلص لها إلـا هباءً بـهاء⁽⁴⁾.

لم يفهم باوـيؤ أي شيء مما قرأ. ثـم لاحظ على الصفحة التـالية رسـماً مـلونـاً
 لـباقـة زـهور وحـصـيرـة مـتكـسـرـة، وإـلـى جـانـبـهـما قـصـيـدة:
 لـربـما كـانـت لـطـيفـة – وـكـريـمة النـفـس حـبـية،
 وـشـبـه جـمـالـ الكـاسـيا وـورـدةـ أـورـكـيدـ الغـرـيبةـ.
 ولـكـنـ، ماـذـا يـفـيدـ الـأـمـيرـ كـلـ ماـ فـيهـ منـ صـفـاتـ؟
 ومـصـيـرـها أـضـحـى لـمـرـءـ يـهـويـ تمـثـيلـ الـحـيـاةـ!⁽⁵⁾
 لم يـفـهمـ باـوـيـؤـ منـ هـذـاـ أيـ شـيـءـ أـيـضاـ. أـعـادـ الـمـلـفـ إـلـىـ مـكـانـهـ وأـخـذـ الثـانـيـ منـ
 الـحـجـرةـ 2ـ. كـانـ الصـفـحةـ الـأـولـيـ عـبـارـةـ عـنـ صـورـةـ أـيـضاـ – لـكـنـهـ تـمـثـلـ غـصـنـ كـاسـياـ
 فـيـ الـأـعـلـىـ، وـمـنـ تـحـتـهـ زـهـرـةـ لـوـتوـسـ ذـابـلـةـ مـلـقـاةـ عـلـىـ جـانـبـ بـرـكـةـ جـافـةـ، وـقـصـيـدةـ
 تـقـوـلـ:

آـهـ يا رـمـزـ الطـهـارـةـ وـالـبـرـاءـةـ وـالـأـمـالـ،
 لا تستـحقـينـ هـذـاـ المـصـيـرـ القـاسـيـ وـالـأـلـيمـ.
 فـيـ الـحـقـلـيـنـ، شـجـرـةـ وـحـيدـةـ سـتـأـتـيـ بالـغـلـالـ

(4) كان ذلك تصويراً وتوقعـاً لمـصـيـرـ بـرـايـتـ دـيزـايـنـ، إـحـدى خـادـمـاتـ باـوـيـؤـ، الـيـ ضـعـفـتـ
 وـتـوـفـتـ بـطـرـيقـةـ مـخـرـبةـ.

(5) تـشـيرـ الصـورـ فـيـ هـذـهـ الأـيـيـاتـ إـلـىـ بـيرـقـاـيـدـينـغـ فـرـيـغـرانـسـ، وـالـيـ يـعـنيـ إـسـمـ عـائـلـتـهـ «ـزـهـورـ»ـ.
 وـكـانـتـ قدـ تـزـوـجـتـ فـعـلاـًـ مـنـ أـحـدـ الـمـثـلـيـنـ وـهـوـ صـدـيقـ لـ باـوـيـؤـ.

وستعيد روحك إلى أصلها الأول والقديم⁽⁶⁾.

ومن جديد، عجز باو-يُو عن استيعاب ما ترمي إليه هذه الصور أو هذه القصيدة، وحاول أن يقرأ ما في الحجرة رقم 1، فوجد صوراً وقصائد تتشابه مع كلّ ما سبقها. وما إن شرع محاولاً قراءة المزيد، حتى انتفضت الإلهة - خوفاً من استمراره في التدخل في أسرار السماء في حال ترك لشأنه - فسحب الملف من يده وأعادته إلى مكانه، وقالت تُخاطبه:

- « تعال لأريك ما تبقى من المكان. فما نفع ضياع الوقت على هذه؟»
وبينما وقف باو-يُو صامتاً وفي حيرةٍ من أمره، كانت الإلهة تشرح لجنياتها بأنَّ الهدف من مرافقة باو-يُو إلى هنا كان من أجل تنويره وتوسيع مداركه، وطلبت إليهن المساعدة في هذه المهمة. وكان كلَّ ما تناوله باو-يُو من شاي وخمرة وطعام لذيناً بشكلٍ لم يكن يتوقعه ولا تذوقه من قبل. بعد الوليمة، طلبت الإلهة من الجنبيات ترديد أغنية «حلم الغرفة الحمراء»، وأعطت باو-يُو نسخة خطية عنها من أجل متابعتها أثناء الغناء، وقالت له:

- «تابع هذه الأغنية معنا لأنك قد لا تفهمها كما تفهم الأغاني والألحان الأرضية الفانية التي اعتدت عليها».

كان أسلوب الغناء رائعاً، لكنَّ باو-يُو لم يكن قادراً على فهم الرموز الغامضة التي تُشير إليها كلمات الأغنية. أما الإلهة، فقد تنهدت بعمق عندما أحست بأنَّ باو-يُو لم يدرك شيئاً ولم يشعر بأيّ نوع من الإستنارة الروحية التي تهدف إليها. في هذه الأثناء، بدأ باو-يُو يشعر بالتعاس، وراح يلتمس الأعذار لذلك. بعدها، رافقته الإلهة إلى غرفةٍ مجاورة حيث تفاجأ بوجود فتاة ذكره بحفاوة بريشوس ثيرتشو بطريقة استقبالها، وبجمال ملامح ومميزات بلاك دجاييد. كان يتساءل حول

(6) تمثل زهرة اللوتونس إينة تشين شيه-لين، وهي الآن خادمة في منزل هسوبيه. وقد عانت الكثير على يد كاسيا زوجة هسوبيه بان. أما شخصية «كاسيا» فقد تألفت من حقلين وشجرة واحدة.

ما يمكن أن يحصل في الخطوة التالية لا سيما عندما سمع الإلهة تقول له:

- «في أرض التربة الحمراء، غالباً ما تكون الغرف مفعمة بدنس الرجال والنساء الفجرة. وما يبعث على الأسى، هو المحاولات الدؤوبة للفصل بين حبّ الجمال والفجور، متناسين بأنّ أحدهم قد يؤدي دائمًا إلى الآخر. وبالمثل، من المفترض أن تكون اللقاءات التي تحصل على تلة الساحرات، وذروة تبدل وتلاحق الغيوم والمطر، نوع من الحبّ النقي والجمال العفيف. وبالطبع، أنا أتحدث هنا عن عموم الرجال والنساء، ولكن لا بد من أن يكون هناك بعض الاستثناءات النادرة – والتي أنت واحد منها. وفي الحقيقة، أنا مُعجبة بك لأنك الأكثر خلاعة من بين الرجال».

- «كيف أمكنكِ توجيه هكذا تهمة لي!»، قال باو-يو مُحتجًا، وتابع: «لقد أخذت على عاتقي عدم الدخول في مجالات الدراسة، وقد تم توببي بشدة على ذلك من قبل والدي، هذا عدا عن أنني لا زلت يافعاً ولا أعرف المعنى المقصود من هذه الكلمة».

- «لا تذهب ولا تذمر هكذا»، ردت الإلهة، وأضافت: «إنَّ معنى الكلمة الحقيقي هو الانغماس في شيء أو الإفراط فيه. وهناك مئات الأنواع من الانغماس أو الإفراط! ولعل النوع الأكثر شيوعاً هو ذلك الجشع والنهم الذي يتعلق بالجسد. كلنا نعلم أولئك الرذليون الذين لا يستطيعون التفكير بأمرأة جميلة من دون التفكير بها إلا كوسيلة من وسائل إشباع رغباتهم الحيوانية. إنهم، في الواقع، خطرٌ دائم وتهديدٌ للجنس البشري. إن انغماسك أو نهمك هو النوع الأكثر ثباتاً ورصاناً – نوعٌ يمكن إدراكه ولكن لا يمكن التعبير عنه. علاوة على ذلك، إنه نوعٌ من الإسراف والنهم الذي يألفه العالم – في حين أنَّ النوع الآخر يُشكّل خطراً دائماً على البشر؛ إن إفراطك ونهمك، يجعلانك من المُرحبين بهم في غُرف العذاري. لكنَّ ما يجعلك مرغوباً به في غرف العذاري يجعلك تبدو غريباً وغير طبيعياً في عيون العالم. من المُحبد لك أن تُجرب الأشياء التي يُجربها أغلب الرجال،

وهكذا يتمنى لك التعرّف على طبيعتها وعلى حدودها. لقد عملتُ على ترتيب زواجك من شقيقتي تشاين-مي.⁽⁷⁾ وستكون هذه الليلة لك من أجل استكمال اتحادك. وبعد أن رأيت بأمّ عينك أنّ ماتع دنيا الخيال ليست أكثر مما رأيته، لذا، قد تدركُ زهوها وتلتفت إلى تعاليمِ كونفوشيوس ومينشوس وتُكرّس كل جهودك من أجل رفاهية البشرية».

وما لبّثت أن همست في أذن باو-يُو بأسرار الغيم والمطر ودفعته إلى شقيقتها تشاين-مي. ثمّ انصرفت وأغلقت الباب بإحكام من ورائها. إتبع باو-يُو تعليمات الإلهة وراح يُسلّي نفسه مع عروسه بطرقٍ لربّما يُمكن تخيلها ولكن قد لا يتسع لها التفصيل هنا. وفي اليوم التالي، خرج باو-يُو بنزهة مع عروسه. وفجأة، وجد نفسه في وسط حقلٍ مليء بالأشواك وأشجار العلّق، ويعج بالنمور والذئاب. وأمامه بحيرة مياه تسدّ طريق الهرب عليه. وبعد أن فكر ملياً بالذي يُمكن فعله في هذه الحال، سمع صوت الإلهة من ورائه تقول له:

- «توقف وعد أدراجه قبل فوات الأوان!»

وما إن أنهت كلامها، حتى سمع من وسط الماء زفير قويٍ يبعث على الصمم - وانطلق نحوه حشدٌ من الوحوش المُرعبة. وراح يصرخ وقد أصابه الهلع: - «أنقذيني يا تشاين-مي! النجدة! النجدة!»

في هذه الأثناء، يستيقظ من نومه، مبللاً بالعرق البارد، وقد هرعت بيرثايدينغ فريغرانس وبعض الجواري إلى غرفة نومه، وهنّ يهتفن بصوتٍ واحد: - «لا تخاف يا باو-يُو فالجميع هنا إلى جانبك».

وما إن سمع تشنين-شييه باو-يُو وهو يُنادي تشاين-مي، حتى راح يتساءل: - «كيف حدث أنه يعرف اسم ابنتي؟»

عندما كانت بيرثايدينغ فريغرانس تعمل على تسوية ثياب باو-يُو لمست يدها شيئاً بارداً ودبق - فسحبته يديها على الفور وسألت باو-يُو عن ذلك. لم يُجبها

(7) تعني بذلك، مزج أفضل ميزات كلّ من بريشوس فيرتشو وبلاك دجايـد.

بشيء، لكنه امتلاً خجلاً وامسك بيدها يضغط عليها بلطف. وبما أنها خادمة ذكية وأكبر منه بعامٍ أو عامين، خجلت هي أيضاً ولم تقل أي شيء آخر. عند المساء، وبينما هي لوحدها في الغرفة مع باو-يُو تحضر له بدلاً جديداً لتغيير ثيابه، قال لها هامساً:

- «أرجوك لا تخبري أحداً بذلك».

ثم راح يقصّ عليها ما حصل معه في الحلم. وعندما وصل بكلامه إلى ما حصل معه في غرفة العرس، خجلت الخادمة، وضحكـت وهي تُغطي وجهها بكلتا يديها. ومنذ تلك اللحظة، تولـع باو-يُو بها، ولذلك، اقترح عليها أن يشرح لها ما تعلـمـه من الإلهـة. رفضـت بـيرـثـاـيدـينـغـ فـريـغـرانـسـ اقتراـحـهـ فيـ الـبـداـيـةـ،ـ لـكـنـهاـ اـقـتـنـعـتـ بـذـلـكـ فـيـمـاـ بـعـدـ،ـ لـأـ سـيـمـاـ عـنـدـمـاـ عـلـمـتـ بـأـنـهـ سـتـكـونـ فـيـ النـهـاـيـةـ خـلـيلـتـهـ الـخـاصـةـ.ـ بـعـدـ ذـلـكـ،ـ بـدـأـ باـوـيـُـوـ يـعـالـمـهـ بـلـطـفـ وـرـقـةـ أـكـثـرـ مـنـ قـبـلـ،ـ كـمـاـ قـرـرـتـ هـيـ بـدـورـهـ الـعـلـمـ عـلـىـ رـاحـةـ سـيـدـهـ الشـابـ وـإـسـعـادـهـ بـإـخـلـاـصـ وـتـفـانـيـ.

الفصل الخامس

وفيه تزور ليُو لاُ-لاُ يُونغ كُوفُو للمرة الأولى
وتقوم مدام وانغ بمساعدة إحدى قريباتها

بالرغم من أنّ بلدة يُونغ كُوفُو لم تكن كبيرة بما فيه الكفاية، لكنّها كانت تضمّ أكثر من ثلاثة نصف مُؤمِّعين ما بين أسياد وخدم وستّادات وجواري. ومع أنّ الأعمال المنزليّة فيها لم تكن شيئاً يذكر، إلا أنّ أشياء كثيرة كان لا بدّ من القيام بها من وقتٍ لآخر. أمّا بالنسبة لمن كان يُحاولُ كشف القصّة، فقد كانت العقبات والمشكلات تُربّكه كُلُّفافه القُنْبَ التي يتذلّى منها ألف طَرَفٍ سائب. ولكن، وفي خُضم إرباكنا حول التقنيات التي يمكن استعمالها من أجل التوسيع في تطوير قضيتنا، وصل إلى يُونغ كُوفُو زائرٌ من إحدى العائلات الفقيرة – الذي تربطه قرابة بعيدة بآل تشييا – وعندها فقط، أصبحت عائلة هذا الزائر مصدرًا مهمًا لتحقيق هدفنا.

كان اسم هذه العائلة وانغ. وكان الجدّ الأكبير فيها – وهو موظف صغير في العاصمة – قد تعرّف منذ وقتٍ طويّ إلى الجدّ الأكبير لعائلة فينيكس. ولما كان هذا الموظف مأخوذاً بشروة ونفوذ عائلة وانغ الغيتة، فقد «انتسب إليها» على أنه «ابن آخر» جدّ عائلة فينيكس. بعد وفاته، عاد ولده وانغ تشينغ إلى البلدة للعيش فيها. بعد ذلك، تُوفيَ وانغ تشينغ، تاركاً ورائه ولداً هو كُوفُو-بيز.⁽¹⁾ تزوج كُوفُو-بيز من إحدى بنات ليُو-شيها، التي أنجبت له ولداً اسمه بان-بيز وبنتاً اسمها تشينغ-بيز. أمّا ليُو لاُ-لاُ،

(1) تُستخدم «بيز» كلاحقة للتصغير.

والدة ليو-شيه الأرملة، فقد كانت تعيش معهم في منزل واحد. أصبحت العائلة اليوم تعاني من الفقر وتعيش ظروفاً قاسية؛ ففي أفضل أيامها، كان أفرادها يعيشون على ما ينتجونه من مزرعتهم الصغيرة، إلا أن هذه السنة كانت أشبه بالمؤسسة لهم؛ ولم يكن كُو-يُز مُستعداً بما فيه الكفاية من أجل الشتاء الذي أصبح على الأبواب. وفي أحد الأيام، تناول شيئاً من النبيذ، وراح يُسلّي نفسه بتصّرفاتٍ مؤذية مع زوجته وأولاده – كنتيجة لعدم وجود ما يشغل به. لم تأبه زوجته لما يفعله ولم يصدر عنها أي ردّ فعل تجاه تصّرفاته. لكن لاؤ-لاؤ تدخلت أخيراً، وقالت له:

- «أيها الصهر العزيز! أرجو لا يُزعجك تدخلي، لكننا قومٌ فقراء، وعلينا أن نعرف حدودنا ونأكل بحجم ما يسعه طبقنا. مشكلتك أنك قد فسّدت – فإذا ما وضعت يدك على شيء من المال، صرفته وكأنك تغسل يديك بالماء. وعندما لا تجد ما تصرفه، تتحول إلى شخص مؤذٍ وتتصّرف بشراسة مع زوجتك وأولادك. إن ما تفعله ليس بالسلوك القويم بالنسبة إلى رجل... هناك الكثير من المال الذي يمكن جنيه من العاصمة لمن يعرف كيف يعمل ويجني. أما ما يصدر عنك من تصّرفاتٍ غبيةٍ وفظة، فلن يغريك في شيء ولن يعنيك من جوع».

- «من الطبيعي والسهل عليك يا حماتي أن تتغوطي بهذا النوع من التفاهات، أجابها كُو-يُز بشيء من الحدة وهو يترفع جالساً على الكانغ»،⁽²⁾ وأضاف: «كيف يمكن الحصول على المال بهذه السهولة التي تتصورينها في المدينة؟ فهل تقترين عليّ أن أذهب إلى هناك وأتحول إلى لص أو قاطع طريق؟» - «أنا لا أقترح عليك أي شيء من هذا القبيل»، أجبت لاؤ-لاؤ، وتابعت:

(2) «الكانغ» نوع من أماكن الجلوس المصنوع من الآجر أو الطين الذي يمكن تدفأته عن طريق إشعال النار من تحته، أو كنوع من المداخن المرتبطة بمدفأة من أمامها. وقد كان هذا النوع من المدافئ واسع الانتشار في الصين القديمة.

«ولكن علينا أن نُفكّر جدياً في حلّ لمشكلتنا... وعليك أن تعلم بأنَّ التميّزات لن تجلب قطع الفضة إلى منزلك من تلقاء نفسها».

- «لو أن هُنَاك مَا يُمْكِن فعله لما رأيْتني جالسًا هُنَا دون القيام به»، قال كُوٰيْز، وتابع: «فليس لدى أقرباء يجذون الضرائب أو أصدقاء موظفين. ولو حصل ذلك، فمن المُحتمل أنهم لن يكونوا مُستعدين لفعل أي شيء بالنسبة لوضعى بكل الأحوال».

«لن يستطيع أحداً أن يتبنّأ بما سيكُون»، قالَت لاو-لاو، وأضافت: «فلو أنا نقوم بالجزء المطلوب منّا، فلربما يوفّقنا الله ويرحمنا ويُسرّ أمورنا لما فيه صالحنا. والآن إليك ما يدور في خلدي: لقد انتسب جدّك منذ وقتٍ بعيد إلى عائلة وانغ في تشينلينغ. وقد اعتاد هؤلاء منذ عشرين سنة على تقديم الرعاية الجيدة لعائلتك، لكن العائلتين، ومنذ ذلك الحين، افترقتا لأن جماعتك قد أصبحوا فخورين جداً بفاقتهم وفقرهم. لقد قمت بزيارتهم في إحدى المزارات برفة ابنتي، ووجدتهم أُناساً طيبين ولا تشوبهم شائبة، لا سيما ابتهم الثانية التي أصبحت الآن زوجة تشينغ لاو-يه في يوانغ كُوفُو. لم تَعُد عائلة وانغ في المدينة الآن، ولكن لما لا تذهب لمُقابلة مدام وانغ؟ فلعلّها لا تزال تذكرنا. وهي قد أصبحت مع تقدّم العمر بها أكثر سخاءً وكرماً من ذي قبل - فلا ضرر من المحاولة، ما رأيك؟»

وعلى الفور قالت ليؤ-شيه:

- «إن الوالدة على حق. لكنني أخشى من مشكلة عودة الماضي وتجدد عهد المحكمين بنا».

عند سماع ذلك، بدت على وجه كيُو-بيِّن اللهفة لاكتشاف احتمالات ما قد يتبع عن هكذا زيارة. فقال:

ـ «بما أنّ الوالدة قد سبق لها وكانت هناك، فلماذا لا تذهب هي الآن وتستطلع
لي الأجراء قبل قيامي بهذه الزيارة؟»

- «أنا!»، أجبت **ليو لاو** مُحتجة على هذا الطرح. وتابعت: «إن زيارتي

لن تُقدِّم ولن تؤخِّر في شيء، ولكن قد يكون ذلك جيئاً بالنسبة لي – لا سيما وأنَّ الخدم لا يعرفونني».

– «إنَّ ذلك ليس بمشكلة»، أجابها كيو-يير مُشجعاً لها، وأضاف: «أقترح أن تذهب بي برفقة حفيديك، وأنْ تطلبني من تشو دجيويي – خادم مدام وانغ – الذي أدى والدي إليه خدمة كبيرة ذات مرَّة... فأنَا على يقين من أنَّه سيعمل ما في وسعه من أجل مُساعدتنا».

– «أعرف ذلك»، ردَّت ليُو لاو-لاو، وتتابعت: «لكنَّ ما تقوله كان منذ زمنٍ بعيد... كما أتَنا لم نرهم من بعد ذلك ولا مرَّة. فمن يعرِف كيف ستكون ردة فعلهم تجاه ما نطلبه؟ لكتني، وبالرغم من ذلك، سأحاول عسى أن يتحقق ما نصبو إليه. والآن، أعتقد بأنَّني يجب أن أتحرَّك لا سيما وأنَّك رجل ولا يجوز أن تُخاطر بوضع هيبيتك على المحك، بالإضافة إلى أنَّ الإبنة لا تزال في ريعان الشباب ولا يتحمل ذلك تواصلها مع أحدٍ من الغرباء. وطالما أتَني مُسَنة وقد عفا علىَ الزَّمن، فلن يكون لأي ردة فعل غير محسوبة تعاجي أي تأثير يُذكر».

وهكذا، صمَّ الجميع على زيارة الوالدة أولاً. وفي اليوم التالي، نهضت ليُو لاو-لاو من فراشها قبل الفجر، فجهَّزت نفسها، وجهَّزت الصغير بان-يير الذي سيُرافقها بالعربة، وانطلقت إلى المدينة تستطلع طريقها حتى وصلت إلى بونغ كُوفو. وبعد فترة من الانتظار بالقرب من أحد تماثيل الأسود الحجرية، سارت ببطء باتجاه المدخل الجانبي وحيثَ بعاراتها اللطيفة وبلهجتها المتواضعة بعض الخدم الجالسين من حول المكان. وقف الخدم يتأمرونها هي والطفل بإمعان من الرأس حتى القدمين، ثم راحوا يستفسرون عن حاجتها وسبب قدوتها. ابتسمت ليُو لاو-لاو وأجابت:

– «لقد حضرتُ لمقابلة تشو تا-ييه⁽³⁾ خادم تاي-تاي الخاص. أرجو من

(3) تا-ييه (ويعني في الأصل: الأب الأكبر، أو عم الشخص الأكبر من والده ستَّا) وقد استُخدم التعبير هنا للتشريف.

أحدكم أيها السادة أن يتذكرم ويُخبره بذلك». فَكَرِّ الموجودين قليلاً بطلب السيدة، ثُمَّ قال أحدهم: - «أرجو أن تذهبني إلى تلك الزاوية وتنظرني هنالك قليلاً، فسوف يأتي إليك عما قريب».

وما إنْ همت ليو لاو-لاو بالتحرك نحو الزاوية، حتى سمعت رجلاً طاعناً في السن يُعاتب الخادم الذي طلب إليها الانتظار قائلاً له: - كان عليك ألا تدعها تُضيّع وقتها بهذه الطريقة». ثُمَّ التفت إلى ليو لاو-لاو وأضاف: - «إنْ تشو تا-يه في رحلة إلى الجنوب، لكن زوجته موجودة الآن في المنزل. فإذا أردتِ مُقابلتها، فإِما مكانكِ الذهاب إلى الشارع الخلفي والاستعلام عن المدخل هنالك».

شكرتِ السيدة ليو لاو-لاو الرجل، وانطلقت مع الطفل باتجاه المدخل الخلفي. ورأت هنالك عدداً من الباعة المتجولين - كان بعضهم يبيع الطعام، والبعض الآخر يبيع الألعاب وأشياء متنوعة من السلع، ووُجد في المكان أيضاً مجموعة من الغلمان. تقدّمت من أحد الصبية وسألته:

- «ألا تدلني يا أخي الصغير أين يمكن أن أجد تشو تا-نيانغ؟»⁽⁴⁾
- «أي تشو تا-نيانغ تقصدين؟»، سألها الصبي بفارغ الصبر، وتتابع: «فلدينا الكثير منهُن في هذه المنطقة».
- «أقصد تلك التي تكون زوجة خادم تاي-تاي الخاص».
- «الأمر سهل يا سيدي، أرجوكم إتبعوني».

سار الولد برفقة الوالدة إلى الداخل، ثُمَّ أشار لها إلى مجمّع صغير من المباني السكنية قائلاً لها:

(4) تا-نيانغ (وتعني في الأصل: الأم الكبرى، أو زوجة عم الشخص الأكبر من والده سنًا) وقد استُخدم التعبير هنا كلقب شرف للمرأة المتزوجة .

- «إنها تسكن هناك»، ثم توقف ونادي بأعلى صوته: «تشو تا-نيانغ، برفقتي سيئة تُريد مقابلتك!».

أطلت زوجة تشو دجيواي وراحت تتأمل بالزائرة قليلاً، ثم هتفت:

- «من؟ ليو لاو-لاو؟ أنا آسفة لأنني لم أستطع تمييزك على الفور. لقد طال الزمن على لقائنا آخر مرة... رجاءً تفضل بي بالدخول!».

وبعد تبادل التحيات، راحت زوجة تشو دجيواي تستفسر عن طبيعة زيارة ليو لاو-لاو - وما إذا كان مرورها في المكان مُجزد صدفة أم أنها تقصدها لغرض ما.

- «لم آت إلا من أجل رؤيتك يا عزيزتي»، أجبتها ليو لاو-لاو، ثم قالت: «وأريد بالمناسبة أن أُقيِّم تحياتي على عزيزتنا كُو تاي-تاين [مدام وانغ] طالما أنني أمرت في المنطقة. ويا ليت ساو-ساو⁽⁵⁾ تستطيع أن تُرتب لي مقابلة مع المدام وسيكون ذلك شرفاً لي، ولكن إذا لم يكن ذلك ممكناً، فأرجو أن تُبلغيها بزيارتني وتحياتي عندما تنسح لك الفُرصة بذلك».

من المؤكَّد أنَّ زوجة تشو دجيواي لم تنخدع بتبريرات ليو لاو-لاو، ولم تستطع إدراك الهدف الحقيقي من زيارتها؛ فراحت تستذكرة كيف قدم كُو-يُز بعض المساعدة لزوجها في إحدى المحاكمات، وكيف أنها تشعر بدافع إلزامي لفعل ما تستطيعه من أجل ليو لاو-لاو. بالإضافة إلى ذلك، أرادت أن تُظهر بأنَّها شخص على قدرِ من الأهمية في يونغ كوفو. وانطلاقاً مما تصبو إليه، نظرت إلى لاو-لاو وقالت بثقة باللغة:

- «استريخي يا عزيزتي. وبعد رحلتك الطويلة من البلدة إلى هنا، لن أدعك ترحلين دون تلك المُقابلة حتى ولو كانت مع بودا نفسه. ولكن أقول لك بكلِّ صراحة، إنَّ ما تطلبينه يقع خارج نطاق واجباتنا العادية، ولكن بما أنَّك قريبة تاي-تاين، وقد قصدتانا كما لو أنَّنا من الأناس ذوي المراكز المهمة، فسأجعل من هذه المناسبة فرصة استثنائية ولن أدعك تذهبين حالية

(5) أي: زوجة الأخ الأكبر.

- الوفاصل. ولكن لا بد من القول بأنّ الأشياء هنا الآن أصبحت تختلف كثيراً عما كانت عليه قبل خمس أو ست سنوات. صحيح أنّ تاي-تاي كان صاحب النفوذ القوي من قبل، ولكن لين يز⁽⁶⁾ أصبحت هي المسؤولة والمؤثرة الآن، وما أدرك من هي لين يز؟ إنها بلا شك إبنة أخي تاي-تاي، ولعلكِ تذكرين جيداً اسم ابتها - فينغ-كُو [فينيكس].
- «أصحيح هذا؟»، ردت لاؤ-لاؤ، وقالت: «أتمنى أن تسنح لي الفرصة لمُقابلتها قبل مغادرتي...»
 - «بكل تأكيد»، قالت زوجة تشوشو دجيواي، وأضافت: «إنها امرأة طيبة وتوسّ زوارها. والحقيقة، أنكِ تحتاجين إلى مقابلة يز ناي-ناي وليس تاي-تاي إذا ما أردتِ أن لا تُغادري فارغة الوفاصل».
 - «هذا رائع! أنا ممتنة لكِ كثيراً لما تُخبريني به، وسأترك كل شيء لحسن تصرفكِ ولطفكِ».
 - «إنه لا شيء يذكر، لا تقلقي. ومن يدرى؟ فلعلكِ تتبوئين مركزاً مهمّاً في يومٍ من الأيام وتؤدين لي خدمة جليلة بالمقابل».
- ما إن أنهت زوجة تشوشو دجيواي كلامها، حتى أرسلت خادمتها الخاصة لترى ما إذا كان الفطور قد أصبح جاهزاً في جناح الأم الحاكمة⁽⁷⁾، بينما راحت هي تتابع حديثها مع ضيفتها المميزة:
- «أتخيّل بأنّ عمر فينغ كُو-نيانغ⁽⁸⁾ لم يتجاوز العشرين عاماً الآن».
 - «إنه لمن المميّز أن تتحمّل كل هذه المسؤولية وهي لا تزال في ريعان الشباب».
 - «نعم، إنها بلا شك شخص مميّز. إنها تعالج أموراً أكبر من قدرتها على

(6) هي بادئة تراتبية وتعني «الرقم أثنتين» في الرواية.

(7) هي المرأة التي تكون عادة رئيسة الأسرة أو القبيلة.

(8) وتعني «العمة»: وهي صفة شرف تُطلق على الآنسات غير المتزوجات.

التحمل - لا بل أكثر من أي شخص آخر في المنزل. كما أنها تتمتع بذكاء حاد؛ فإذا ما صممت على معالجة أمر ما، فترى أنها تُضاهي عشرة رجال بذلك. على كل حال سترين ذلك بأم العين عندما تقابلينها لاحقاً. إلا أنَّ الأمر الوحيد الذي يُعانيه الجميع منها، أنها جدية وصارمة مع كل الخدم في المنزل».

في هذه الأثناء عادت الخادمة لتقول بأنَّ سيدة المنزل قد انتهت من إعداد الفطور، وأنَّ فينيكس قد ذهب إلى جناح مدام وانغ. وعلى الفور، نهضت زوجة تشُو دجيُواي من مقعدها وقالت تُخاطب لاؤ-لاؤ:

- «هيا بنا الآن؛ فالسيدة تعمل عادة على خدمة تاي-تايِ أثناء الوجبات، وما إن تنتهي من ذلك حتى تعود إلى جناحها سريعاً - والمطلوب مِنَّا في هذه الأثناء التحرُّك سريعاً وانتظارها هُنَاك قبل أن تنشغل بأمور أخرى».

وما إن أنهت زوجة تشُو دجيُواي كلامها، حتى انطلقت برفقة ضيفتها إلى جناح تشيلاين، فطلبت إليها الانتظار في البهو وتتابعت سيرها إلى الداخل، وراحت تبحث عن باشينس، خادمة فينيكس الموثوقة، وأخبرتها عن الزائرة التي تنتظر في البهو - وتذكرها بأنَّ ليُو لاؤ-لاؤ قد جاءت للزيارة من قبل، وأنَّ مدام وانغ قد استقبلتها بحفاوة. وبعد أن تبلغت زوجة تشُو دجيُواي موافقة مدام وانغ على الزيارة، هرعت إلى البهو تستدعي كُلَّاً من ليُو لاؤ-لاؤ وبان-يز.

عبرت ليُو لاؤ-لاؤ أولاً غرفة جلوس فينيكس - حيث كانت تعقب رائحة العطور التي لم يشتم أنفها مثيلاً لها على الإطلاق - بينما كانت عينها مبهورتان بالأنواع المختلفة من الأثاث التي لم ترها عين من قبل. فأصابها الذهول الأش به بالدوران والبريق في العينين كما لو أنها تسير فوق السحاب. ثم دخلت مع زوجة تشُو دجيُواي إلى غرفة ناحية الشرق، حيث رأت آنسة جميلة كالورد، تجلس على كانغ وثير وهي ترتدي ثوباً من ساتان الحرير المُزركش. وما إن اقتربت منها، وهمت بمخاطبتها مستخدمة لقب كُو ناي-ناي - حتى سمعت زوجة تشُو دجيُواي تُنادي هذه الآنسة الجميلة بلقب بينغ كُو-نيانغ، فتأكدت بأنَّها ليست إلا واحدة من

بعد أن جلست ليُو لاُف-لاُف في غرفة جلوس باشينس، تراءى إلى سمعها صوت نغم بطيء أشبه بصوت غربال يتحرك إلى الأمام ثم إلى الخلف بشكل متواصل. وراحت تلتفت من حولها فعلمت أن الصوت يصدر عن شيء أشبه بالصندوق يتدلّى من عمود في الغرفة الخارجية وكان يتارجح بالتزامن مع حركة شيء يتدلّى من الصندوق. فدُهشت بهذا الشيء وهمت للإستفسار عنه، عندما تقدّمت باشينس تُعلن عودة فينيكس إلى جناحها: وعلى الفور، نهضت كلاً من زوجة تشُو دجيُواي وباشينس من مقعدهما، طالبتين إلى ليُو لاُف-لاُف الانتظار في مكانها، وتوجهتا للقاء السيدة على عجل.

في هذا الوقت وصل إلى سمع ليُو لاُف-لاُف أصواتاً وضحكات تقترب من بعيد، ثم رأت ما يقارب العشر أو الخمس عشرة امرأة يعبرن غرفة الجلوس إلى إحدى الغرف الأخرى على الجهة المقابلة. ولم تمضِ فترة قصيرة حتى خرجت النساء من الغرفة مرتَّة ثانية وغادرن على الفور. وما هي إلا لحظات حتى دخل مجموعة من الخدم وهو يحملون اشكالاً مختلفة من الصواني والأطباق المليئة بشئيّ اللوان الطعام؛ ثم ختِم الصمت الكامل على المكان. تلا ذلك خروج خادمتين من إحدى الغرف وهما تحملان طاولة قصيرة الأقدام عليها تشكيلة من الأطباق المُزخرفة المليئة بالمأكولات الشهية التي لم يسبق أن تذوقها لسان. ثم وضعتا الطاولة بالقرب من ليُو لاُف-لاُف. في هذا الوقت، مدَّ بان-يَر يده بهدف تناول بعض القطع من اللحم، إلا أنَّ ليُو لاُف-لاُف صفعته على يده وطلبت منه الهدوء والصمت. في تلك الأثناء، وصلت زوجة تشُو دجيُواي إلى الباب وأشارت إليها بالدخول وهي تبسم، فنهضت ليُو لاُف-لاُف من مكانها وهي تجِّز بان-يَر من يده وتبعد زوجة تشُو دجيُواي إلى غرفة فينيكس.

كانت فينيكس تُحرِّك الفحم بيدها بزوج من الملاقط، بينما كانت باشينس تقف بالقرب منها وهي تحمل بين يديها صينية عليها الشاي الساخن. حينما دخلت ليُو لاُف-لاُف قالت فينيكس دون أن تلتفت:

- «رجاءً اطلبي من الضيفة الدخول».

لكنها تفاجأت عندما رفعت نظرها ورأت أمامها ليُو لاو-لاو وراحت تحاول النهوض عن مقعدها - ولكن قبل أن تفعل ذلك، تقدمت ليُو لاو-لاو منها، فركعت أمامها وبدأت بالسجود لعدة مرات متتالية. وعلى الفور هتفت فينيكس تُخاطب زوجة تشُو دجيُوأي:

- «أرجوكِ يا تشو تشيه-تشيه لا تدعني الضيافة تفعل ما تفعله أمامي... ولماذا لم تخبريني بأنها تتضرر من قبل؟ فأنا ما زلت شابة ولا أعرف طريقة المخاطبة التي تتوافق مع هذه المناسبة لاستعملها». ⁽⁹⁾

حاولت فينيكس التحدث مع بان-يير، لكنه اختبأ وراء جذبه خجلاً من الكلام، رافضاً التقدّم والرّد على أسئلتها، أو قول ما دفعهما إلى المجيء، لكنها ابتسمت وقالت:

- «هذه حال كل أقربائنا - يتعدون عنا أو يهربون منها. والناس الذين يعرفون ذلك يقولون بأنّ هذا ليس ابتعاداً بل إهمالاً لنا، ويا للأسف، فنحن بدورنا أيضاً قد نسينا أولئك الذين يحبوننا ويتقربون منا».

«لاؤ لاؤ»، تمتمت ليؤ لاؤ-لاؤ، ثم قالت: «إن السبب الرئيسي الذي منعنا من القدوم لرؤيه كُو نايـ نايـ، هو اشغالنا وعدم توفر الوقت لذلك، ولم نرد إخراج كُو نايـ نايـ على وجه الخصوص». -

ـ «كفي عن هذه السخافات»، قالت فينيكس مُعتبرة، وأضافت: «حتى الإمبراطور نفسه علاقاته نادرة، فكيف إذن بالنسبة لك أو لي. عدا عن أننا إستعراضيين ليس إلا، ونميل دائمًا إلى المظاهر والتزلف».

قالت هذا، ثم التفت إلى زوجة تشوشنجيواي تُخاطبها:

- «هل أبلغتِ تايٌ-تايٌ بأنَّ لدينا ضيفة؟»

(٩) يعني أنها غير متأكدة ما إذا كانت أدنى أو أعلى منزلة من ليو لاو-لاو في ما يتعلق بالعلاقات أو القرابة العائلية.

- «لا، لم أفعل ذلك بعد، لا زلنا بانتظار تعليمات ناي-ناي». -

- «رجاءً اذهي واستعلمي عما تفعله تاي-تاي الآن، ولا تزعجيها إذا ما كانت مشغولة بأمرٍ ما؛ فإذا كانت غير مُنشغلة بشيءٍ، أخبريها عن ضيفتنا وانظرى ماذا تقول».

بعد انصراف زوجة تشُو دجيواي، اقتربت فينيكس من بان-يز تقدم له بعضاً من

قطع الحلوى. في هذه الأثناء، عادت زوجة تشوش دجيواي:

عند سماعها هذا، قالت ليؤ لاؤ-لاؤ على الفور:

- «لم آتِ إلى هنا من أجل أي هدفٍ خاصٍ. ما أردناء فقط إلقاء التحية وتقديم الاحترام إلى كُوٌتٰيـٰ-تاـٰيـٰ وإلى كُوـٰنـٰيـٰ-ناـٰيـٰ، بسبب القرابة التي تجمعـنا».

انتبهت زوجة تشُو دجيُواي إلى أنَّ ليُو لاُف-لاُف تستفيض بما لديها من أدبٍ
اليوم، فقالت لها:

- «تأكّدي جيّداً يا عزيزتي من أئّك لم تأتِ من أجل شيء؛ ولكن إذا كان لديكِ ما تقولينه عن سبب زيارتك، فلا داعٍ للخرج أو الخجل من ذلك
أمام كُوٌّنانيٌّ-ناريٌّ».

شجّعت عبارات زوجة تشو دجيوي هذه ليو لاو-لاو التي فررت في النهاية البح بأسباب زيارتها، فقالت وقد وطفح وجهها بحمرة الخجل:

- «من المفترض ألاً ذكر شيئاً كهذا في زيارتي الأولى بعد كل هذه السنوات من الابتعاد. ولكن بما أنني قد قطعت كلّ هذه المسافة، فإنني أرى أن لا مفرّ من الكلام وطرح الموضوع الآن. حسناً، في الحقيقة لقد مرّت أسرة انسبياً بظروف صعبة للغاية... وقد أصحابهم الفقر لدرجة لا يجدون معها ما يقتاتون به. والآن، وقد اقترب الشتاء، فإنّ أوضاعهم ستزداد سوءاً على

سوء. وها أنذا الآن قد أتيت إليك برفقة ابن أخيك الأصغر طلباً للمُساعدة».

قالت ذلك ودفعت بان-يز إلى الأمام، ثم قالت تحثه على الكلام:

- «أخبر كُو نايـ نايـ عما قاله والدك... عن السبب الذي حملنا على المجيء إلى هنا... لا تقف هكذا تُحْدَق وأنت صامتاً كالأبكم».

لم تنتظر فينيكس الولد ليقول ما يمكن أن يكون قد حفظه عن ظهر قلب:

- «لا داعي لأن يتكلّم. لقد فهمت ما تعنيه».

ثم التفتت إلى ليو لاوـ لاوـ تستفسر عما إذا تناولا طعام الفطور - ومع أنها أجبتها بالنفي، إلا أن فينيكس أمرت الخدم بإعداد السفرة من أجل الضيوف.

بعد ذلك، وبينما كانت ليو لاوـ لاوـ والطفل يتناولان الطعام في الغرفة الشرقية، أرسلت بطلب زوجة تشـو دجيـواـيـ وسألتها عن طبيعة رد مدام وانغ بالتحديد.

فأجبتها:

- «قالت تايـ تايـ بأن هذه القرابة لم تكن سوى ارتباط بين عائلتين... وقد اعتاد هؤلاء على القدوم إلينا منذ عدّة سنوات، لكننا لم ندعهم يغادرون أبداً فارغـيـ اليدينـ. وقالـتـ فيـ النـهاـيـةـ،ـ فيـ حالـ كانـواـ يـريـدـونـ مـنـاـ تـقـديـمـ المسـاعـدةـ لـهـمـ الآـآنـ،ـ فـمـاـ عـلـىـ نـايـ نـايـ إلاـ أنـ تـنـظـرـ بـنـفـسـهـاـ فـيـ المـوـضـوعـ وـتـقـدـيمـ الـمـلـخـ الـمـنـاسـبـ».

قالت فينيكس:

- «أنا أستغرب ردـهاـ هذاـ،ـ فـأـنـاـ لـاـ أـعـرـفـ أـيـ شـيـءـ عـنـهـمـ.ـ إذـنـ،ـ هـمـ لـيـسـواـ بـأـقـارـبـ حـقـيقـيـنـ».

إنتهـتـ ليـوـ لاـوـ منـ تـناـولـ الـفـطـورـ،ـ وـنـهـضـتـ بـرـفـقـةـ بـانــيزـ لـتـشـكـرـ فيـنيـكـسـ،ـ

فـقـالـتـ لـهـاـ فيـنيـكـسـ مـبـتـسـمـةـ:

- «لقد فهمـتـ تـاماـ ماـ قـصـدـتـ قولـهـ منـ دقـائـقـ؛ـ فـفـيـماـ يـخـصـ الـأـقـارـبـ،ـ لاـ بـدـ منـ أـنـ نـهـتـمـ بـأـمـورـ مـنـ هـمـ بـأـمـسـ الحاجـةـ إـلـىـ الـمـسـاعـدةـ قـبـلـ أـنـ يـتـفـوهـواـ مـطـالـبـيـنـ بـهـاـ -ـ وـلـكـنـ مـنـ الـمـسـتـحـيلـ عـلـىـ تـايـ تـايـ أـنـ تـنـذـرـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ،ـ عـدـاـ عـنـ أـنـيـ قـدـ اـشـغـلـتـ بـأـمـورـ كـثـيرـ مؤـخـراــ.ـ وـلـكـنـ عـلـيـكـ أـنـ تـقـدرـيـ

كثيراً حقيقة أنتا، وبالرغم من مظهرنا الذي يوحى بأننا أثرياء، لكننا في الواقع لسنا على قدر هذه الصورة التي ترسّم في أذهان الكثيرين؛ هذه هي الحقيقة - مع أنَّ القلة من الناس من يصدق هذه المقوله. ولكن بما أنك قد قطعتِ كلَّ هذه المسافة للوصول إلى هنا، وكونها المرة الأولى التي تطلبين فيها مُساعدتنا، فلن ندعوكِ تُغادرین خائبةً أبداً. ومن حسنِ الحظ، أنَّ مدام تايٌ-تايٌ قد أعطتني اليوم عشرين قطعة من الفضة من أجل تأمين ملابس للخدمات... أنا أعلم بأنَّه مبلغٌ تافهٌ، ولكن أرجو منكِ - إن لم يكن لديكِ ما يُحرجك في الأمر - قبوله مُنْتَي رغم ضالّته».

أصابت الشحوب ملامح ليُو لاُ-لاُو عند سماعها المقطع الأول من كلام فينيكس، لكنها ابتهجت وبدأت تستعيد الأمل وتتنفس الصعداء عندما سمعت بمبلغ العشرين أونصة من الفضة التي هزَّت كيانها. وعلى الفور هتفت بتعبيرٍ مفعِّمٍ بالدهشة:

- «آه! أنا أعرف بأنها كانت أوقاتٌ قاسية، وأنه من الصعب تحملها، ولكن يُقال بأنَّ الجَمَل الذي يموت من الجوع يبقى أكبر من الحصان السمين». وهكذا أقول بأنَّ شعرة من جسد كُو نايٌ-نايٌ تضلُّ أكبر من خاصرتنا...» حاولت زوجة تشُو دجيُواي أن تقطع هذا التواصل العائلي، بين ليُو لاُ-لاُو وفينيكس، إلا أنَّ هذه الأخيرة لم تهتم بذلك. ولم تمض لحظات حتى وصلت باشينس وفي يدها كيس من القطع الفضية، بالإضافة إلى كمية من التقد. قدمت فينيكس المساعدة إلى ليُو لاُ-لاُو وقالت لها:

- «خُذِي هذه الفضة وأمني ثياباً للطفل... واحرصي على المجيء إلينا إذا لم تكون هناك من مشاغل تمنعك عن ذلك - ولكن كتربية فقط. لن أؤخرك أكثر من هذا، فالوقت أصبح متأخراً وأمامك مسافة طويلة للعودة إلى البلدة. بلغني أمنياتي الطيبة وتحياتي الحالصة للجميع».

وما إن أنهت عبارتها الأخيرة، حتى نهضت واقفة. أما ليُو لاُ-لاُو فقد شكرت لها عطاياها وكرمهها، وغادرت المكان برفقة زوجة تشُو دجيُواي. وفي الطريق

حاولت أن تعطي دليلتها قطعة من الفضة، لكنَّ هذه الأخيرة رفضتها من حيث أنَّ
هذا المقدار من المبالغ الزهيدة ليس ذي أهمية بالنسبة لها.

الفصل السادس

وفيه تصف بريشوس فيرتشو وصفة طيبة مُعقدة
ويسمع باو-يُو بعض الأسرار التي لا يمكن الإفصاح عنها

بعد مغادرة ليُو لاُ-لاُ، انصرفت زوجة تشُو دجيُواي لتبليغ مدام وانغ بما حصل، وحينما علمت من الخادمات بأنَّ سيدتها تقوم الآن بزيارة إلى هسوبيه بي-ما، غيرت وجهتها على الفور، وسارت باتجاه بير فريغرانس كورت. وهناك على الشرفة، شاهدت من بعيد غولدن برايسليت - إحدى خادمات مدام وانغ - وهي تلعب مع فتاة صغيرة. دخلت زوجة تشُو دجيُواي إلى المكان بهدوء تام، فرأيت مدام وانغ تتحدث إلى هسوبيه بي-ما. فلم تزعجهما، واستمررت بالسير إلى الغرفة الداخلية، حيث كانت بريشوس فيرتشو تقوم بنسخ بعض أنماط من أنواع المطرزات مع خادمتها أوريول. وضعت بريشوس فيرتشو الفرشاة من يدها، وطلبت من زوجة تشُو دجيُواي الجلوس.

قالت الأخيرة تسأل وهي تجلس على طرف الكانه:

- «كيف حالك يا عزيزتي، كُو-نيانغ؟ لم نعد نراك كثيراً في الجهة الأخرى منذ زمن بعيد... لماذا؟ ما الذي حصل؟ هل سمعت شيئاً من باو-يُو قد أساء إليك؟»
- «آه... لا أبداً!» أجبت بريشوس فيرتشو، وتابعت: «قررت ملازمة البيت بسبب المرض الذي عاودني من جديد».
- «ولكن أين تكمن المشكلة؟ كان بإمكانك استدعاء الطبيب والمباشرة في

القضاء على المرض... فقد يُصبح خطيراً ويستعصي على العلاج في هذه الأيام».

- «لقد تكتبنا الكثير من التكاليف والأعباء، ولكن لم يستطع أي طبيب فعل شيء لي. حتى وصلنا أخيراً إلى أحد الرهبان الذي يدعى بأنه مُتخصّص في الأمراض التي يفشل في علاجها الأطباء العاديون، وأعطانا وصفة ومعها علبة تحتوي على نوع من البوادة العجيبة المُعطرة. والحقيقة، أنها الشيء الوحيد الذي وفر لي الشفاء والراحة حتى الآن».

- «وما هي هذه الوصفة؟»، سأّلتها زوجة تشوشو دجيواي، وأضافت: هلاً أخبرتني عنها من أجل وصفتها لمن هم بحاجة إليها؟ إن ذلك سيكون عملاً نبيلاً وعظيماً».

أجابتها بريشوس فيرتشسو:

- «إنها أصعب وأعقد من أن نكتبها أو نصفها. فالرغم من أن مكوناتها عادية ومعروفة، إلا أن تركيبها ومُلائمة كمياتها صعبة وتحتاج إلى وقت. من ذلك مثلاً: عليك أن تقومي بجمع اثنتي عشر أونصة من زهرة الفاوانيا التي تفتح في فصل الربيع. واثنتي عشر أونصة من اللوتون الأبيض الذي لا يُزهر إلا في فصل الصيف، واثنتي عشر أونصة من الزنبق الأبيض الذي لا يُزهر إلا في فصل الخريف، واثنتي عشر أونصة من زهر الخوخ الذي يتفتح في فصل الشتاء. بعد ذلك يتم تجفيف كل هذه الأنواع من الأزهار، ومن ثم يجري طحنها في فترة الاعتدال الربيعي التالي، وبعدها يتم مزجها بالبوادة التي تركها الراهب معنا. ومن أجل تحقيق عملية المزج، لا بد من الحصول على اثنتي عشر تشاين⁽¹⁾ من ماء المطر الذي يسقط في يوم الإمطار - وهو اليوم الأول الذي تبدأ فيه الأمطار بالسقوط _____.»

- «آه... يا للعجب!»، هتفت زوجة تشوشو دجيواي باستغراب، وقالت: «هذا

(1) يُساوي الـ «تشاين» عُشر الأونصة الصينية.

يعني مدة لا تقل عن الثلاث سنوات. وماذا سيحدث في حال لم يسقط المطر في اليوم الأول؟»

أجبت بريشوس فيرتشو وهي تنهى:

ـ «هذا يعني بأنه علينا الانتظار. ولكن هذا ليس كل شيء. لأن ذلك يتطلب لاحقاً اثني عشرة تشاين من التدّى الذي يجب أن يُجمع في يوم الندى الأبيض، واثني عشرة تشاين من الضباب الذي يجب جمعه في يوم انتشار الضباب، واثني عشرة تشاين من الثلوج الذي يجب أن يُجمع في يوم الثلوج الخفيف. وهذه الأربع أنواع من الماء يجب أن تضاف إلى البوترة ومن ثم يتم خلطها جيداً. بعد ذلك، يجري تحويل هذا الخليط إلى أقراص دواء... ولا بد من أن تحفظ هذه الأقراص في جرة قديمة من البورسلين تُدفن في الأرض تحت بعض الأشجار المُزهرة، وتؤخذ منها أقراص الدواء حسب الحاجة».

ـ «يا للهول!»، قالت زوجة تشوشو دجيوي، وتابعت تقول كالمصدومة: «وهذا يعني عشر سنوات من عملية التحضير والإعداد فقط، هذا إذا كنت من المحظوظين!»

ـ «الحسن الحظ، فإن ذلك لن يأخذ منا كل تلك المدة»، قالت بريشوس فيرتشو، وتابعت: «فبواسطة سلسلة من الفرص السعيدة، استطعنا الحصول على كل شيء في غضون ستين، وصناعة المطلوب من الدواء. وقد قمنا بدهنها تحت إحدى أشجار الإجاص الآن».

سألتها زوجة تشوشو دجيوي:

ـ «وهل لهذه الأقراص أي إسم معين؟»

ـ «نعم، بالتأكيد. لقد أطلق عليها الراهب اسم أقراص العطر الباردة».

ـ «ولكن لم تقولي لي ما هي مواصفات مرضك».

ـ «ليس بالأمر الخطير... أشعر فقط بوهنٍ وقصرٍ في النفس، وكل قرص منها يُساعد على الشفاء الفوري».

كانت زوجة تشو دجيواي تُحاول طرح المزيد من الأسئلة عندما سمعت صوت مدام وانغ تسأل عن الموجود في الداخل. وعلى الفور، هرعت زوجة تشو دجيواي إليها تُبلغها عما حصل مع ليو لاو-لاو. وعندما همت بمعادرة الغرفة، أوقفتها هسويه بي - ما قائلة:

- «انتظري لحظة. الذي شيء عليك أن تسترجعيه». قالت ذلك، ونادت على لوتس، والطفلة الصغيرة التي رأتها زوجة تشو دجيواي تلعب معها على الشرفة أثناء قدومها. عند سماع سيدتها تُنادي، وصلت مسرعة وهي تحمل بين يديها صندوقاً مُقضبَا يحتوي على اثنين عشر توبيحة زهر مصنوعة من الحرير المطرّز وعلى الطراز الإمبراطوري.

ثم تابعت هسويه بي - ما تقول:

- «كانت هذه التوبيحات مطروحة هنا منذ فترة. لقد خطر لي بالأمس أن سيدتك ستحبها كثيراً، وفكّرت في إرسالها غير مرّة لكنني نسيت. ولذلك لا بد من تأخذني الصندوق معك الآن؛ أعطي اثنتين لكل كُو-نيانغ من أولادك الثلاثة. وما تبقّ من الست توبيحات، أعطي اثنتين إلى لين كُو-نيانغ، والباقي إلى ناي-ناي».

حملت زوجة تشو دجيواي الصندوق وغادرت الغرفة. وعندما رأت أن غولدن برايسليت لا تزال في الخارج، سألتها:

- «هل تلك هي الفتاة التي كانوا يتحدثون عنها؟ أعني الخادمة التي شمل شراؤها تأمين الحياة».

- «نعم هي نفسها، بكل تأكيد».

فهي هذه اللحظة، خرجت لوتس من الغرفة. فأمسكتها زوجة تشو دجيواي من يدها وراحت تتأملها عن كثب... وقالت تُخاطب غولدن برايسليت:

- «إنها تذكّرني بـ دجانغ ناي-ناي في القصر الشرقي».⁽²⁾

(2) تقصد تشين-شيه، زوجة تشايا دجانغ.

- «هذا صحيح... وهذا ما كنت أتمنى قوله»، ردت عليها غولدن برأسليت موافقة.

سألت زوجة تشو دجيوي لوتس عن عمرها، وأين كان والديها، وغير ذلك من الأسئلة المشابهة... لكن لوتس كانت تكتفي بهز رأسها، والقول بأنها لا تعرف أي شيء. في اليوم التالي، قامت فينيكس بزيارة إلى عائلة نينغ كيوفو بناء على دعوة من يو-شيه، وبرفقة باو-يو الذي ألح على مرافقتها. وقد صودف في الوقت نفسه، وجود تشين تشانغ شقيق تشين-شيه، الذي كان باو-يو يرغب بلقائه، في المكان حيث كان يقوم بزيارة شقيقته. كان تشين تشانغ بعمر باو-يو، ولكن بجسم نحيفٍ وملامح رقيقة. حتى أنه كان أكثر وسامة من باو-يو - لكنه أشد خجلاً وأكثر ميلاً إلى الحركات الأنوثية. بعد العشاء، بدأ الأولاد حديثهم حول ما يعنيهم، وراحت السيدات تلعن الماجونغ. كان باو-يو مأخوذاً بصديقه الجديد ومنغمساً في الكثير من الأفكار السيئة كعادته. جلس يُفكّر قليلاً في نفسه قائلاً:

- «لم أعتقد أبداً بوجود أشخاص رائعين بهذا الشكل. فمقارنة به، أجد نفسي أشبه بالحيوان الذي يتمزغ بالوحول أو كهجين أصابته القرحة. كم هو عازٌ أن ولد في عائلة غنية، وأُمنع من العلاقات الحميمة مع هذا النوع من الأشخاص الرائعين!»

وفي الوقت نفسه، كان تشين تشانغ يحسن بالمشاعر ذاتها تجاه باو-يو لكنه كان فقط يأسف لكونه فقيراً. وحينما سأله باو-يو ما إذا كان يذهب إلى المدرسة وعن نوع الكتب التي كان يقرأها، أخبره تشين تشانغ بأنه قد أصبح خارج المدرسة لأن معلمه قدم استقالته منها حديثاً. ثم قال بأن والده كان يُفكّر في الطلب من تشيا تشينغ للسماح له بارتياح مدرسة العائلة. عند ذلك عرض باو-يو عليه بأنه سيكون سعيداً ليفعل ما بوسعه من أجل أن يسمح له تشيا تشينغ الالتحاق بهذه المدرسة. وطمأنه إلى أن ذلك سهل، وأن كل ما عليه فعله هو التحدث مع الأم الحاكمة وإخبارها بأنه يريد فقط الرفيق الملائم. أمضى الصديقان طوال فترة ما بعد الظهر يتحدثان ويُخططان لما يمكنهما القيام به في المستقبل - وهكذا أصبحا أسرع

صديقين في فترة وجيزة وقبل أن يفترقا من جديد.
إنتهت لعبة الماجونغ. وحينما بدأ عد الرقائق، ظهرت خسارة كل من يُو-
شيه وتشين-شيه - وأصبح من واجبها تنفيذ الشرط المتفق عليه وهو إقامة وليمة
للراغبين مع أداء أدوار مسرحية لدى عائلة نينغ كُوفُو في الأيام القليلة القادمة.
بعد العشاء، تم إرسال تشين تشنغ إلى منزله أولاً من حيث أنه يقيم في مكان
بعيد نوعاً ما. أما الخادم العجوز تشياو تا، الذي طلب منه المضيف إيصال تشين
تشانغ إلى بيته - فقد بدا مُستاءً من هذه المهمة، وكان مشغولاً بشتم المضيف عندما
وصل باو-يُو وفينيكس إلى المدخل حيث تنتظر العربات، وقد سمعاه يصرخ غاضباً:
- «إن السلحافة أيها اللعين! أي نوع من المضيفين أنت؟ أيها البائس عديم
الشفقة! دائماً تُكلّفني بأعمال لا يرغب فيها أحد أو يقوى على تحملها.
 فمن تعتقد نفسك؟ ومن تظنه جدك اللعين يكون؟ لست فقط أكـن الاحتقار
للاندال من أمثالك، بل أنتي...»

حاول دجـيا دجانغ ردعه وإسكاته، لكن تشياو تا كان عنيداً ولم يتجرأ على أي
محاولة لتهديته. الواقع أنه كان خادم العائلة العجوز الذي خدم جـداً دجـيا دجانغ
الأكبر، كما أنه كان قد أنقذ حياة سيده في ساحة المعركة. وبسبب هذا، ونظراً لتقديره
في السن، لم يعد أحداً يفكـر في تأديبه ووضع حدًّا لتصرـفاته المُشينة، فتماديـ كثـيراً
وتحول إلى وقـع فوق العادة؛ فبدلاً من أن يـحترم دجـيا دجانـغ ويرضـخ لهـ، أصـبح
يـناديـ باسمـه ويـقول لهـ بأنـه لنـ يـقبلـ بأنـ يـمارـسـ أحدـ عـلـيـه دورـ السـيـدـ. بـقـيـ هذاـ الخـادـمـ
في قـمةـ نـفـورـهـ وـانـفعـالـهـ، فـتـابـعـ يـصـرـخـ:

- «يا دجانـغـ كـوـيـزـ! لاـ أـنـتـ ولاـ والـدـكـ، ولاـ حتـىـ جـدـكـ، يـسـتطـيعـ أـنـ يـقـولـ بـأنـهـ
الـسـيـدـ عـلـىـ تـشـياـوـ تـاـ».ـ

ثم وقف وهو يـشيرـ بـإصـبعـهـ عـمـداًـ إـلـىـ دـجـياـ دـجـانـغـ ويـقـولـ:
- «كيفـ كانـ مـصـيرـكـ الـيـومـ لـوـلـاـ تـشـياـوـ تـاـ؟ـ والـآنـ بـدـلاـًـ مـنـ أـنـ تـدـفـعـواـ الـدـيـونـ
الـتـيـ لـيـ بـذـمـتـكـ جـمـيـعاـ،ـ تـعـمـلـونـ عـلـىـ إـرـهـاـقـيـ وـاسـغـلـالـيـ.ـ وـلـذـكـ،ـ أـقـولـ
لـكـ إـخـرـسـ،ـ وـإـلـاـ وـضـعـتـ شـفـرـةـ هـذـاـ الـخـنـجـرـ فـيـ أحـشـائـكـ».ـ

كانت فينيكس مُقتنعة بأن هذا العجوز قد تمادى وتجاوز الحدّ، فاقتربت من دجيا دجانغ وقالت:

- «لما لا تتحرك وتُلْقِنَ هذا المُتعجرف درساً في الأخلاق والفضيلة... إنه لمن العار على عائلة كعائلتنا أن ترك هذا الأحمق يتصرف بهذه الطريقة على هواه». وما هي إلا لحظات حتى حضر بقية الخدم على عجل، بأمر من دجيا دجانغ، وراحوا يجرّون العجوز تشياؤ تا بعيداً. وبسبب هذه المعاملة غير المتوقعة التي تلقاها، تحول العجوز إلى ما يُشبه المؤمن الذي دنسَه الذنوب، فراح يصرخ ويتوسل الجميع بضرورة أخذها إلى قاعة دفن الأسلام من أجل البوح بأحزانه وعداياته إلى روح سيده الأكبر المتوفي:

- «لا بد من إخبار تاي لاو-يه ما الذي يفعله الأولاد، وكيف تحول هؤلاء إلى وحوشٍ كاسرة من بعده. فهل تظنين أن تشياؤ تا أعمى ولا يرى شيء: لا أبداً، وأنا أؤكّد لكم ذلك. فهو يعلم ما الذي يفعله مع صهره الشاب، ويعرف أيضاً من الذي يثير الرماد في العيون. فلا يمكن لأحدٍ أن يُخفِي ساعده المكسور في جيبيه. فكل شيء سيظهر وينكشف عاجلاً أم آجلاً...» تظاهرت كل من فينيكس ويُو-شيء بأنهما لا يسمعان شيئاً، إلا أن باو-يُو بدأ بطرح الأسئلة وينكر ببراءة بعض الكلمات التي نطق بها العجوز مُستفسراً عن معانيها. فرددت عليه فينيكس قائلة:

- «لا تهتم أو تُكرر تلك الكلمات الرديئة التي نطق بها إنسان سكير فقد الوعي! وإذا سمعتك تكررها أمام أحدٍ من جديد فسوف أُخبر تاي-تاي بالأمر».

شعر باو-يُو بالخوف لأنها المرة الأولى التي تُخاطبه فيها فينيكس بهذه الطريقة. فأقرّ بذنبه قائلاً:

- «لن أُكرر ذلك مُطلقاً، فأرجو ألا تُخبري تاي-تاي».

وافتقت فينيكس، ووعدته بعدم إخبار أحد، وبأنها ستعمل ما بوسعها من أجل إقناع حاكمة المنزل بضرورة السماح لتشين تشانغ الإلتحاق بمدرسة عائلة تشيما.

الفصل السابع

و فيه يلتقي باو-يو بالجوهرة المذهبة عن طريق الصدفة
وتُسنح الفرصة السعيدة لبريشوس فيرتشو بإدراك
الفهم الروحاني^١

بعد عودته إلى يونغ كوفو، تحدث بأو-يُو مع حاكمة العائلة، بأن تسمح لتشين تشانغ للالتحاق بمدرسة العائلة. وقال أنه، وبسبب توفر الصحبة الحميمة في المدرسة، سيعمل بكلّ من أجل تحقيق أفضل النتائج. كما أنه عمل على وصف شخصية تشين تشانغ لها وعن تصرّفاته وحسنته. وقال بأنه سيفعل ما بوسعه من أجل إرضائها. أما بالنسبة لفينيكس، فقد أدّت دورها هي أيضًا بهذا الخصوص، وقالت بأنّ تشين تشانغ سيأتي لزيارة حاكمة المنزل في القريب العاجل. فما كان من الأم إلّا الموافقة والرّد على هذه الموضوع بالإيجاب.

وفي وقت لاحق من اليوم نفسه، ذهب باو-يو لمقابلة بريشوس فيرتشسو. وعند وصوله إلى بير فريغافانس كورت، وجد هسوبيه بي-ما تخيط بعض الثياب من أجل الخادمات. فأخذته في أحضانها تعانقه، وقالت له:

- إنَّه لِمَنْ جَمِيلٌ يَا بُنْيَ أَنْ تَأْتِي لِرَؤْيَتِي فِي هَذَا الْيَوْمِ الْبَارِدِ. تَعَالَ اجْلِسْ
هُنَا عَلَى هَذَا الْكَانْغُ وَاحْصُلْ عَلَى بَعْضِ الدَّفْءِ.

ثم طلبت من الخدمات إعداد بعض الشاي الحار. سألها باو-يُو عما إذا كان هسوبيه بان موجود في البيت، فرذت عليه عمتها وهي تتنهد:

- «إنه دائمًا في مكان ما خارج البيت، ولن تحظى به أبداً وفي كل الأوقات».

عندما قال باو-يُو:

- «أتمنى أن تكون تشيه-تشيه أفضل منه في ذلك».

ردت عليه عمتة بابتسامة:

- «إنها أفضل بقليل. إنها هناك في الداخل»، وتابعت وهي تدلّه إلى إحدى الغرف الداخلية: «لماذا لا تذهب إليها؟ سأنضم إليكما فور انتهاءي من هذا الشوب».

وعلى الفور، نهض باو-يُو من مكانه وأسرع باتجاه الغرفة الداخلية حيث رأى بريشوس فيرتشو جالسة وهي تخيط بدورها. كان شعرها الأسود اللامع مرفوعاً بعُقدة، وترتدي ثوباً ليس بالجديد ولا بالقديم - لكنه كان جميلاً وزاهياً. وكان كل شيء من حولها مُرتباً ونظيفاً.

سألها باو-يُو وهو ينظر إليها نظرات إعجاب:

- «هل أنت بخير تشيه-تشيه؟»

- «نعم أنا بخير».

أجبته بذلك، ثم دعته إلى الجلوس، وسألته عن السيدة حاكمة المنزل، وعن مدام وانغ، وغيرهما. ثم لفت نظرها يشم الحجر الكريم الذي يضعه دائماً من حول عنقه، وقالت له:

- «لقد سمعت الكثير عن هذا اليشم الذي تعلقه، ولكن لم تسنح لي الفرصة أبداً لأراه وأتمعن به عن قرب. وهذا ما سأفعله اليوم».

خلع باو-يُو الطوق من رقبته وناوله لـ تشيه-تشيه، التي راحت تتفحصه بتمعن من جميع جوانبه. ورأت أنه لا يزيد عن حجم بيضة العصفور، قُزحي اللون كالحقيقة، ومتألق كغيمة مهدبة بأشعة الشمس. وهذا بالتأكيد، الحجر نفسه الذي رأه كاهن الفراغ العظيم الطاوي تحت قمة المروج الخضراء على الجبل الأسطوري العظيم، وهو الآن، بشكله المصغر والمُنقبض - يحمل الأحرف المحفورة عليه التي نقشها كاهن الفراغ الأبدى البوذى؛ نقش على الجانب الأمامي:

يا جوهرة الإدراك الروحاني النفيسة

فالحياة الخالدة دائمة الوجود.
لا تنسى أبداً، ولا تضيعي أبداً

وعلى الجانب الآخر نقش:

- ١ يُدمر الأرواح الشريرة
 - ٢ يُشفى الأمراض المستعصية
 - ٣ يتتبأ بالنعم والمصائب

وبعد تفحصها للجانبين، نظرت بريشوس فيرسو إلى الجانب الأمامي وإعادة قراءة ما نقش عليه بصوتٍ عالٍ. وقد لاحظت وجود أوريول واقفة بقربها وهي تصغيٌ إليها بامتعان. قالت لها:

- «لماذا لم تذهب لإحضار الشاي؟»

أجابتها أوريول وهي تبتسم:

«إِنَّ مَا قَرَأْتَهُ كُوٌّ نِيَانِغُ لِلْتَّوْ، يُشَبِّهُ تَمَامًاً تِلْكَ الْكَلْمَاتِ الْمُحْفَوْرَةِ عَلَى
قَلَادِتِهَا». -

وفور سماعه لما قالته أوريول، سأّل باو-يُو تشييه-تشيه:

- «إذن، هُنَاكَ كَلْمَاتٌ مَحْفُورَةٌ عَلَى قَلَادِتِكِ أَنْتِ أَيْضًاً يَا تَشِيهِ-تَشِيهِ؟ رِجَاءٌ دَعِينِي أُرِيَ ذَلِكَ».

- «لا تُصغِّرْ لما قالته»، ردَّت تشييه-تشيه، وتابعت: «ليس هناك أي كلمات عليها».

– «أرجوكِ دعني أراها»، قال بــيو ملحاً عليها، وأضاف يتسلّها: «لقد سمح لك بقراءة ما هو محفور على قلاديتي».

عند هذا الحد، أفصحت بريشوس فيرسشو بأنَّ هناك ما هو محفور على قلادتها،
ت:

- «هُنَاكَ رمْزٌ حَظٌّ قَدْ حُفِرَ عَلَيْهَا، وَهَذَا هُوَ سببُ إِصْرَارِ الدِّينِ عَلَى تَعْلِيقِهَا فِي رَقْبَتِي عَلَى الدَّوَامِ - إِنَّهَا لِشَيْءٍ ثَقِيلٌ مُوْضُوعٌ مِنْ حَوْلِ الرَّقْبَةِ». ثُمَّ خَلَعَتِ الْقَلَادَةُ وَنَأَوَتْهَا إِلَى بَأْوِ-يُوْ، الَّذِي أَمْسَكَ بِهَا وَرَاحَ يَقْرَأُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَمَامِيِّ:

لَا تَخْلِي عَنْهَا أَبْدًا، وَلَا تَرْكِيهَا مُطْلَقاً

وَعَلَى الْجَانِبِ الْأَخْرَ قَرَأُ:

الْحَيَاةُ الطَّوِيلَةُ، تَسْتَمِرُ إِلَى الأَبْدِ
وَبِالْمِثْلِ، أَعْدَادُ بَأْوِ-يُوْ قَرَاءَةُ هَذِهِ الرَّمُوزِ بِصَوْتٍ عَالٍ، ثُمَّ قَرَأَ مَا هُوَ مُكْتَوبٌ عَلَى
قَلَادَتِهِ، وَقَالَ:

- «إِنَّهَا مُثْلِقَةٌ لِقَلَادِيِّي بِالْفَعْلِ».

قَالَتْ أُورِيوُولُ:

- «لَقَدْ قَالَ تَلْكَ الْكَلْمَاتُ أَحَدُ الرَّهَبَانِ الَّذِي اقْتَرَحَ ضَرُورَةَ حَفْرِهَا عَلَى نَوْعِ
مِنَ الْقَلَادَاتِ الْذَّهَبِيَّةِ أَوِ النَّفِيسَةِ».

وَقَبْلَ أَنْ تَنْهِيَ أُورِيوُولُ كَلَامَهَا، قَاطَعَتْهَا بِرِيشُوسُ فِيرِتْشُوُسُ، وَوَبَخَّتْهَا لِعدَمِ
إِحْضَارِهَا الشَّايِّ، وَطَلَبَتْ مِنْهَا الْخُروْجَ مِنِ الْغَرْفَةِ.
عِنْدَمَا كَانَ بَأْوِ-يُوْ جَالِساً بِالْقَرْبِ مِنْ بِرِيشُوسُ فِيرِتْشُوُسُ، لَفْتَتْهُ رَائِحةُ عَطْرٍ غَيْرِ
عَادِيٍّ. فَسَأَلَاهَا:

- «أَيْ نَوْعٌ مِنِ الْعَطُورِ تَسْتَعْمِلِينِ؟ فَلَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ شَمَمْتُ شَيْئاً مِثْلَهُ مِنْ
قَبْلِهِ».

- «أَنَا أَكْرَهُ الْعَطُورَ»، رَدَّتْ عَلَيْهِ، وَأَضَافَتْ: «فَأَنَا لَا أَرَى سَبِيلًا يَسْتَدْعِيَ الْفَرَدَ
لِرَشِّ الرَّوَائِحِ الْعَطْرَةِ عَلَى جَسْمِهِ أَوْ ثِيَابِهِ».

- «ولكن ما هو إذن؟»

أجابت بريشوس فيرتشو بعده قليل من الصمت والتأمل:

- «العلَ ذلك ناتجٌ عن كبسولة العطر الذهبية التي تناولتها صباح اليوم».

قال باو-يُو وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة:

- «وما هي كبسولة العطر الذهبية هذه؟ ويا لها من رائحة، دعيني أحصل على واحدة منها أنا أيضاً».

أجابت بريشوس فيرتشو ضاحكة:

- «لا تكن سخيفاً، فليس محببي أن تتناول العقاقير لمجرد التسلية واللهو فحسب».

في تلك اللحظة، وصلت بلاك دجايدي، وقد تفاجأت بوجود باو-يُو:

- «أوه، يا لخجي! لقد وصلت في اللحظة غير المناسبة».

سألتها بريشوس فيرتشو:

- «لماذا تقولين ذلك؟»

ردت عليها بلاك دجايدي بنوع من الجد:

- «أقصد بأنني لو كنت أعلم بوجود باو-يُو هنا لما أتيت».

قالت بريشوس فيرتشو وقد ظهر على ملامحها الارتباك:

- «لا زلت غير مدركة لما تقصدينه».

- «أليس ما أقوله واضح؟!»، ردت بلاك دجايدي بنوع من الحسم، وأضافت: «من غير المستحسن دخول أحدٍ على آخر بشكلٍ مفاجئ. فلو أنَ كل واحدٍ من زواركِ يأخذ دوره في الزيارة، لما شعرت بهم، ولو جدت أحدهم يأتني بعد الآخر دون أن يبقيا معاً في الوقت نفسه؛ وهكذا، لن تشعري بقلتهم، ولن تكوني وحيدة أبداً».

عندما لاحظ باو-يُو أنَ بلاك دجايدي تضع عليها معطفاً، سأل الخادمات ما إذا كانت الثلوج تساقط في الخارج. فأجبته بالإيجاب:

- «نعم، لقد تساقط القليل منها لفترة قصيرة اليوم». فردة على الفور:
 - «إذن، اثنوني بمعطفى أنا الآخر».
- عندما سمعت بلاك دجايده ذلك منه، قالت ضاحكة وهي توجه الكلام إلى بريشوس فيرتشو:
- «ألم أقل لك ذلك؟ الآن وقد حضرت أنا، فقد حان وقت ذهابه هو». عند ذلك، رد باو-يُو:
 - «لم أقل بأنني سأغادر. لكنني أردت أن أكون جاهزاً عندما أُنوي ذلك». في هذه الأثناء، أعدت هسوبي بي - ما الشاي وجهزت بعضاً من وجبات الطعام الخفيفة. وكان باو-يُو قد سبق له وذكر أقدام الإوز المُملحة وحويصلات البط التي قدمتها يُو - شيه بالأمس. ولذلك، قامت هسوبي بإحضار البعض من هذين النوعين اللذين كانت قد أعدتهما بنفسها، وقدمتهما إلى باو-يُو لكي يتذوق شيء من عملها. وحينما قال بأن التذوق سيكون أفضل مع القليل من النبيذ، أمرت هسوبي بي - ما بإحضاره له على الفور. إلا أن مُربيتها العجوز لي ما تدخلت قائلة:
 - «بي تاي - تاي من الأفضل عدم إحضار النبيذ». قال باو-يُو متواصلاً:
 - «قدحاً واحداً فقط».
- رددت عليه لي ما بحزم:
- «أبداً لن يكون لك ذلك. عندما تكون مع لاو تاي - تاي أو مع تاي - تاي، فلا أهتم لو تجرعت جرة بكمالها. لكنني لن أنسى التوبيخ الذي تلقيته من لاو تاي - تاي ذلك اليوم، عندما قام أحد المُتهورين مُحاولاً إسعادك، بتقديم بعض أنواع الخمرة وأنا غير متبهه لذلك». ثم التفت إلى هسوبي بي - ما وتابعت تقول:
 - «سيَدِّي بي تاي - تاي، ليست لديك أدنى فكرة عما يؤول إليه الحال مع باو-يُو عندما يتجرع القليل من الخمر. لا أحد يعلم شيئاً عن لاو تاي -

تاي. لقد تركته في أحد الأيام يشرب بقدر ما يشاء، وكان ما فاجأها منه؛ لكنها في الأيام التالية، لم تدعه يشرب ولو نقطة واحدة. فلن أتحمّل الآن مسؤولية ما يمكن أن يحصل».

«لا تقلقي أيتها العجوز»، ردت هسوبي بي-ما، وتابعت تُخاطبها: «إذبهي واحصللي على شيء تشربينه أنت أيضاً. لا تخافي، فلن أدعه يشرب حتى الشمالة. وفي حال سألت لاو تاي-تاي عن الأمر، فسوف أتحمل أنا المسؤولية بنفسني». -

بعدما سمعته العجوز من هسوية، لم يكن لديها ما تفعله إلا الانضمام إلى باقي الخدمات ومساركتهن الشراب. أما ياؤ-يؤ من جهةه فقال:

— «لا تأتي بالنبيذ ساخناً، فأنا أحبه بارداً جداً».

- «لن تشربه بارداً»، قالت هسوبيه، لأن النبيذ البارد يتسبب بارتجاف اليد عند الكتابة».

— «إن الوالدة على حق»، قالت بريشوس فيرتشو، وتابعت: «أنت لا تدرك أن طبيعة النبيذ تكون دافئة، ولا بد أن تتناوله دافئاً، من أجل أن يتبعـر بسرعة من الجسم. أما إذا شربته بارداً، فسوف يبقى في الجسم ويتسبب بامتصاص حرارة الأعضاء، وهذا شيء مؤذ». -

بعد اقتناعه بهذه المناقشة، ترك باو-يُو النبيذ البارد من يده وراح يتظاهر الخادمة لتسخينه. في هذا الوقت، كانت بلاك دجاييد تُراقب باو-يُو وهي تبتسم. ثُمّ دخلت الخادمة سنُو داك وهي تحمل لها دفَّاعة اليدين. فسألتها بلاك دجاييد على الفور:

عندما أجبتها الخادمة بأنّ بي بي كوكو هي التي طلبت ذلك، قالت لها سيدتها:

ـ «إذن، هناك أحد ما تُصغين إليه! كيف يمكن لك أن تسمعي الأشياء بالإذن الأولى ثم تخرجينها من الأذن الأخرى، طالما أنك تسمعين وتُطعِّمين كل ما تقوله وكأنَّ كلامها أمرٌ إمْرٌ اطْهُورٍ؟»

كان يأوهُ يوْمَ أثْناء توبِيَخ سَنْوَ دَاكَ أَنْ يَلَّاكَ دَجَایدَ كَانَتْ لَا تَزَالْ تُفَكَّرْ فِيهِ،

إلا أنه لم يتفوّه بأيّ كلمة. ولا حتّى بلاك دجاييد نطقت أيضًا، لأنّها كانت مُعتادة على هذا النوع من التهكمات اليومية. غير أنّ هسوبي بي-ما التي لم تُدرك المغزى، علقت بالقول:

- «عليكِ أن تسعدي عند وجود خادمة تُفكّر، بدلاً من توبيخها».

ردّت عليها بلاك دجاييد:

- «بي-ما، أنتِ لا تفهمين المقصود. فأنا هنا في منزلك. فلو حدث ذلك في أيّ مكان، وحضرت خادمة وهي تحمل دفاعة للدين، فما الذي سيعتقده مُضييفي حينها؟ فلسوف يعتبرون ذلك نوعاً من التلميح الفظّ؛ فقد تجاهلو راحتني».

ضاحكت هسوبي بي-ما مما سمعته، وقالت:

- «إنك بالفعل حستاسة جداً. فأنا لم أفكّر بذلك أبداً».

حتّى تلك اللحظة، كان باو-يو قد تناول ثلاثة أقداح من النبيذ، بينما بدأت لي ما احتجاجها على ذلك من جديد:

- «من الأفضل أن تكون حذراً. إنّ لاو-يه موجود في البيت اليوم، وقد يكون راغباً برقائك، والاستفسار منك عن دراستك».

أحس باو-يو بھبوط روحه المعنوية على الفور لمُجرد الإشارة إلى والده؛ فوضع القدح من يده، وجلس مُندهشاً وفي صمتٍ مُطبق، وقد بدت على ملامحه علامات الوجل.

حاولت بلاك دجاييد طمأنته بالقول:

- «لا تهتمّ لما تقوله. إذا ما أرسل العم بطلبك، فإيمكان بي-ما القول بأنّها تُريدك لبعض الوقت».

كانت لي-ما مُلمة بطرق بلاك دجاييد المتواترة - فقالت وهي تبتسم:

- «أعتقد بأنّ لين كُو-نيانغ لن تشجعه على تعاطي الكحول... بل أنها ستعمل على ثنيه عن ذلك، فهي الشخص الوحيد التي يمكن أن يُصنّع إلينا».

تبسمت بلاك دجايدي ببرودة وقالت:

- «ولماذا عليَّ أن أُشجعه على فعل شيء أو لا أُشجعه على فعله؟ إنَّ كلامك هذا فيه نوع من الابتذال والصلف. إنَّ باو-يُو عادة ما يشرب وهو برفقة لاو تاي-تاي. ولن يَضيره شيء تناول قدحًا أو اثنين - فهل تعتبرين هذا المنزل لشخصٍ غريب، ولا يفترض من باو-يُو أن يتصرف فيه أو يشرب بحرية؟»

أحسست لي ما بالحزن لسماع ذلك من بلاك دجايدي، وصفعت وجهها من الدهشة وهي تقول:

- «كم يُمكن أن تكون لين كُو-نيانغ قاسية وفجةً أحياناً. فهي قد تنطق بأشياء تقطع بأشدَّ من حد السُّكين. فكيف يُمكن لي أن أُفكِّر بشيء من هذا النوع؟»

اكتفت بريشوس فيرتشو بالضحك، ثمَّ قالت وهي تقرص وجنتي بلاك دجايدي:
- «لدى هذه الفتاة لسان سليط فعلاً، يقطع بطرقٍ مُختلفة لدرجة أنَّ الشخص لا يدرِّي لأيَّ غرض يستخدمه».

عند هذا الحد، قالت هسوبيه بي-ما تُخاطب باو-يُو:
- «لا تحف يا عزيزي. إذهب واسْتَرِب بالقدر الذي تُريدِه، بالإضافة إلى أنه يمكنك البقاء لتناول طعام العشاء أيضاً - حتى أنك يُمكن أن تنام هنا في حال جعلك الشراب سكيراً».

بهذه الطريقة، كانت لي ما مُجبرة على ترك باو-يُو يتصرف على هواه؛ فغادرت إلى البيت، لكنَّها أوصت إحدى الخادمات بضرورة التنبُّه إلى منع باو-يُو من تناول الكثير من الخمر.

بقي كل من باو-يُو وبلاك دجايدي معاً طوال فترة المساء، ثمَّ عادا إلى غرفتهما من بعد العشاء. لم تقم حاكمة المنزل بتوجيه باو-يُو، لكنَّها طلبت منه الاستراحة وعدم الخروج من المنزل. وعندما لاحظت أنَّ لي ما لم تكن برفقة باو-يُو، سألَت عنها. ولما كانت الخادمات الأخريات خائفات من القول بأنَّها قد غادرت إلى

البيت، فقد أجبنها بأنّ لي ما كانت طوال الوقت برفقة باو-يُو، ولعلّها قد خرجت الآن لقضاء حاجة ما.

بعد عودته إلى غرفته، تذكّر باو-يُو شيئاً بشكل مفاجئ وهو يتحدث مع خادماته. فقال يسأل برأيت ديزاين:

- «بالمناسبة، أين طبق الفول الرائب الذي أرسلته هذا الصباح؟ لقد كنت أتناول طعام الفطور عندما تذكّرت بأنّك تُحبينه. ولذلك، أخبرت دجين ساو-ساو بأنّني أرغب في القليل منه للعشاء. فأعطتني القليل منه وأرسلته إلى هنا - لقد كان ذلك من أجلك».

- «لا تسألني»، قالت برأيت ديزاين، وتابعت: «لقد عرفت بأنّ ذلك من أجلي من اللحظة التي رأيته فيها. ولكن، بما أنّي قد سبق لي وتناولت الغداء، فكّرت أن أتركه إلى وقتٍ لاحق. ولما رأته لي ما-ما، قالت، لا أعتقد بأنّ باو-يُو يرغب في أكل هذا الفول، ولذلك ساخذه معى إلى حفيدي، وهكذا فعلت».

قطب باو-يُو حاجبيه، لكنه لم يقل شيئاً. ثمّ حضرت إحدى الخادمات وهي تحمل الشاي. وبعد أن تناول نصف الكوب، تذكّر الشاي الذي كان قد تناوله هذا الصباح؛ فسأل الخادمة:

- «لماذا أتيتني بهذا الشاي؟ لقد تناولت هذا الصباح شاي ندى القيقب. لقد أخبرتك بأن تحفظيه كما هو بجودته بعد مرتين أو ثلاث من تصفيته».

- «لقد فعلت كما طلبت مني»، قالت الخادمة، وتابعت: «لكنّ لي ما-ما جاءت وشربته».

كان هذا كثيراً على باو-يُو؛ فامتعض ورمى فنجانه أرضاً، وقال بعصبية: «ومن تكون تلك التي تُقدّمن إليها كل ما يصل إلى أيديكن من طعام؟ لأنّي فقط حصلت على القليل من حلبيها عندما كنت طفلاً، صارت تعتقد نفسها أكثر أهمية من لاو تاي-تاي نفسها! لقد اكتفيت من كل ما يحصل وعليّ أن أذهب إلى لاو تاي-تاي وأخبرها بكل شيء، فلعلّها تطردّها بعيداً».

نهض باو-يُو من مكانه مُحاولاً التوجه إلى الأم الحاكمة، إلا أنَّ بيرثا يدينغ فريغرانس - التي لم تكن نائمة بل تصغي إلى كل ما يُقال من حولها - هبت من مكانها على الفور، مُحاولة تهدأ خاطرها.

والواقع أنَّ الأم الحاكمة كانت قد سمعت صوت تحطم فنجان الشاي الذي رماه باو-يُو أرضاً قبل قليل، وأرسلت خادمة من أجل الاستفسار عما يحدث. فما كان من بيرثا يدينغ فريغرانس إلا أنَّ أجابتها بأنَّها قد كسرت أحد الفناجين من دون انتباه، ثم طلبت من باو-يُو أن يأوي إلى الفراش، بعد أن أزالت الطوق من حول عنقه ودسته تحت وسادته لكي لا يشعر ببرودته عندما يُعيده إلى رقبته من جديد في الصباح. في هذه الأثناء، عادت لي ما على وجه السرعة وهي قلقة... لكنَّها عندما علمت بأنَّ باو-يُو قد أوى إلى فراشه، شعرت بالراحة وتنهدت، ثم غادرت عائدة إلى البيت.

الفصل الثامن

وفيه يتلقى تشنين تشانغ الاحترام عبر صداقه باو-يو^١ ويعاني كين زونغ من الإذلال بسبب افتقاره إلى النفوذ والتأثير

حينما استيقظ باكراً في الصباح التالي، أبلغ باو-يو بأنّ تشاينا دجانغ قد جاء برفقة تشنين تشانغ للزيارة. فأسرع يستقبل صديقه ورافقه إلى جناح الأم الحاكمة من أجل تقديمها لها. ويسبب لباقته وسماته خلقه وكياسته، لاقى تشينغ تشانغ استحسان الأم وتقبلت صداقته لحفيدتها المفضل على الفور. ولذلك، طلبت منه البقاء على الغداء وعرفته إلى مدام وانغ وغيرها، وراحت تحثه على التصرف في البيت وكأنه في يونغ كوفو، وهي تقول:

- «إنك تعيش في مكان بعيد، فإذا ما كان الطقس رديئاً، فلا تتردد في البقاء معنا طوال الليل. وحاول أن تترافق وتبقي بصحبة عمك باو بقدر ما تستطيع، بدلاً من أن تدخل في أي نوع من المشاكل أو الأذى مع بقية الأولاد».

كان تشنين يه، وهو والد تشنين تشانغ، موظفاً صغيراً في إحدى السفارات. وكان عمره يقارب السبعين عاماً. وبما أنه لم ينجذب أطفالاً وهو لا يزال في أواسط العمر، قام بتبني ولداً وفتاةً من أحد دور رعاية اللقطاء. وبعد فترة من الزمان، توفي الولد، وبقيت الفتاة وتدعى تشنين-ماي^(١). ترعرعت ونمّت لتصير شابة جميلة وفاتنة،

(1) إشارة إلى تشنين-شيء.

وأصبحت فيما بعد زوجة تشايا دجانغ، وهكذا ارتبطت العائلتان بنوع من النسب. ولد تشنين تشاينغ وقد تخطى عمر تشنين به الخمسين. ولأنَّ معلم تشنين تشاينغ قد عاد إلى الجنوب، ولم يكن الولد يعمل إلاً على مراجعة دروسه في المنزل، كان الأب خلال ذلك يحرص على التقرب من آل تشايا بنفسه بهدف التحاق ولده بمدرستهم. ومن هنا، كان شديد السعادة بالفرصة التي أتيحت له الآن.

كانت هذه المدرسة قد تأسست منذ زمنٍ على يد أسلاف أسرة تشايا وتتلقي الدعم المادي من أعضاء هذه الأسرة الأغنياء. وقد أصبحت اليوم تحت إشراف ورئاسة تشايا تايْ-دجو، وهو عالمٌ من سلالة جد باو-يُو الأكبر.

وسرعان ما أصبح كل من باو-يُو وتشن تشاينغ من أعز الأصدقاء الأشد ارتباطاً – وقد كان باو-يُو يُصر على معاملة تشنين تشاينغ كأحد أبناء جيله أكثر من كونه «عمًا»، ولو دل ذلك على نوع من التهور أو إهمال وتجاهل لأي نوع من الاتفاques. وبالرغم من اعتراض تشنين تشاينغ على ذلك في البداية، إلا أنه عاد وسلم بالأمر. وهكذا يتحقق المثل القائل بأنّ: «التين يحتضن تسعة مواليد – لا يُشبه أيًّا منهم الآخر». وهكذا كانت حال الأولاد في المدرسة – كانوا من كل الأنواع والفنات، مع أنهم جميعاً يتّمدون بالعضوية أو القرابة إلى أسرة تشايا؛ من ذلك مثلاً أن هسوبيه بان قد أصبح تلميذًا في المدرسة بمجرد وصوله إلى العاصمة. وهو قد أصبح هناك، ليس لأنّه مُتعطش إلى العلم، بل لتوقع وجود بعض أمراء عائلة لانغ-يانغ بين التلاميذ. الواقع أنّ ظنه لم يخيب؛ فسرعان ما نجح في إفساد عدداً لا يُستهان به من التلاميذ بماله وهدایاته المغربية. وكان من المفضلين لديه، من بين الجميع، تلميذين على وجه الخصوص، ويلقبان بـ لوڤلي دجاييد وآدورابيل بيرفيوم. وقد أصبح هذين اليافعين محظوظين العديدين من رفقاء المدرسة، ولذلك كانوا يخشيان من أن يتركهما هسوبيه بان في وقت من الأوقات ويُصيّحان وحيدين.

في ظلّ هذا النوع من الأجواء، لم يعد من المفاجئ أن تُصبح المودة القائمة ما بين باو-يُو وتشن تشاينغ هدفًا لضعيّة الآخرين ومحظوظ شوكهم وشبعاهتهم. لكنّهما، وبعد أن أصبحا لاحقاً تحت تأثير سحر كل من لوڤلي دجاييد وآدورابيل

بيرفيوم، اللذين لم يكونوا يهتمان بمراقبة سلفيهما الشديدة لهما، فقد بدأت غيرة وحسد مُعجبيهما الآخرين تنحدر شيئاً فشيئاً وبطرقٍ خفية أدت إلى توليد نوعاً من الإرباك للأصدقاء الأربع.

وفي أحد الأيام، اشغل تشيما تاي-دجو وترك رعاية شؤون المدرسة بعهدة حفيده تشيما دجوي. وحدث في الوقت نفسه، أن غادر كل من تشين تشانغ وآدورابيل بيرفيوم الصفتَ معاً بحججه ما، وراح يتمنشيان ويتحدىان في الفناء الخلفي للمدرسة. وفجأة سعل أحد الأشخاص بصوتٍ مرتفعٍ من خلفهم. فالتفتا، فوجدا كين زانغ - وهو أحد التلامذة - يُحذق بهما وهو يضحك بنوع من السخرية. وعلى الفور سأله آدورابيل بيرفيوم مستفسراً، وقد احمر وجهه غيظاً:

- «لماذا تسعل بهذه الطريقة؟ لا يمكننا التحدث إذا ما أردنا ذلك؟»
ضحك كين زانغ وأجاب:

- «إذا كنتما ترغبان بالحديث عندما تُريدان، فلماذا لا يمكنني أن أسعل عندما أرغب أنا أيضاً في ذلك؟ ولماذا أنتما الإثنين لا تتكلمان علينا كشخصين صادقين بأي حال؟ لماذا لا تتكلمان إلا استرافقاً وخفية عن الآخرين؟ فأنا أعرف ما الذي تنويانه، وقد ضبطكم بالجريمة المشهود أخيراً. فلا مناص من النكran. دعوني أحصل على حصتي، وأعدكم بأنني لن أتفوه بأي كلمة حول الموضوع، وإنما إلأنني سأصرخ وأفضح أمركم».

وعلى الفور سأله:

- «وما هو الشيء الذي ضبطنا نفعله؟ وما هو الذي تنوی فضحه؟ وما الذي تعنيه من كل ما تفوهت به؟»

سرّ كين زانغ بحرجهما، فراح يُصْفِقُ ويرقصُ وهو يدور من حولهما، ويهتف بأنهما يعرّفان الذي يعنيه، وأنهما قد ضبطا في نهاية المطاف.

عاد كل من تشين تشانغ وآدورابيل بيرفيوم إلى الصف وشكيا ما حصل معهما إلى تشيما دجوي. وهنّا، أصبح تشيما دجوي أشبه بشخصٍ عديم الضمير، وبدأ يستغل منصبه لانتزاع بعض المعلومات من التلاميذ؛ فهو لم يُحاول كبح تأثير هسوبيه بان

الفاسد فحسب، بل عمل على دعمه ومساعدته في ذلك - والسبب أنَّ هذا الأخير يُمكِّنه أن يكون كريماً جدًا حينما يُريد استثمار أيِّ أمر من الأمور. إلَّا أنه كان في الوقت نفسه يتمتع بمزاج كثير التقلب. وها هو الآن قد حصل على فائدة جديدة، وتخلَّى عن تشين تشناغ وأدوارايل بيرفيوم بلمح البصر - فلم يقل شيئاً لـ كين زانغ الذي كانا يحلان محلَّه في وقتٍ سابق. وبما أنَّ تشايا دجُوي لم يكن ذا منفعة بالنسبة إلى هسويه بان، فقد توقف عن إعطائه المال وتقديم الهدايا له. لم يدر تشايا دجُوي بهذا، لكنَّه كان يعتقد بأنَّ دجايده وبيرفيوم لم يكونا يُحاولان بذل التأثير الحقيقي على هسويه بان. ولذلك، لم يكن يميل إلى الشعور بالتعاطف عندما شكا كلَّ من تشين تشناغ وأدوارايل بيرفيوم أمامه عن كين زانغ. ومن أجل باو-يُو فقط، لم يقدم على توبيخ تشين تشناغ، فتحول بيرفيوم إلى كيش الفداء ووجه له توبيخاً عنيفاً.

إبتهج كين زانغ بنصره، وراح يُكرِّر اتهاماته للإثنين أمام كلِّ من يلتقيه أو يُصغي إليه، شارحاً قضيته في كلِّ مَرَّة بمزيدٍ من التفاصيل والإضافات. ولعلَّ الأشياء قد تتوقف عند ذلك الحدّ إذا ما كانت القضية برُمتها لا تستفزُ أو تُزعج شخصاً آخر لم يكن في الحُسبان: ومن تظنه يكون؟ حسناً، إنه تشايا تشناغ، وهو حفيد أم العائلة الأكبر، كما هي حال تشايا دجانغ. كان عمره حوالي ستة عشر عاماً، وأكثر وسامته من تشايا دجانغ، والذي كان على أفضل العلاقات الودية معه. والآن، «مزيد» من الأشخاص يعني المزيد من القيل والقال»، خاصة في الوقت الذي أصبح فيه الخدم المستأذون معنيين بالموضوع. وهكذا، شاع على مسمع ابن أخيه هذا، نوع من الكلام الخبيث في ما يتعلق بمصلحة تشايا دجين من الموضوع. وعندما وصلت هذه الإشاعات في النهاية إلى مسامع تشايا دجين، قرر وضع حدّ لها عن طريق توفير منزلٍ لـ تشايا تشناغ من منازله الخاصة.

أما وقد مَرَّ الأمر دون القول بأنَّ تشايا تشناغ، كونه على علاقة حميمة بـ تشايا دجانغ، لم يعد يرغب برؤيه تشين تشناغ، وهو نسيب الأخير، الذي أصبح في موقف مُذلٍ. كان انطباعه الأول مُبارزة كين زانغ علانية، لكنَّه عاد لاحقاً وفكَّر ملياناً في الأمر - من حيث أَنَّه كان على علاقة تفاهم مع هسويه بان ولا يُريد أن ينحو

منحي عدائياً تجاه أصدقائه. ومن هنا، ظهر له مخطط آخر: فبعد أن حصل على إذن لمغادرة الصف، خرج واستدعي مينغ-ين، وهو تابع باو-يُو المخلص، وأبلغه بأنّ أخلص أصدقاء سيده قد استجمعهم كين زانغ على القيل والقال، وحثّي أنّ اسم باو-يُو قد تلطخ بالوحش. وهكذا، تحول مينغ-ين إلى ما يُشبه الكلب المخلص لـ باو-يُو دون تردد. وفور سماعه للقصة، هب إلى داخل الصف يبحث عن كين زانغ، بينما عمل تشيا تشيانغ الذي يتأمل حدوث المشكلة دون أن يكون طرفاً فيها، بالتملّص والتسلل بعيداً. وصل مينغ-ين إلى كين زانغ وزعن في وجهه:

- «أنت، يا ابن آل كين! إلى ما ترمي من كلّ ما تقوم به هنا؟ عليك أن تحمد الله على أننا لم نمسّ والدك لا بكلمات ولا بالأفعال. هنا اخرج وواجه سيديك مينغ إذا ما كنت على قدرِ كافٍ من الشجاعة!»

صُعقَ كل من في المدرسة بهذه الكلمات التي لم تُسمع من قبل حتى من الخدم.

ردّ تشيا دجوي هائفاً:

- «كيف تجرؤ على هذا يا مينغ-ين!»
وقف كين زانغ وصرخ حانياً:

- «هذه خيانة، لن أتدنى إلى مستوىك ومناقشك، ولكني سأبلغ سيديك بالأمر».

قال كين زانغ ذلك وتقدم باتجاه باو-يُو. وفي هذه اللحظة، قذف أحدهم حبراً صغيراً نحو تشين تشانغ لكنه تفاداه في الوقت المناسب، وسقط بقوة على الطاولة التي يجلس عليها كل من تشيا لانغ وتشيا تشان - وكلاهما حفيدي الأم الحاكمة الكبيرين. نهض تشيا لانغ للاستفسار عما يحصل، وهو يعلم بأنّ الحجر لم يكن يستهدفهما. أمّا تشيا تشان، فقد بدا أكثر ميلاً للمُشاكسه؛ فقد رفع مقلّمته ورمى بها باتجاه المهاجم، لكنّها لم تصبه. ثمّ ما لبث تشيا تشان أن هبّ من مكانه وألقى بنفسه فوق الفتى الذي قذف الحجر.

في هذه الأثناء، تسلح كين زانغ بقضيب من الخيزران وأخذ يلوح به. وكان

رأس مينغ-ين قد تلقى الضربة الأولى - فوقف مذهولاً لفترة، ثم راح يهتف لأتباعه:
- «هيا، هبوا إلى النجدة جميعكم! فماذا تتظرون؟»

هبوا جميعهم دفعه واحدة عند إشارته، كما لو أنهم لا يبغون شيئاً سوى القتال؛
فسلحو بمزالج الأبواب والسياط وانضم الجميع للمعركة.

وهكذا تحولت غرفة الصفت إلى ما يُشبه مشفى مجاني تسوده الفوضى العارمة
عدا عن الصراخ والزعيم. في هذا الوقت، كان تيشيا دجوي تارة يتضَّرَّ لهم للتوقف،
وطوراً يُهدَّد ويتوعد - ولكن لم يهتم له أحد. في هذه الأثناء، استغل بعضهم هذه
الفوضى العارمة، ليضربوا يمنة ويسري دونما هدف، إما بسبب شغفهم بالقتال -
فقط من أجل القتال - وإما بسبب وجود بعض الحسابات التي أرادوا تصفيتها
في هذه اللحظات المناسبة؛ وكان البعض من التلاميذ الذين لا يعنيهم الأمر، قد
وقفوا فوق الكراسي والطاولات وهم يهملون للمقاتلين الأكثر قوة وعزم؛ أما البقية
المتبقيَّة، من الذين كانوا أكثر هدوءاً وميلًا إلى السلام، فقد اختبأوا تحت الطاولات
وفي الزوايا الآمنة.

في خضم تلك الفوضى، تلقى تيشيا تشانغ ضربة على رأسه من قبل كين زانغ،
وكان باو-يو يتحسس الأورام التي أصيب بها، عندما دخل لي كيواي برفقة عدد من
الخدم وتمكنوا من وقف القتال. وعلى الفور، طلب باو-يو من لي كيواي أن يجمع
كتبه وأن يأتي له بجواهده، قائلاً:

- «سوف أخبر تاي-يه بالذي حصل. لقد هو جمنا وأوذينا، ولا يزال دجوي
تا-يه يقول بأنَّ الذنب ذنبنا والمسؤولية مسؤوليتنا».

عند سماعه كلام باو-يو، بدأ لي كيواي يتسلَّه كي لا يتسرَّع، وقال:

- « علينا ألا نزعج تاي-يه أو نتسبب له بأي مشاكل. أنه لمن التهور أن نذهب
إليه وهو مُنشغلاً إلى أقصى حدّ اليوم - علينا أن نسوِّي الموضوع هنا في
ما بيننا الآن».

ثمَّ التفت إلى تيشيا دجوي وقال:

- «إذا ما سامحتني على جساري يا سيدي دجوي تا-يه، فسوف أتجرأ للقول

أجابه تشيا دجوي بنوع من اليأس:

وهُنا تدخل باؤ-يُو وقال:

- «أين هي المشكلة التي يجب عليه تسويتها؟ لقد كان واضحًا جدًا من هم المبادرون باتفعال ما حصل، وعلى أن أنقل كامل التفاصيل إلى تاي-يه». أما تشين تشانغ فقد تكلّم وهو يبكي:

- «لن أبقى هنا، إذا ما سُمح لـ كين زانغ بالبقاء في المدرسة».

- «لن يحصل شيئاً من هذا القبيل»، قال باو-يُو، وتابع موجّهاً السؤال إلى لي كيواي:

- «أخبرني، من هو كين زانغ هذا؟»

صمت لي كيواي قليلاً وهو متخيّر في الإجابة، ثمَّ قال:

- «من الأفضل لك ألا تأسّل. فقد يتسبّب ذلك بشعور من الألم للأقرباء».

وفجأة، تدخل مينغ-ين يتكلّم من البهو:

- «إنه ابن شقيق هوانغ تا ناي-ناي من السلالة الشرقية. كان من المستحيل

عليه الوصول إلى هنا لو أن عنته لم—»
عند سماعه ذلك، هب لي كيواي صارخاً في وجهه:
- «أصمت أيها الكلب!»
- «أسئل أي نوع من الأقرباء هو؟»، قال باو-يُو وقد ارتسمت على وجهه
ابتسامة صفراء، وأضاف: «سأذهب إليها وأكلّمها بنفسي. هنا يا مينغ-ين،
اجمع لي كُتُبي واستعد».

شعر مينغ-ين بالبهجة عندما بدأ يجمع كتب باو-يُو، فقال:
- «عليك أن تتجنب تلك المشكلة. إن إقامتك هنا سيكون بمثابة هفوة
من جانبك، إلا إذا ذهبت أنا إليها أولاً وأخبرتها بأن لاو تايُّ-تاين يُريد
مُكالتك - وعندما فقط يُمكنك مُحادثتها وإخبارها بما فعله ابن شقيقها».
تقدّم منه لي كيواي وهزَّه بعنف، قائلاً له:
- «أتريد الموت؟ إذا لم تصمت على الفور، فلسوف أعتنك، ومن ثم سأخبر
لاو-يه بأنك كنت السبب الأول في ما حصل، والمُحرّك الأول للمشكلة
هنا».

وبسبب خوف تشييا دجُوي من وصول أخبار القتال إلى جده، راح يتسلّل كين زانغ بضرورة تقديم الاعتذار إلى تشين تشنغ وباؤ-يُو. فعل كين زانغ ذلك على مضض، إلا أن باو-يُو لم يكتفي بذلك، وبقي مُصرّاً على مزيدٍ من التصرّع من قبل كين زانغ. رفض كين زانغ ذلك في البداية، إلا أنه عاد وتنازل لشروط باو-يُو، وتمت تسوية القضية من دون المثول أمام المُرّيبة العجوز.

غضِّبَت كين-شيه زوجة تشييا هوانغ عندما سمعت بأخبار ما حدث. فقالت تُخاطب والدة كين زانغ بغضب:
- «إن قرابة زانغ-يُو لأسرة تشييا لا تفرق عن قرابة ذلك النذل تشين تشنغ.
ليس من حقهم معاملته بهذه الطريقة المُذلة، لا سيما وأن الآخر قد ضبط
وهو في خصم هذه الواقعة الدينية. سأقصد القصر الشرقي وأرى ما رأى
شقيقة تشين تشنغ بالموضوع!»

وبحلول الوقت، وصلت كين-شيء إلى نينغ كُوفُوْ وقابلت يُو-شيء، لكنها لم تكن غاضبة ولا مُتأكّدة من نيتها طرح الموضوع مع شقيقة تشين تشانغ - فحيث يُو-شيء بنوع من المواساة المؤثرة، وبعد فترة من الحديث سالت بأسلوب عَرضي:

- «كيف يحصل ولا يوجد دجانغ تا نايِ-نايِ هُنا اليوم؟»

- «لم تكن على ما يُرام مؤخراً»، أجبت يُو-شيء، وأضافت: «فقد انقطعت عنها فترة حيضها منذ شهرين متواصلين، وجميع الأطباء قالوا بأنّ ذلك ليس دليلاً على حدثٍ مبارك (أي على حمل). لقد شعرت بالوهن منذ بعد الظهر، وأحسست بنبات دوار متواصلة. فقلت لها ألا تُجهد نفسها بالحضور صباحاً ومساءً أمام الأقارب، وأخبرتها بأنّي ساعتذر عنها للزّوار. كما أنّي أمرتُ دجانغ-يز بعدم إزعاجها بأيّ طريقة. وقلت له إنّك لن تجد زوجة مثلها على الإطلاق، ولذلك عليك الانتباه لها ورعايتها. دعها ترتاح الفترة التي تُريدها، وسوف تتحسن بلا شكٍ». والآن وكما ترين، فأنا مُنشغلة بوضعها كثيراً... وقد كان شقيقها يُحاول إزعاجها بشكاواه التافهة! فأخبرها بأنّه قد تعرض للتهجّم من قبل أحد الصبيان - ليس من عائلتنا بل من الأقارب - وقد حصل شجار بسبب ذلك. كما أنه ذكر العديد من القذارات التي كان يشتم بها التلاميذ بعضهم البعض. إنّك تعلمين يا ساو-ساو طبيعتها - قد لا تُظهر لكِ أيّ شيء، لكنها حساسة بشكلٍ مُخيف وتؤثّر فيها أدنى الأشياء ل أيام. ولعلّ هذا ما يُخيف في حالتها أكثر من أي شيء آخر. ومن هُنا، كان بإمكانك تصور مدى انفعالها وارتباكتها بسبب ما قاله شقيقها. حتى أنها لم تندوق طعام الفطور؛ فيا ليتني أعرف ما الذي يمكنني القيام به من أجلها! فهل تعرفين أي طبيب جيد من أجلها؟»

- «لا، لا أعرف أحداً!»

رددت زوجة تشينا هوانغ بهذا من قبل أن تُكمّل يُو-شيء كلامها، كما أنها أصبحت على يقين من أنّ الوقت غير موات من أجل الحديث معها بسبب مجئها، ثم أضافت:

- «أستنتاج من كلّ ما أخبرتني به، بأنّ ذلك إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على بوادر الحمل. وفي هذه الحال، أرى أنّ اللجوء إلى الطبابة غير المُتخصصة سيزيد الأمور سوءاً».

ردّت يو-شيه على الفور:

- «هذا ما كنتُ أفكّر فيه أنا أيضاً».

في تلك الأثناء، وصل تشيما دجين، وحينما رأى كين-شيه، أدى التحية بأدب وتابع سيره إلى داخل الغرفة التالية. وبعد انصراف كين-شيه، عاد يسأل عما كانت تنوّي قوله.

- «لم تقل شيئاً»، ردّت يو-شيه، وأضافت: «لاحظتُ أنها كانت غاضبة جداً في بداية وصولها، لكنّها هدأت عندما علمت بحالة كتنا. وبخصوص كتنا، عليك أن تذهب وتأتي بطبيب جيد لها. إنّ جميع الذين حضروا لمعايتها لم يكونوا ذات فائدة تذكر - إنّ كل ما قدروا عليه كان الاستماع إلى الأعراض التي تُخبرهم بها، ومن ثمّ تكرارها في تشخيصاتهم الطبية».

- «لقد كنتُ على وشك إخبارك»، قال تشيما دجين، وتابع: «القد حضر صباح اليوم فينغ تزو-لينغ لرؤيتي، وعندما أحسّ بأنّي قلق، سألني عن سبب ذلك. فأخبرته عن حالة كتنا وكيف عجز الأطباء عن تشخيص حالتها. فاقتصر عليّ مراجعة تشانغ يو-شيه، وقال بأنه رجل علم وعلى درجة عالية من الكفاءة والخبرة في تشخيص الأمراض بالرغم من أنه لا يمارس المهنة بشكل رسمي؛ ولذلك، كتبت له أستدعيه، وأعتقد بأنه لن يتردّد في تلبية الدّعوة كرّد جميل بالنسبة لـ فينغ تزو-لينغ».

وهذا ما حصل بالفعل، فقد وصل تشانغ يو-شيه في اليوم التالي؛ فرافقه تشيما دجانغ إلى غرفة تشين-شيه. وعندما حاول هذا الأخير شرح الأعراض التي تُعاني منها زوجته، قال له الطبيب:

- «أريد أن أتفحص نبضها ودقّات قلبها أولاً، وأكتشف سبب مرضها بنفسي». ومن بعدها يُمكننا مقارنة ما لديك بما اكتشفته، ومن ثمّ يُمكنني وصف

العلاج المناسب».

بدأ الطبيب بتفحص يد تشين-شيه اليمنى، ثم اليسرى، لفترة وصلت حدود الربع ساعة لكل يد. وبعدها، رافق تشينا دجانغ إلى الغرفة الخارجية.

وبعد أن جلسا وقدم الشاي، سأله تشينا دجانغ:

- «كيف وجدت نبض المريضة؟»

- «إليك ما اكتشفته»، قال الطبيب، وتتابع: «نبض يدها اليسرى عميق وقابل للإثارة عند الضغط عليها بإصبع السبابية؛ لكنه عميق وخافت عند الضغط بالإصبع الثاني. أما النبض في اليد اليمنى، فهو غامض وتنقصه الحيوية عند الضغط بالإصبع الأول؛ فالتعين الأول يُشير إلى حالة حمى تنشأ بسبب ضعف في نشاط القلب؛ أما الثاني، فيدل على كسل في عمل الكبد. ثم أنَّ الغموض وفقدان الحيوية في النبض الذي أحسه إصبع السبابية في اليد اليمنى يُظهر نوع من الارتباك في نشاط الرئة، بينما الغموض الذي أظهره نبض الإصبع الثاني، فينِم عن وجود عنصر خشبي في الكبد، ما يجعلها قوية جداً بالنسبة إلى المادة الرملية القابعة في الطحال. ومن عوارض المُشكلة الأولى ألمُ في الضلوع، وحيضٌ متأخر، وشعور بحرقِ من حول القلب. أما عوارض مزاجية عمل الرئة، فتشير عموماً إلى دوار وتعرق في ساعات الصباح الأولى وأثناء النوم. وأما انتشار المادة الخشبية في الكبد من فوق المادة الرملية في الطحال، فيؤدي إلى فقدان الشهية، وانحطاط في قوة الجسم وتقرح في الأعضاء - وإذا ما كنتُ دقيقاً في قراءة النبض، فإنَّ هذه العوارض لا بد وأن تكون موجودة فعلاً. وإذا كان البعض قد قال بأنَّ هذا النوع من العوارض يُشير إلى الحمل، فأنا لا أُوفق على هذا النوع من التشخيص بأيٍ حالٍ من الأحوال».

عند ذلك، قالت إحدى الخادمات المُناوبة مع تشين-شيه:

- «الطبيب على حق في كل كلمة قالها. فلم يتمكّن أيٌ من الأطباء الذين أتوا من تشخيص حالة المريضة بطريقة دقيقة. فقال البعض بمباركة السيدة،

وبعضهم رأى خلاف ذلك. والعديد منهم رأى أن لا عوارض لهذا المرض، والبعض الآخر رأى بوجود خطر حقيقي مع اقتراب الانقلاب الشتوي». - «لا أريد أن أقلل من خبرة ومعرفة الأطباء الآخرين»، قال تشانغ يو-شيه وهو يتفحص الوصفات القديمة، وأضاف: «لكنَّ لا أخفِي القول بأنَّ المريضة قد عانت كثيراً من إهمالهم لها. إلَّا لا يزال هُنَاكَ أمل؛ فبعد التزامها بالدواء الذي سأصفه لها، فسيكون هُنَاكَ المزيد من الأمل في حال استطاعت المريضة النوم. وبدءاً من الحكم على أساس النبض، فإنَّ المريضة تبدو متباهية ومتوجزة على الألم، وحساسة إلى أبعد الحدود. ويسبب هذه الصفات، نراها متأذية ومنفعلة من أدنى الأشياء وأتفهها. ولذلك أقول بتأنُّر طحالها، مما يتسبب بتضخم كبدها، إلى ما هنالك من العوارض الأخرى. فلو أنه تم تناول الدواء الخاص بتغذية القلب والحفاظ على توازن أمزجة الرئة، لما وصلت الأمور إلى هذه المرحلة – والتي تعني فعلياً حالة نقص في المياه والسوائل في الجسد، بالإضافة إلى الفائض في الاحتراق».

وما إن أنهى كلامه، حتى كتب وصفته الطبية وناولها إلى تشيا دجانغ. وعندما استفسر تشيا دجانغ الطبيب عن مدى إمكانية شفاء زوجته، أجابة: - «أرى أنكَ شخص حساس جداً، ولكن لا بدَّ من أن تعلم، أنه عند هذا المستوى من المرض، سيكون من المستحيل تحديد فترة الشفاء الممكنة. على الدواء أداء دوره، لكنَّ الجزء الأكبر من الشفاء، يعتمد على مشيئة الله. وبرأيي، فإنه ليس هُنَاكَ خوف من أيَّ خطر في الشتاء الحالي. لكنَّ الأزمة الحقيقية ستكون في الربيع، وإذا ما استطاعت عبور هذا الربيع، فإنَّها ستكون من بعده على ما يُرام».

بعد انصراف الطبيب، عرض تشيا دجانغ الوصفة الطبية على تشيا دجين وأخبره هو ويو-شيه بما قاله بالإضافة إلى كامل التنبيةات والتعليمات. بعدما سمعت تلك التفاصيل، قالت يو-شيه:

- «لم يسبق أن شخص حالتها بهذه الطريقة أي واحد من الأطباء الذين عاينوها».

- «إنه طبيب غير عادي»، قال تشيما دجين، وأضاف: «لنأمل أن يكون شفاء كتنا على يديه».

ثم التفت إلى تشيما دجانغ، وقال:

- «أرى أن الجينسنج قد وصف لها. يمكنك أن تزن الكمية المطلوبة من المؤنة الجديدة التي أبتعناها بالأمس. إنها من أفضل ما يمكن أن توفره مخازن الأدوية في هذه الناحية».

بعد انتهاءه من الكلام، ناول الوصفة إلى ولده، الذي ناولها بدوره إلى أحد الخدم من أجل تأمينها في الحال.

الفصل التاسع

وفيه تُبرهن فينيكس على أنها استراتيجية مُحنّكة
ويُظهر تشيما دُجوي نفسه في قمة السذاجة

يقع عيد ميلاد تشيما دجينغ في الأيام القليلة المُقبلة. عندما ذهب تشيما دجين
لرؤيتها في ملاذه في المعبد الطاوي، وسألها ما إذا كان يُريد المجيء إلى البيت
لبضعة أيام، والاحتفال مع العائلة، فرفض قائلاً لا يرغب في التورط من جديد في
أفخاخ أرض التربة الحمراء - أو أرض البشر الزائلة. لكن الشيء الوحيد الذي أراده
من تشيما دجين، أن يطبع ويزع له عشرة آلاف نسخة مشروحة من النشرة الطاوية
مكافآت وعقوبات!

في اليوم المُقرر للاحتفال، أُقيمت المآدب والمسرحيات في نينغ كوفو
للأقارب والأصدقاء. وباستثناء الأم الحاكمة التي كانت قد أصبت بوعكة صحية،
فقد كان جميع من في نينغ كوفو هناك، بالإضافة طبعاً إلى فينيكس وباؤ-يُو. كان
الجميع يسأل عن تشنين-شيه، وذهبت فينيكس وباؤ-يُو لرؤيتها - بينما اتجه البقية
إلى الحديقة لمُشاهدة العمل المسرحي.

عندما دخل الغرفة، حاولت تشنين-شيه جهدها من أجل النهوض، لكن فينيكس
أسرعت باتجاهها، وقالت لها:

- «لا تُحاولي النهوض، فقد يتسبب لك ذلك بالإغماء».
ثم تناولت يدها، وأضافت:

- «كم أصبحتِ نحيلة في الأيام القليلة الماضية!»
جلست فينيكس على السرير بجوار تشين-شيه، بينما جلس باو-يُو على الكرسي المقابل.

قالت تشين-شيه وقد ارتسمت على شفاتها ابتسامة نادرة:
- «أعتقد بأنني لم أشعر بهذه السعادة كما أشعر بها هنا. إنّ عمتي وعمي يعاملانني كما لو أنني ابتهما الحقيقة، بالإضافة إلى أنني لم أسمع من ابن شقيقك أيّ كلمة تجرحني أو تزعجني. كلّ واحد هنا لطيف وطيب القلب في معاملتي، وأنتما أولاهما. أحتج إلى الكثير من الوقت لكي أُعوض للجميع لطفهم وعاطفهم تجاهي، لكنّ الوقت المتبقّي لي لا يكفي لكل ذلك؛ فأنا أخشى من أنني لن أعيش لأشهد وصول العام الجديد».

في هذه الأثناء، كان باو-يُو يتأمل اللوحة الزيتية للرسام تانغ ٩ن، ويتذكر الوقت الذي أخذ فيه قيلولة في هذه الغرفة والحلم المدهش الذي رآه. أمّا الآن وقد سمع ما قالته تشين-شيه، فقد أحسن بقلبه وكأنه قد خرقته آلاف السهام، وبدأت دموعه بالسقوط. أمّا فينيكس بدورها، فقد كانت على شفير الانفجار بالبكاء، ولكنها، وبعد تنبّهها بأنّها قد أتت للترويح عن تشين-شيه وليس لزيادة مأساتها، فقد لجمت دموعها وقالت تُخاطب باو-يُو بكلّ ما تستطيعه من ظرافه وخفّة:

- «باو-يُو، إنّك تتصرّف كامرأة عجوز. إنّ مرضها لا يُساوي المرض الذي سيُصيّبنا صدّقني. إنّها لا تزال يافعة وستتحسن قريباً جداً».

ثم التفت إلى تشين-شيه وقالت:

- «عليك أن تخلّي عن هذه الأفكار الغبية، إنّ مجرد تفكيرك على هذا النحو، سيزيد الأمور تعقيداً ويؤخر في شفائك».

وما إن انتهت من كلامها هذا، حتى راحت تُحاول إقناع باو-يُو بالعودة إلى الحفلة، بينما بقيت هي إلى جوار تشين-شيه وتتابعت تشجيعها على التفاؤل. لكنّها لم تُفارقها إلى أن تلقت من يُو-شيه دعوتها الثالثة لها بضرورة العودة إلى الحفلة. وفي طريق عودتها، راحت فينيكس ترتّي ثيابها وهنّاك من أجل التمتع بمناظر

الخريف. وفجأة، بُرِزَ أمامها رجل من خلف التلة الاصطناعية ملقياً التحية عليها. تفاجأت فينيكس بذلك لكنه تماليكت نفسها على الفور، وقالت:

- «أَلْسْتِ أَنْتَ دُجُوِيْ تا-يِه؟»

لا تقولي بأنك لا تعرفيني يا ساؤ-ساو؟، قال تشيا دُجُوِيْ مُستغرباً.

ردت فينيكس على الفور:

- «طبعاً أعرفك، لكنك ظهرت أمامي على نحوٍ مُفاجئ، وأنا لم أتوقع رؤيتك هنا».

- «إنه القدر يا عزيزتي»، قال تشيا دُجُوِيْ ذلك وهو يُحدّق بها بنظرات غريبة، وتتابع يقول: «لقد عملت على التسلل من الوليمة من أجل التزهه، وهذا أنتِ ها هنا أيضاً، فماذا يمكن تسمية ذلك إن لم يكن القدر!»

فهمت فينيكس مقصد تشيا من كلامه المُبطن. ففكّرت ثم قالت له وهي تبتسم:

- «إنك لطيف جداً. ليس غريباً إذن أن يتناولك شقيقك بتلك الأشياء الجميلة. من السهل اكتشافكم أنت حاذق وذكي. على كلّ، لا يمكنني مُحادثتك الآن، لأنني سأعود إلى الوليمة، ولكني أتمنى رؤيتك في وقت آخر».

- «لقد رغبت دائمًا في المجيء لرؤيتك ساؤ-ساو»، قال تشيا دُجُوِيْ، وتتابع: «لكن ساؤ-ساو لا تزال فتية جداً، وقد يكون من غير الجائز لي زيارتها».

- «ما هذا الكلام النافع»، قالت فينيكس، وأضافت: «ألسنا جميعاً من اللحم والدم نفسه؟»

شعر تشيا دُجُوِيْ بالسعادة عند سماع هذا النوع من التشجيع. وقال في نفسه وهو يرمي فينيكس بنظراتٍ مشبوبةً يا لهذا الحظ السعيد!.

وعند هذا الحدّ، قالت له فينيكس كما لو أنها تهتم به:

- «لا تدعهم يكتشفون غيابك عن الوليمة، فمن الأفضل لك العودة بسرعة إلى هناك».

وافق تشيا دُجُوِيْ على طلبها، لكنه كان يلتفت إليها مع كل خطوة يخطوها -

وكانَتْ هِيَ بِدُورِهَا تَبْطِيءُ مِنْ خُطُّاهَا كَمَا لَوْ أَنَّهَا مُنْزَعِجَةٌ لِفَرَاقِهِ. قَالَتْ فِي نَفْسِهَا وَهِيَ عَائِدَةٌ: لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَوَقَّعَ مِنْ هُؤُلَاءِ الرِّجَالِ مَا يَنْوُونَهُ فِي الْخُطُوطِ التَّالِيَّةِ.
يَجِبُ أَنْ أَلْقِنَهُ الْدِرْسَ الْمُنَاسِبَ مِنْ أَجَلِهِ، أَنْ لَا يَبْثُثَ مَعِيَّ، هَذَا الْحَقِيرُ!

استمرت فينيكس تكرر زيارتها إلى نينغ كوفو لشهر أو شهرين. أما المريضة، فلم تشف، لكنها في الوقت نفسه لم تزداد سوءاً. وفي اليوم الثاني من فترة القمر الـ11 عشرية، حينما جاءت فينيكس لرؤيتها بناء على دعوة الأم الحاكمة، فقد كانت تشين-شيه أكثر نحافة وبدت وجلة وقانطة. ثم قالت بنوع من الاستسلام:

- «إنها مسألة وقت فقط، وستظهر التسليمة مع مرور الربع».

عندما أصبحت فينيكس لوحدها مع يو-شيء، سألتها الأخيرة:

- («أسألك وأجيئني بصراحة، كم هي نسبة حظوظ المريضة بالشفاء؟»

أطرقت فينيكس رأسها لفترة وقالت بعد صمت:

- «يبدو أن هناك أملاً ضئيلاً. فلو كنت مكانك لأعددت لها مستلزمات الحياة الأخرى، فقد يؤدي ذلك إلى تحزن الأرواح الشريرة عليها».

- «لقد فكرت في ذلك أيضاً، وبدأت التحضير لذلك بالخفاء».

لم تُخبر فينيكس الأم الحاكمة بحقيقة حالة تشين-شيه، لأنها لم تكن ترغب بتغطية إثباتها. إلا أن الأم الحاكمة استطاعت اكتشاف الأمر من تصريحات فينيكس وارتباطها.

عند عودتها إلى غرفتها، سألت فينيكس الخادمة باشينس بما حصل أثناء غيابها،
بتها:

«لم يحصل الشيء الكثير - جاءت لاي وانغ ساو-ساو بالفائدة التي رست معها أخيراً على ثلاثة أونصة. بعدها أرسل دجوي تاي-يه شخصاً ليرى ما إذا كان ناي-ناي في البيت، وإذا كان بمقدوره الزيارة. لا أدرى بالضبط ما الذي يريده، لكنه لا يزال يتربّد إلى هنا يومياً منذ الشهر الفائت».

وعندما أخبرتها فينيكس عن مواجهتها له، قالت ياشينس:

- «إن حالته هذه أشبه بحالة علجم الصدوع المُتلهَّف لتذوق قطعة من لحم البَجُون. أرى بأنه سيعاني الكثير من أجل ذلك».

- «لا تقلقي من هذه الناحية»، قالت فينيكس بشيء من الحزن، وتتابعت: «فأنا سأهتم بالأمر».

في هذه الأثناء، وصل تشايا دجُوي، فدخل وحيثا فينيكس بابتسامة عريضة، وقد حاولت فينيكس جهدها لإخفاء استيائها منه.

سألتها تشايا دجُوي:

- «لما لا أرى يرْ-كو في البيت حتى الآن؟»

ردّت عليه فينيكس باشمئزاز:

- «لست أدرِّي».

قال مُبتسماً:

- «لعَلَّهُ غارق مع أحدٍ من الذين لا يستطيع التخلص منهم؟»

- «هذا يجوز»، قالت فينيكس، وأضافت: «فالرجال كلهم هكذا، تراهم مأخوذين ومسحورين بأول وجه جميل يُقابلونه».

- «ساو-ساو على خطأ»، قال تشايا دجُوي وهو يتسم، وتتابع: «ليس كل الرجال، فأنا مثلاً لست من هذا النوع».

وهنا، صمتت فينيكس لبرهة ثم قالت:

- «ولكن للأسف، ليس هُناك الكثير منك. فلن يجد الواحد مثلك من بين الآلاف».

عند سماعه ذلك، وقف تشايا دجُوي صامتاً يحك أذنيه، ثم خذله بنوع من الذهول. وبعد فترة ليست بقصيرة، عاد إلى جرأته وقال:

- «هل تشعر ساو-ساو بالوحدة والضجر أحياناً؟»

- «نعم، وكنت منذ لحظات أتمنى مجيء أحد يُسلّبني ويملاً عليَّ فراغي».

- «ليس لدى ما أفعله يا ساو-ساو. فهل ترغبين بمجيئي لتسليتك؟؟»

- «إنك تُحاول التملق فقط، فانا أعلم بأنك لا تُريد المجيء فعلاً لتمضية بعض الوقت معِي».
 - «التحرقني الصاعقة إن كنت تُملّق أو أعمل على تخيب ظنّ ياو-ساو بي. فأنا لم آت سابقاً لأنني سمعت بأنّ ساو-ساو باردة ومتحفظة كثيراً. ولكنني لو كنت أعلم بأنك على هذه الدرجة من الخفة واللطفة، لأتيت منذ زمن بعيد، حتى ولو تسبّب ذلك بموري».
 - «إنك حقاً لذكي وسريع البديهة»، قالت فينيكس تزيد من تشجيعه، واستمررت تقول: «لست مثل دجانغ-يز وتشيانغ-يز. فهما حقاً من أشدّ الأغبياء، مع أنّهما يدوان على درجة من الأنفة والفهم». في هذا الثناء، اقترب تشايا دجوي أكثر من فينيكس، وأبدى اهتماماً بالغاً بخواتتها. فقالت له تحدّرّ: «انتبه يا تشايا دجوي، لا تدع الخادمة ترانا».
 - وعلى الفور، انسحب من مكانه على عجل. قالت له فينيكس بصوتٍ مُنخفض وكأنّها تعمّدت ذلك للضرورة: «حان وقت مغادرتك الآن».
 - «كم أنت فاسية يا ساو-ساو»، قال تشايا دجوي عاتباً، وأضاف: «دعيني أبقى قليلاً بعد».
 - «لكن هذا ليس بالوقت ولا بالمكان المناسبين لنا نحن الإثنين. إذهب الآن، وعد الليلة في بداية جولات الحراس الليلي، وانتظرني عند الممرّ الغربي».
- كم كانت بهجة تشايا دجوي عظيمة وهو يسمع منها ذلك، لكنه سرعان ما عبرت رأسه إحدى الأفكار، فقال:
- «لعل ساو-ساو تختبرني بهذا الكلام. إذ ليس الممّر الغربي بالمكان المناسب للقاء، فالناس دائمي العبور عليه ذهاباً وإياباً».
 - «ولكنني سأعمل على صرف زوار الليل»، ردت عليه فينيكس تؤكّد على

اللقاء، وراحت تُطمئنَه قائلةً: «سيكون مكاناً مأموناً ولطيفاً – حيث تكون كل الأبواب مغلقة على الجانيين».

عند هبوط الليل، شق تшиبا دجوي طريقه إلى المكان المتفق عليه، وكان المدخل الذي يؤدي إلى بهو الأم الحاكمة لا يزال مغلقاً. ولم يكن هناك من أحد في الممر. فكان كُلما طال انتظاره، ازداد قلقه؛ وفجأة ظهرت إحدى الخادمات في البهو، فأغلقت المدخل الشرقي، دون أن تترك له أي مخرج يمكن أن يتخدّه عند حصول أي طاريء. وكانت الجدران عالية جداً في حال فكّر في تسليقها.

كانت الليلة، هي الليلة القمرية الثانية عشرة، وقد هبت ريح قارسة عبر الممر. بدأ ت شيئاً دجوي يشعر بالبرد والرجمة في جسمه في هذه الليلة الشتوية الطويلة، حتى درجة التجمد. وأخيراً أقبل الفجر، وفتحت الخدمة البوابة الشرقية. لكنه سرعان ما انسلاً بعيداً بينما كانت هي تطرق على الباب الآخر.

مات والدا تشيما دجوي وهو لا يزال طفلاً وقد تكفله جده، تشيما تاي-دجو، من حيث الرعاية والتربيـة. كان جـده صارـم معـه لـدرجـة أنهـ كان يـحسب حـساب كل ساعـة من خـشـيـته - بـحيـث أـنه لمـ يـكـن يـتـجـزـأ عـلـى التـسـكـع فـي بـيـوـت اللـهـو وـغـيرـهـا مـن الأـماـكـن الـقـدرـة. أـصـيب الجـدـ تلك اللـيلـة بالـهـلـع بـسـبـب غـيـاب تـشيـما دـجـوي عنـ الـبـيـت، كـما أـنـه لمـ يـصـدـق روـاـيـتـه بـأنـه كانـ طـوـال اللـيلـ معـ عـمـتهـ. فـقـالـ لهـ موـيـخـاـ:

— «لقد حذرتك مرات عديدة بأنه من غير المسموح لك التغيب عن البيت دون إذن مباشر مني. ولا بد من أن تناول العقاب الذي تستحقه بسبب عدم طاعتك للأوامر، ومن أجل عدم تكرار كذبك عليٍّ كما فعلت للتو».

وهكذا، تعرض شيئاً دجوي للتعنيف من قبل جده، الذي عاقبه أيضاً بالركوع في زاوية البهو كل النهار، وبمراجعة دروسه بأكملاها. بالإضافة إلى حرمائه من الطعام طول اليوم.

قد يعتقد أحدهنا بأنّ هذا النوع من العقاب ربما يكفي كوسيلة للردع، إلا أنّ الشخص الواقع في الحب يكون عادةً أعمى البصيرة، وهذا ما حصل مع تشيما دجوي الذي خرج لرؤيه فينيكس في أول فرصة وفازتها له الظروف. كما أنه تقبل اللوم حينما

- أخبرته فينيكس بأنه قد أساء فهم ما كانت تقصده عن مكان اللقاء. فقالت له:
- « تعال من جديد الليلة، وانتظرني في الغرفة الشاغرة الواقعة إلى الشمال الغربي للمرة؛ فقد يكون هذا المكان أنساب من الممر نفسه، ولكن تتبه إلى عدم وقوعك في الخطأ من جديد. رد عليها تشيا دجوي بلهفة قائلاً:
 - «لن يحصل الخطأ، ولكن تأكدي من مجئك إلى هناك أنت أيضاً. قالت له فينيكس بنوعٍ من اللامبالاة، وكأنَّ كلامه هذا قد جرحتها: «لا تأتِ إذا كنت تشك في قولي».
 - «لا، سأتي»، قال تشيا دجوي على الفور، وأضاف: «سأتي ولو كان ذلك سيتسبب بموتي».

انصرف تشيا دجوي وراح ينتظر هبوط الليل بفارغ الصبر. بينما راحت فينيكس تعمل على إعداد شركٍ جديدٍ لها. في هذه الأثناء، كان تشيا دجوي متترأً - وهو يقيس أرض غرفته طولاً وعرضًا كالنملة التي تسير على موقدة ساخنة بانتظار الموعد. وراح يتساءل بينه وبين نفسه: "هل هي تنوى أن تجعل مني مُعفلًا مَرَّة ثانية يا تُرى؟" ثمْ هيمَنَ عليه الصمت، فجلس ساكناً وكأنَّه يرتاح من بعد نشاط أرهقه. وفجأة، ظهر أحد الأشخاص في باب غرفته. كان الظلام حالكاً لتمييزه، إلا أنه هب باتجاه الباب وراح يُعائق هذا الشخص كالأسد الجائع الذي هب لافتراس الطريدة. ثمْ قال بلهفة:

- «عزيزتي ساؤ-ساو. كان وقت انتظاري وصول الموعد أشبه بمرور السنوات. لقد كنت مُشتاقاً حتى الموت للقيايكِ.
- ثمْ ما لبث أن حمل هذا الشخص الذي لم يتأكد من هويته بعد، إلى الكانغ على جانب من جوانب الغرفة، وانهال عليه بالقبالات الحارة. وفجأة برق فانوس في الباب وأضاء الغرفة، وهتف رجل الفانوس يسأل:
- «منْ هناك؟»

أما الشخص الذي كان يحتضنه تشيا دجوي، فقد نطق للمرة الأولى:

- «إنْ تُشِيبَا دَجُوْيِي يُحَاوِلُ أَنْ يُمارِسَ الْحَبَّ مَعِي».
- وفي الضوء، استطاع تُشِيبَا دَجُوْيِي التعرُف إلى تُشِيبَا دَجَانِغٍ. وعلى الفور هرَع إلى الباب، لكنه كان مسدوداً بالشخص الذي يحمل الفانوس - إنه تُشِيبَا تُشِيانِغُ، الذي أمسك به وقال:
- «لا يُمْكِنُكِ الذهاب. لقد أخْبَرْتَ لِينْ بِيُـشِـينَ⁽¹⁾ تَايِـ تَايِـ عَمَّا أَنْتَ فاعِلُهُ.
 - وبما أنَّ تَايِـ تَايِـ غاضبة جدًا، فقد أمرتني بالقبض عليك وجزك إليها».
 - «أرجوك غطي على وسامحي هذه المرة، يا نسيبي العزيز»، قال تُشِيبَا دَجُوْيِي متسللاً، وتتابع: «أخبر تَايِـ تَايِـ بأنك لم تجدني هنا، وسأدفع لك مبلغًا معتبراً في الغد».
 - «أعتقد بأنني سأفعل ذلك»، قال تُشِيبَا تُشِيانِغٌ متراءعاً، وأضاف متابعاً: «ولكن كم ستدفع؟ لا بد من أن أحصل على وعدك بذلك خطياً».
 - وهكذا تم الاتفاق على المبلغ النهائي - المقدار بخمسين أونصة من الفضة، وعلى الفور سحب تُشِيبَا دَجُوْيِي من جيده ورقيتين نقديتين على شكل ديون القمار وسلمهما إلى مهدديه.
 - «والآن يُمْكِنُكِ الذهاب»، قال تُشِيبَا تُشِيانِغٌ له، وتتابع: «ولكن توقف دعني أرى أيَّ الطرق هي الأكثَرَ أماناً لك. فعلاً يُمْكِنُكِ البقاء هنا، لأنَّني علمت بقدوم شخصٍ إلى هنا قريباً. تعال معِي».
- أطفأ تُشِيبَا تُشِيانِغَ الفانوس، وسار برفقة تُشِيبَا دَجُوْيِي إلى أسفل الدرج، وتركه واقفاً في ظله، وراح يستطلع الطريق. أذعن تُشِيبَا دَجُوْيِي للأمر، ووقف ينتظر وقد لسعه الهواء البارد وبدأ يرتجف وهو حائزٌ وقلق مما يُمْكِنُ أن يحصل في الدقائق القادمة. وفجأة سمع هرولة، ثم رشة قوية من الماء من فوقه. وقبل أن يتأنَّد من الأمر، شعر بنفسه مُبللاً بخلط من رائحة القذارة الكريهة. وما لبث أن رأى تُشِيبَا تُشِيانِغَ يجري باتجاهه وهو يقول لاهثاً:

(1) «شين» تعني «زوجة العم الأصغر من والد الفرد».

- «هيا معى. إنَّ الباب الخلفي لا يزال مفتوحاً».

وعلى الفور سار تشيما دجوي من خلفه واختفيأ في الظلام.

عندما كان شيئاً دجوي يفكـر في خيانة فـينيكس له، كان يـصمـم على ألا يـكلـمـها أو يـهـتمـ بها من جـديـدـ، ولـكـنهـ بـعـدـ أنـ يـرىـ خـيـالـهاـ الـذـيـ يـتـراءـ لـهـ فـيـ كـلـ مـكـانـ، أـجـمـلـ مـنـ ذـيـ قـبـلـ، فـيـشـتـاقـ إـلـيـهـ بـالـرـغـمـ مـنـ إـدـراـكـهـ بـأـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ مـهـتـمـةـ بـهـ يـوـمـاـ مـنـ الـأـيـامـ. وـرـاحـ يـقـنـعـ نـفـسـهـ بـأـنـهـ سـيـمـوـتـ مـسـرـورـاـ لـوـ اـسـتـطـاعـ ضـمـهـاـ بـيـنـ ذـرـاعـيهـ مـرـةـ وـاحـدةـ وـلـوـ لـلـحـظـةـ. لـكـنهـ كـانـ يـتـمنـىـ ذـلـكـ، مـعـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ مـتـيقـناـ مـنـ إـمـكـانـيـةـ إـظـهـارـ نـفـسـهـ فـيـ يـوـنـغـ كـوـفـوـ مـنـ جـديـدـ.

لم يكن كل ما حصل معه إلا دليل على بداية مشاكله الحقيقة؛ فقد تعرض للضغط من قبل تшиباً دجاني وتشيماً تشياني للحصول على المال. كما أنَّ جده قد فرض عليه المزيد من المهمات القاسية كعقاب له على اعماله الطائشة. وقد أصبحت رغباته كلها معلقة بصورة فينيكس التي لا تفارق مخيّلته، فسلم أمره للنوم، ولكن بقلق لا يوصف.

بدأت تأثيرات المشاكل التي تعرض لها تشيما دجانغ الليلتين الماضيتين ت فعلها فيه - وبالرغم من مختلف أنواع العلاجات مثل: القرفة، حبوب البيش، صدف السلاحف، وغيرها، والتي تناول منها عشرات الأونصات، فلم يطرأ أي نوع من التحسن على حالته. ثم وصف له الأطباء لاحقاً تناول أفضل أنواع الجينسنج فقط، وهو شيء لم يكن بمقدور تاي-دجو تحمل شرائه. وقد تم في هذا الإطار مُناشدة مدام وانغ للمساعدة في ذلك، ولكن لما كانت فينيكس تعمل لصالح مدام وانغ، فقد تم تأمين الكمية المطلوبة من الجينسنج - ولكن من النوعية الهزيلة والخفيفة من حيث الجودة. وفي أحد الأيام وصل كاهن طاوي أعرج يطلب الصدقات، وادعى بأنه متخصص في شفاء الأمراض الروحانية. ولما سمع تشيما دجانغ به، راح يتسلل عائلته من أجل استدعاء هذا الطاوي لرؤيته.

عندما وصل الكاهن الطاوى ونظر إليه، قال:

- «إنَّ مَا تُعاني منه لا يُمكن معالجته أو الشفاء منه بالعقاقيرِ. ولكنَّ لدىَ ها

هُنَا مَرْأَةٌ قَدْ تُشْفِيكَ لَوْ اتَّبَعْتَ تَعْلِيمَاتِي».

ثُمَّ سَحْبٌ مِّنْ كَمَّهُ مَرْأَةٌ مَطْلِيةٌ مِّنْ الْجَانِبَيْنِ، وَقَالَ يُخَاطِبُ تَشِيهَا دُجُوِيَّ:

- «إِنَّهَا مَرْأَةٌ النَّسِيمِ وَضَوْءِ الْقَمَرِ النَّفِيسَةِ. هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي صُنِّعَتْ عَلَى يَدِ

إِلَهَةِ التَّحْرِرِ مِنْ الْوَهْمِ، قَدْ صَمَّمَتْ لِلشَّفَاءِ مِنَ الْأَمْرَاضِ النَّاتِحةِ عَنْ

الْأَفْكَارِ الْمَلَوَّثَةِ وَالْعَادَاتِ الَّتِي تُدَمِّرُ الْذَّاَتَ». وَهِيَ بِالْتَّالِي مُخَصَّصَةٌ لِلشَّابِّيَّ

الْيَافِعِيِّينَ وَالْمَرَاهِقِيِّينَ مِثْلُكَ. وَلَكِنَّ عَلَيْكَ أَلَا تَنْتَظِرُ فِي الْجَهَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْهَا

- أَنْظُرْ فِي الْجَانِبِ الْمَعَاكِسِ فَقَطْ. سَأَتْرِكُهَا مَعَكَ الْآنَ وَسَأُعُودُ مِنْ أَجْلِهَا

فِي غَضْبِهِنَّ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ لِأَهْتَكَ عَلَى شَفَائِكَ».

ثُمَّ انْطَلَقَ مُغَادِرًا الْمَكَانَ رَافِضًا الْحَصُولَ عَلَى أَيِّ مِبْلَغٍ مِّنِ الْمَالِ.

تَنَاوَلَ تَشِيهَا دُجُوِيَّ الْمَرْأَةَ وَرَاحَ يَنْظُرُ فِي الْجَانِبِ الْمَعَاكِسِ وَفَقَأَ لِتَوْجِيهِاتِ الطَّاوِيِّ. وَمَا لَبِثَ أَنْ رَمَى بِهَا مُرْتَبِعًا: فَقَدْ رَأَى هِيَكَلًا عَظِيمًا مُخْيِفًا يُحَدِّقُ فِيهِ مِنْ خَلَالِ عَيْنِيهِ الْمَجْوَفَتَيْنِ. وَبِدَأَ يَشْتَمُ وَيَلْعَنُ الطَّاوِيَّ الَّذِي يَلْعَبُ عَلَيْهِ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الدَّعَابَاتِ الْفَظْلَةِ. ثُمَّ فَكَرَ فِي رَؤْيَا مَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ تُظَهِّرَ الْجَهَةُ الصَّحِيحَةُ. حِينَما فَعَلَ ذَلِكَ، رَأَى فِينِيَّكِسَ جَالِسَةً هُنَاكَ وَهِيَ تُومَئُ لَهُ وَسَرَعَانُ ما شَعَرَ بِنَفْسِهِ غَارِقًا فِي عَالَمِ الْمَرْأَةِ، حِيثُ أَصْبَحَ بِمَقْدُورِهِ إِشْبَاعَ غَرَائِزِهِ وَرَغْبَاتِهِ. وَمَا لَبِثَ أَنْ صَحَّى مِنْ نَشُوتِهِ فَوْجَدَ الْمَرْأَةَ مُلْقَاءَةً عَلَى الْجَانِبِ الْمَعَاكِسِ، وَهِيَ تُبَرِّزُ الْهِيَكْلَ الْمُرْعَبَ مِنْ جَدِيدٍ. شَعَرَ بِنَفْسِهِ مُرْهَقًا مِمَّا أَظْهَرَهُ الْجَانِبُ الْمُشَوَّهُ مِنَ الْمَرْأَةِ، لَكِنَّهُ أَحْسَنَ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّذَّةِ حِينَما شَعَرَ بِعَدَمِ إِمْكَانِيَّةِ مُقاوِمَتِهِ إِغْرَاءَتِ النَّظَرِ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى الْجَانِبِ السَّلِيمِ مِنْهَا. ثُمَّ نَظَرَ مِنْ جَدِيدٍ، فَوْجَدَ فِينِيَّكِسَ تُومَئِ لَهُ كَمَا فَعَلَتْ فِي المَرْأَةِ الْأُولَى، وَسَرَعَانُ ما خَضَعَ لِهَذَا الإِغْوَاءِ. كَرَرَ النَّظَرُ فِي الْجَهَةِ الصَّحِيحَةِ ثَلَاثَ أَوْ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مُتَتَالِيَّةٍ. وَبَيْنَمَا كَانَ يَهْمِمُ بِتَرْكِ الْمَرْأَةِ وَالْاِنْصِرَافِ عَنْهَا فِي آخِرِ مَرْأَةٍ، وَجَدَ نَفْسَهُ مُحَاطًا بِرَجُلَيْنِ وَمُكَبَّلًا بِسَلَاسِلِ مَعْدِنَيَّةٍ.

- «إِنْهَنِي لِحَظَةِ أَيَّهَا الضَّابِطُ»، قَالَ تَشِيهَا دُجُوِيَّ وَأَضَافَ مُتَوَسِّلًا: «دُعْنِي آخِذُ مَرَأَتِي مَعِيِّ».

وَهَذِهِ كَانَتْ كَلِمَاتُهُ الْآخِيرَةُ.

الفصل العاشر

وفيه تعود بلاك دجاييد إلى يونغ كوفو
لمتابعة مرض والدها
وتذهب فينيكس إلى ثينغ كوفو لتشرف على جنازة
تشين-شيه

في الأيام الأخيرة من العام، وصلت رسالة من لين دجو-هاي في يانغ شاو، يقول فيها بأنه مريض جدًا ويرغب برؤيه ابنته على عجل. وعلى الفور، بدأت الأم الحاكمة بإعداد كلّ ما يمكن أن تحتاجه بلاك دجاييد في رحلتها. كان باو-يو يُمانع سفرها بدأيـة، ولكن لم يكن بمقدوره فعل شيء - من حيث أنّ واجبها يحتم عليها البقاء بالقرب من والدها المريض. وهكذا، وبعد مرور العام الجديد بأيـام، انطلقت بلاك دجاييد إلى يانغ شاو يصطحبها تشيا لين، لإصرار الأم الحاكمة على ذلك.

وفي إحدى الليالي، كانت فينيكس مستلقية على سريرها وصاحبة لفترة طويلة بعدما غرقت باشينس في نوم عميق. كانت جالسة تُنـكـر في تشيا لين وتعد الأيام التي ستعيده إليها بفارغ الصبر. ولم يدب فيها النعاس إلا في وقتٍ متأخرٍ تجاوز مُنصف الليل. وفجأة، ومن خلال عينيها الغافيتين، رأت تشين-شيه تقف أمامها - كالخيال.

قالت لها وهي تبتسم:

- «يا له من وقت للنوم! أنا راحلة عن هذه الدنيا وأنت لم تنهضي حتى لو تؤديـني. لكـنـي لا يمكنـني الرحـيل دونـ أنـ أقولـ لكـ وداعـاً. بالإضافةـ إلىـ أنهـ لدىـ شيءـ ما، لاـ أـسـطـيعـ الـبـوحـ بهـ إـلـاـ لـكـ».

سألتها فينيكس بلهفة:

- «وما هو هذا الشيء الذي تودين إخباري به؟»

قالت تشنين-شيه بهدوء واضح:

- «إنك امرأة غير عادية يا شين-شين. وبأي حال من الأحوال، تتمتعين بالذكاء والبصيرة أكثر من العديد من الرجال الذين يضعون القُبّعات والعباءات. ولذلك، من المؤكد أن تعرفي معنى الحكمة القائلة: «إذا أزداد القمر نقص، وإذا امتلاً الكأس طفخ»، أو الحكمة: «كلما ارتفع الشيء كان سقوطه أصعب». لقد ازدهرت عائلتنا وعاشت في بحبوحة لأكثر من مئة عام. فهل يعقل، إذا ما دارت علينا الأيام وتراجعت أوضاعنا في وقتٍ من الأوقات، أن لا يكون مُضحكاً عدم استعدادنا لهذا النوع من الظروف أو أن يُصبح مثّلنا في ذلك كمثالٍ القرود التي تسقط شجرتهم من تحتهم على نحوٍ مفاجئ؟»

ارتجلت فينيكس عند سماع تلك الكلمات التشاورية، وسألت بخوف:

- «وما الذي يمكن فعله لتجنب هذا التراجع؟»

- «كم أنت ساذجة يا شين-شين»، أجبت تشنين-شيه بنبرة أقل حزناً، وتتابعت: «إن التراجع يلي الا زدهار، والعوار يأتي بعد الشرف. ولا يمكن لأحد أن يمنع ذلك؛ فلا يمكن لأحدنا مثلاً أن يقضي على المجاعة إلا في أوقات الوفرة والتغيم. وأقول، أن هناك شيئاً لا بد من القيام بهما».

وبعدما أصرّت فينيكس على معرفة هذين الشيئين، قال تشنين-شيه:

- « علينا أولاً إصدار صكوك وسندات استثمار وتأجير لضمان استمرارية إرث الأجداد، وكذلك بالنسبة لمدرسة العائلة. ولا بد من شراء مساحات كبيرة من الأراضي الواقعة من حول المقبرة. وستؤمن الإيجارات وبالتالي، العناية والاهتمام بميراث الأجداد، وضمان صيانة المدرسة. وهكذا سيتم ضمان المستقبل؛ فبذلك، ستكون هذه الأرض مفعية، حتى في حالة الاستياء الامبراطوري أو في حالات المصادر. أما الآن، فإن ثروة العائلة هي في

حالة تصاعد- وستقع حادثة تؤدي إلى إضافة مراتب شرف جديدة للعائلة- لكن النكسات تأتي دائمًا عندما تقلّ فرص توقعها». سأّلتها فينيكس باستغراب:

- «وما هذا الحدث؟»

صمتت تشين-شيه قليلاً، ثم أجبت:
- «لا أجرؤ على خيانة أسرار السماء».

كانت فينيكس مستعدة لطرح المزيد من الأسئلة عليها، عندما أيقظتها باشينس تقول لها بأنّ مرسالاً قد أتى من نينغ كوفو وهو يحمل خبر وفاة تشين-شيه. ارتدت فينيكس ثوبها في الحال وهرعت إلى جناح مدام وانغ. في هذه الأثناء، كان هذا الخبر قد وصل إلى كل دار وجناح، وقد صدم خبر وفاة تشين-شيه كل من سمع به، كما أنّ الجميع لم يكونوا مُقنعين بالسبب الحقيقي لهذه الوفاة.⁽¹⁾ إلّا أنّهم جميعاً قد انتبهوا وبكونوا على هذه الخسارة، بسبب حبّهم الكبير لـ تشين-شيه.

كان باو-يُو قد أوى إلى فراشه متذكر المزاج كعادته منذ مغادرة بلاك دجاي. فقد استيقظ مذهولاً لما سمعه من ضجيج وحرراك غير طبيعي في المنزل - فأخبار موت تشين-شيه كان بالنسبة له كالخنجر المغمود في أعماق قلبه. فصرخ باكيًا من الحزن وبصدق كمية لا بأس بها من الدماء. ولذلك، صمم على المغادرة إلى نينغ كوفو على الفور، بالرغم من معارضته سيدة المنزل لخطوته هذه.

بدا المدخل الرئيسي للقصر الشرقي مفتوحاً على مصراعيه، ومضاءً بالكامل. فاجتمع المُعزّون وامتلأت أرجاء القصر بالعويل والبكاء. وهرع باو-يُو إلى الغرفة حيث تسجي الميتة و بكى بحزنٍ شديد. ووُجد في البهو الخارجي تشينا دجين مُحاطاً

(1) طالما أنّ المؤلف قد عمد إلى وضع القارئ في أجواء وفاة تشين-شيه عن طريق الإضاءة على تفاصيل مرضها، فلا داعي لخدوث صدمة أو أي نوع من الغموض بشأنها. لكن من المؤكد أنّ الكاتب هنا تعتمد التلميح إلى أنّ وفاة تشين-شيه لم تكن بسبب المرض وإنما انتهاراً بسبب اكتشاف علاقاتها المشبوهة مع دجيا دجين.

بالعديد من أقارب عشيرة تشيشا. كان تشيشا دجين غارقاً بالذموع، وما بين فترة من العويل ووقفة مع النحيب، كان يشرح لمن حوله كم كانت تشيش-شيه رائعة وكم هي ضخامة الخسارة التي مُنِيت بها نينغ كُوفُو برحيلها.

وكان أحد أعضاء المؤسسة الفلكية الإمبراطورية قد اختار هذا اليوم من أجل التعزية. كانت العادة إبقاء الجسد مُسجى في البيت لتسعة وأربعين يوماً، حيث يفترض أن يقوم حوالى مئة وثمانية من الرهبان البوذيين، خلال هذه الفترة، بأداء الصلاة والأدعية للملك في البهو الرئيسي، بينما يقوم تسعة وتسعين كاهن طاوي بأداء خدماتهم الدينية في قسم آخر من القصر.

كان تشيشا دجينغ، والد تشيشا دجين، الشخص الوحيد الذي بدا غير مهتم أو قلق بما يحصل. فقد رفض مغادرة الدّير إلى أرض التربة الحمراء، وبالتالي ضياع كل تلك السنوات التي قضتها في العزلة والتأمل. ولذلك، كانت لـ تشيشا دجين كامل الحرية للتصرف في إجراء الحفل الجنائزى بالطريقة التي يرغبها.

وفجأة، وصلت أخبار من الأجنحة الداخلية للقصر تقول بأنَّ دجُوي-تشُو، وهي إحدى خادمات تشيش-شيه، قد قتلت نفسها لكي تستطيع خدمة سيدتها في الموت.⁽²⁾ أدى هذا النوع من التفاني إلى تحريك مشاعر المُعزّين، وأمر تشيش دجين بدفن الخادمة وكأنها أخته الكبرى. كما طوّعت خادمة أخرى، وهي باو-تشُو، بأن تكون إينة التبني بعد الوفاة لسيدتها تشيش-شيه، لا سيما وأنَّ هذه الأخيرة لم تنجب أولاداً. رأى تشيشا دجن فيها فكرة مُمتازة، فسر بها، وأعطى أوامره إلى جميع الخدم بمُخاطبة باو-تشُو منذ الآن وصاعداً باسم كُوفُونيانغ.

مررت مراسم الحداد بشكلها الطبيعي، إلا أنَّ تشيشا دجين لم يكن على ما يرام: فقد كان تشيشا دجانغ خريج المُقاطعة وبدون أي رتبة رسمية. لكن المُشكّلة كانت

(2) يمكن القول هنا بأنَّ دجُوي-تشُو، الخادمة، التي فاجأت عن طريق الصدفة كلامَن تشيش-شيه وتشيشا دجين أثناء لقائهما السري الأخير، قد اتحررت خوفاً من انتقام تشيشا دجين.

قد وجدت حلاً لها بوصول أحد النافذين، الذي أسرّ له تشييا دجين رغبته بشراء لقب لولده.

قال النافذ:

- «إنها لصدفة مليئة بالحظ. علِمْتُ أنَّ هناك وظيفتين شاغرتين في الحرس الإمبراطوري—فقد شغلت إداهاما الآن، لكنَّ الثانية لا تزال تتنتظر من يشغلها، بسبب انشغالِي لإحضار طلب من نائب يونغ-هسينغ. فإذا كان ولدك يُريد هذه الوظيفة، فما عليه إلا إحضار طلبه لي».

تم ملأ الطلب بما ينبغي من التفاصيل: اسم تشييا دجانغ، ومكان ولادته وإقامته، وكل الأسماء والألقاب التي يشتهر بها جده الأكبر، وجده الحالي ووالده. إستلم الرجل النافذ الطلب وسلمه إلى أحد مرافقيه قائلاً:

- «أعطِ هذا الطلب إلى العجوز تشاو في وزارة الخدمة المدنية وقل له أنَّه يُصدر مرسوماً يتناسب مع مضمونه، وسأراجعه بهذا الخصوص غداً».

قال تشييا دجين وهو يصطحب هذا الرجل النافذ إلى الباب:

- «وإلى أين سأرسل المال المطلوب؟»

أجابه الرجل:

- «من الأفضل إرساله لي، لأنَّ موظفي الوزارة قد لا يفهمون أسباب ذلك إذا ما أرسلته لهم».

لا ندري كم هي أونصات الفضة التي أرسلها تشييا دجين إلى هذا الموظف الكبير، ولكن كل ما نعرفه أنه قد حصل على مُراده.

في هذه الأثناء، بربت من بين الشعارات المرفوعة في أعلى برج الجنازة، واحدة تقول: «إنها جنازة السيدة تشين-شيه سيدة أسرة تشييا، فارس حرس التنين الإمبراطوري—حُماة القصر الداخلي، وزوجة ابن لورد نينغ كُو». وفي الأيام التالية، كان المُعزّون يأتون ويذهبون بصورة دائمة ومستمرة طوال اليوم، وشمل هؤلاء جميع الطبقات والمراتب التي تعجّ بهم العاصمة—بمن فيهم العديد من النبلاء من مختلف الألقاب، بالإضافة إلى عدد لا يأس به من الموظفين من كافة المراتب.

لم تكن إدارة هذا النوع من المناسبات في نينغ كوفو سهلةً في ظل الظروف الحالية. فلم يكن يو-شييه نداً لذلك أبداً، كما أن نينغ كوفو كان يوصف بالإدارة الأقل براعة من بين قصري آل تشييا الآخرين. ومن هنا، يمكن لأي كان تصور أقل تشييا دجين وتواتره عندما أصاب الوهن والمرض يو-شييه على نحوٍ مفاجئٍ إثر وفاة كنته. كان يخشى من سوء سير الأمور الذي قد يؤثّر على تنظيم الجنازة التي يُشرف عليها وفق الخطة المنطقية التي رسمها لها. لاحظ باو-يو-تواته هذا، وبعد أن علم بحقيقة الأمر، قال:

- «أرسل لك إحدى الآنسات، فإذا وافقت على مساعدتها لك، فكل شيء سجري على خير ما يرام».

والواقع، أن تلك الآنسة التي اقترحها باو-يو، كانت بالطبع فينيكس. وبعدها علم تشييا دجين بمن ستكون، وافق من كل قلبه على ذلك، وذهب على الفور إلى كل من مدام وانغ ومدام هسينغ لنيل موافقتهم على ذلك. توقف قرار الموافقة على مدام وانغ، ذلك لأن فينيكس كانت إبنة مدام هسينغ بالنسبة، التي كانت بدورها كبيرة مساعدات مدام وانغ، سيدة يونغ كوفو الفعلية. كانت مترددة، لأن المهمة كانت صعبة من جهة، ولأن فينيكس، رغم مهاراتها وقدراتها المتنوعة، ليست لديها الخبرة الكافية في إدارة الاحتفالات الجنائزية – بالرغم من توق فينيكس للحصول على هذه الفرصة. عندما استدارت مدام وانغ نحوها لتقرأ ردات الفعل في تقاسيم وجهها، قالت فينيكس على الفور:

- «لا بد من نيل موافقة تاي-تاي أيضاً من حيث حاجة تا-كوف الماسة إلى المساعدة».

عندما سمع لاي شينغ، وهو المُضيف الرئيسي في نينغ كوفو، بالطلب إلى فينيكس تحمل مسؤولية الأمور الداخلية في الجنaza، جمع العديد من زملائه وقال لهم:

- «لقد طلب السيد من لين يز ناي-ناي الاهتمام بالوضع الداخلي، ولذلك، علينا تلقّي الأوامر والتعليمات الآن منها. وعلينا الانتباه جيداً إذا ما أردنا

الحفظ على ماء وجوهنا. فأنتم جميعاً تعرفون طبيعتها وطريقة العمل معها».

وافق جميع الخدم على كلام رئيسهم، مع ملاحظة أحدهم بالقول:

- «بصراحة، آن الأوان لكي يأتي أحد ما وينظم هذه الفوضى، فالامور أضحت مُستحيلة ولم تعد تُطاق».

وفي ساعة الاجتماع المحددة من اليوم التالي، تجمعت كل الخدمات في الـ بهو أمام فينيكس التي بدأت بالإعلان عن قيادتها:

- «بما أنّ سيدك قد طلب مني إدارة المكان هنا»، قالت فينيكس لزوجة لاني شينغ وعلى مسمعٍ من الجميع، وتتابعت: «أخشى من أنكم جميعاً ستستأنون مني ومن طريقة إدارتي للأمور لفترة من الزمن. فأنا لست كسيدتكن، الطيبة واللطيفة والتي تتركن تنفذن الأمور على طريقتكن الخاصة. فلا أريد أن أسمع من أيٍ منكن بأنَّ هذه الأمور وتلك هي من عادات وتقالييد هذا القصر؛ نفذن وأطعن فقط ما أطلبه منكن. ومن تجزأ منكن على تجاهل أو إهمال واجباتها، فلسوف تتلقى مني العقاب المناسب، بغض النظر عن وضعها أو علاقتها بسيد وسيدة هذا البيت – فأنا لا أهتمّ بمن هي المفضلة ها هنا أو لا».

وعلى الفور قامت إحدى الخدمات بتنظيم الخدم في صفوف، وراحت فينيكس تتفحصهم الواحد تلو الآخر، وهنَّ يسرن من أمامها في خطٍ واحد. عند انتهاء العرض، قالت:

- «تُقسم العشرين الأولى، إلى مجموعتين – أي إلى عشرتين – يتسلّم أفراد كل واحدة مسؤولية تقديم الشاي للضيوف. وهذه العشرين، أيضاً ستنقسم إلى مجموعتين، تتسلّم كل مجموعة مهمة تقديم الشاي والغداء للأقارب. وهذه الأربعين، عليهم الانتظار أو التجول في أرجاء القاعة الروحانية، للمحافظة على بقاء البخور والشموع في حالة اشتعال، بالإضافة إلى تقديم الأرز والشاي الساخن، والمُساعدة في الحِجَاد أيضاً. أما هذه الأربعة،

فعليهن مسؤولية إعداد أباريق الشاي والأكواب، والأربعة الأخريات، عليهن مسؤولية إعداد أدوات السفرة وأوعية النبيذ. وأفراد مجموعة الثمانية هذه، عليهن تلقي وتسجيل الهدايا الجنائزية، وأفراد مجموعة الثمانية تلك، يتحمّلن مسؤولية توزيع الشموع، والزيت والورق إلى كل الأماكن المختلفة بناء على لائحة سيزوّدن بها في الحال. أما مجموعة العشرين هذه، فعلى أفرادها المراقبة والحراسة في الليل والتأكد من نظافة وترتيب الممرات والحدائق، ولا يهدّدها أي نوع من المخاطر، لا سيما أخطار الحرائق. وما تبقى من الخدم، فعليهن مسؤولية مراقبة مختلف أنحاء القصر والقاعات، وسيتحملن مسؤولية التعويض عن فقدان أو سرقة أي شيء يقع في المنطقة التي تقع تحت مسؤوليتهم. أما زوجة لا يُشنّع، فسوف تتحمّل مسؤولية المراقبة العامة. على الجميع أن يعلم بأنَّ كل هذه الأعمال وتنظيمها قد أُعدَّ وفقاً لبرنامج، وعلى الجميع إعلامي بأي خرقٍ أو إهمال أو مراوغة في العمل، وحتى المقامرة، والشرب، إلى كل ما هنالك من أنواع المخالفات—إنْ فشل أي منكِن في تنفيذ هذه المهام، سواء أكان لناحية تفضيل نفسها على الآخريات أو لأي سبب آخر، فسوف تكون عرضة للعقاب الفوري ك مجرمة، وكمسبِّبٍ للفضيحة وسيتهم أيضاً بإلحاد العار باسم العائلة».

بعد تسليم كلّ خادمة وخادمة المهام وفقاً للمعايير التي وضعتها، أعادت فينيكس النظام إلى نينغ كوفو. وكانت إدارة المكان طوال فترة الاحتفال الجنائزي، في أعلى مثاليتها ودقّتها، وبدت في أفضل حالاتها الآن من الوقت الذي كانت فيه يو-شييه تُدير الأمور بنفسها—لم يكن هناك من لصوص؛ لم يكن هناك من تذمر أو مشاجرات ما بين الخدم، لأن بعضهم كان يعتقد بأنه يعمل أفضل من الآخر... وهكذا مرّت الأيام لحين اليوم الخامس من أيام الحداد السبعة والخمسين.

وصلت فينيكس إلى نينغ كوفو في ساعة الاجتماع ولكنّها، بدلاً من أن تتوّجه إلى مقبرة قيادتها، ذهبت إلى قاعة مدفن تشين-شييه في الحديقة. كان هناك العديد

من الحضور صامتين وهم يحملون أوراق القداس الروحاني. بينما وقف آخرون في البهو يحملون القرابين. وفي هذه اللحظة، بدأت دموع فينيكس تساقط عند رؤية نعش الفقيدة. وما هي إلا لحظات، حتى ضربت الصنوج، وب بدأت موسيقى التشيع تتصاعد من الفرقة الواقفة في الظل في أحد جوانب المكان. بكت فينيكس دون توقف، وانضم إليها مُرافقيها وغيرهم من الحاضرين. وفي الحال، أرسل كل من تشيا دجن ويُو-شيه أحداً يطلبان من فينيكس التوقف عن البكاء والتحبيب، التي ما لبثت أن أوقفت ذلك تدريجياً.

وقفت جميع الخادمات حاضرات في طابور التفقد اليومي الذي كانت تدعوه إليه فينيكس في البهو، باستثناء واحدة من المجموعة المسئولة عن استقبال وتوديع المعزين - والأقارب والزوار. وبعد استدعاء هذه الخادمة غير المُباللة، خاطبها فينيكس بصراحة قائلة:

- «إذن، أنتِ تعتبرين نفسك فوق الجميع وأفضل منهُن، واعتبرتِ نفسك غير معنية بالحضور إلى طابور التفقد اليومي؟»

- «إنني أحضر على الوقت كل يوم يا سيدتي»، أجبت الخادمة البائسة، وهي ترتجف رعباً، ثم قالت: «أتُوسل إليكِ سيدتي نايـ-نايـ أن تغفر لي وتنجاوزي عن خطأي الأول».

في هذه اللحظة، وصلت إحدى الخادمات من يونغ كُوفُو تحمل إذناً لتسحب كمية خيوط من المخزن لصناعة شراريب للعربات، وسلمت لائحة إلى مُساعدة فينيكس، التي قرأتها بصوتٍ عالٍ أمام سيدتها. كان هناك عربتان كبيرتان للسيدات، وثلاث صغيرة، وأربع عربات للرجال. وهذا يعني، الحاجة إلى العديد من الشراريب المطلوبة لها، بالإضافة إلى العديد من الخرز وأرطال الخيطان. بعد التأكّد من الوارد في اللائحة، أعطت فينيكس موافقتها على تسليم الخادمة ما هو مطلوب. بعد ذلك وصلت أربع خادمات إضافيات من يونغ كُوفُو، وكان لكلٍ واحدة منها طلباً مختلفاً عن الأخرى. ومن بين هؤلاء، قُبّلت طلبات اثنين ورفض اثنين - بسبب ورود بعض الأخطاء. ثم ظهر عدد آخر: بعضهن من يونغ كُوفُو، والبعض الآخر من

نبغ كُوفٌ وبعد تسوية الأمور وتلبية الطلبات، قالت فينيكس من دون أن تلتفت إلى الخادمة المُذنبة، التي كانت لا تزال تنتظر:

- «اليوم تأخرت، وغداً قد ترتكبين حماقة أخرى... ومن يدري؟ فقد لا يكون هناك من يُنفذ الأعمال قريباً، أو أفشل أنا شخصياً في إدارة الأداء هنا. أوَّد لو أسامحكِ، ولكني أخشى من عدم قدرتي على إدارة تنفيذ الواجبات لو فعلت ذلك».

ثم أصدرت أمراً صارماً:

- «خذوها إلى الخارج واجلوها عشرين جلدة».

لم يجرؤ أحد من الخدم أو الخادمات على التدخل، بسبب ملامح فينيكس الجدية التي منعت أحد من الإقدام على هذا الفعل. وعلى الفور، جزء مُساعدوها الخادمة المُذنبة إلى الخارج، وضربوها العدد المطلوب من الجلدات. وكنوع من العقاب الإضافي، حرمت هذه الخادمة أيضاً من أجر شهر كامل.

الفصل الحادي عشر

وَفِيهِ تُشْبِعُ فِينِيکسْ جَشْعَهَا فِي مَعْبُدِ الْعَتْبَةِ الْحَدِيدِيَّةِ
وَيُشْبِعُ تَشِينَ تَشَانِغَ جَوْعَهُ فِي دِيرِ قَمَرِ الْمَاءِ

قبل أيام من موعد الجنازة، ذهب تشيما دجين إلى معبد العتبة الحديدية للإشراف شخصياً على التحضيرات المتواصلة من أجل استقبال الزوار المعززين، والتحضير من أجل القداديس والصلوات التي ستجري هناك. وفي يوم الجنازة، وصل إلى المكان أربعة وستين من حملة العرش، وتم نقل جثة تشين-شيه من حديقة نينغ كوفو. وتم في الوقت نفسه، نقل عدد لا يُستهان به من الأوسمة والشارات من قبل مجموعة من الرجال في أزياء خاصة، بالإضافة إلى اللافتات، والشعارات، والمظلات من مختلف الألوان، ولوحات الإعلان الخشبية—وقد طلبت جميعها بالفريش اللامع والألوان الزيتية، وت نقشت كلماتها بالذهب. وكانت باو-تشو-ابنة التبني بعد الموت، تتصرف كالمفجوعة الأساسية بالمضارب.

لا يمكن تقديم قائمة كاملة بجميع الأشراف والوجهاء الذين كانوا متواجدين في الجنازة. كان عدد العربات التي تنقل النساء المعزيات لوحدهن لا يقل عن المئة، ومع وسائل نقل آل تشيما، تشكل خط يزيد طوله على الـ «لي»⁽¹⁾ الواحد. وعلى مساحات متتالية على امتداد الطريق إلى المعبد كانت تنتشر خيام الزوار المُزخرفة، والتي كانت تحتوي أيضاً على الكثير من العطايا والقرابين عن روح الفقيدة. في

(1) الـ «لي» وحدة قياس صينية، تساوي حوالي 0.3 ميل أو 0.5 كيلومتر.

المقدمة كانت تظهر خيم أربعة أمراء؛ وكان ترتيب خيمهم يتسلسل بترتيب مُنسق من الأعلى إلى الأدنى مرتبة.

كان الأمير بيض يقف في باب خيمته مُنتظراً اقتراب الموكب. وما إن اقترب الموكب من خيمة الأمير، حتى توقف، وأسرع تشايا دجين يتقدم باتجاه خيمة الأمير برفقة تشايا تشينغ وتشيا شيه. بدأ تشايا دجين بالتعبير عن شكره وامتنانه أمام الأمير، وعن الشرف الكبير الذي أنعم به عليه.

كان الأمير قد سمع من قبل عن باو-يُو؛ فطلب من تشايا تشينغ إحضاره إليه، وبدا للجميع إعجابه به. طلب الأمير رؤية حجر اليشم أو الجوهرة الموجودة في رقبة باو-يُو، وأهداه طوقاً من الخرز النفيس كهدية له من الإمبراطور. وبعد تقديم شكره للأمير من جديد، حتَّى تشايا شيه وآخرون الأمير على العودة إلى المنزل، لكنه أصرَّ على انتظار عبور الموكب قائلاً لهم:

- «رغم أنني أمير، إلا أنَّ تشين-شيه قد انضمت الآن إلى منزلة الخالدين، ولها الأولوية والصدارة الآن».

أمر تشايا دجين بوقف عزف الموسيقى، وعبر الموكب الجنائي من أمام خيمة الأمير بصمت تام.

لم يصل الموكب إلى المعبد إلا مع نهاية الفترة الصباحية، حيث كان الرهبان والكهنة البوذيون والطاويون مستعدِّين هُناك. ثمُّ أجريت العديد من الطقوس المختلفة، وأُعدَّت المآدب للزوار المُعزَّين، ولم يتبقَّ من الجميع لأداء طقوس الأيام الثلاثة، سوى الأقارب والأصدقاء الحميمين. عادت كل من مدام وانغ ومدام هسينغ إلى العاصمة، بينما بقيت فينيكس من أجل متابعة مهماتها الإشرافية على تنظيم الجنائز. باو-يُو وتشين تشانغ بقيا أيضاً لأنهما كانوا سعيدين بمناظر وطبيعة الريف. وكلا منهم وجده حاجاته ومُتطلباته في دير قمر الماء، حيث استقرت إقامتهما في المعبد.

بعد يوم من انتهاء الاحتفالات الجنائزية، ذهبت فينيكس إلى الدير يُرافقها كل من باو-يُو وتشين تشانغ. وبينما كانت فينيكس تتسلَّى وتحدَّث مع الراهبة العجوز

المسؤول، سار الفتتيلن يتجولان في غرف الدير، وفي البهو الأمامي، ركضا باتجاه تшибه-نيبغ، وهي راهبة جميلة في أواخر ربيعها الثاني—وقد كانت تقوم بزيارات متكررة إلى يونغ كوفو، وقد حصل وأن رأت كلا من باو-بيو وتشين تشانغ من قبل. ولكل باو-بيو تشين تشانغ بكوعه وقال:

- «ها نحن من جديد ها هُنا نينغ-يز!»

قال تشين تشانغ مُتظاهراً بالبراءة:

- «وماذا تقصد؟»

- «ماذا أقصد!»، أجاب باو-بيو مُستغرباً بالسؤال، وأضاف: «أخبرني ما الذي كنت تفعله معها ذاك اليوم عندما كتما أنتما الاثنين وحيدين في غرفة لاوتاي-تاي. لقد رأيتها بأم عيني بين ذراعيك، فلا تقل لي عكس ذلك». رد تشين تشانغ مُحتجاً وقد انفعل:

- «لا تفوه بالسخافات، وتطلق التخيّلات».

- «لن أدخل في نقاش معك في هذا الشأن»، قال باو-بيو، واستمر يقول مُتهكمًا: «ولكن قل لها أن تحضر لنا القليل من الشاي».

- «ألا يمكنك أن تطلب منها ذلك بنفسك؟ فهي سوف تقدمه لك كما ستقدمه لي، طالما أن هذا واجبها».

رد باو-بيو مُمازحاً:

- «لكن ذلك لن يكون من أجل الحب إذا ما فعلته لي، أمّا من أجلك فسيكون كذلك».

وبعد أن عجز عن كبح إصرار باو-بيو على الأمر، التفت تشين تشانغ إلى الراهبة وقال:

- «أرجوك أحضر لي لنا بعض الشاي يا نينغ-يز».

وعندما أتت الراهبة بالشاي، قال لها تشين تشانغ:

- «أعطيك إياته، أنا سآخذه».

وبالمثل، قال باو-يُو:

- «لا، أعطني إيه أنا...»

ضحك الراهبة قليلاً ثم قالت:

- «وهل هناك من عسل على يدي لكي تقاتلنا حتى من أجل كوبٍ من الشاي؟»

لكنَّ ظهور راهبة أخرى قطع عليهما الحديث، وعادت تشيه-نينغ إلى عملها على الفور. انضم الفتيان إلى فينيكس، وبقيت الراهبة العجوز لوحدها في الخارج بعد مغادرة الراهبات الباقيات.

قالت الراهبة العجوز تُخاطب فينيكس:

- «لدي شيء أتحدث بشأنه مع ناي-تاي، لكنني أرغب في الحصول على نصيحة وإذن ناي-ناي أولًا».

سألتها فينيكس عن ذلك، فتابعت الراهبة تقول:

- «حسناً. عندما كنت في دير إلهة الرحمة في تشانغ-آن، كان هناك راعٍ غني من عشيرة تشانغ. وفي أحد الأيام حضر آل تشانغ مع ابنته من أجل تقديم القرابين والأضاحي للإلهة. وحدث أنَّ نسيب الوالي كان في زيارة المعبد أيضاً. ورأى كين-كيو، ووقع بحتجها، وسرعان ما أرسل أحد من قبيله إلى والديها يطلب يدها للزواج. ومن سوء حظه، أنَّ الفتاة كانت مخطوبة لولد أمِّ الحامية. وصلت أخبار موضوع طلب الزواج إلى مسامع هذا القائد العسكري الذي اتهم، ومن دون أن يتأكَّد من حقيقة الأمر، عائلة تشانغ بمحاولة فسخ الخطوبة من أجل عرضٍ أفضل. كما أنه رفض إعادة هدايا الخطوبة، ورفع دعوى ضدَّهم. أغضب هذا الأمر عائلة تشانغ، مُناكفة والد الخطيب. إنَّهم الآن في العاصمة من أجل تأمين مُساعدة قريبهم النافذ هناك. أعلم أنَّ نائب تشانغ-آن صديق عائلتكم الكريمة. فلو استطعتم أن تقنعوا هذا النائب بقول شيء لآمر الحامية، فلربما يعمل هذا الأخير على إسقاط الدعوى والموافقة على إعادة هدايا الخطوبة. فلو أمكن لهذا أن

يحدث، فإنَّ آل تشانغ برمتهم سيعملون ما في وسعهم—حتى التضحية بما يملكون من أجل الاعراب عن شكرهم وامتنانهم لذلك».

قالت فينيكس:

— «إنه شيء تافه ولا يستحيل الإعداد له، لكنَّ نايٌ—نايٌ لا تحب الغوص في هذا النوع من الأمور».

بعد سماعها ذلك، قال الراهبة بنوع من التفاؤل:

— «إذن، قد تقدر على القيام بهذا نايٌ—نايٌ».

ردت فينيكس:

— «ولماذا أنا؟ فعائلة تشانغ لا تعني شيئاً لي».

نهدت الراهبة العجوز، وصمتت لفترة. ثمَّ قالت توجَّه كلامها إلى فينيكس بنوع من العتاب:

— «أعتقد بأننا لا نستطيع فعل شيء طالما أنَّ نايٌ—نايٌ لا تُريد إزعاج نفسها. لكنَّ آل تشانغ يعلمون بأنني سأكلِّمك، وعندما أبلغهم بأنك لا تُريدين إزعاج نفسك، فسيظنُّون بأنك لا تقدرين على فعل أي شيء من أجلهم». أثرت كلمات الراهبة على فينيكس— فهي كانت تعرف حب فينيكس للسلطة، وعدم احتمالها الكلام عن عجزها أو عدم قُدرتها على أي شيء من الأشياء. فالتفتت إلى الراهبة وقالت:

— «أنت تعلمين بأنه لا يهمني ما تقوله التوقعات عن الحساب الأخير. فأنا أفعل ما أشتتهي، وما أشتتهي أفعله بشكل دائم. إذا كان آل تشانغ ينونون عرض ثلاثة آلاف تايل⁽²⁾، فسوف أساعدهم في الدفاع عن أنفسهم».

أكَّدت الراهبة العجوز أنَّ آل تشانغ سيكونون سعداء كثيراً لدفع هذا المبلغ. أمَّا فينيكس، فقد خلُصت عن طريق إخبار الراهبة، إلى أنَّ هذا المبلغ هو شيء لا يذكر

(2) آل «تايل» وحدة وزن تُستعمل في الصين وتُستعمل في شرق آسيا ولكن بأوزان مُختلفة، لكنَّها ثابتة في الصين على 50 غراماً.

بالنسبة لها، لكنه سيكون للمرسال الذي ستوفده. وقالت تشرح:

- لا تظني بأنني أفعل ذلك من أجل هذا المبلغ التافه من المال. مقارنة بمواردي، فإنَّ مبلغ ثلاثة ألفاً ليست شيئاً يُذكر.

لقد أعطت الراهبة موافقتها على شرط فينيكس، مع أنها تعرف ما يعنيه مبلغ ثلاثة آلاف تابل بالنسبة لها. كما أنها قالت الكثير من أجل تسلية فينيكس، وقد سهرتا تحديداً طوال الليل.

في هذه الأثناء تسلل تشين تشانغ إلى غرفة تشيه نينغ، حيث كانت تقوم بإنجاز بعض الأعمال. راح يترافق من حولها قليلاً، ثمَّ وضع يديه من حول وسطها، فصربت الراهبة بقدميها وهدَّدت بطلب النجدة. لكنَّ تشين تشانغ توسلها، وراح يهمس بكلمات عاطفية في أذنها.

قالت الراهبة باستسلام:

- «وما الذي تريده مني؟ عليك أنْ تُفكِّر كيف تنقذني من حياة الموت هذه، ومن ثمَّ نجتمع ونعيش معاً».

- «نعم، نعم بكل تأكيد»، قال تشين تشانغ، وأضاف: «لقد فكرت بذلك مراراً، وأعتقد بأنه أصبح من الممكِّن ترتيب الموضوع. لكنَّ المياه البعيدة لا يمكنها إخماد النيران القرية». يجب أنْ تُشفقي عليَّ هذه الليلة، لأنَّني أتوق موتاً لكِ».

ثمَّ أطفأ المصباح وحمل الراهبة إلى الكائن. حاولت المسكينة جاهدة لإنقاد نفسها، ولكن دون جدوٍ؛ لقد كان بإمكانها الصراخ طلباً للنجدة، لكنَّها لم تفعل خوفاً من الفضيحة. عدا عن ذلك، فهي كانت مولعة كثيراً بـ تشين تشانغ. وسرعان ما توقف صدَّها له واستسلمت.

ووجأة، وضع أحدهم يديه على تشين تشانغ والراهبة من دون التفوه بأي كلمة. خاف هذين العاشقين إلى درجة الموت، لكنَّ ضحكتان هذا الدخيل المفاجئ، كان من الصعب لجمها -لم يكن هذا الشخص سوى باو-يو، وعلى الفور انسُلت الراهبة هاربة.

قال له تشنين تشانغ بنبرة جافة:

- «لديك حسّ مُنحرف للفكاهة، فما الذي تعنيه بعملك هذا؟»
 - «الآن وقد ضبطتك بالجرم المشهود»، قال باو-يُو ضاحكاً، وتابع: «فهل لا زلت مُصرأً على نكران أهميتها بالنسبة لك؟»
- أجابه تشنين تشانغ بلهجة يغلب عليها طابع التوسل:
- «حسناً، أعدك بما تُريد إذا وعدتني بكتمان ما رأيته».
 - «حسناً، لا أريد التحدث حول الموضوع الآن»، قال باو-يُو كما لو أنه لا يعنيه الأمر في شيء، وأضاف: «أسؤي المسألة معك لاحقاً، عندما نأوي إلى النوم».

شغل كل من باو-يُو وتشنين تشانغ وفينيكس جناحاً من غرفتين في الدير. قامت فينيكس، التي شغلت الغرفة الداخلية، بأخذ قلادة باو-يُو ووضعتها تحت طرف وسادتها بهدف حمايتها من السرقة. لم تُعرف طبيعة المسألة التي أراد باو-يُو تسويتها مع صديقه تلك الليلة، ولا كيف تم ذلك، كما أننا بدورنا، لن نجازف في طرح أي تخمينات.

وبما أن سيدة المنزل دائمة القلق على حفيدها المفضل باو-يُو، فقد أرسلت بطلبه في اليوم التالي، لكنه كان متهماً في نزهته بشكل أنساه الطاعة. بالإضافة إلى أن تشنين تشانغ، لم يكن يتحمل المشاركة مع الراهبة، فتوسل باو-يُو البقاء معه. أما فينيكس فقد أرادت أيضاً تمضية يوماً آخر من أجل إتمام وعدها للراهبة العجوز. وهكذا أمضى الثلاثة معاً ليلة إضافية في الدير. وقبل مغادرتهم النهائية، أصرّت تشييه-بنيغ على تشنين تشانغ مراسلتها بأسرع ما يمكن، فوعدها بأن يفعل ما يستطيعه من أجل ذلك.

في هذه الأثناء، أرسلت فينيكس بر رسالة إلى نائب تشاينغ-آن باسم تشييا لين، مع أحد مساعديها المؤوثين-لاني وانغ. أدى تلميح هذا النائب لأمر الحامية إلى تنازل هذا الأخير عن الدعوى، وبالتالي إلى إعادة هدايا الخطوبة. كان من المفترض أن تنتهي القضية عند هذا الحد، لو لا أن شخصية كين-كيو لم تكن مختلفة بالكلية

عن والديها المُجزَّدين من الصمير. فما إن علمت بفسخ الخطوبة، حتى أقدمت على الانتحار بدلاً من الإيمان بعدم صلاحية خطوبتها الأولى. أمّا ولد أمّر الحامية، الذي كان موقفه مُشابهاً لموقف خطيبته، فقد اغرق نفسه عندما سمع بأمر انتحارها. وهكذا، خسر آل تشانغ كل شيء بسبب جحودهم، أمّا فينيكس فقد تمتعت بثلاثة آلاف من أونصات الفضة الجيدة. لم تكتشف مدام وانغ ولا تشييا لين ما حصل أبداً. وبعد أن شجعها نجاحها هذا، قامت فينيكس بتنفيذ العديد من هذه المهمات الشيطانية والتي لن ندخل في ذكرها على نحوٍ مُفصل.

الفصل الثاني عشر

وفيه يتعزّز مركز كاردينال سبرينغ في القصر الإمبراطوري
ويرحل تشين تشانغ إلى العالم الآخر

كان اليوم عيد ميلاد تشينا، وكانت قصور نينغ كويونغ كوتتحفل به
وفقاً للاحتفالات المعروفة، عندما أعلن عن وصول رئيس الموظفين الرسميين.
وعلى الفور تم تعليق الاحتفالات، وفتح مدخل قصر يونغ كوف على مصراعيه،
وأعدّ البهء الرئيسي على عجل لاستقبال ممثّل الإمبراطور في الولاية. سار الممثل
على امتداد البهء بأبهة سير الموظفين الكبار، فاستدار والتفت لناحية الجنوب،
بينما كان كل من تشينا شيه وتشينا تشينغ يركعان أمامه استعداداً للإستماع إلى الأمر
الإمبراطوري. لم يكن رسول الإمبراطور يحمل مرسوماً خطياً، لكنه اكتفى بالقول:
- «وفقاً لمرسومٍ خاص، يؤمر تشينا تشينغ بالتوارد فوراً في قاعة لين-تشينغ
لجلسة استماع».

وما إن انتهى من كلامه، حتى غادر بالسرعة التي دخل فيها، حتى من دون
التوقف لأخذ رشفة شاي.

وعلى الفور، ارتدى تشينا تشينغ زيّ الرسمي، وانطلق إلى القصر. لم يعرف
أحداً الغاية من أمر الاستدعاء المفاجئ هذا، وبما أنّ ملامح هذا الرسول لم تنبئ
عن أي حدث استثنائي، فقد خيم شبح القلق فوق الجميع. وللتتأكد من هدف
الاستدعاء الأساسي، تم إرسال رئيس المُضيّفين - لا يُ تا إلى القصر لهذه الغاية
ومن ثمّ تزويد الجميع بذلك بأسرع ما يمكن. وبعد مرور ثلاثة أو أربع ساعات،

عاد لاي تأييده بـأن استدعاء شيئاً تشينغ كان لتبلیغه بترقیة ابنته إلى رتبة محظیة إمبراطورية من الدرجة الثانية. وفي الحال انقلب قلق الجميع إلى سعادة، وظهرت الغبطة على كل وجه من سيدة القصر إلى أدنى الخادمات.

بدا باو-يو لو حده مربكاً وغير متأثر بهذا الشرف الجديد الذي أضيف للتو إلى سجل العائلة. وكان سبب هذا الارتباط زيارة سرية قامت بها الراهبة تشيه-نينغ منذ بضعة أيام إلى منزل تشين تشانغ. وبعد أن اكتشف والده ذلك، طرد الراهبة، ووجه إلى تشين تشانغ كلاماً عنيفاً. أدت هذه الإهانة إلى تطور سلبي في المرض المزمن الذي كان يعاني منه العجوز، وبعد أربعة أو خمسة أيام، توفي متأثراً بمرضه. ولم يشعر تشين تشانغ من وقتها بأي نوع من النشاط. أدت به هذه الفاجعة المترافقـة مع حزنه على وفاة والده من جهة، وقلقه على الراهبة من جهة ثانية، إلى الوهن ويوادر المرض الجدي. هذا كان سبب ظهور باو-يو القلق، وعدم اهتمامه بالاحتفالات التي جلبت شرفآً إضافياً أسبغه الإمبراطور على العائلة. لكن سبب قلقه هذا لم يدر به أحد؛ فقد اعتبره الجميع مثلاً آخر على مزاجيته وأهوائه الغريبة.

وفي أحد الأيام، ولحسن الحظ، وصل رسول من قتل شيئاً لين ليبلغ عن وصول بلاك دجايـد في اليوم التالي. والآن قد مات والد بلاك دجايـد، وبعد جنازته انطلقت إلى العاصمة من جديد مع شيئاً لين، لتعيش هذه المرة، وبشكل دائم، مع الجدة.

فرح باو-يو بعودة بلاك دجايـد، فها هي قد أصبحت أكثر جمالاً من ذي قبل، لأن كل الفتيات اللواتي في سنها، لديهن طريقهن الخاصة في التفتح والبهاء. جاءت بلاك دجايـد وقد أحضرت معها الهدايا لجميع أبناء عمومتهاـ الكتب، وفراشي الكتابة والرسم، حجارة التجـير، والأوراق المـخرفة. من جهته، قدم لها باو-يو طوق الخرز النحـيس الذي سبق وقدمـه له الأمير بيس، لكنـها رفضـته قائلـة بأنـها لن تأخذ شيئاً قد أتـى من رجال لا تعرفـهم.

بعد تقديم نفسه لوالده شيئاً تشينغ وآخرين، عاد شيئاً لين إلى عربـته حيث كان يتلقـى التـحـية من فينيـكس باحـترام مـبالغـ فيه. فـهـنـأـهـ وهي تـخـاطـبهـ بكلـامـ فيهـ مـزيـجـ منـ

الهزل والجذّ مثل: «جلالة قريب الإمبراطور». عندما أثني عليها تشبّياً لين لطريقة تنظيمها وإشرافها على الحفل الجنائزي بطريقتها المُدهشة، اعترفت له بفشلها، وحماقتها، وافتقارها للخبرة، وأصرّت على أنها قبلت المهمة فقط لأنّ الرفض قد يغضّب مدام وانغ ويزّعجها. لم ينخدع أو يُصدق أحد اعترافاتها الصريحة هذه، ولم ييُدّ أنّهم يميلون إلى الانخداع أو التصديق.

حينما تابعت كلامها لتُخبر تشيلا لين عن الأحداث التي وقعت أثناء غيابه، سمعت باشينس تتكلّم مع أحد في الغرفة الخارجيّة. سألت فينيكس عمن يوجد في الغرفة، فدخلت عليها باشينس تقول لها بأنّ هسوبيه بي-ما قد أرسل لتونس في مأموریة، وأنّها قد اهتمّت بال موضوع على أكمل وجه.

وَفُورٌ سَمِاعُهُ ذَلِكُ، قَالَ تَشِّيَا لِينْ:

«تبدو لي لوتوس لطيفة جداً. عندما كنت برفقة بيـ-ما في طريق العودة، - حدث لي أن واجهتها، وتساءلت من تكون. فسألت بيـ-ما، ومن ثم تأكد لي بأنها كانت تلك الفتاة التي تورّطت في قضية القتل. وما يؤسف له أن يُصبح هذا المظهر الجميل لقمة سائعة في فم أبله مثل هسوبيـ- فهو لا يستحقها أبداً».

ردت فينيكس بنبرة تنم عن عدم الرضا:

«أَفَإِنَّكَ تُدْفَعُ إِلَى التَّفْكِيرِ بِأَنَّكَ أَصْبَحْتَ نَوْعًا مَا أَقْلَى تَأْثِيرًا مِنْ عُودْتِكَ
لِلتَّوْ مِنْ سُؤْشُو، حِيثُ الْجَمِيعُ هُنَاكَ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ كُلَّ النِّسَاءَ جَمِيلَاتٍ. وَلَكِنَّ
مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّكَ لَا زَلْتَ جَشِعًا كَمَا عَهْدْتَكَ مِنْ قَبْلٍ. إِذَا مَا كَانَتْ تُعْجِبُكَ،
فَمَا قَوْلُكَ بِاسْتِبْدَالِ بِاَشْيَنِسِ بَهَا؟ أَنَا أَكِيدَةُ مِنْ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَكُونُ عَلَى مَا يُرَامُ
بِالنِّسَبَةِ لِهِسْوِيَهِ لَاؤْ-تَا، لَأَنَّهُ مَثْلُكَ، تَكُونُ عِينَاهُ دَائِمًا عَلَى قَدْرِ الطَّبْخِ، فِي
حِينَ أَنَّهُ يَأْكُلُ مِنَ الصَّحْنِ. بَقِيَ عَامٌ بَطْوَلِهِ يُضَاقِي يَيِّ-مَا لَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ
الْحَصُولُ عَلَى لَوْتُوْسِ، وَلَكِنَّ وَفِي أَقْلَى مِنْ شَهْرٍ، وَبَعْدَ حَصُولِهِ عَلَيْهَا، فَقَدَّ
اَهْتِمَامَهُ الْكَاملَ بِهَا...»

بعد ذلك، أرسل تشينا تشينغ يطلب تشيا لين على الفور. كان هذا الأخير مسروراً

لاستغلال الفرصة وطرح موضوع لوتوس. بعد مغادرته الغرفة، سألت فينيكس باشينس عما تريده لوتوس. فقالت باشينس:

«لم تكن هنا أبداً، إنَّه لايُ وانع ساُو-ساُو الذي اختار بغيائه المعهود هذا الوقت بغضبه الذي عفا عليه الزمن. لقد قابلتها لحسن الحظ. من ناحية ثانية، لقد حدث أن جاءت وبادرت إلى طرح حاجتها أمام يز-يه. والآن أنت تعلمين كيفية إهماله للمال. لكنه إذا علم أنَّ ناي-ناني قد أتى من أجلها فقط، فسوف يصرف دون حساب. لقد ورثتها قليلاً بسبب نقلها القضية إلى هنا بوجود يز-يه».

قالت فينيكس ضاحكة:

— «هكذا إذن، كنت أتساءل عما تُريده بيــ ما بهذه العجلة من وراء إرسال لتوســ».

الآن، وقد عاد تثبياً لين، سأله فينيكس عما أراده تثبياً تشينغ. فقال لها بأن الموضع يتعلق بالزيارة الإمبراطورية التي تشغّل العاصمة منذ عدة أيام. كان الإمبراطور الحاكم سيدياً خيراً. وبعد الكرم الذي أسبغه على كاردينال سبرينغ، قام صاحب الجلالـة الإمبراطور، ومساهمـة منه في زراعة والوفاء وجـوهـر الفضـيلة من طـاعة الوـالـدـيـنـ، بالـسـماـح لـعـائـلـاتـ الـمحـظـيـاتـ الـإـمـبرـاطـورـيـةـ بـزـيـارـةـ بـنـاتـهـاـ فيـ القـصـرـ. ولـذـلـكـ، وبـعـدـ اـسـتـشـارـةـ جـلالـةـ الإـمـبرـاطـورـ وـالـإـمـبرـاطـورـةـ السـابـقـيـنـ، أـصـدـرـ جـلالـةـ مـرـسـومـاـ يـقـضـيـ بـأـنـ يـسـمـحـ لـإـنـاثـ الـعـائـلـاتـ الـمـقـرـبةـ منـ القـصـرـ بـزـيـارـةـ بـنـاتـهـنـ فيـ الأـيـامـ الـتـيـ تحـمـلـ تـرـاتـيـباـ الرـقـمـيـنـ «ـإـثـنـيـنـ»ـ وـ«ـسـتـةـ»ـ⁽¹⁾ـ شـعـرـ جـمـيعـ أـفـرـادـ حـاشـيـةـ الـجـالـلـةـ الـعـالـيـةـ بـالـسـعـادـةـ مـنـ تـفـكـيرـ الإـمـبرـاطـورـ الـعـطـوفـ فـتـنـاقـشـواـ فـيـ ماـ بـيـنـهـمـ بـهـدـفـ إـصـدـارـ مـرـسـومـ يـكـونـ بـمـثـابـةـ تـمـمـةـ لـلـمـرـسـومـ الـذـيـ سـبـقـهـ فـقـالـوـاـ فـيـ اـقـتـراـبـهـمـ: طـالـماـ أـنـ الـأـسـرـ الـتـيـ تـحـظـىـ بـعـطـفـ الـبـلـاطـ وـرـعـاـيـتـهـ قـدـ تـمـنـعـ الـأـبـاءـ وـالـأـمـهـاتـ وـالـبـنـاتـ مـنـ

(١) أي وفقاً للترتيب: الثاني، السادس، الثاني عشر... إلى من الأيام حتى نهاية الشهر-من حيث أن التقسيم الذي يحمل الرقم سبعة لم يكن متبناً في التقليد الصيني.

استخلاص أقصى استفادة ممكنة من هذه الزيارات، فينبغي إصدار مرسوم يقضى على الأسر التي تكون في وضع يتطلب استقبال المحظية الإمبراطورية،⁽²⁾ الحصول على إذن للقيام بذلك. وافق الإمبراطور، وبدأت العائلات «تشو» و «وو»، وحتى عائلة يونغ كُو نفسها، وجميعها تحظى بالرعاية الإمبراطورية، بينما قصور تستحق رعاية وكفالة جاللة الإمبراطور نفسه.

قامت كاردินال سبرينغ في وقتٍ لاحق بإطلاق اسم تاكوان يوان⁽³⁾ على القصر الذي بُني في موقع حديقة نينغ كُوفُو، وعلى القسم الشرقي من يوونغ كُوفُو. كان قطره يبلغ حوالي ثلاثة «لي» ونصف، وكان يعبر من خلاله جدول يفصل ما بين قصرَي تشايا. وقد تم إزالة الجدار الذي يفصل القصرتين عن بعضهما البعض، وبُني واحد جديد من حول تاكوان يوان. كانت ضخامة العمل وكلفته كبيرة، ولكن ليس بحجم العمل المطلوب لو أنهم قد انطلقوا من لا شيء، كالبحث عن كل صخرة ومن ثم نقلها نزولاً من التلال، أو زراعة الأشجار الخاصة بذلك. ثم أن المخطط الأساسي لحديقة نينغ كُوفُو قد اختفى في جمال المخطط الجديد، بالإضافة إلى أن المخططيين والمهندسين الأذكياء في فريق عمل تشايا تشينغ، قد برعوا في وضع مخطط ناجح في استغلال ما هو موجود أصلاً من سرادق وأبراج وجبال اصطناعية وقاعات وأجنحة وشرفات...إلخ.

كانت مهمة الإشراف والمراقبة من مسؤولية كل من تشايا دجين وتشيا لين، بإرشادات وتوجيهات فريق كبير من المساعدين المهرة؛ من حيث أن تشايا تشينغ لم يكن لديه الوقت ولا المزاجية من أجل هذا النوع من التفاصيل. ومع إنجاز العمل البشري، فقد اجتمع عمل حرفياً الذهب والفضة، والزخارف التحاسية والقصدير،

(2) هي المرأة الخليلة المقربة إلى الإمبراطور، لكنها تأتي في المرتبة الثانية بعد الزوجة. لقد اشتهرت المحظيات في عصور الإمبراطوريات الصينية على نطاق واسع.

(3) مع أن «تا كوان» تعني حرفياً «مشهدأً، أو منظراً عظيماً»، لكنها تعنى هنا «الكمال». ولذلك يمكن ترجمة الكلمة «تاكوان كُيوان» بمعنى: «الحديقة الكاملة».

وغير ذلك من العناصر الضرورية لتجميل القصر الجديد، من أجل المباشرة في تشطيب الضرورات التجميلية النهائية للبناء الجديد الهائل.

كانت مهمة تجنيد وتجهيز فريق من الفنانات الشابات، وكذلك شراء كميات كبيرة من الحرير ، من مسؤولية تشاينا تشيانغ المفضلة لدى تشاينا دجين. وقد اختصت تشاينا دجانغ بالمسؤولية عن صائفي الذهب والفضة.

وبسبب هذه الأنشطة الضخمة والمعقّدة في يونغ كوفو، ترك باو-يُو لنفسه، وعفاه والده من أي أعمال بسبب اشغاله في دروسه التي تحتاج إلى قدر لا يأس به من التحضير. من البديهي أن يكون باو-يُو سعيداً بهذه الحرية، لو لم يتوف صديقه تشين تشيانغ خلال هذه الفترة.

الفصل الثالث عشر

وفيه يتعرّض باو-يو للمعاناة بسبب فساد بلاك دجاييد
ويُسمح له كاردينال سبرينغ بزيارة عائلتها بفضل
شهامة ابن السماء

وأخيراً، تم الفراغ من بناء تاكوان يوان. وفي أحد الأيام، ذهب تشيا تشينغ برفقة عدد من مُرافقيه ومساعديه، لإلقاء نظرة عليه واختيار الاسم المناسب الذي يجب حفره على الصفيحة الموجودة من فوق المدخل المؤدية إلى المبني والتجمعات السكنية، ولتأليف المقطعين الشعريين اللذين يجب وضعهما على الجانبين. لم تكن الكلمات التي سيتم تخطيّتها على الورق سوى نماذج مؤقتة على شكل الصفيحة والتي عُلّقت من أمامها؛ وكان الاختيار النهائي للأسماء من اختصاص الحاشية الإمبراطورية.

حدث أنّ باو-يو كان في الحديقة ذلك اليوم. وكان لا يزال حزيناً على فقدان صديقه تشين تشانغ، ومن إخراجه من حزنه، عملت سيدة المنزل على حثه للذهاب إلى الحديقة. سار حذراً من الاقتراب من والده، وأسرع من أجل تفادي أي مُباغته، لكنّ تشيا تشينغ رأه وطلب منه الانضمام إلى فريقه. شعر باو-يو بعدم الراحة لجهله بما الذي سيحدث. إلا أنّ المناسبة تحولت إلى فرصة سعيدة: فقد استمع الوالد إلى ثناء ومديح معلم باو-يو لمهاراته في تأليف مقطعين طبقيين من الشعر، وبدا أنه وقت ملائم للتجربة؛ تمكّن باو-يو من إثبات نفسه بشكل جيد: فقد تمت الموافقة على معظم مؤلفاته، وحتى أنه قد حصل على استحسان نوعي من والده

مبشرة هذه المرأة. ولذلك، كان تشييا تشينغ يشعر بسعادة داخلية غير ظاهرة على إنجاز ولده، لكنه وبالرغم من ذلك، أخبره بشيء من الحدة بأنّ عليه عدم تضييع وقته على هذه الأعمال الفارغة، والانصراف إلى الاهتمام بنوع المقالات المطلوبة من أجل الامتحانات.

بعد انتصار باو-يُو، اجتمع خدمه من حوله، وراحوا يهتئونه على الأداء الذي أبداه. وقالوا:

- «إنه لرائع الفوز ببناء ومديح لاو-يه. لقد علمت لاو تاي-تاي بأنك كنت مع لاو-يه، وسألت عن سير الأمور معك هناك. فأخبرناه بأنك في أفضل أحوالك. فلو أنّ الأمور كانت تسير بشكل عكسي معك، فقد كانت أرسلت في طلبك وإنقاذه من أي نوع من الإحراج. لقد سمعناهم يقولون بأنّ أبياتك الشعرية كانت أفضل من تلك التي كتبها الشعراء الكبار، ولذلك عليك أن تعطينا شيئاً تميز هذه المناسبة».

قال باو-يُو مُبتسماً، وقد ملأت قلبه الغبطة:

- «حسناً، سأعطي كل واحد منكم سلسلة من النقد».
- «ومن يهتم لهذا»، قال أحد الخدم، وأضاف: «نريد شيئاً ذكرى أكثر خصوصية وشخصية منك».

قال الخادم ذلك، وهو يشير إلى كُتل الزينة المعلقة على وشاح باو-يُو، وما ليث أنّ حذا جميع الخدم حذوه في ذلك—فما كان من باو-يُو إلا نزع كل الزينة الموجودة على الوشاح وتوزيعها عليهم. وبعد ذلك فقط، قاموا بمرافقته إلى الأم الحاكمة التي كانت، بلا شك، سعيدة كل السعادة لأنّ تشييا تشينغ لم يجد أي هفوة على ولده للمرة الأولى.

والواقع، أنها لم تكن المرأة الأولى التي يعود فيها باو-يُو إلى البيت من دون زينته. لكنه عندما عاد هذه المرة، تنتبه بيرثا يدينغ فريغرانس إلى عدم وجود الزينة لمجرد دخوله الغرفة، فقالت ملحةً:

- «إذن، سمحت لأولئك التعسae الوقحين بسلبك كل شيء من جديد».

عند سماعها لهذا، قالت بلاك دجايده له:

- «أعتقد أنك أعطيتهم الزخرفات التي صنعتها أنا لك أيضاً. فلا تنتظر مني أن أصنع لك المزيد منها أبداً، أبداً».

قالت ذلك، وقبل أن يحصل باو-يُو على فرصة للتوضيح، انصرفت إلى غرفتها، وبدأت بقص الزخرفات التي كانت تعمل عليها. إنزعج باو-يُو أيضاً؛ فحلّ أزرار ثوبه، وأظهر الكتل الزخرفية لتراءها بلاك دجايده، وقال:

- «هذه هي الزخارف التي صنعتها لي! وعليك أن تعلمي بأنني لن أسمح لأحد بأخذها مني».

خرجت بلاك دجايده من سلوكها الفظّ، لكنها كانت فخورة أيضاً لفعل ذلك أو لقول أي شيء من أجل استرضاء باو-يُو. في هذه اللحظة، أخذ الزخرفات ورمها لها، قائلاً:

- «لعلك نادمة على إعطائي هذه، فإذا كان هذا فعلاً ما تشعرين به، فما عليك إلا استعادتها».

عند هذا، بدأت بلاك دجايده بالبكاء، وكانت على وشك إتلافها، لو لم يعمل باو-يُو على سحبها من يديها في الوقت المناسب. لكنّ باو-يُو الجاهز دائمًا للمساعدة وتقبل اللوم بكل أشكاله في ما خص بلاك دجايده، بدأ يعمل بأفضل ما لديه من أجل تهدئتها واسترضائها.

وأخيراً، ألقت بلاك دجايده المقصّ أرضاً وقالت وقد اغروقت عينيها بالدموع:

- «لم تكن بحاجة لمضايقتي بهذه الطريقة، فإيمانكنا ترك بعضنا البعض منذ الآن».

ثم ارتمت على السرير وأدارت وجهها باتجاه الجدار. لم يكن من السهل صدّ باو-يُو واستمرّ يتسلّل إليها ويقعنها، حتى تراجعت في النهاية عن قرارها. ثم ما لبثت أن نهضت وقالت:

- «عليّ أن أترك هذه الغرفة، طالما أنك لم ترك لي لحظة من الهدوء والسلام».

قال باؤـيـو وقد ارتسـمت على وجهـه ابتسـامة مـفعـمة بالاعـذـار:

- «سأـبعـك أـينـما تـذهبـين».

لم تستـطـع بلاـك دـجـاـيد كـبـت مـرـحـها من تـوبـته وـمـظـهـرـه القـلـقـ. فـانـفـجـرـت ضـاحـكةـ، وـعـادـ الـوـئـام يـسـودـ ما بـيـنـ الـحـبـيـبـيـنـ، الـلـذـيـنـ بـدـيـاـ جـاهـزـيـنـ لـهـذـاـ النـوـعـ مـنـ الشـجـارـاتـ وـالـشـكـاوـيـ.ـ

عاد تـشـيـباـ تـشـيـانـغـ مـنـ سـوـشـوـ وـمـعـهـ كـمـيـاتـ مـنـ الـحرـيرـ وـفـرـيقـ مـنـ اـثـنـيـ عـشـرـ فـنـانـةـ مـعـ كـامـلـ التـجـهـيزـاتـ وـالـأـدـوـاتـ الـمـطـلـوـبـةـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ رـئـيـسـهـنـ الـمـسـؤـولـةـ عنـ إـلـاـشـرـافـ وـالـتـنـفـيـذـ، بـعـدـ أـنـ خـضـعـنـ لـتـنـفـيـذـ بـرـوـفـاتـ تـدـريـيـةـ فـيـ بـيـرـ فـرـيـغـرـانـسـ كـورـتـ، الـذـيـ كـانـ قـدـ أـخـلـيـ مـنـ هـسـوـيـهـ بـيـ-ـمـاـ.ـ وـبـالـمـقـابـلـ، فـقـدـ تـمـ تـجـنـيدـ اـثـنـيـ عـشـرـ رـاهـبـةـ بـوـذـيـةـ وـاثـنـيـ عـشـرـ رـاهـبـةـ طـاـوـيـةـ لـشـغـلـ قـصـرـ تـاكـوـانـ يـوـانـ بـعـيـثـ تـعـمـلـنـ عـلـىـ تـنـفـيـذـ الـصـلـوـاتـ وـالـشـعـائـرـ الـدـيـنـيـةـ لـلـحـاشـيـةـ الـإـمـبـراـطـورـيـةـ.ـ كـمـاـ تـمـ اـسـتـدـعـاءـ الـرـاهـبـةـ الـخـبـرـيـةـ بـيـاـوـيـوـ مـنـ أـجـلـ تـوـلـيـ الـمـسـؤـولـيـةـ.

مع وـصـولـ السـنـةـ الـجـدـيـدـةـ، كـانـتـ كـلـ التـحـضـيرـاتـ وـالـاستـعـدـادـاتـ قـدـ أـنـجـزـتـ.ـ وـعـنـدـ اـسـتـلـامـ طـلـبـ التـمـاسـ الـحـضـورـ مـنـ تـشـيـنـ تـشـيـنـغـ، اـخـتـارـ الـإـمـبـراـطـورـ الـخـامـسـ عـشـرـ مـنـ بـدـاـيـةـ الـفـرـةـ الـقـمـرـيـةـ، أـيـ فـيـ عـيـدـ الـفـوـانـيـسـ، لـزـيـارـةـ الـمـحـظـيـةـ الـإـمـبـراـطـورـيـةـ.ـ وـفـيـ الـيـوـمـ الـثـامـنـ، وـصـلـ كـبـارـ مـوـظـفـيـ الـبـلـاطـ مـنـ أـجـلـ إـلـقاءـ نـظـرـةـ تـفـقـدـيـةـ عـلـىـ قـصـرـ تـاكـوـانـ يـوـانـ، وـمـنـ أـجـلـ إـلـاـشـرـافـ عـلـىـ آـخـرـ التـحـضـيرـاتـ.ـ لـمـ يـنـمـ أـحـدـ عـشـيـةـ هـذـهـ الـزـيـارـةـ فـيـ كـلـ أـنـحـاءـ يـونـغـ كـوـفـوـ لـأـهـمـيـةـ الـحـدـثـ.ـ وـفـيـ الصـبـاحـ التـالـيـ وـقـبـيلـ الـفـجرـ، اـرـتـدـىـ جـمـيعـ أـعـضـاءـ يـونـغـ كـوـفـوـ زـيـ الـبـلـاطـ وـوـقـفـواـ يـنـتـظـرـونـ وـصـولـ الـمـحـظـيـةـ الـإـمـبـراـطـورـيـةــ فـيـ أـوـلـ الشـارـعـ وـقـفـ كـلـ مـنـ تـشـيـاـ شـيـهـ وـتـشـيـاـ تـشـيـنـغـ، وـوـقـفتـ سـيـدةـ الـقـصـرـ وـآـخـرـينـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـخـارـجـيـ مـنـ بـوـاـبـةـ يـونـغـ كـوـ.ـ انـقـضـىـ الصـبـاحـ، وـبـدـأـ الـجـمـيعـ يـشـعـرـ بـالـتـعبـ وـالـإـرـهـاـقـ، عـنـدـمـاـ وـصـلـ أـحـدـ مـوـظـفـيـ الـبـلـاطـ ليـقـولـ بـأنـهـ مـنـ غـيـرـ الـمـوـقـعـ مـغـادـرـةـ مـحـظـيـةـ الـإـمـبـراـطـورـ الـقـصـرـ قـبـلـ السـاعـةـ السـابـعـةـ مـسـاءـ.ـ عـنـدـ سـمـاعـ هـذـاـ، عـادـتـ الـأـمـ الـحـاكـمـةـ وـآـخـرـونـ إـلـىـ دـاخـلـ يـونـغـ كـوـفـوـ وـأـخـذـوـنـ قـسـطاـًـ مـنـ الـرـاحـةـ إـلـىـ حـينـ سـمـاعـ صـوتـ الـمـنـادـيـ الرـسـميـ فـيـ الشـارـعـ.ـ وـعـلـىـ الـفـورـ أـسـرعـ الـجـمـيعـ إـلـىـ

الخارج وأخذوا أماكنهم التي كانوا فيها سابقاً.

ويبنما كان الجميع يتظرون بصمت، وصل موظفين من القصر يسيرون على جoadيهما في الشارع ببطء. ثم نزلَا عن جoadيهما ووقفا ينظران إلى جهة الغرب - الجهة التي سيطر منها موكب المحظية. ولم يلبث أن أطلَّ اثنان آخران، ثم اثنان إلى أن أصبح المجموع يقارب العشرة أزواج أو أكثر. وسمع صوت فرقة آتية من بعيد، وسرعان ما أطلَّ موكب خاص بكتار موظفي البلاط الإمبراطوري، وهم يرفعون أعلام التنين، ومظلات طائر الفينيق، ومراوح احتفالية مصنوعة من ريش التدرج. ومن زوج من المباخر الذهبية المعلقة بالسلال، عبت الرائحة مع تصاعد كرة لولبية من الدخان إلى الفضاء. وما لبثت أن ظهرت مظلة صفراء ضخمة مزينة بسبعة رسوم لطائر الفينيق، ومن تحتها يجلس عدد من موظفي البلاط وهم يحملون أزياء المحظية الإمبراطورية الخاصة، وتبعهم مجموعة أخرى يحملون مجموعة متنوعة من المواد والأشياء التي قد تستعملها المحظية أثناء زيارتها. وفي النهاية، ظهرت عربة فيها كرسي مصنوعة على شكل سبعة طيور من الفينيق مُحاطة بتاج من الذهب يحملها سبعة من موظفي البلاط. ركعت سيدة القصر مع الآخرين، لكن المحظية الإمبراطورية أمرت مجموعة من الموظفين لرفعها عن الأرض. عند المدخل الثاني لقصر تاكوان يُوان، نزلت كاردينال سبرينغ من عربتها ودخلت القاعة، وبعد استراحة قصيرة، طلبت مرکباً صغيراً للتحرك في البحيرة في جولة للتمتع بمناظر الحديقة المدهشة. وبالرغم من أن الشتاء كان في متصرفه وكانت أشجار الخوخ والمشمش عارية، فقد تم تشذيب الفروع وتزيينها بالأزهار والأوراق الاصطناعية، كما أنها أضيئت بعدد لا يُحصى من المصايد، فبدت وكأنها في إزهار كامل. شعرت كاردينال سبرينغ بالغبطة؛ لكنها أسفت لشيء واحد فقط، وهو طريقة الإسراف التي حصلت فيها الزيارة.

تقدّم الموظف المسؤول عن الاحتفالات، وطلب منها الجلوس في مقعدها في قاعة الاستقبال الرئيسية. وبدأت على التوالي باستقبال: أولاً، تشيما شيء، تشيما تشينغ، وأعضاء قصور تشيما الذكور، ومن بعدهم سيدة القصر وإناث العائلة.

بعد تقديم الشاي لثلاث مرات متتالية، غادرت محظية الإمبراطور قصر تاكوان يوان، وانتقلت إلى يونغ كوفو حيث يوجد جناح سيدة القصر. ولرغبتها في إلقاء التحية على السيدة، وعلى مدام وانغ وعلى الآخرين بناء على الأولوية العائلية—لكن سيدة القصر لم تدعها تفعل ذلك.

كان هناك الكثير الذي يجب ذكره من كل جانب هنا، ولكن يختار المرء من أين يبدأ. وعلاوة على ذلك، فقد كان هناك العديد من العوائق الكبيرة التي لا يمكن تجاوزها، مهما تعدد المحاولات. فللحظات، لم يكن يسمع شيء في الغرفة سوى صوت البكاء. وفي النهاية، تسمّت المحظىة رغمًا عنها، وقالت:

ـ «إنها زيارتي الأولى للمنزل منذ أن أرسلتمني إلى ذلك القصر حيث لا أرى أياً منكم. علينا أن نفرح بدلاً من أن نبكي! ولا أعلم الآن، وربما إلى الأبد، متى أزوركم من جديد».

في هذه اللحظة، تم الإعلان عن بدء الاحتفالات في قصر تاكوان يوان. عادت المحظية الإمبراطورية ثرافقها سيدة القصر وآخرين إلى القاعة الرئيسية في الحديقة، حيث كان بإمكانها، ولو لفترة قصيرة، التمتع بالحياة العائلية. احتفظت خلال تلك الفترة القصيرة بكل الأسماء التي اقترحها باو-يُو لمختلف أنواع الأجنحة والقاعات. طلبت من أبناء عمومتها ومن باو-يُو تأليف بعض المقاطع الشعرية للاحتفال بالمناسبة ومنحت مرتبة الشف الأول، لكل من يوشوس، فه تشوه وبلاك دجاييد.

بعد الاحتفال اللوحة المسرحية، ذهبت المحظية الإمبراطورية إلى المعبد من أجل تقديم البخور والصلوات. وهناك، بكت كاردينال سبرينغ من جديد—إذ من الصعب عليها احتفال انسلاخها عن المكان، لكنها كانت تخشى التلاؤ، وخاصة أن قوانين البلات كانت صارمة.

الفصل الرابع عشر

وفيه تُشعل زبدية الكاسترد غيرة متوقّدة
وتكشف حفنة من البنسات شيء من الخسّة والدّناءة

بعد انتهاءها من الأنشطة المضنية التي تلزّمت مع زيارة المحظى الإمبراطورية، استقرت منازل تثيا تستعد للتمتع باحتفالات سعيدة لموسم رأس السنة الجديدة. كان هناك العديد من المسرحيات، واستعراضات الفوانيس، وألعاب حل الألغاز، والآداب، وزيارات الأصدقاء، وأذونات لأكثر الخدمات أفضليّة. من بينهن، كانت بيرفاديونغ فريغرانس، التي حصلت على الإذن لتمضية يوم مع عائلتها.

خلال غيابها، بدأت خادمات باو-يُو يتصرّفن ويلعبن على هواهن من دون رقيب أو حسيب. وحصل أن أقبلت راهبة باو-يُو القديمة لزيارتِه، واستاءت كثيراً من رؤية غرفته غير نظيفة، والأرض ملئة بقشور وبذور الشّمام، والخدمات مأخوذات باللّعب واللّهو. وهتفت تشكو ما ترى:

- «أنتن أيتها الفتّيات لقد تدلّلتن كثيراً منذ أن تركتُ الخدمة هنا. إنّ باو-يُو المصباح الطويل الذي يُضيء كل شيء إلا نفسه. نراه ينقد الآخرين على عدم ترتيبهم، ولكن لا يبدو أنه يلاحظ هذه الفوضى الموجودة في غرفته».

لم تعرّها الخدمات اهتماماً، لأنّها قد تقاعّدت من الخدمة ولا تملك عليهن أي سلطة. بالإضافة إلى أنهنّ كنّ قد اعتدن على تبرّمها وغضبها. استمرت العجوز تسأل عن أحوال باو-يُو، وعن شهيته في الطعام، ومتى يذهب إلى النوم وما إلى

ذلك من أمره التي كانت تهتم بها. أجبت عليها الخادمات بأسلوب مُقطع - كما
قالت اللواتي نفذ صبرهن منها:

- «يا للفضيحة التي تُحاول هذه المرأة العجوز التسبّب بها!»
في هذا الوقت، وجدت لي - ما زبدية كاسترد كان باو - يُو يحتفظ بها لـ بير فايدينغ
فرانس. قالت، وهي تشتهيها:

- «يا له من كاسترد لذيد! لماذا لا تعطوني ايهه أيتها الفتيات؟»
وما إن تناولت الزبدية، حتى حذرتها برايت ديزاين قائلة:
«أتركي هذه الزبدية من يدك، لقد طلب باو - يُو الاحتفاظ بها لأجل هسي -
جين⁽¹⁾ فلا تلمسيها، وإلا كوني مُستعدة من أجل تلقّي اللوم». أحست لي - ما بالضيق والحرج من هذا الكلام، وقالت:

- «لا أعتقد بأن يكون باو - يُو خالٍ من الكرم للدرجة أن يلومني لهذا، ولا حتى
على مجرد زبدية من الكاسترد.. فلا أعتقد بأنه سيقول شيئاً ولو فعلت
ذلك مائة مرة. لأنني موقة من أنه لن ينسى سريعاً بأنه قد رضع من صدرني
وهو صغير ولن يفضل هسي - جين على، وسترين ذلك».

أنهت كلامها، واستمررت تمدد يدها إلى زبدية الكاسترد.
حاولت ماسك مؤون، استرضاءها بلباقة أكثر، فقالت:

- «ما - ما بالتأكيد على حق. فلن يهتم باو - يُو للأمر، فإذا ما تأكد من أنه
تُحبين الكاسترد، فإنه لن يتأخر في إرساله لك».

- «لا تُحاولي مُمازحي»، قالت المُربية، إلا تعتقدين بأنني لا أعرف بأنه قد
تضايق من إخبار لاو تاي - تاي عن الشاي. لكنني لم أهتم. أخبريه فقط
بأنني أكلت الكاسترد، وسأكون مسؤولة عن النتائج..
بعد ذلك، أنهت زبدية الكاسترد وانصرفت.

(1) أي بير فايدينغ فريغانت.

في هذا الوقت، رجع باو-يُو على الفور، أرسل بطلب بيرثايدينغ فريغرانس. وبعد أن لاحظ برايت ديزاين مُستلقية على السرير، سأله:
- «هل هي مريضة، أم أنها أضاعت مبلغاً من المال؟»
قالت أوتومن سكاي:

- «كانت في المقدمة إلى أن وصلت الأرملة الكبرى لي، فصرفت الجميع بسبب تذمرها. ومنذ ذلك الوقت فقدت صوابها وهي الآن غير سعيدة بما حصل».

قال باو-يُو ضاحكاً:

- «عليك ألا تأبهي بها».

عند عودة بيرثايدينغ فريغرانس، سأله باو-يُو عن زبدية الكاسترد. فأخبرته الخادمات عما حصل. وحاول أن يقول شيئاً، لو لا أن قالت بيرثايدينغ فريغرانس على عجل:

- «إذن، هذا ما كنت تحفظ لي به. إنه لمن الجميل أن تفعل ذلك، لكنني قد تناولت الكثير من الحلوي، وقد أصابني عسر هضم بسبب ذلك. إنني سعيدة لأنها أكلته، وإنما كان ليفسد ويرمي دون أن يستفيد منه أحد».

في اليوم التالي، استيقظت بيرثايدينغ فريغرانس وقد أصابتها صداع متراافق مع حمى قوية. أرادات في البداية أن تنصرف لمزاولة مهامها كالمعتاد، لكنها عادت وارتأت أنه من الضروري الاستلقاء لشعورها بالتعب. أخبر باو-يُو الأم الحاكمة بالأمر، فأرسلت تستدعي الطبيب، الذي قال بعد فحصها، إنّ مرضها لا يعدو كونه رشحاً وسوف تتحسن بعد تناول القليل من العقاقير التي وصفها لها - ووقف باو-يُو يُراقب عملية تحضير الدواء، وشاهد الخادمة تأخذه. وبعد أن اطمأن إلى حصولها على الأغطية الكافية من أجل تسهيل عملية إفراز العرق، ذهب لرؤيه بلاك دجاييد. وبعد التحدث إليها قليلاً، دخلت عليهما بريشوس فيرسوس. لكنها بالكاف تجلس، حتى سمعوا جميعاً ما يُشبه التمتمة في غرفة باو-يُو.

قالت بلاك دجاييد:

- «يبدو وكأنَّ مُربِّتك لي ما توبخ هسي-جين. إنَّ هذه الخادمة لطيفة معها، لكنَّ لي ما دائمة الضغط عليها—أحياناً تكون العجائز صعبة المراس». وعندما هم باو-يو بالذهب إلى غرفته ليり ما الذي يحصل، حذرته بريشوس فيرتشو قائلة:

- «لا تدخل في أي نقاش معها، يجب أن تكون مرحًا معها طالما أنها تكبرنا بسنوات».

قال باو-يو، وهو يعلم بأنَّه لا يستطيع أن يقف إلى جانب الخادمة ضد مُربِّتها:
- «أنا أفهم ذلك».

عندما وصل باو-يو إلى غرفته، كانت لي ما لا تزال توبخ بيرفایدینغ فريغرانس. سمعها تقول:

- «إنك عاهرة صغيرة ناكرة للجميل. لقد أصبحت تتجاهليتي كلَّياً الآن، حتى أنك لا تقفين لتحيتي عندما أدخل. أعرف بأنك كنت تقولين أشياء ضدَّي لـ باو-يو وحرْضتي علىَّ. فهو لا يُصغي الآن إلا لك»—فمن تعظين نفسك؟ فأنتِ لستِ سوى عبده تم شراؤها ببعض قطع من الفضة. فإذا لم تُحسني التصرف، فسوف أطردك وأزوجك بعيداً عن هنا، ولنرى كيف ستغويين وتختفين باو-يو عندها».

في البداية، ظنت بيرفایدینغ فريغرانس بأنَّ لي ما غاضبة لأنَّها لم تنهض لتحيتها، فقال موضحة:

- «أنا لست على ما يُرام، وكانت أحاوِل التعرّق. فلم أنتبه لدخولك ورأسي مُغطى بالكامل».

ولكتها فيما بعد، لا سيما عندما اهتمتها لي ما بغوایة باو-يو وتحریضه عليها، شعرت بالذل وانفجرت بالبكاء.

بالرغم من تصميم باو-يو بعدم اتخاذ جانب بيرفایدینغ فريغرانس، لكنَّه أحسن بأنَّه غير قادر على توجيه أيَّ كلمة لها. فأخبر مُربِّتها، بأنَّها هي فعلاً مريضة وليس على ما يُرام وتناول الأدوية من أجل ذلك. وقال لها مؤكداً:

- «إِذَا كُنْتِ لَا تُصْدِقِينَ مَا أَقُولُ، فَبِإِمْكَانِكَ التَّأْكِيدُ مِنْ بَقِيَةِ الْخَادِمَاتِ». لم تقنع المُرْبِية بما سمعت، بل ازدادت حنقاً. وقالت بعصبية:

- «إِنَّكَ دَائِمًا تَقْفِي إِلَى جَانِبِ هَذِهِ الْثَّالِبِ». لقد نسيت كل ما فعلته من أجلك. وحتى لو حاولت أن أسأل الخادمات الأخريات عما يحدث هنا، فسوف يقلن أي شيء لإنقاذك أنت وهسي-جين. إنني أعرف تماماً حيلك وخدعك، وكم أتمنى أن تذهب معي لمواجهة لاو تاي-تاي وإخبارها بالذي كان يجري هنا. لقد ربيتك على صدري، والآن لا تحتاج إلى أبداً - لقد نبذتني جانباً من أجل هذه الثالب».

وما أنهت كلامها حتى انفجرت في البكاء هي أيضاً.

في هذه اللحظات، دخلت بلاك دجاييد مع بريشوس فيرتشو إلى الغرفة. وشرعوا بمحاولة تهدئتها قائلتين لها بأنها الأكبر سنًا والأكثر حكمة من الجميع، ولا بد من أن تتجاهل هذه الأشياء التافهة. ونتيجة لذلك، بدأت لي ما بتعداد أسباب أحزانها؛ فأخبرت الجميع عن قصة الشاي، وعن الكاسترد وغير ذلك من الأشياء المؤسفة التي وقعت لها.

حدث في هذه الأثناء أن كانت فينيكس في غرفة السيدة تُجري الحسابات، وتعمل على تسجيل الخسائر والأرباح. وحينما تناهى إلى سمعها ما يحصل في غرفة باو-يو، أدركت بأنّ لي ما قد عاودتها أزمتها بسبب الخسارة التي مُنيت بها في لعبة الورق وأنّها لا تزال متعرّكة المزاج. وعلى الفور تحركت فينيكس إليها، فأمسكت بيدها وقالت:

- «لا تتأسي أو تتركي الغضب يُسيطر عليك، ما-ما. إنه وقت رأس السنة الجديدة، وأنت تعلمين ذلك، ولاو تاي-تاي في أحلى ظرافتها اليوم. فبدلاً من تفقدني مزاجيتك بهذه الطريقة، عليك أن تكوني مصلحة عندما يتشارج الجميع. أعرف أنك لا ترغبين في إفساد يوم لاو تاي-تاي، أليس كذلك؟ فإذا ما حاولت أي واحدة إغضابك، فما عليك إلا إخباري، وسترين كيف سيكون عقابي لها. والآن، لدى ما تشتهيه من لحم الدراج المطهي، فتعالي

معي واحصلني على البعض منها».

أطلق الجميع تنهيدة من الأعماق وتنفسوا الصعداء حينما أنهضت فينيكس المُرية العجوز وأخذتها معها. قال باو-يوّ بعد مغادرتهما:

- «كان من المناسب، لا بل من الجيد، مجيء فينيكس إلى هنا، وإلا من كان سيعرف إلى متى ستستمر هذه العجوز في ثورتها. لا بد من أن أحداً قد تسبب لها بمشكلة ما حتى صبت جام غضبها على هسي-جين».

لكن برأيت ديزاين، ويسبب نفحة الغيرة التي شعرت بها على التعاطف التي أبدته الخادمة الأخرى، قالت وهي تُحدّق بها:

- «لا أستطيع التفكير بأحدٍ آخر يمكن أن يكون قد تسبّب لها بالغضب، فلو كنت أنا السبب، لما توانيت عن تحمل المسؤولية بدلاً من تركها تصب غضبها على الآخرين».

لم تشاًبِر فايدينغ فريغرانس الرد بالمثل، ولم ترد أن تصايق باو-يوّ أكثر. ولكن، حان في هذا الوقت موعد الدواء، فقام باو-يوّ شخصياً بإعطائه إلى بير فايدينغ فريغرانس.

بعد أن فرغت من تناول الدواء، قالت تُخاطبه:

- «من الأفضل أن تكون الآن في غرفة لاوْ تاي-تاي، من أجل الغداء سواء أكنت جائعاً أم لا. وسوف أحاول أن آخذ قيلولة أثناء غيابك».

فعل باو-يوّ ذلك، لكنه عاد فور انتهاءه من تناول الغداء، بسبب انشغاله بما قد تكون عليه بير فايدينغ فريغرانس في غيابه؛ فشعر بالإرتياح عندما رأها تنام ملء عينيها.

في هذا الوقت، غادرت برأيت ديزاين مع الخادمات الأخريات من أجل لعب الورق والتسلية بأمور أخرى. وكانت ماسك موون لا تزال لوحدها في الغرفة الخارجية تلعب السوليتيير. فسألتها باو-يوّ:

- «لماذا لم تذهبي معهن؟»

قالت مُتحسّرة:

- «لأنني لا أملك المال».
- «وماذا عن كومة المال الموجودة تحت سريرك، سألهما باو-يُو بنوعٍ من الغرابة، مُضيفاً: «ألا يكفيك ذلك؟»
- أجابته مُستهجنة:
- «لا بد من بقاء أحدٍ هنا للمرأبة».
- قال باو-يُو في سرّه: «إنها أشبه ما تكون نسخة طبق الأصل عن هسي-جين». ثم قال يُخاطبها:

 - «إذن، يمكنك الذهاب ومشاركتهن اللعب».
 - «حسناً، طالما أنت هنا، فسأبقى معك أنا أيضاً من أجل تسلیتك».

- قال باو-يُو مُستغرباً جوابها:

 - «وما الذي سنفعله؟ افترضي بأنني أريد أن أمشط لك شعرك، ألم تقولي بأنك قد شعرت بحكة في رأسك هذا الصباح؟»
 - «حسناً»، قالت ماسك موون ذلك، ثم ما لبثت أن أحضرت علبة أدوات زيتها، وأفلتت شعرها.

- وما كاد باو-يُو أن يشرع بتمشيط شعرها، حتى دخلت برايت ديزاين لتأخذ المزيد من المال. وحينما شاهدت ما يفعله باو-يُو، قالت بنوع من السخرية:

 - «ماذا! تُمشط لها شعرها في حين أنك لا تأبه حتى لتبديل أ��واب زفاف».
 - قال لها باو-يُو ضاحكاً:

 - «تعالي أنت أيضاً وسأمشط لك شعرك مثلها».
 - «أنا لست أهلة لهذا الشرف»، قالت برايت ديزاين هذا، وأخذت القليل من المال وخرجت من جديد.

 - نظر كل من باو-يُو وماسك موون إلى بعضهما البعض في المرأة وضحكتا. ثم قال باو-يُو:

 - «من المؤكد أن لديها لسان سليط».

في هذا الوقت، تتبه باو-يُو إلى إيمائة ماسك موون له بعدم الكلام، ولكن بعد فوات الأولان—فلم تلبث برايت ديزاين أن اندفعت عائدة إلى داخل الغرفة وهي تقول:

- «ما الذي تعنيه بقولك أَنْتِي ذات لسان سليط؟ ما الذي دفعك إلى قول هذا، أريد أن أعرف؟»

- «عودي إلى لعيتك»، قالت لها ماسك موون، مُحاولة صرفها عن التسبب بأي سوء تفاهم، وأضافت: «لا تأبهي له، هيا عودي». ردّت عليها برايت ديزاين حانقة:

- «تحاولين حمايته، إيه؟ فلن تستطعي خداعي بحيلتك التافهة. فلسوف أعود إليكما أنتما الاثنين بعد أن أربع ما خسرته من المال».

شعرت بيرثايدينغ فريغرانس في اليوم التالي بتحسن كبير، بعد أن تصيبت منها كمية لا بأس بها من العرق خلال الليل. أحس باو-يُو بالراحة لذلك، وفي فترة ما بعد العشاء، ذهب لزيارة هسوبي بي-ما.

في تلك الأثناء، كانت بريشوس قيرتشو وأوريول ولوتوس يلعن الداما مع تشيابا هوان وشقيق باو-يُو ومع خليلة تشيابا تشينغ-تشاو بي-نيانغ. كانت بريشوس قيرتشو دائماً تُعامل تشيابا هوان باهتمام بالغ، وهكذا، عندما وصل وأراد المُشاركة في اللعبة، قامت على الفور بإفساح المجال له. وقبل بدء اللعبة، أتفق الجميع على الرهان: عشر قطع من الفضة عن كل لعبة. ربح تشيابا هوان اللعبة الأولى وكان سعيداً جداً بذلك—لكنه سرعان ما خسر في عدة لعب متتابعة وبده يشعر بالخيبة وعدم الرضا. عند هذه النقطة بالذات، فكر بأنه سيربح لو رمى «سبعة» أو «ستة»، لكنه سيخسر لو رمى «ثلاثة». ومن أجل ذلك، حمل النرددين ورمى بهما بكل قوته. استقر حجر النرد الأول وأظهر «إثنين»، بينما كان لا يزال النرد الثاني يدور. صرخت أوريول للرقم «واحد»، بينما كان تشيابا هوان يهتف برقمين: «أربعة» أو «خمسة». إلا أن النرد توقف مُظهراً الرقم «واحد».

شعر تشيابا هوان بالخيبة، فأمسك بحجر النرد ورمى بغضب، مُصرّاً على أنه كان «أربعة». قالت أوريول بحدة:

- «لا أبداً، كان الرقم «واحد» واضحاً».

لكن بريشوس فيرتشو، التي لاحظت علامات اليأس على وجه تشايا هوان، رمت أوريول بنظرة تحذير، وقالت:

- «إنكِ تنسين نفسك. فهل يعقل أن يعمل سيد جليل على غشك من أجل بعض قطعٍ من الفضة؟»

تركت أوريول المال، لكنها راحت تُتمم بينها وبين نفسها بأنها لم تظن أبداً بوجود أحد من الأسياد يهدف إلى خسارة مفتولة لخادمة من أجل حفنة من المال. ثم قالت:

- «لو كان باو-يُو لما فعل هذا أبداً— فهو لا يأبه أبداً لأي خسارة، بل أنه كان ليعطي الخادمات كل ما يتبقى معه من مال فور انتهاء اللعبة». قال تشايا هوان بنفور:

- «كيف تُمكن مقارنتي بـ باو-يُو؟ إنكَ جميعاً تقفر إلى جانبه وتقصدني، لا شيء إلا لأنني لست ولدًا من أولاد تاي-تاي».

دخل باو-يُو الغرفة عند هذه النقطة بالذات، وسأل عن المشكلة. مسح تشايا هوان عينيه ولم يقل شيئاًً ذلك أن القاعدة الضارمة في عائلة تشايا، كانت تقول بأنه على الأخ الأصغر في العائلة أن يخضع للأخ الأكبر ويُبدي له الاحترام دون تردد. وبال مقابل، فإن باو-يُو لم يكن في وارد ممارسة سلطته أو طلب الخضوع له من أي نوع كان. مع العلم، بأنّ باو-يُو كان يعامل تشايا هوان باهتمام بالغ، لأنّه لم يكن يرغب في إشعار أخيه غير الشقيق بأنه في موقع أقل اعتباراً منه. لكنه شعراليوم بالغثيان من سلوك تشايا هوان غير اللائق - وفي الوقت نفسه، كان مدركاً مدى دبلوماسية بريشوس فيرتشو في هذه الأمور. فلم يكن بإمكانها تبرير سلوك تشايا هوان، ولا إعطائه سبباً لإرضائه؛ وانطلاقاً من ذلك، قام باو-يُو بتوبیخ تشايا هوان وصرفه.

حينما عاد تشايا هوان إلى غرفة والدته، لاحظت على الفور مسحة الحزن على محياته، وسألته:

- «من داس عليك هذه المرة؟»

راح تثبيا هُوان يشرح لها موجز الحادثة، وعندما، لمحته بنظرة استغراب واشمئزاز، وتابعت تقول:

- «ومن قال لك بأن تقفز هذه الفففة العالية؟ إنه حقاً لشيء مُشين يدعوا إلى الخجل. فهل أنت مُجبر على الذهاب إلى الأماكن التي لا تُرحب بك، وتتلقي وصمة عار على أنفك؟»

حدث في هذه اللحظة أن كانت فينيكس تمر بالقرب من النافذة، وسمعت ما كانت تقوله تشاو بي-نيانغ. فتوقفت على الفور وأطلت من النافذة وقالت:

- «هذه ليست الطريقة المناسبة للحديث بها في الشهر الأول من السنة. فهو ليس إلا طفلاً، وما عليك إلا مُعاتبته بالزفف إذا ما أرتكب أي خطأ، بدلاً من مُخاطبته بهذه اللهجة الفجة. عليك أن تفهمي قبل كل شيء بأنه لا ويه وابن تاي-تاي، ومن أجل ذلك فقط عليك بتأديبه وتعليمه. وما يهمك من كل ما يفعله؟ تعال معى يا أخي هُوان». أطاعها تثبيا هُوان على الفور، كما يفعل عادة برهبة حضور فينيكس، وحتى أكثر من مدام وانغ؛ ولم تقل تشاو بي-نيانغ أي كلمة بعد ذلك.

قالت فينيكس توبخ تثبيا هُوان وهما يقتربان من غرفتها:

- «لقد قلت لك مراراً وتكراراً بأن تحسن من سلوكك. فكيف تتوقع من الآخرين احترامك إذا لم تفعل شيئاً سوى الحطّ من قدرك؟ قل لي، كم خسرت من القطع النقدية؟»

أجابها تثبيا هُوان بلهجة حذرة:
- «حوالى المئتين».

ردت عليه بنبرة مفعمة بالاشمئزاز والغرابة:

- «كل هذه الجلبة من أجل مئتي قطعة؟ وأنت سيداً لا بل فينبع-يز! ثم نادت إحدى خادماتها، وقالت لها بلهجة الأمر:
- «إذهبي وأتنبي بألف قطعة نقدية في الحال».

أعطت تشيما هوان هذا المبلغ من القطع النقدية وصرفه، وهي تحذره من أنها ستضربه على قفاه إذا لم يحسن من سلوكه وتصرفاته.

في هذه الأثناء، تلقى كل من باو-يو وبريسوس فيرتشو، خبراً بأنَّ ريفر ميست، ابنة أخت سيدة المنزل الكبرى، قد وصلت في زيارة للعائلة⁽²⁾. وسارا معًا إلى غرفة الأم الحاكمة من أجل الترحيب بالزائرة الجديدة. وهناك شاهدا ريفر ميست تضحك وتحدث كعادتها. كانت فتاة مُسترجلة، تسأَ كل من تكلَّمهم بطريقة كلامها المنفتحة الصريحة ومزاحها الذي لا يتوقف. كانت الآن الأكبر سنًا، لكنها ما زالت تتصف بروح أكثر حيوية من كل الشابات الأخريات في يونغ كوفو.

عندما رأت بلاك دجاييد، التي كانت موجودة، باو-يو، سأَلته:

- «أين كنت طوال هذه المدة؟»

- «كنت في غرفة باو-تشي-تشي».

- «إذن هذا هو الأمر»، قالت بلاك دجاييد بمرارة، وتتابعت: «ولَا لكنت هنا منذ وقت طويل».

قال باو-يو:

«لا ثريدين مي تجاهل أحد، أليس كذلك؟ ليس هناك من حاجة لأن تكوني تهكمية لهذه الدرجة، فقط لأنني جالستها فترة قليلة».

- «لست أدرى عما تحدث»، قالت بلاك دجاييد، وتتابعت مُضيفة: «فما همتني أين تذهب؟ فأنا لا أتوقع منك شيئاً. ولا أهتم أيضًا، إذا ما أتيت لزيارة أم لا».

وما لبثت أن أنهت كلامها، حتى انصرفت عائدة إلى غرفتها. إلا أنَّ باو-يو لحق بها وراح يكلِّمها بنوع من التملق:

- «لماذا جُننتِ بشكلٍ مفاجئ؟ حتى ولو قلتُ لك ما يغضبك، ما كان يجب

(2) هذه هي الطريقة التي تم فيها تقديم ريفر ميست (أو هسبانغ-يون) إحدى «خدمات تشيلينغ الإثنى عشرة».

أن تغادري بهذه الطريقة الفظة وفي الغرفة زائرة جديدة».

قالت بلاك دجايدي بنبرة تحذف:

- «هذا ليس من شأنك».

- «طبعاً ليس من شأنني»، ردّ عليها باو-يو مُحاولاً استرضائهما، وتابع: لكنني لا أريدك أن تؤذني نفسك ويعود إليك المرض من جديد».

- «وما همك لو مرضت من جديد؟ فهذا لا يعنيك حتى ولو مت».

- «وهل عليك أن تتكلمي بهذه الطريقة، قال باو-يو مُحاولاً تهدئها، وتابع: إنها فترة الشهر الأول من السنة، وبالرغم من هذا، تحذّرين عن الموت».

قالت وقد ازدادت حدة:

- «سأقول ما أريد. مَوْتٌ، مَوْتٌ، مَوْتٌ!»

وصلت عند هذه اللحظة بـ شوش . في تشه وأخته ياؤ-يُهُ يأنَّ ريش مست

كانت تسأل عن مشكلتك. ثم جئت ياؤ-يو من يده وقالت:

- «هنا تعال معـ الآن».

عند ذاك، أزداد غضب بلاك دجاي وبدأت بالبكاء. وفي وقت لاحق، عاد باو.

يُؤْمِنُ إِلَيْهَا فَوْجِدَهَا لَا زالت تَكُونُ ، فَحَاوَلَ جَاهِدًا أَسْتَرْضِيَّاً وَالْتَّخْفِيفَ عَنْهَا.

قالت له:

«وما الذي دعاك إلى العودة؟ وما همك أنت أموت أو أعيش! فلديك الكثير من الأشخاص لتتسلّى وتلعب معهم، أشخاص أكثر ذكاء وأهمية مني، أشخاص يقلعون عليك أكثر—ومن يدري متى أُنفك من أحد موافقك الغضة آتاهَا».

وفي النهاية، قال لها باو-يؤ بشيء من الجد:

وبذلك، تأتين أنت في المرتبة الأولى. لقد تربينا فعلياً معاً -أكملنا على الطاولة نفسها، ونمنا في الغرفة نفسها. فكيف تحسين بأنني أقرب منها إليك؟»

- «وهل تعتقد حقاً بأنني غضبت لأنك تهتم بها أكثر مني؟ لست بهذه البساطة أو السذاجة كما تظن، إن المشكلة هنا في قلبي».
- «الشيء نفسه يحدث معى»، قال باو-يو، وتتابع: «عليك أن تفهمي ما الذي يجري لقلبي أنا أيضاً».

صمتت بلاك دجاييد لوهلة، ثم عادت تقول:

- «لكنك دائماً ما تقوم بأشياء تستفزني. فالاليوم مثلاً، بارد جداً وأنت لا تُريد أن ترتدي معطفك».
- «لقد كنت أرتديه»، قال باو-يو، وتتابع مُبتسماً:
 - «لكنني انفعلت عندما رأيتكم غاضبة وخلعته».
 - «وهكذا ستصاب بالرشح، وتتسبب بالقلق للجميع».

بعد ذلك، دخلت ريفر ميست التي تبقى دائماً مع بلاك دجاييد، أثناء زيارتها، وعندما رأت باو-يو مع بلاك دجاييد، مازحتهما قائلة بأنها كانت تستحق الاهتمام قليلاً في يومها الأول من الزيارة. أما بلاك دجاييد، فقد سخرت من عادة ريفر ميست في اللئع أثناء الكلام. ثم دخلت بريشوس فيرتشو، وتحدث الجميع وتسامروا ضاحكين إلى حين اجتمعوا للغداء على سفرة الأم الكبيرة.

الفصل الخامس عشر

وفيه يكشف باو-يُو عن إحدى عاداته الغريبة
ويكشف شيئاً لين الأنواع الشائعة من نوع فشله

استيقظ باو-يُو باكراً في صباح اليوم التالي، وانطلق مسرعاً إلى جناح بلاك دجاييد، حيث وجدتها هي وريثر ميست لا تزالان في السرير تغطّان في نوم عميق. كان الغطاء مشدوداً بشكل مريح من فوق كتفين بلاك دجاييد، لكن كتفين ريثر ميست كانوا مكسوين. فقال في نفسه: حتى أنها لا تستطيع النوم بشكل صحيح، لو أن هناك تيار هوائي فلسوف تشكو من آلام كتفيها من جديد. وما إن حاول رفع الغطاء من فوقها، حتى صحت بلاك دجاييد وسألته عما يفعله في الغرفة من الصباح الباكر.

ردّ باو-يُو:

- «باكراً إنهمسي بنفسك وانظري إلى الوقت كم هو الآن».

قالت له على الفور:

- «أخرج من الغرفة إذن، ودعنا نرتدي ثيابنا».

خرج باو-يُو إلى غرفة الجلوس، بينما أيقظت بلاك دجاييد وريثر ميست. وما إن ارتدتا ثيابهما، حتى انضم إليهما باو-يُو من جديد، وجلس بالقرب من منضدة الزينة يشاهدهما وهما تغسلان وجهيهما وترتّبان هندامهما. عندما انتهت ريثر ميست من غسل وجهها، وحملت الخادمة الماء لترمييه خارجاً، استوقفها باو-يُو قائلاً:

- «عليّ أيضاً أن أغسل وجهي بالماء نفسه. فليس من داعي للإسراف بالماء».

وسيصبرني ذلك حتى أعود إلى غرفتي».

لم تندفع الخادمة بعدر باو-يو الشكلي، لكنها اكتفت بهز رأسها قائلة:

- «لا يزال باو-يو كما هو. متى تنوي فتح صفحة جديدة؟»

بعد انتهاء ريفر ميست من تصوية شعرها، طلب منها باو-يو ترتيب شعره، وبعد فترة من التملق، فعلت له ذلك دون تردد. وبينما كانت ريفر ميست مشغولة بهندامها، لعب باو-يو بكل الأشياء التي كانت على طاولة الزينة. ثم وصلت يده إلى علبة أحمر الشفاه، فرفعها وهو يتساءل ما إذا كان بقدوره تذوق القليل من دون معرفة ريفر ميست. ولكنها عندما رأت في المرأة ما ينوي فعله، نزعت العلبة من يده وهي تقول:

- «ما هذا السلوك المثير للإشمئاز! ألن تُغيّر من تصرّفاتك أبداً؟»

دخلت إلى الغرفة في تلك اللحظات بيرثيو بيرثيو فريفرانس، ولما أحسست بأنّ باو-يو لا يحتاج إليها في الوقت الحاضر، انصرفت إلى غرفتها لتهتم هي الأخرى بهندامها. وسرعان ما مرت بها بريشوس فيرتشو، وعندما سألت الخادمة عن مكان وجود باو-يو، أجابتها بيرثيو بيرثيو فريفرانس وقد ارتسمت على مُحياتها ابتسامة خبيثة:

- «من النادر أن تجده في غرفته هذه الأيام..».

فهمت بريشوس فيرتشو ما قصدته بيرثيو بيرثيو فريفرانس بجوابها، لكنّها صمتت ولم تقل أي شيء. لكنّ الخادمة استمرّت في الكلام:

- «ليس هناك من خطأ في صدقة أبناء العمومة، إلا أنّ هناك حدوداً لكل شيء. فهذا النوع من الألفة في الليل النهار لن يسلم دائماً. ولكن لا فائدة من الحديث مع باو-يو حول الموضوع. إنّ هذا النوع من النصائح قد أصبح بالنسبة له أشبه بسمة هواء تمز بالقرب من أذنه..»

أعجبت بريشوس فيرتشو بـ ملاحظات بيرثيو بيرثيو فريفرانس، وجلست تُحاذثها لفترة من الوقت، تسأّلها عن عائلتها، وترسّح لها وجهة نظرها في العديد من المواضيع. وهكذا ازدادت إعجاباً ببراعتها وبطريقة تفكيرها، لا سيما عندما عرفت المزيد عنها. لم تُغادر بريشوس فيرتشو الغرفة إلا بعد عودة باو-يو إلى البيت في

وقت لاحق، حيث نهضت وانصرفت من دون أن تتبادل معه حتى التحيات. عندما

شعر باو-يو بما بدر منها، سأله بيرفایدینغ فريغرانس:

- «لماذا خرجت باو تشي-تشي بهذه الطريقة المفاجئة؟ لقد كنتِ تجرين حديثاً رائعاً معها».

لم تردد بيرفایدینغ فريغرانس عليه حتى أعاد تكرار السؤال على مسامعها من جديد. ثم ما لبثت أن ردت ببرودة واضحة:

- «ولماذا تسألني أنا؟ فكيف لي أن أعرف ما الذي يدور بينكمَا أنتما الإثنين؟» بعد أن لاحظ باو-يو التغيير المفاجئ في نبرة صوتها، قال باو-يو بلهجة توفيقية: «ما الذي جعلك تغضبين من جديد؟»

أجبت بيرفایدینغ فريغرانس بشيء من الهدوء:

- «ولماذا لا يفترض بي أن أغضب؟ لا تأتي إلى هنا مرة ثانية أبداً. فلديك أناس آخرين يتظرونك، ولست بحاجة إليَّ بعد الآن».

قالت ذلك، ثم استلقت على الكانغ، ولم تعد تُغير باو-يو أذني اهتمام. وفي النهاية، ملأ من تكرار مراضاتها والتملق لها، فغادر إلى سريره واستلقى عليه. وبعد أن فكرت بيرفایدینغ فريغرانس بأنه قد نام، نهضت لتلقي عليه الغطاء، لكنه طرحت بعيداً متجاهلاً وجودها. أثارها هذا التصرف فقالت:

- «من المفترض ألا تغضب. من الآن وصاعداً سألعب دور الصماء ولن أتفوه بأي كلمة، إذا ما كان ذلك يعجبك».

قال باو-يو متسائلاً:

- «ولكن ما الذي فعلته؟ لا تهمني ملاحظتك، ولكن لا أحب أن أبقى في حيرة من أمري - فلم تخبريني أبداً عن السبب».

قالت الوصيفة:

- «إنك تعرف تماماً ما السبب».

ومن جديد، قطعت سيدة البيت الحديث بدعوتها الجميع إلى مأدبة الغداء.

عندما عاد باو-يو إلى غرفته الخاصة، كانت بيرثا يدينغ فريغرانس تستلقى على السرير، وكانت ماسك موون تلعب السوليتير. لم يهتم بأيٍ منها، لا سيما وأنه كان يعلم مدى تفاهمها. نهضت ماسك موون من مكانها ولحقت به ل تستطلع حاجاته، لكنه دفع بها خارجاً وهو يقول:

- «لا تزعجيوني، لا أريد أن أتسبب بالمشكلات».

قرر باو-يو أن يحافظ على رباطة جأسه، بحيث لا يترك أي نوع من الاستفزازات أو النصائح السخيفة التي ستوجهها إليه خادمته الرئيسة تؤثر في مزاجيته. فإذا لم يكن قادراً على إثبات نفسه كسيد ويطلب إليها السكوت، فعليه، على الأقل تجاهلها ولو لدقائق لكي تتأكد هي والأخريات بأنه مُستاء وغير سعيد. وهكذا، بدأ في كل أمسية يقرأ مُتجاهلاً بيرثا يدينغ فريغرانس أو حتى ماسك موون.

لم يكن باو-يو من النوع الذي يحمل الضغينة لوقت طويل. عندما استيقظ باكراً في اليوم التالي، كان قد نسي كل ما كان من سوء فهم بينه وبين بيرثا يدينغ فريغرانس في الأمسية السابقة. لكن الوصيفة لم تكن مُستقرة، وكانت قد نامت بشبابها مُستلقية على السرير فوق الغطاء. وما كان من باو-يو إلا أن يوّقظها لتغيير ملابسها وتنام من جديد تحت الغطاء. عند ذلك، قالت الوصيفة:

- «لا تُشغل نفسك بي، ولكن أسرع للإغتسال قبل فوات الأوان».

بعد ذلك، راحت توضح له أسباب غضب بيرثا يدينغ فريغرانس وتناقشها الحاد معه. وقد استدرك، بالطبع، أنَّ الخادمة تُجاججه بولاء، وقد بدا له بأنَّها رائعة ومُحبوبة حتى في نكدها أكثر من ذي قبل. ثم تناول دبوس شعر من اليشم وكسره إلى قطعتين وقال:

- «ليفعل بي الله مثل هذا الدبوس إذا ما تسببت لك بأي شيء يغضبك أو بأي شيء قد يدفعك إلى التذمر».

قالت الخادمة وهي ترفع قطعتي الدبوس عن الأرض:

- «وهل يفترض بك أن ترمي هذا اليمين؟ وفي أول الصباح أيضاً؟»

قال باو-يو بنبرة ندم:

- «ليست لديك أدنى فكرة كم أكون مُتضايقاً حينما أراكِ غاضبة».

- «أنت مُتضايقٌ إذن!»، قالت بيرثايدينغ فريغرانس تعترض وهي تتأمله بالكامل، وتابعت تقول: «وماذا عنّي؟ لقد ارتديت جيداً الآن، واعتنيت بهندامك. أعتقد بأنّه قد حان وقت ذهابك إلى لاف تاي-تاي».

عرف باو-يو وهو في جناح سيدة المنزل، بأنّ تشيلا تشي، إبنة فينيكس، قد أصبت بمرض الجدري. وكانت فينيكس مُنشغلة بالتدابير والمحاذير الواجب اتخاذها في مثل هذه الحالات. وفي هذا الإطار، تم وضع لوحة تذكارية لإلهة الجدري، ووضعت القرابين والهدايا أمامها؛ وأمرت الخادمات المرتبطات بجناح فينيكس بمراقبة لائحة المُحرمات. وفي الوقت نفسه، أعدّت غرفة جانبية للطبيبين المعاينين، بينما نُقل تشيلا لين إلى غرفة دراسته في المُجمّع الخارجي.

لم يعتد تشيلا لين النوم لوحده؛ فقد كان يبحث عن فرصة للتسلل من المكان عندما لم يكن تحت رقابة زوجته -فهي الليلتين الأولىتين، استعان بواحد أو باثنين من خلاته الوسيمين، لكنه عاد وعثر على طريقة أفضل حدث في يونغ كُوفُ أن كان هناك طباخ لديه زوجة جميلة. كانت هذه الزوجة تُدعى تو، وكان هو يُلقب باسم هُون-تشانغ أو «مسلوب العقل»، لأنّه كان يغفل عن كل شيء طالما لديه أي كمية من النبيذ. وممّا حصل عن ذلك، أنّ زوجة هذا الطباخ، وتُعرف باسم تو كُو-نيانغ، كانت تتمتع بحرية التصرف أكثر مما ينبغي. كان تشيلا لين يضع عينيه عليها لفترة من الوقت، لكنه لم يكن قادرًا على مُحاباتها بسبب يقظة زوجته الدائمة. وكانت تو كُو-نيانغ بالمقابل، لديها هذه التطلعات المُشابهة، وتفكير على نفس المنوال، مُدركة أنه سيكون سخيّاً معها أكثر مما يفعله الخدم. لذلك، أوجدت مُختلف أنواع الذرائع من أجل أن تذهب إلى مكتب تشيلا لين وعرض مفاتنها أمامه.

قرر تشيلا لين بأنّ هذه ستكون فرصة. ولم تكن لديه أي موانع من إجراء ترتيبات قدوتها إلى المكتب، مُتفوقاً بذلك على أحد خدامه الذي كان على علاقة حميمة معها. كان تو هُون-تشانغ في تلك الأثناء غارقاً في الشرب، وسرعان ما غاب عما حوله، وعن أفعال زوجته. وبالتالي، ذهبت تو كُو-نيانغ إلى مكتب تشيلا

لين—ولم يُضيئَ الإثنين وقتهما سدى. كانت المرأة لعوب وغاوية كأفضل الخبرات في هذا المضمار، وسرعان ما جعلت تثبيا لين يتصرف كالعبد بين يديها. قالت له:
- «من الأفضل ألا تقترب مني؛ فلديكم مرض الجدري في العائلة، وعليك ألا تُدنس نفسك لكي لا تُغضب إلهة الجدري».

ما كان جواب تثبيا لين على كلامها إلا بضم كلمات قالها بانقطاع النفس:
- «أنت إلهي، وما همني منها إن غضبت أم لا».

وهكذا، بنى تثبيا لين علاقته مع تو كو—نبانغ أخيراً، وأجرى مغامراته العاطفية معها أغلب الأيام الإثنا عشرة التي قضتها في مكتبه، وما لبث فيما بعد أن استمر بلقائها حيثما تسعن له الفرصة.

حينما عاد تثبيا لين إلى منزله، «تحول الفراق الطويل إلى شهر عسل جديد»، وأصبح أكثر تقديرًا لاهتمامات فينيكس من ذي قبل. وفي الصباح التالي، وبعد أن ذهبت فينيكس إلى منزل مدام وانغ من أجل المشاركة في اهتمامات الأمور اليومية. كانت باشينس تعمل على ترتيب الفراش الذي كان قد استخدمه تثبيا لين أثناء وجوده في المكتب. في ظل هذه الأجواء، وجدت خصلة من الشعر الأنثوي على الوسادة، فحملتها وذهبت بها إلى غرفة تثبيا لين ورفعتها أمامه وقالت بابتسامة تنم عن معرفة:
- «ما هذه؟»

هب تثبيا لين من مكانه محاولاً نزعها من يدها، ودفع بها يحصرها إلى السرير مهدداً بلي يدها إذا لم تسلمه خصلة الشعر هذه.
قالت له وهي تسخر:

- «كم أنت جاحد. لقد كنت أنثوي إخفاوها عن زوجتك، لكنك أنت الآن تُحاول نزعها مني بالقوة. فما الذي سيحدث لك إن أنا أخبرتها بالأمر؟»
في هذه الأثناء، أفلتها تثبيا لين وقال:

- «حسناً يا غالطي، لن أستعمل القوة، ولكن أرجوكِ كوني هادئة وسلميها لي».

بعد ذلك، عادت فينيكس إلى الغرفة، وطلبت من باشينس إيجاد بعض الأشياء التي تحتاجها مدام وانغ. وفجأة نظرت ناحية فراش تشاينا لين وراحت تستفسر ما إذا كان قد تم جلبه إلى هنا. أجبتها باشينس عن ذلك:

- «نعم، لقد حصل ذلك».

سألتها فينيكس:

- «هل من شيء ناقص؟»
- «لا كل شيء على ما يرام».
- «وهل من شيء غير موجود ويفترض بأن يكون موجوداً؟»، سألتها فينيكس بنوع من الشك.

تبهت باشينس إلى ما ترمي إليه فينيكس، وأجبت تتظاهر بالبراءة:

- «ما الذي تقصديه بالسؤال؟ أعتقد بأننا جئنا لنهمم بإعادة الأشياء إلى مواضعها وترتيب المكان».

- «أنت لا تعلمين بأمور الرجال»، قالت فينيكس بنبرة هادئة، وأضافت: «فلربما تركت إداهن عن سهو خاتماً أو منديلاً، أو حتى خصلة شعر». عندما سمع تشاينا لين هذا الكلام، ظهرت معالم الشحوب على وجهه، وأوْمأ بإشارة توسل إلى باشينس، التي ظهرت بأنها لم تره، وعملت على تغطيته بالقول: «في الحقيقة، لقد فكرتُ بما تقولين، فتفحصت كل شيء بعناية لكتني لم أتعثر على أي شيء يدعوه للشك». وبإمكانكِ، ناي-ناي، أن تتأكدي من ذلك بنفسك».

قالت فينيكس ضاحكة:

- «لا تكوني سخيفة إلى هذا الحد يا عزيزتي. فهل تعتقدين بأنه سيترك أي دليل لنا لاكتشافه؟

قالت فينيكس ذلك وغادرت الغرفة وهي تحمل الأشياء التي طلبتها مدام وانغ. وما إن أصبحا وحيدين من جديد حتى قالت له باشينس:

- «كيف ستشكرني على ما فعلته لكاليوم؟»

تقىد تشبىأ لين إلها ووضع يديه على وسطها، وراح يصفها بمختلف الأسماء اللطيفة. فقالت له وهي ترفع خصلة الشعر أمام عينيه:

- «سيبقى هذا معك سللاً ضدك طوال حياتي. وستكون كل الأمور بخير طالما أن كل شيء يبتنا يسير على ما يرام. وإنما سأخرج هذه الخصلة من المخبأ وأسلّمها لها».

- «أرجوكِ خبأي هذه الخصلة في مكان آمن ولا تدعها تراها». قال تشيلا لين لها ذلك بنبرته اللطيفة. لكنه وما إن أنهى ما يقوله، حتى اختطف الخصلة من يدها على حين قائلًا:

- «إنها بأمان أكثر الآن خارج يديك - وستكون بأمان أكثر وأكثر حين يتم إتلافها».

- «متوحش ناكر للجميل»، ردت باشينس على ما قام به وقد أظهرت عبستها الجميلة، وتابعت: «لا تتوقع مني أن أكذب من أجلك مرة ثانية».

خلال مشاحنته مع باشينس، بدأ تثبيلاً لين يشعر بنيران العاطفة تشتعل في داخله—فهذه باشينس الآن قد أصبح أكثر رقة وجمالاً من خلال شفتتها الرقيقتين وتبنيخها الاستفزازي. وحاول من جديد أن يحتضنها وممارسة الحب معها، إلا أنها صارعته وأفلتت نفسها منه وخرجت من الغرفة على عجل. قال لها بحقن واضح:

- «أيتها العاهرة التافهة، تُثیرین المرء بالكامل ثم تتركينه لناره وتهربی».
ووقفت باشنس عند النافذة وقالت ردا على ما سمعته:

- «من الذي يعمل على إثارتكم؟ إنك لا تُفكِّر إلاً بملذاتك. فما الذي تظنه سيدحدث لي إذا ما علمت زوجتك بالأمر؟» أجابها تشا لين: مُطْمئنًا:

- لا تخشيهما. ففي أحد هذه الأيام سأكون في أحلى لحظات جنوبي، وسأُعانق جزء الخمر المغربية تلك، ومن ثم سأعلمها حينها من هو السيد هنا. إنها تتتجسس علىي وكأنني لص هارب. هي تسمح لنفسها بالحديث

مع رجال العائلة وممازحتهم والتسامر معهم ساعة تشاء، لكنها تشتعل
غيرة وشكوكاً حين تراني أنظر إلى امرأة».

- «لعلها ترى ذلك حسن بالنسبة لها، لأنها تفعل ما يجب عليها أن تفعله»،
قالت باشينس تدفع عن سيدتها، واستمرت تقول: «إذا لم تحاول أن
تكون لطيفة مع الجميع، فكيف لها أن تُدير شؤون المنزل؟ ولكن أنت
أنت الذي تُفكِّر دائمًا في أشياء لا ينبغي لك أن تُفكِّر فيها، حتى أنا لم أعد
أثق بك».

وبينما هما يتحادثان بهذه الطريقة من وراء النافذة، دخلت فينيكس البهو،
وعندما لمحت باشينس على هذه الحال، سألتها:

- «لماذا تقفين في الخارج وتتكلمين من وراء النافذة؟ ألا يمكنك الدخول
والتكلّم بشكل جيد؟»

- «هذا ما كنت أقوله لها»، رد تثبياً لين من داخل الغرفة، وقال: «إنها تتصرف
وكأنني أسد يريد افتراسها».

قالت باشينس ثُبَرَ وجودها في الخارج:

- «لا أريد أن أكون معه في الغرفة عندما لا يكون أحد في الجوار».

قالت فينيكس وقد أرتمست على شفتيها ابتسامة خبيثة:

- «كان علىي أن أعرف بأنَّ الوقت كان مُناسبًا والفرصة مؤاتية».

قالت باشينس بصوتٍ مُرتجف:

- «وهل كانت هذه الملاحظة مُوجهة لي؟»

أجبتها فينيكس على الفور:

- «ومن أقصد غيرك؟»

- «لا تدفيني إلى قول أشياء لن تسرك أبداً».

نقطت باشينس بهذه الكلمات وانصرفت غاضبة، حتى من دون أن ترفع ستارة
الباب لسيديتها. رفعت فينيكس ستارة بنفسها ودخلت إلى الغرفة، ثم قالت:

- «لقد انصرفت الفتاة كالمحونة! وستكون لي الكلمات الأخيرة معها لاحقاً، أما أنت، فقد آن الأوان لكي تحمي جلدك».

شعر تشييا لين بالارتياح للذى جرى بين فينيكس وخدمتها. فقال وهو يُصفق ويضحك:

- «لم أكن أدرى بأنّ باشينس شجاعة إلى هذه الدرجة. أعتقد بأنّها قد أذت واجبها معك».

رذت عليه فينيكس حانقة:

- «أنت السبب في دلالها إلى حدّ الفساد. وسوف أحاسبك على هذا، وسترى».

قال تشييا لين وهو يسير باتجاه الباب:

- «لن أنتظرها هنا وأتركك تلقين كل أنواع اللوم علي». لكنّها استوقفته على الفور وقالت:

- «إِنْتَظِرْ دَقِيقَةً. أَرِيدُ أَنْ تُخْبِرَنِي مَا الَّذِي تَنْوِي فَعْلَهُ بِخَصْصُوصِ عِيدِ مِيلَادِ هَسُوِيْهِ مَايِ-مَايِ. إِنَّهُ فِي الْحَادِيِّ وَالْعَشِرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الْحَالِيِّ كَمَا تَعْلَمُ».

- «ولماذا تسأليني عن ذلك، وقد أدرت العديد من احتفالات الميلاد الكبيرة من قبل».

- «هذا ما أعنيه»، قالت فينيكس، وأضافت شارحة: «ففي أعياد الميلاد الكبيرة، هناك إجراءات وترتيبات محددة يمكن اتباعها، أما هذا العيد بالتحديد، فهو مختلف».

فَكَرْ تشييا لين بصمتٍ نحو دقة، ثم قال:

- «لما لا تفعلين الشيء نفسه الذي فعلته في عيد ميلاد لين ماي-ماي الأخير؟»

- «هذا ما كنت أفكّر به في البداية. لكنّ لاو تاي-تاي كانت تسأل عن أعياد ميلاد الفتيات على وجه الخصوص. وعندما علمت أنّ هسوبيه ماي-ماي ستتم الخامسة عشرة، قالت: طالما أنها لم تكمل دورة كاملة من

السنوات، فهذا يعني بداية سنوات الخطوبة^١، ولذلك، أرادت تخصيصها بحفلة مميزة».

قال تشيلا لين:

- «كوني سخية بمبلغ إضافي إذن».
- «هذا ما كنتُ أفكّر به»، قالت فينيكس، وتابعت: «ولكتّني أردتُ التأكّد من أنك راضٍ عن ذلك، لكي لا تجد العذر لافعال إشكال من جانبك في المستقبل».
- «ردّ تشيلا لين عليها، وهو يتّجه نحو الباب:
- «لماذا أصبحتِ هكذا كثيرة التفكير بشكلٍ مفاجئ؟ سأكون راضياً ومُقنعاً إذا لم تجدي أنتِ الذريعة ضدي».

الفصل السادس عشر

وفيه يتضائق باو-يُو من اثنتين من حالات سوء الفهم
ويُصاب تشيما تشينغ بالحزن بسبب أربعة من الأحجية الفريبة

في الحادي والعشرين، تم نصب مسرح صغير في قاعة سيدة المنزل، وجند جيش من الممثلات اللواتي تم استئجارهن للمناسبة. كانت المناسبة عائلية بامتياز، ولم يدعى إليها أحد من الضيوف باستثناء هسوبي بي-ما، وبريشوس فيرتشو، وريشر ميست. عندما وُجّه السؤال إلى بريشوس فيرتشو لتحديد ما الذي تُحب أن تراه أولاً، رفضت شرف التحديد أولاً، لكنها عادت، وتحت إصرار سيدة المنزل، إلى تحديد مشهد من مسرحية «فرد الشمس»، لأنها كانت تعلم مدى حب سيدة القصر للمسرحيات التي تحوي المشاهد المفعمة بالحركة والألعاب البهلوانية. بعد انتهاء هذا المشهد، كانت السيدة سعيدة بالأداء، وطلبت من هسوبي بي-ما هذه المرة تسمية ما تُحب، لكن هذه الأخيرة رفضت لأن ابنتها قد كان لها شرف الاختيار منذ قليل. وأخيراً، قامت فينيكس باختيار شيء تعرف بأنه قد يُسعد السيدة. بعد ذلك، جاء دور بلاك دجايده، وتبعها باو-يُو، ثم ريشر ميست ولوكوم سبرينغ وغيرهم. بدت السيدة في أوج روحها المعنوية العالية طوال فترة المساء. كانت مأخوذة على وجه الخصوص، بالطفلة التي كانت تؤدي دور البطولات، وتلك التي أخذت دور المهرّجات. عند انتهاء العرض المسائي، استدعت الممثليتين إليها وراحت تتحدث إليهما. فوجدت أن عمر البطلة لم يتجاوز الحادية عشرة، بينما كانت الأخرى في التاسعة. أثر فيها عمرهما الطري بشكل عميق؛ فمنحتهما المال وبعض

الأطعمة الشهية عن طاولتها.

وبعد أن نظرت إلى الممثلات الأكبر سنًا، قالت فينيكس بشكل مفاجئ:

- «تذكّرني تلك الطفلة بأحد ما، احزرني من؟»

كان على بريشوس فيرتشو الإجابة، لكنها لم تقل شيئاً. وكان باو-يو يعلم، لكنه لم يُعجب بشيء هو الآخر. أما ريفر ميست فلم تتأخر عن الإجابة:

- «نعم، يتراهى لي بأنّها تُشبه لين ماي-ماي».

حاول باو-يو وقفها عن الكلام بإشارات من عينيه، ولكن بعد فوات الأوان. والآن، وبعد أن حددت ريفر ميست وجه التشابه، واقفها الجميع ضاحكين، مؤكدين بأنّ هذه الممثلة الطفلة تبدو وكأنّها نسخة طبق الأصل عن بلاك دجايده.

بعد أن عادت ريفر ميست إلى غرفتها، طلبت من خادمتها الاستعداد للرحيل.

قالت الخادمة لها باستغراب:

- «ما هذا؟ ولما العجلة؟ لن نذهب قبل بضعة أيام أليس كذلك؟»

قال باو-يو الذي كان قد تبعها إلى الغرفة:

- «لقد أخطأت في الحكم عليّ يا ماي-ماي، إنّ لين ماي-ماي شديدة الحساسية. فكل واحد يعرف من تُشبه الممثلة، لكن أحداً منهم لم يشأ القول كي لا يُغضبوا لين ماي-ماي. لقد حاولت إيقافك عن الكلام لأنّي أردت أن أجربك أنت شخصياً التنافر معها. ولو أنّ غيرك فعل ذلك، لما كنت اهتميت أبداً لو أنّ غيرك فعل ذلك».

قالت ريفر ميست غاضبة:

- «لا تحاول أن تسترضيني. لقد كنت أعرف جيداً ما الذي كان يدور في خلدك، كنت تعتقد بأنّي غير مؤهلة لقول أي شيء عن محظيتك لين ماي-ماي. وأرى أنّك على حق، لأنّك تعتبرهن سيدات قديرات أما أنا فلا شيء».

- «ما هذا الظلم!»، قال باو-يو بيساس، وتتابع: «كنت أُنكِر بكِ فقط. فإن كانت

لدي تلك الأفكار التي ترمي بها، فلتُحولني السماء إلى رماد، ولأداس
بألف قدم».

- «لا تجتز بتلك اليمين التي تنطق بها أمامي، واحفظها لأمور أكثر حساسية».
قالت ذلك وخرجت من الغرفة، تاركة باو-يو مُستاءً وفي حيرة من أمره.
غادر باو-يو بعد ذلك لتفقد بلاك دجاييد، لكنّها دفعته إلى خارج الغرفة وأغلقت
الباب. وقف مُحتاراً مِمَّا حصل، وراح يتوكّلها، ولكنّها تجاهله ولم تأبه لتوسّلاته.
وبعد قليل، فتحت بلاك دجاييد الباب، مُعتقدة أنه قد غادر. فرأته يجوب البهو ذهاباً
وإياباً، وهو يتوكّلها من جديد من أجل أن تُوضّح له أسباب غضبها منه.

قالت له بغضب شديد:

- «وتملك الوقاحة لتسأل أيضاً! لقد اعتدت نفسى بأنّي قد أصبحت مجرّد
أضحوكة من نكاتك السخيفة لُقّارنى بمُمثلة!»

- «أنت تعلمين بأنّي غير قادر على المقارنة»، قال باو-يو، وتتابع: «فلماذا
يجب أن تغضبي مني؟»

- «صحيح أنّك لم تقل شيئاً، ولكنّك كنت تنظر إلى يُون ماي-ماي، وتسخران
مني بشكل سري. وهذا أسوأ من الضحك علانية. ثمّ ما الذي يُضيرك
أغضبني ذلك أم لا؟ أو أنّك تظن بأنّها ستحطّ من قدرها لو أنها مازحتني؟
من السيني أنها لم تُقدر تفكيرك، على عكسى أنا لأنّي قد تعزّزت للسخرية
من وراء ظهرى. وما يُفيدك إذا كنت حساسة ولا أتحمل المُراوح».

تأكد باو-يو من أنّ بلاك دجاييد قد سمعت ما دار بينه وبين ريفر ميست من
حديث. وهو كان يُفكّر فقط في مشاعرهم، وهذا ما ناله من شكر على ذلك. ثمّ
غرق في تفكيره: فلماذا عليه أن يكون مُصلحاً إذا كان هذا هو جزاءه. وحينما انتبه
من تفكيره، نظر من حوله فلم ير أحداً. جاء كل ما حصل على عكس ما اعتاده باو-
يو-فكان بلاك دجاييد مُتضايقة جداً، وأغلقت الباب من ورائه، فكان واضحاً من أنه
لن يعود أبداً أو أن يتكلّم معها من جديد.

عاد باو-يو وحيداً إلى غرفته، فاستلقى على سريره يحتضن أحزانه. حاولت

بيرفایدینغ فریفرانس تسلیته والترفیه عنه، فقالت:

- «ستكون الحفلات الليلة متألحة؛ فستعمل هسویه کو-نیانغ على إعادة جو المُجاملات ودعوتنا إلى منزلها».

قال باو-يو حزيناً:

- «وما همني إن فعلت ذلك أَم لا؟»

- «وما الذي يدفعك إلى قول ذلك؟»، قالت له بيرفایدینغ فریفرانس مُحتاجة، وأضافت: «إنه الشهر الأول من السنة، ومن المفترض أن يشعر أي شخص بالسعادة».

- «ولكتني لست أي شخص»، قال باو-يو ببرودة، واستمر بالكلام: «فقد يكون لكل واحد أسبابه بالسعادة، ولكن أنا شخصياً ليست لدى أي أسباب -فأنا وحيد في هذا العالم».

أشعرها كلامه هذا بالحزن، وفجأة انفجر في نوبة من العويل والنواح. ثم نهض وسار إلى مكتبه وشرع بتأليف قصيدة يُبيّن فيها رفضه صدق كل المشاعر والعلاقات الإنسانية، ساخراً من إسهاب الشعراء البوذيين الغامض. ثم شعر بالسکينة بعد ذلك، وعاد إلى سريره وغفى سريعاً على غير عادته.

كانت بيرفایدینغ فریفرانس مشغولة البال على باو-يو. وفي صباح اليوم التالي، قامت بعرض ما ألهه باو-يو على بريشوس فيرتشو التي كانت سعيدة به، كما قامت بدورها بعرضه على بلاك دجاید وریفر میست. بعد ذلك قمن بمواجهة باو-يو بها. وبعد سلسلة من المُجاملات اللطيفة، مالبث أن احتفى كل سوء التفاهم الذي عم الأمس ببطوله وتلاشى بالكليّة.

في هذه الأثناء، وصل خبر من سيدة المنزل، بأن المحظية الإمبراطورية قد أرسلت مجموعة من الألغاز لحلها. ذهب الجميع إلى غرفة السيدة، فوجدوا هناك أحد خدم البلاط وبيده فانوس مربع من الحرير الأبيض، مُصمم من أجل عرض الألغاز في المواسم، وكانت الألغاز التي ألغتها المحظية الإمبراطورية ملصقة على الفانوس. حذر الخادم الجميع من إعلان حلولهم شفهياً، بل بكتابتها على ورقه

ومن ثم إرسالها معاً مع أحجياتهم الشخصية. بريشوس فيرتشو تمعنت في القصيدة الرباعية المقاطع، ووجدت بأنها ليست صعبة ولا أصلية، لكنها أعجبت ببراعة حبكتها بطريقة مهذبة وتظاهرت بأنها تواجه صعوبة في معرفة الحل الصحيح. في هذه الأثناء، تم الانتهاء من الحلول ووضع الألغاز الشخصية، وألصقت الأحجية على الفانوس الذي أتى به الموظف.

في المساء، أعلن موظف البلاط أن كل الحلول كانت صحيحة، باستثناء الحلول التي قدمت من كل من: ولكوم سبرينغ، وتشيا هوان. وكانت حلول صاحبة الجلاله للأحجية التي وصلتها كلها صحيحة. وتم توزيع الجوائز لجميع الرابحين. لم تهتم ولكوم سبرينغ لخسارتها، إلا أن تشيا هوان لم يستسغ ما حصل. والواقع أن الموظف قال بأن صاحبة الجلاله لم تنظر في الحلول التي قدمتها تشيا هوان لأنها بدت لها بلا معنى. وطلبت من تشيا هوان تفسيرها لها. وجاءت الأحجيات على النحو التالي:

للأخ الأول ثمانى زوايا،
للأخ الثاني بوقين.

يجلس الأخ الأول على السرير طوال اليوم،
بينما يحبّ الأخ الثاني أن يرقد على السطح.

ضحك الجميع من هذه الأحجية، بينما عمل تشيا هوان على حلّها بخجل، فقال:

- «الأخ الأول هو الوسادة المربعة التي تبقى دائماً على السرير، والأخ الثاني هو رأس الحيوان المُزخرف على الوسادة في أعلى الجانب الظاهر». دفع اهتمام المحظية الإمبراطورية بالهوايات الموسمية التقليدية بسيدة المنزل، إلى اتخاذ قرارها بالمشاركة في مسابقة هذا الموسم بعملها الشخصي. فأمرت بإحضار فانوس جيد ووضعته في مرسمها وألصقت عليه الأحجيات التي ألفتها

بناتها الكبيرات، ثم أعدت مجموعة من الجوائز للرابحين. وبعد ملاحظة معنيات والدته العالية، قررت شيئاً تشينغ الحضور، والقيام بكل ما يُريح والدته. بالإضافة إلى أنه كان لوجوده الأثر البالغ في سعادة الآخرين وتشجيعهم على المُحاولة وبخاصة باو-يو، الذي عادة ما يبعث الحيوية في الحضور أثناء الاجتماع من حول طاولة الغداء في منزل الأم الحاكمة. وبعد ثلاث جولات من تناول النبيذ، اقفرحت الأم أن يأخذ شيئاً تشينغ قسطاً من الراحة باكراً الليلة. لكنه اعترض على ذلك قائلاً وهو يتسم:

— «لقد حضرت من أجل الاشتراك في مسابقة الأحاجية. أنا أعلم بأنني لا
أستطيع مُنافسة السيدات الكبيرات من أجل مُسايرة عواطف لاو تاي-
تاي، ولكن، هل من المؤكد أن لاو تاي-تاي يُمكّنها أن تحفظ بالقليل من
الحت لابنها؟»

قالت الأمّ:

ـ «لا أحد ينوي مُحادثتك أو الضحك معك هنا، وإنما أريد الكلام والحديث مع من هُم حولي الآن. وإذا كنت تنوين حل الأحجية، فسوف أُعطيك واحدة. ولكن لا تنسى الغرامات المترتبة على الخسارة».

ـ «بالطبع»، قال تشيما تشينغ بفرح، وأكمل: «وأقبل الجوائز أيضاً في الربع».
ـ «إذن، فليكن ذلك».

قالت الأم ذلك، وبدأت بقراءة الأحجية:

«شيء يقف القرد على أطرافه بارتفاع شاهق، بالرغم من دفته ورفته». – وهو شيء في الشجر.

عرف تشبّياً تشينغ على الفور أنَّ المقصود هو «الفرع»، لكنَّه استمرَّ في تقديم الأجوية الخاطئة ودفع الغرامات لـ الأم، قبل أن يُعطي الحل الصحيح وطلب جائزته. ثمَّ قدمَ ما لديه:

شيء جسمه مستقيم وشكله ومربع،
تركسته ثانية وقاسية،

ومع أنه لا يقوى على النطق،
لكنه يُعين الآخرين على الكلام.
— وهو مادة نافعة للجميع.

بعد أن أنهى تلاوة أحججته، همس بالجواب إلى باو-يو، الذي همس به بدوره إلى الأم، التي فكرت قليلاً ثم قررت بأنّ باو-يو على حق. ثم قالت الجواب الصحيح:

ـ «إنه حجر الحبر».

فقال تشييا تشينغ ضاحكاً:

— «إنَّ لاؤ تايِّ-تايِّ قادرٌ على معرفة الإجابة من المحاولة الأولى».

ثم استدار إلى الخادمات الواقفات خارجاً، وقال:

- «هيا، ائْتُمْ يالجوائِنْ».

وعلى الفور أحضرت الجوائز في موكب خادمات يحملن الصوانى وعليها العلب التي تحتوي على تشكيلة من كل أنواع الروايات والمواد المبتكرة. عملت سيدة المنزل على تفعضتها الواحدة تلو الأخرى وقد سرّها ذلك. ثم قالت:

- «إملاً كأس من النبيذ لـ لاوــيه، بينما وقف كل من باوــيو ولوكوم سبرينغ،

الأول صبّ النبيذ، والأخيرة قدمته لـ تشيا تشينغ. وبعدها قالـ الأم:

- «لنجرب بعض أحجيات الأولاد. ثم اقترب تثبيتاً تشينغ من الفانوس وقرأ

بصوت عالٍ الأحجية الأولى، التي كتبتها كاردينال سبرينغ:

شيء صُنِع ليتطاير بأشكال وألوان،
شكله رقيق وصوته كدوي الرعد،
قبل أن يتوقف طنبينه في الأذن،
يكون قد تحول إلى رماد.

وعلى الفور قال تشييا تشينغ:

- «لا بد أنه المُفرقعات النارية».

فرد باو-يؤ يُؤ بأن الإجابة صحيحة. ثم انتقل الجميع إلى الأحجية التالية من

ولكوم سبرينغ:

القدر والجهد البشري يؤديان دورهما على حد سواء،

ولكن من دون القدر تذهب كل الجهود سدى.

هو شيء يحسب كل الأيام دون أن يرتاح،

لكنه لن يصل إلى الأرقام التي قررها القدر.

قال تشييا تشينغ أنه «الأباكسوس»⁽¹⁾ فردت ولكوم سبرينغ بأن هذا صحيح. وكانت

الأحجية التالية من كويست سبرينغ:

شيء يُدير وجوه الأطفال نحو السماء،

ويكون شكله كزخرفات الزينة.

عندما تنقطع خيوطه الرقيقة، ويغرب بعيداً،

لا تذمر من مصيره المعهول.

كانت إجابة تشييا تشينغ بأنه الطائرة الورقية، وكانت إجابته صحيحة. في هذه

الأثناء، كان تشييا تشينغ يشعر بالإحباط بسبب عدم التوفيق في الدلالات الحقيقية

لهذه الأحجيات. فهو يعتبر أن المُفرقعات، التي تنفجر ثم تتبدّل إلى لا شيء

في لحظة إنجاز عملها، تفترض قصر الحياة؛ ثم أن الأباكسوس كان رمزاً للحركة

(1) هو إطار مستطيل الشكل مع صنوف من الأسلال أو الأخاديد الطولية ينزلق عليها الخرز، ويستخدم لإجراء الحسابات (كان شائعاً في الصين القديمة).

المستمرة التي تقود إلى لا شيء في النهاية؛ أما الطائرة الورقية بخيوطها القابلة للإنقطاع، تفترض النقص في الأمان والمصير المجهول. وقد ازداد كآبة عندما وصل إلى أحجية كومباشن سبرينغ حول الفانوس النذري المحكوم بالتألق في الظلام الشبحي للمعبد البوذي.

بعد أن لاحظت مزاج ولدها، قالت سيدة المنزل:

- «لا بد أنك مُرْهق. على الجميع العودة إلى الغرف، ولنرتح الآن من الأحجيات، هيا. فلم نعد نقوى على الاستيقاظ أكثر من هذا».

انصرف تثبياً تشينغ على الفور، لكن حزنه كان قد زاد بسبب أدائه، ولم يكن قادرًا على النوم لوقت طويل.

بعد انصراف تثبياً تشينغ، قالت الأم للبقية:

- «يمكنكم الآن أن ترتاحوا وتتمتعوا بأوقاتكم».

لم يكن باو-يُو بحاجة إلى تشجيع من أجل البقاء والاستمرار—فما إن انصرف والده حتى هب إلى الفانوس وبدأ يعتقد هذا ويُقلد ذاك، كالقرد الذي أفلت من قفصه.

قالت له فينيكس ضاحكة:

- «أنت بحاجة إلى وجود لاو-يه من أجل أن تُحسن في سلوكك. كان علينا أن نقترح قيامك بتأليف بعض الأحجيات أو الأحادجي وهو لا يزال هنا، فلكلنت تصيبت عرقاً بدلاً من انتقاد الآخرين وتصيرفاتهم».

الفصل السابع عشر

وفيه ينتقل باو-يُو، مع الخادمات، إلى تاكوان يُوان
وتغضب بلاك دجايid من باو-يُو بسبب حساسيّتها المُفرطة

بعد فترة قصيرة من عودتها إلى القصر الإمبراطوري، علمت محظية الإمبراطور بأنّ تشيما تشينغ، واحتراماً لها، ينوي إغلاق تاكوان يُوان. ولذلك، سمحت له بإشغاله، وباستخدام الحديقة بأي طريقة يشاء، واقترحت انتقال أخواتها للعيش هنّاك. وبعد أن تذكّرت كيف أولع باو-يُو بالحديقة، عبرت عن رغبتها بالسماح له للإنتقال إلى هنّاك هو أيضاً.

سرّ باو-يُو بهذا العرض الخاص—وقد كان هذه الأثناء، يُناقش مع السيدة تقسيم وتوزيع مختلف الأجنحة والأقسام، عندما أرسل تشيما تشينغ بطلبه. فالتصق على الفور بوالدته السيدة أملاً في الحصول منها على وعدٍ بالأمان. قالت له الأمّ:
- «هيا اذهب يا غالى، ولا تخاف. فلن أدعه يتصرف معك بقسوة. أعتقد بأنه سيقول لك بعض الأشياء مثل الانتباه إلى دروسك لا أكثر. فليس هناك من داعٍ للخوف».

وما إن انتهت من كلامها، حتى خصّصت له خادمتين، وقالت لهما:
- «اذهبا مع باو-يُو ولا تدعوا والده يُرعبه».

ذهب باو-يُو على مضمض، بخطوات بليدة ومؤلمة. حينما وصل إلى مُجمّع والده، وجد الخادمات يقفن بصمت تحت المرزاب. كُنّ ينظرن إليه وبيتسمن له

ابتسامة عريضة، لأنّه كان خائفاً وقلقاً. رفعت إحداهن، وهي غولدن برايسليت، وجهها باتجاهه، وقالت:

- «أنظر، لقد وضعنا نوعاً جديداً من الصباغ المُعطر على شفاهي، أتريد أن تتدوّق؟»

ولكن تقدّمت خادمة أخرى ودفعت غولدن برايسليت جانباً، وقالت لها:

- «لا تهكمي عليه بهذه الطريقة عندما يكون متورتاً»، ثم التفتت إلى باو-يو وقلّلت: «إذهب الآن طالما أنه لا يزال في أحلى طباعه».

دخل باو-يو الجناح، وكان تشيا تشينغ ومدام وانغ في الغرفة الداخلية. كان والداه يجلسان فوق الكانغ، ومن أمامهما، في العجلة المقابلة يجلس كل من: ولكوم سبرينغ، كويست سبرينغ، كومباشن سبرينغ وتشيا هوان-لم يتحرك أحداً منهم، باستثناء ولكوم سبرينغ التي وقفت عندما رأته يدخل.

استقرت عينا تشيا تشينغ عليه للحظات، ثم تحولت باتجاه تشيا هوان؛ فأظهرت المقارنة أفضلية باو-يو. بعد ذلك بدأت ذاكرة الأب تستعيد صور ذكرى ولده الأكبر المتوفى. وغرق في تفكيره: فلم يعد لديه الآن أولاد ذكور سوى باو-يو من زوجته الأولى.وها هي ذقنه قد تحول لونها من الرمادي إلى البياض: «فإذا ما حدث أي شيء لباو-يو فسوف...» انفطر قلبه مع توالي هذه الأفكار، وعندما صحا من صمته العميق، بدأ يخاطب باو-يو بلهجة رقيقة ومحفّمة بالعاطفة التي لم تعهد لها عائلته فيه من قبل:

- «تقول صاحبة الجلالـة بأنـها قد سـمحـت لكـ بالـعيـشـ فيـ مجـمـعـ الحـديـقةـ،ـ بحيثـ يـمـكـنكـ التـفرـغـ لـدرـاستـكـ منـ دونـ أيـ إـزعـاجـ خـارـجيـ.ـ ولـذـلـكـ،ـ يـمـكـنكـ الـانتـقالـ أـنـتـ وـأـخـواـتـكـ،ـ ولـكـ عـلـيـكـ أـنـ تـعـلـمـ بـأـنـكـ مـنـذـ الآـنـ وـصـاعـدـاـ سـتـفـرـغـ قـطـ إـلـىـ درـوسـكـ وـلـاـ شـيـءـ آـخـرـ».

لم يتفوّه باو-يو سوى بكلمة واحد كرّرها، دون أن يتجرّأ على رفع رأسه:

- «شيء، شيء». ⁽¹⁾

في هذه الأثناء، تقدم باو-يو باتجاه مدام وانغ التي دعته للجلوس بقربها، ثم جلس كل من شقيقتيه الصغيرتين وتشيا هوان من بعده. ربت مدام وانغ على باو-يو بلطف تساؤلها ما إذا كان قد أنهى القطع النقدية التي كان قد حصل عليها من قبل.

فأجابه بأنه لم يعد لديه سوى واحدة فقط. فقالت له:

- «خذ عشر قطع أخرى. وأخبر هسي-جين بأن تذكر إعطاءك قطعة كل ليلة قبل ذهابك للنوم».

وعلى الفور سألها تشيا تشينغ:

- «ومن هو هسي-جين هذا؟»

قالت:

- «إنه اسم إحدى الخادمات».

- «خادمة؟»، قال تشيا تشينغ عابساً، وأكمل: «وكيف يحدث أن تحصل فتاة على اسم غريب كهذا؟»

- «لقد أطلقتها عليها لاو تاي-تاي»، أجابته مدام وانغ وتابعت: «وذلك في محاولة منها لحماية باو-يو».

- «وكيف أمكنها أن تُفكِّر في هذا النوع من الأسماء»، رد تشيا تشينغ، واستمر: «لا بد وأنه باو-يو».

وبعد تأكده من أنه لن يستطيع خداع والده، نهض باو-يو وراح يشرح له لماذا أطلق على الخادمة هذا الاسم. وعلى الفور، قالت مدام وانغ، آخرة بعين الاعتبار عدم رضا تشيا تشينغ:

- «يمكنك أن تختار لها أي اسم آخر. لا تدع والدك يغضب من قضية تافهة كهذه».

(1) بالرغم من أن هذه الكلمة قد تكون مُرادفة لكلمة «نعم» بالعربية، إلا أنها لا تُستخدم إلا إذا كان المتحدث يرغب بإظهار الحرف، أو التمجيل، أو حتى المخنو.

عند ذلك، قال تثبيا تشينغ:

- «إنه أمر ليس ذو أهمية فعلاً، ولا يحتاج الإسم إلى تبديل. ولكن يبدو أن باو-يو لا يتفرغ لدروسه المهمة بل يُضيّع أوقاته في أشياء تحرف به بعيداً عن الامتحانات»، ثم أضاف بهدف صرف ولده: «ما الذي تنتظره الآن أيها الفاسق؟»

فور هذا، قالت له والدته أيضاً:

- «إذهب الآن، فلا بد أن لاو تاي-تاي بانتظارك».

خرج باو-يو من الغرفة وهو يجز رجليه جزاً. وعندما رأى غولدن برايسليت في البهو، نظر إليها وكأنه يريد أن يقول لها بأنه بالكاد خرج من هناك. وفي الممر رأى بيرثايدينغ فريغرانس تنتظر. سألته على نحو مُقلقاً:

- «ما الذي كان يُريده لاو-يه منك؟»

- «لا شيء مطلقاً»، أجابها باو-يو، وأضاف: «أرادني فقط أن أهتم بدرولي، ولا شيء غير هذا».

حينما عاد إلى غرفة الأم الحاكمة، سرد عليها ما حصل. ولما كانت كل من بلاك دجاييد وبريثوس فيرتشو ما تزالان هناك، فقد عاد الجميع إلى مناقشة توزيع أقسام مجمع الحديقة من جديد. قالت بلاك دجاييد:

- «أنا أُنكر في مُعْتَزل الخيزران. (بامبو ريتريت) فهو أهداً مكان في الحديقة من حيث بستان الخيزران من حوله، بالإضافة إلى شرفته الدائرية».

فقال باو-يو:

- «لقد كنت أُنكر في الشيء نفسه. سأقيم في مبني الفاوانيا (بايوني كورت)، وسنكون بهذا قرب بعضنا البعض».

وتم اختيار يوم الثاني والعشرين من الشهر القمري الثاني، موعداً للانتقال، نظراً لملايّنته الخيرة لهذا النوع من الانتقال. وهكذا تم الاتفاق على التقسيم: أخذت بلاك دجاييد مُعْتَزل الخيزران؛ وحصلت ولكوم سبرينغ على الغرفة المُزركشة (بروكايد تسامبر)؛ وكويست سبرينغ على جهة المكتب الخريفي (أوتومن ستاري)؛

ولي هُوان، قرية الأرز (رئيس فيليج)؛ ونال باو-يو مبني الفاوانيا (بايوني كورت)؛ وبريشوس فيرتشو، تعرية الويسستاريا (ويستاريا آربور). وَخُصص لكل منهم مُشرفين كبيرين، وأربع خادمات-وصيفات، دونما احتساب الخادمات اللواتي يقمن بأعمال الكناسة والتنظيف بشكل دائم.

وجد باو-يو الحياة الجديد في تاكوان يُوان مُلبيّة لرغباته؛ فكان يدرس قليلاً وينفذ تمارين الخط، لكنه كان في الجزء الأكبر من وقته، يُمضي أيامه مع أخواته وأبناء عمه، وبصحبة خادماته المفضلات لديه-ويلعب الشطرنج أو بعض الآلات الموسيقية، بالإضافة إلى الرسم أو كتابة الشعر؛ حتى أنه كان في كثير من الأحيان يُساعد في أعمال التطريز، ويمد يد العون للسيدات الكبيرات في أعمال زيتهن.

في هذا الوقت، كانت بعض قصائده قد لاقت رواجاً في يُونغ كُوفُو. صحيح أنها لم تكن قصائد استثنائية، لكنها كانت مفعمة بالأحساس العفوية والبراءة. وكان أولئك الذين يعتزون بأعمال الأفراد الشخصية، مُعجبين بشعر باو-يو (أو لنقل أنهما كانوا) لأنها كانت قد كُتبت سابقاً من قبل لورد يُونغ كُوفُو الشاب في سنين مراهقته. وكانت القصائد قد تم نسخها ووزّعت وتلقت المديح في مختلف الدوائر. وكان بعض مُعجبي باو-يو قد أبدوا مُجاملة الطلب منه لكتابة لغافات منها لهم أو نسخها لأصدقائهم. كان ذلك مبعث سرور له، فقضى فترة لا بأس بها من الوقت في تنفيذ طلباتهم.

مع مرور الوقت، شعر باو-يو بعدم الراحة والاستياء. فلم يكن يعرف ما الذي يُريد به بالضبط؛ شيءٌ ما كان يضيق في داخله-شيءٌ مجهول، لكنه يزداد إصراراً. من هنا، عملت مينغ-ين جاهدة على تخفيف مللها؛ فأمنت له بعض الروايات المقتبسة من حياة الإمبراطورة وُو تسي-تيان، ومن حياة يانغ كُواي-فاي النادرة في عهد سلالة تانغ الحاكمة، وكذلك، مسرحيات مثل سجل الغرفة الغربية. من جانبه، اعتبر باو-يو أن هذه الأعمال كانت بمثابة الاكتشافات الكبرى-فطلبت منه مينغ-ين عدم نقل هذه الكتب إلى تاكوان يُوان، حيث سيتم اكتشافها وستتسبب له بالمشاكل.

ولكن، ما نفع كل الكتب إذا لم يقم باو-يو، الذي يعيش في تاكوان يُوان، بنقلها معه إلى هناك؟ ولذلك، قام بتخصيص زاوية آمنة من زوايا غرفته لحفظها، وليتعمق فيها عندما لا يكون أحد في الجوار.

وفي أحد الأيام من الشهر القمري الثالث، كان باو-يو جالساً يقرأ في سجل الغرفة الغربية في أحد بساتين الخوخ الذي يتصل طريقه بمبني تاكوان يوان. وعندم وصل إلى المقطع الذي يتضمن السطر: «وتتحول البتلات إلى أشكال حمراء»، بدا أن عاصفة من الرياح تستجيب لهذه الكلمات، فنزعـت أزاهير الخوخ وبعثرتها في كل المكان، مُعطيـة حضنه وكتابه. بالطبع، ترددـ في نفسها عن نفسه إلى الأرض لثلاـ يدوـس عليها. لكنـه عـدـ إلى جمعـها في طـيـة ثـوبـه ونـفـضـ بها إلى الجـدولـ. فـبدـأتـ تـدورـ في دـوـامـةـ أمـامـهـ لـلـحـظـاتـ، ثـمـ اـنسـاقـتـ معـ التـيـارـ وـجـرـتـ فيـ المـيـاهـ منـ خـلالـ فـتحـةـ الجـدارـ. بـعـدـ ذـلـكـ، عـادـ إـلـىـ المـكـانـ الـذـيـ كـانـ يـجـلـسـ فـيـهـ، وـرـاحـ يـتـسـأـلـ ماـ الـذـيـ يـمـكـنـ أـنـ يـفـعـلـهـ بـالـأـزـاهـيرـ الـمـتـبـقـيةـ، وـمـاـ الـذـيـ يـمـكـنـ أـنـ يـقـولـهـ إـذـاـ مـاـ سـأـلـهـ أـحـدـ عـمـاـ الـذـيـ كـانـ يـفـعـلـهـ فـيـ الـمـكـانـ.

وصلت في تلك الأثناء بلاك دجايـدـ تضع على كتفها مجرفة أزهار، يتدلّى منها
كيس من النسيج القطني ، وتحمل بيدها الأخرى مكنسة كبيرة.

فُور رؤيتها قادمة باتجاهه، قال باو-بو:

ـ «لقد وصلت في اللحظة المناسبة. هنا، لنكنس تلك الأزاهير وننفخ بها إلى المياه، لقد تخلّصت من بعضها منذ قليل».

أجابته بلاك دجايڈ عاتبة:

ـ «لا ليس في المياه. فقد تبدو لك نظيفة، لكنك لا تدرى بما يوجد في الناحية الأخرى من الجدارـ لتسبب بتلويث الأزهـر. هـناك فوق تلك التلة، توجد مقبرة الأزهـار الخاصة بيـ. ولهـذا، سأعمل على كنس هذه الأزاهـير، وأضعـها في الكيسـ، ومن ثم سأحملـها إلى تلك التلة لأدفنـها فيهاـ».

قال باو-يو وقد تأثر برقة مشاعر بلاك دجاييد:

- «دعيني أساعدك، ولكن على أولاً أن أبعد كتابي عن المكان».

لفت نظرها الكتاب، فسألته:

- «وماذا لديك هنا؟»

لم يكن لدى باو-يو الوقت الكافي لإخفاء الكتاب، لأنّ وصول بلاك دجاييد إلى المكان جاء مفاجئاً له. حاول ألا يبدو مُربكاً أمامها، فقال:

- «أوه، لا شيء يستحق القراءة. إنه فقط كتاب: عقيدة الاعتدال والتعلم الكبير».

- «لا تحاول الكذب»، قالت بلاك دجاييد باسمه، وتتابعت: «عليك أن تدعوني أرى ما هو».

- «حسناً»، قال باو-يو بلهجة اعتذار، وناولها الكتاب، مُضيفاً: «لن أمنعك من رؤيته أنت بالذات، ولكن لا تخبري أحد بأمره. إنه حقاً لعمل نادر، فبمجرد شروعك بقراءته، لن تكوني قادرة على أن تتركيه من يدك حتى تنهيه».

وضعت بلاك دجاييد من يدها كل شيء وتناولت الكتاب الذي جذب اهتمامها منذ البداية، كما أصبحت أكثر غرقاً في مضمونه كُلما تعمقت في قراءة مقاطعه. كانت مذهولة على وجه الخصوص بجمال أشعاره، التي «ترك أثراً كبيراً من العطر في الفم».

قال باو-يو يسألها مبتسمًا:

- «ما رأيك فيه، أليس مدهشاً؟»

لم تتوقف بلاك دجاييد لتجيبه؛ وإنما اكتفت بهز رأسها مبتسمة. عاد باو-يو يسأل مُغيرةً لهجته وصيغة السؤال:

- «ما رأيك بهذا الكتاب، ماي-ماي؟ ألا ترين بأنه عمل رائع ومُتقن؟»

- «نعم لا شك في هذا!»

ومن دون أن يعي سياق معنى ما يقتبسه، قال باو-يو:

- «أنا "شخص مُتنقل بالأحزان والأسقام"، وأنت "حسنة تهدم المدن وتهز الأمم"».

إِحْمَرْ وَجْهَ بِلَّاكْ دُجَيْدَ بِشَدَّةٍ—ذَلِكَ أَنَّهَا لَمْ تَتَعَرَّضْ أَبْدًا لِهَذَا النَّوْعَ مِنَ الْغَمْزِ اللطيف، سَوَاءً كَانَ مَقْصُودًا أَمْ لَا. إِثْرَ ذَلِكَ، رَفَعَتْ إِصْبَعَهَا فِي وَجْهِ باوِ-يُو وَقَالَتْ:

- «كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى قِرَاءَةِ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْكِتَابِ غَيْرِ الْمُحْتَشَمَةِ، ثُمَّ تَهْيِنِي بِاقْتِبَاسَاتِ تَافِهَةِ مِنْهَا. فَسُوفَ أَخْبَرُ الْعِمَّ وَالْعُمَّةَ بِخَصْوَصِهِ». وَمَا لَبِثَ أَنْ اسْتَعَدَتْ لِلْمُغَادِرَةِ بَعْدِ تَوْجِيهِ تَهْدِيدِهَا هَذَا. وَلَمَّا تَأَكَّدَ باوِ-يُو مِنَ الْجَدِّيَّةِ فِي لِهَجَةِ بِلَّاكْ دُجَيْدَ، قَفَزَ أَمَامَهَا عَلَى الْفُورِ مُحَاوِلًاً سَدَّ الطَّرِيقَ عَلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ:

- «أَرْجُوكِ، سَامِحِينِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، مَايِ-مَايِ . فَأَنَا لَمْ أَدْرِي مَعْنَى مَا كُنْتُ أَقُولُهُ؛ فَلَوْ أَنِّي كَانَتْ لِدِي الْبِتَّةُ فِي إِهَانَتِكِ، فَلَتُغْرِقَنِي الإِلَهَةُ فِي الْبَرَّةِ، وَلَتُلْتَهِمْنِي السَّلْحَافَةُ الْمُتَوَحِشَةُ، وَلَتُحَوِّلَنِي إِلَى سَلْحَافَةِ بَشْعَةِ أَنَا نَفْسِيِ، وَلَتُحَمِّلَنِي نَقْلَ رَخَامَاتِ ضَرِيحِكِ—عِنْدَمَا تُصْبِحِينِ سَيِّدَةَ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْأُولَىِ، وَعِنْدَمَا تَعُودُدِينِ إِلَى الْفَرْدَوْسِ».

إِثْرَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْيَمِينِ الْمُفَضِّلِ، انْفَجَرَتْ بِلَّاكْ دُجَيْدَ فِي عَاصِفَةِ مِنَ الْضَّحَكِ الْعَفْوِيِّ. وَبَعْدَ أَنْ مَسَحَتْ دَمْوعَ الْضَّحَكِ، قَالَتْ:

- «يَا لَكَ مِنْ جَبَانِ! فَأَنَا لَمْ أَشَأْ إِلَّا الْمُمَازَّةَ. وَلَذِلِكَ، أَرَى أَنَّكَ لَا شَيْءَ سُوِّيُّ رَأْسَ حَرَبَةَ مِنْ شَمْعِ يَدِي وَكَانَهُ رَأْسُ مِنْ فَضَّةٍ».

عَنْدَ سَمَاعِ مَا قَالَتْهُ، قَالَ باوِ-يُو عَلَى الْفُورِ:

- «هَا أَنْتَ تَقْتَبِسِينِ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ غَيْرِ الْمُحْتَشَمِ؛ لَقَدْ حَانَ دُورِي الْآنِ لِلْتَّعْلِيقِ عَلَيْكِ».

- «لَسْتُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُسْتَطِيعُ اسْتِعَاْدَةَ مَا يَحْفَظُهُ»، قَالَتْ بِلَّاكْ دُجَيْدَ تَضَّحَّكَ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَكَمَلَتْ: «وَالآنَ دُعَنَا نَعُودُ إِلَى الْأَزْهَارِ».

وَحِينَ أَوْشَكَا عَلَى الْاِنْتِهَاءِ مِنْ دُفْنِ الْأَزْهَارِ، وَصَلَّتْ بِيرْفَائِيدِينْغُ فَرِيغُرَانِسُ عَلَى هَذَا الْمَشْهَدِ. فَقَالَتْ تُخَاطِبُ باوِ-يُو وَكَانَهَا تَبْحَثُ عَنْهُ مِنْ وَقْتٍ طَوِيلٍ:

- «هَا أَنْتَ هُنَا! لَقَدْ بَحْثَتْ عَنْكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَقَدْ أُصْبِيَتْ تَا لَاوِ-يِه بِوَعْكَةٍ

صحية، وشرعت كل آنسات القصر بالبحث عنك. لقد طلبت مني لا
تاي-تاي بأن أذكرك بضرورة الذهاب إلى هُناك، ولذلك، عليك القدوم
معي بعد أن تُبدل ثيابك».

الفصل الثامن عشر

وفيه يصل كل من باو-يو، وبلاك دجاييد إلى حافة الموت بسبب الرقيات السحرية الشريرة التي أقيمت عليهما ولكن، بسبب فعالية تأثير حجر اليشم الكريم، عادا إلى الحياة من جديد

في أحد الأيام، وبعد عودة تشيبيا هوان من المدرسة، طلبت منه مدام وانغ إعداد كوب من سوترا العاس لها. أشعره طلبها هذا بشيء من الأهمية: فأمر رينبو بإحضار الشاي، ومن دجاييد برايسليت لتقليل الفتيلة، ثم تذمر من غولدن برايسليت التي كانت تمنع عنه الضوء. وبما أنه كان غير محظوظ من قبل جميع الخادمات، فلم يهتم أحد لطلباته سوى رينبو، التي كانت على تفاصيم تام معه. أحضرت له الشاي، وهمست في أذنه قائلة:

- «لا تقلق بهذا الشكل، فأنت لا تتسبب إلا بمضايقة نفسك».

رمאה تشيبيا هوان بنظرة ازدراء وقال:

- «لا تُظهرني نفسك أمامي مهمومة بهذا الشكل، فأنا على علم من أنك تلتتصقين بباو-يو، ولم أعد أعني لك شيئاً».

على وقع هذا الإتهام الذي لا أساس له، صرّت رينبو بأسنانها، وقالت بامتعاض:

- «إذن، هذا ما بدر منك وأنا أحاول أن أكون جيدة معك؟ إنّ مثلك في هذا كمثل الكلب الذي ينوي عض لؤ نانغ-بين!»

في هذه الأثناء، وصلت مدام وانغ برفقة فينيكس، ومن خلفهما يسير باو-يو على مسافة. وبعد أن خلع عنه ثيابه الخارجية، جلس باو-يو في حضن والدته. فمسحت رأسه بحنان، وسألته عما كان يفعله طوال النهار:

- «أرى أنك كنت تشرب من جديد، فمن الأفضل لك الآن أن تمدد وتأخذ قسطاً من الراحة».

فعل باو-يو ما قالته الوالدة. بعد ذلك، بدأ يشكو من وجع في ساقيه، فطلب من رينبو أن تدلّكهما له. وافقت الخادمة، لكنّها بدت فاترة وتنتظر باستمرار لناحية تشيابا هوان. عندما لاحظ باو-يو ما يدرّ منها، همس لها قائلاً:

- «عزيزتي هاو تشييه-تشيه، لما لا تعطيني بعض من اهتمامك أنا أيضاً؟» حاول باو-يو الإمساك بيدها، فاندفعت مبتعدة عنه، مُهدّدة إياه بأنّها ستصرخ إذا لم يدعها وشأنها.

سمع تشيابا هوان ما دار بينهما، فلم يقوّ على كظم غيظه وغيرته. فتظاهر بعدم الانتباه، فحرّك بيده عبر الطاولة دافعاً بالشمعة إلى وجه باو-يو. أطلق باو-يو على الفور صرخة عالية بسبب الألم الذي سببه الشمع السائل لوجهه. أسرعت فينيكس إليه. وبينما كانت تمسح الشمع عن وجهه، قالت توبخ تشيابا هوان:

- «ألن تعلم أبداً أن تكون يقطاً؟ لقد قلت لك مراراً وتكراراً بأنك لا يمكن أن تكون موضع ثقة ولو للحظة. لا بد من أن تعمل تشاو بي-نيانغ على تحريك حسن المسؤولية فيك هذه المرة».

كان لإشارة فينيكس إلى والدة تشيابا هوان الطبيعية نتيجتها المتوقعة؛ فاستدعت مدام وانغ ووبختها قائلاً:

- «لما لا تعلمين ذلك الشرير من ذريتك كيف يكون أكثر انتباها؟ لقد رأيت الكثير من تصرفاته هذه تتكرر وتتكرر وأنا صامتة، لكن صمتني هذا قد جعله أكثر تهوراً وأقلّ يقظة».

كانت تشاو بي-نيانغ استياءها حول مشكلة باو-يو ولم تقل شيئاً. بينما راحت تهتم به وتفعل ما يمكنها من أجله. ولحسن الحظ، أنّ باو-يو لم يُعاني من شيء

خطر سوى بثرة أو اثنتين؛ ولم يؤثر الشمع الساخن على عينيه بشيء.
لم يُنهِ ما آل إليه وضع باو-يو من اهتمام مدام وانع؛ فالرغم من أن الإصابة
كانت بسيطة ولا تستدعي القلق، إلا أنها كانت قلقة بشأن وصول الخبر إلى سيدة
البيت التي ستستفسر عاجلاً أم آجلاً عما حصل. قال باو-يو لوالدته يؤكّد لها:
- «لا تقلقي، فهذا ليس بشيء يُذكر، ولو سألت لاو تاي-تاي عن الموضوع،
فسأقول لها بأنني أنا من قلب الشمعة على نفسي».

ردّت فينيكس:

- «حتى لو قُلت هذا، فهي لن تمتنع عن تأنيبنا لأننا لم نكن نضعك تحت
أعيننا طوال الوقت».

بعد دهن القليل من المرهم على موضع الإصابة، عاد باو-يو إلى غرفته، حيث
تسbibت الحادثة بالمزيد من مشاهد الإثارة. فما إن وصل إلى البيت، حتى أتت بلاك
دجاييد لتفقدّه—لكته غطى وجهه ولم يدعها تراه، لأنّه كان يعلم مدى تأثيرها، فلم يشا
أن يشغلها بالأمر.

بعد يومين، حدث أن جاءت ما تاو-بو، وهي امرأة عجوز مُتخصصة في التجميل
والعلاجات، في زيارة إلى يونغ كُوفو. عندما أبلغت بحادثة باو-يو، ذهبت على
الفور لتفقدّه، وراحت تمسح وجهه بيدها وتُتمم بعض الكلمات المُهمة، وقالت
بأنّه سيكون على ما يُرام في غضون بضعة أيام. وأخبرت سيدة المنزل بأن أولاد
الأغنياء عادة ما يكونون عرضة للأرواح الشريرة والحاصلة، فيدفعون بضحاياهم أو
ينكرونهم ويتبّبون لهم بقلب الأشياء على أنفسهم أو التعثر والسقوط. ولما سُئلت
عن كيفية منع هذه الأرواح الشريرة من التسبّب بالأذية، فقالت بأنّ هذه الأرواح
تكون عادة تحت سيطرة راهب بوذي معين، ولذلك تقام له الصلوات والأدعية
وتُقدم له القرابين. وقد وافقت على هبة خمسة أرطال من الزيت كل شهر من أجل
إبقاء الضوء الداخلي مُشتعلًا أمام بودا، ووعدت بتلاوة الصلوات من أجل باو-يو.
بعد مغادرتها لغرفة سيدة المنزل، ذهبت هذه المرأة إلى المجمع السكني الثاني
آملة في تلقي المزيد من التبرّعات. ووصلت في نهاية المطاف إلى غرفة تشاو يي-

نيانغ حيث وجدت مُبتغاها-كومة من قطع بعض المواد الصغيرة موجودة على الكانغ إلى جهتها. حينما سألت ما إذا كان بإمكانها الحصول على القليل من هذه القطع، قالت تشاو بي-نيانغ وقد أطلقت تنهيدة عميقة:

ـ «لن تجدي شيئاً ذو قيمة في كومة الأشياء هذه، لأنني لا أحصل فقط إلا على الأشياء التي لا يريدها الآخرون. وبالتالي، فأنت مُرحب بك للحصول على أي شيء يعجبك».

وانطلاقاً من هذه النقطة، انطلقت تشاو بي-نيانغ وافضت بكلّ مأساتها لهذه المرأة الساحرة—من الاهتمام الزائد من قبل العائلة تجاه باو-يو، إلى الظلم الذي يتلقاه ولدها، وبخاصة استياءها من فينيكس.

وكتيبة لما سمعته العجوز، قالت تسلّلها:

- «ولماذا لا تفعلين شيئاً بخصوص ذلك؟»

أجابتها تشاو يي-نيانغ:

— «ما الذي يمكنني فعله؟ جُلّ ما أتمناه أن لا يستمرّوا في مضايقي أكثر من ذلك».

قالت العجوز وقد ارتسمت على وجهها علامات الغلّ:

— «هناك العديد من الطرق والوسائل. والسؤال إذا ما كنت ستقبلين الاستعانة بـ». [١٣]

لم يمز تلميح العجوز هذا مرور الكرام على تشاو بي-نيانغ. وبعد فترة من النقاش والأخذ والرد، وصلت المرأة إلى نوع من الاتفاق-تعطي تشاو بي-نيانغ لـ ما تأوي-بُو كل ما في يدها الآن من مال نقدى، وورقة مالية مؤجلة الدفع بقيمة خمسين قابل تدفع لها عند بدء ظهور النتائج. بعد ذلك، قطعت المرأة العجوز شكلين من الورق وكتبت عليهما يوم، وشهر وسنة، وساعة ولادة باو-يو وفينيكس. ثم، قصت من قطعة ورق سوداء خمسة أشكال لأرواح شريرة، ثم ثبتهما بالدبابيس إلى الدمى التي تمثل الضحيتين. بعدها، طلبت من تشاو بي-نيانغ إخفاء هاتين الدمىتين: وقالت لها:

- «عليَّ الآن القيام بإعداد السحر، وفي غضون بضعة أيام، ستبدأ التائج بالظهور».

إثر هذا، وصلت خادمة من جناح مدام وانغ تقول:

- «تُريد تايِّ-تايِّ رؤية بيِّ-نيانغ».

وعلى الفور همت المتأمرين بتوديع بعضهما البعض، وذهب كل واحدة منها في اتجاه.

كان باو-يو لا يزال قابعاً في غرفته بسبب الحادثة التي تعرض لها. وخلال هذه الفترة، كانت أخواته الشابات يزرنها في مكان إقامته في الحديقة من وقت لآخر. وفي أحد الأيام، وبينما كانت بلاك دجاييد تقوم بزيارتها، وجدت عنده كل من فينيكس، ولبي هوان بالإضافة إلى بريشوس فيرتشو.

قالتا بصوت واحد عندما دخلت بلاك دجاييد:

- «ها قد أتت واحدة أخرى».

رأت بلاك دجاييد وهي تستطع بنظرها المجموعة:

- «يبدو لي وكأنَّ دعوة قد وجهت إلى الجميع للحضور إلى هنا!» سألتها فينيكس:

- «كيف وجدت الشاي الذي أرسلته لك بالأمس؟»

- «جيد جدًا»، أجابتها بلاك دجاييد بابتسامة، وتابعت: «لقد كنت على وشك أن أشكرك عليه».

قال باو-يو مُبدياً رأيه:

- «أنا من جهتي لم أهتم كثيراً، لكنني أتساءل كيف كان بالنسبة لآخرين». وهنا، تدخلت بريشوس فيرتشو تقول:

- «كان مع الشاي باقة أزهار جميلة، لكن الألوان لم تكن متناسقة».

- «إنها من القصر»، ردت فينيكس بنوع من عدم الرضا، واستمررت: «وصلت

بمثابة تحية من سِيام. هكذا قالوا لي، لكتني، وبصراحة لم أجدها بمستوى الأنواع التي نستخدمها عادة».

قالت بلاك دجايدي:

- «لقد أعجبتني كثيراً، وأستغرب لماذا لم تعجب البقية».

وفور هذا قال باو-يو:

- «في هذه الحال، يمكنك الحصول على باقتي».

- «لا داعي لأن تفعل ذلك»، ردت فينيكس بلطف، وأكملت: «فلا يزال لدى الكثير منها».

في هذه الأثناء، وصل لزيارة باو-يو كل من تشاو بي-نيانغ وتشو بي-نيانغ، محظية تشيما شين. نهض الجميع لاستقبالهما، باستثناء فينيكس، التي استمرت بالكلام كما لو أنها لم تنتبه لوجودهما. بعد قليل غادر الجميع ما عدا بلاك دجايدي التي طلب منها باو-يو البقاء قليلاً. عندما أصبحا لوحدهما، أخذ باو-يو يدها مُبتسماً دون أن يقول شيئاً. وكانت بلاك دجايدي على وشك سحب يدها والمغادرة، عندما شكي باو-يو بأنه يعاني من صداع شديد في رأسه.

قالت له بلاك دجايدي مُمازحة:

- «إنها لحجّة مفيدة لك الآن!»

وفجأة، قفز باو-يو ثلاثة أو أربعة أقدام في الهواء وهو يصرخ بشدة، ويردد كلمات غريبة غير مفهومة. أحست بلاك دجايدي والخدمات بالرعب، وبعثت بطلب مدام وانغ وسيدة القصر للحضور على وجه السرعة. وفي لحظة وصولهما إلى غرفة الفاواني، كان وضع باو-يو قد ازداد سوءاً. فقد كان يقفز من جهة إلى أخرى بجنون، وهو يُطلق أصوات غريبة، وكان واضحاً أنه يميل إلى أذية نفسه.

بدأت سيدة المنزل ومدام وانغ بالوعيل والهلع على باو-يو بعطف ممزوج بالذهول. وسرعان ما انتشرت الأخبار في كلا المجمعين. وحضر على الفور كل من تشيما تشينغ، وتشيما دجين وغيرهم من أفراد الأسرة الذكور، بالإضافة إلى العديد من السيدات مثل مدام هسينغ وأخريات. وفي وسط هذا الارتكاك،

دخلت فينيكس فجأة تلوح بسكين مهددة الجميع. وكانت، لحسن الحظ، زوجة شو دجوي قد أحضرت معها العديد من الخادمات القويات، اللواتي عملن على نزع السكين من يدها قبل التسبب بأذية أحد، ونقلوها على وجه السرعة إلى غرفتها وهي تصرخ باضطراب.

كان هناك العديد من الاقتراحات والطروحات حول ما الذي يمكن فعله في مثل حالي هذين المصابين، ولكن لم يصل أي منها إلى نتيجة. تطورت حالتا كل من باو-يو وفينيكس واستفحلتا، لدرجة فقدان الخادمات السيطرة وحيرتهن في كيفية التصرف. وهكذا، تم نقلهما إلى غرفة خاصة في جناح مدام وانغ-بينما تتبع على مراقبتهما كل من: سيدة المنزل، مدام وانغ، مدام هسينغ، وهسوبي بي-ما.

بعد ثلاثة أيام، أصيب المريضين بالضعف والوهن نتيجة الهذيان؛ فكانا ممددين في السرير صامتين، وبالكاد تظهر عليهما علامات الحياة. وبعد فقدان الأمل بالشفاء، بدأت العائلة بالتحضيرات الالزمة لهما لما بعد الوفاة.

في صباح اليوم الرابع من الحادثة، فتح باو-يو عينيه بشكل مفاجئ، وقال يُخاطب سيدة المنزل بشق النفس:

- «لن أبقى مزيداً من الوقت معكم، لقد آن الأوان لكي ترسلوني بعيداً رحلتي الأخيرة المقدّرة لي».

كان وقع هذا الكلام قاسياً على سيدة البيت، وشعرت وكأن خنجراً ينهش في أحشائها. وعلى الأثر، حاولت تشاو بي-نيانغ التخفيف عنها، فقالت:

- «من الواضح أن لا أمل من نجاته، فمن الأفضل له تبديل ملابسه وتركه يرحل بهدوء. إن عملية حجزه، لن تزيده إلا ألماً ومعاناة».

وعلى الفور، تفتت سيدة المنزل في وجهها، وقالت بغضب شديد:

- «فليتعفن لسانك أيتها المرأة الشريرة. ما الذي جعلك تعتقدين بأن لا أمل له بالنجاة؟ من الواضح أنك ستستفيدين من وفاته، لكنك على خطأ. ولسوف اعتبرك مسؤولة عن أي شيء قد يُصيبه في الفترة المُقبلة. أعتقد بأن كل ما يحصل هو بسببك-لقد قلبت والده ضده، ودفعته إلى اضطهاده حتى

أصبح يرتعب من مزاحه. إنَّ الذنب ذنبك، ولسوف تُعاني الكثير إذا ما
مات، أعدك بذلك».

شعر تُشِيباً تُشينغ بالذعر من اتهامات سيدة المنزل، فطلب من تشاو بي-نيانغ
المغادرة، وشرع يسترضي والدته ويُهدئ من روعها. وما هي إلا لحظات، حتى
وصل أحد الخدم من الخارج يقول بأنَّ الكفين قد أصبحا جاهزين. انفجرت السيدة
لسماع هذا الخبر من جديد:

- «من أمر بإعداد الكفين؟ إذهبوا واعرفوا من هو وأضربوه حتى الموت!»
وفجأة، سمع من الشارع صوت عربة خشبية، ونداء أحد يقول بأنه يشفى من
استحوادات الأرواح الشريرة، وأنه يطردها من المصابين بها. وعلى الفور، أرسلت
السيدة أحد الخدم لتحرّي الأمر. وبعد قليل، عاد الخادم ليقول بأنَّ هناك راهباً بودنِيَاً
برأس أُجْرَب وبرفقة كاهناً طاويناً يُعرج من ساق واحدة. سأله تُشِيباً تُشينغ من أين
هما، لكنَّهما لم يجيئا على هذا السؤال، واكتفتا بالقول:

- «ليس هناك من داعٍ لأن تعرف هذا، يكفي أننا قد أتينا إلى هنا من أجل
تقديم المساعدة إلى المريضين في قصرك».

وعندما سألهما تُشِيباً تُشينغ عن نوع العلاجات التي بحوزتهما، قال الراهب:
- «لديك علاج مدهش موجود أصلاً بين يديك، ولكنك، ويا للأسف، لم
تعرف كيف تستخدمه».

وقف تُشِيباً تُشينغ يتأمل في مقصد الكاهن من هذا الكلام، ثم قال:
- «نعم، نعم! لقد ولد بأو-بيُو وفي فمه قطعة حجر كريم، وعليها بعض
الكلمات التي تعمل على طرد الأرواح الشريرة. ولكنها، كما تري، لم تؤتِ
ثمارها كما هو الأمل بها».

- «ذلك بسبب وجود شيء ما فشلت في فهمه»، رد الكاهن، وتتابع: «لقد
وُهِبَ هذا الحجر قوى خارقة، ولكن أشياء هذا العالم المادي والفاني،
عندما أصبحت أشياء على تماส مع هذه الحجر، فقد جزَّته من هذه
القوى الخارقة. ناولني إياه، وسأعمل على استعادتها».

أخذ تشييا تشينغ الحجر من رقبة باو-بيو، وناوله للكاهن. أمسكه هذا الأخير، وراح يُراقبه بتمعن، وقال بعد أن أطلق تنهيدة عميقة:

- «ها أنا أراكِ بعد ثلث عشرة سنة من بعد ما رأيتَ آخر مرة تحت قمة

المروج الخضراء. كم عملت أشياء الأرض الفانية على تشويه وحجب

فهمك الروحاني، وكم هو عار بقائك هنا لفترة أطول!»

كان الكاهن يقول هذا الكلام للحجر الكريم، ثم بدأ يقول بعض الكلمات

الأخرى الغامضة، بينما كان يُمسنه ويُلاطفه ويُمسح عليه برفق. وبعد قليل، أعاده

إلى تشييا تشينغ قائلاً له:

- «والآن، وقد عادت إليه قواه الإعجازية، عليك بتعليقه فوق باب المريض،

وسوف يبدأ تأثير قواه السحرية على الفور—وفي غضون ثلاثة وثلاثين يوماً،

سوف يُشفى المريضين تماماً.

وإثر ذلك، غادر كل من الكاهن والراهب المكان، راضيين البقاء من أجل

الشاي. علق حجر اليشم الكريم فوق الباب بحسب التعليمات؛ وعلى الفور بدأت

بواحد استعادة كل من باو-بيو وفينيكس لوعيهما، ولأول مرة منذ عدة أيام، طلباً

الطعام. ثم بدأت بواحد تحسنهما تظاهر بسرعة، ومع نهاية فترة الثلاثة والثلاثين يوماً،

شُفيا تماماً كما كان توقع الكاهن الطاوي.

الفصل التاسع عشر

وفيه تشعر غولدن برايسليت بالعار بسبب اهتمام
باو-يوُ الزائد بها
وتتأثر بلاك دجايدي بشكل عميق، بسبب بوج باو-يوُ بحبه لها

في أحد الأيام، وبعد زيارة قامت بها بلاك دجايدي له، كان باو-يو يجوب في
الفناء الخارجي. كانت نهارات الصيف طويلة وحرارة، وكان الصمت يُخيم على
كل شيء، والجميع يأخذون قيلولة الظهرة. في نهاية جولته هذه، دخل إلى غرفة
والدته. فرأها جالسة على مقعد من الخيزران، وإلى جانبها غولدن برايسليت، تُدلك
لها ساقيها. كانت الخادمة تشعر بالنعاس أيضاً، وعيناها شبه مغلقتين. وبصمت،
تقدّم منها باو-يو ومسكها من أذنها، وقال:
- «كم أنتِ نسأنة اليوم!»

فتحت الخادمة عينيها بصعوبة، ثم أغلقتهما مرة ثانية بعد أن دفعته لكي يتركها
لشأنها. ثم انحني من فوق كتفي مدام وانغ، وتأكد من أنها نائمة أيضاً. في تلك
اللحظة، قرر الحديث مع الخادمة التي كانت لا تخلو من الجاذبية؛ فأخرج من جيده
قرص مُعطّر ووضعه في فمهما، فتقبلته من دون أن تفتح عينيها. أمسك باو-يو بيدتها
وهمس لها قائلاً:

- «سأطلب من تاي-تاي أن تسمح لي بك، لنكون معاً».
عندما لم تُجب الخادمة بشيء، استمرّ باو-يو بالكلام:

- «سأذهب الآن، ولكن سأسأل تاي-تاي عندما تصحو عن ذلك».
- عندما شعرت غولدن برايسليت بأنه ذاهب فعلاً، قالت مُستهجنة:
- «ولما العجلة؟ دعني أخبرك سرًا: إذا ذهبت إلى الجهة الشرقية من الفناء، فسوف تمسك هوان-كو ورينبو بالجُرم المشهود».
- «لا أهتم بما يفعلون» قال باو-يو غير مُكترث، وأضاف: «أريد فقط البقاء معك هنا».

وفجأة، نهضت مدام وانغ وصفعت الخادمة على وجهها، وقالت تُعتفها:

- «أيتها العاهرة الصغيرة المُتحطّة! لا زلت على عادتك من إفساد أخلاق الأولاد».

ثم استدعت مدام وانغ الخادمة دجاييد برايسليت شقيقة غولدن برايسليت، وقالت لها:

- «إذهي واحضرني والدتك لتأخذ أختك بعيداً من هنا».

عندما سمعت غولدن برايسليت كلام مدام وانغ، جشت أمامها على ركبتيها تتوسل إليها بخوف قائلة:

- «تاي-تاي، أرجوك لن أفعل أي شيء مثل هذا مرة ثانية. يمكن لـ تاي-تاي أن تُعاقبني بالطريقة التي تشاء، ولكن لا تُبعديني عن هنا... أصبح لي بخدمة تاي-تاي عشر سنوات حتى الآن، وكنت لطيفة جداً معي - وكيف لي أن أواجه العار إذا ما طردتني تاي-تاي بعيداً؟»

اعتدت مدام وانغ بصورة دائمة على معاملة خادماتها باللعن والرhma، ولم تُفكّر مرّة في مُعاقبة أي واحدة منها. لكنها كانت صارمة جداً في هذا النوع من الجحود كالتي ارتكبها غولدن برايسليت. ولهذا، وبالرغم من مُناشدة الخادمة لها، أرسلت بطلب والدتها، وطردتها بطريقة مُخزية.

في هذه الأثناء، تسلّل باو-يو بعيداً دون أن يدرى بما حصل لتلك الخادمة البائسة. ومع أنه كان نادماً وحزيناً من إيقاع غولدن برايسليت في هذه الورطة، إلا أنه لم يكن مهتماً كثيراً بالأمر، معتقداً أن مدام وانغ لن تقدم على شيء بخصوص

الخادمة أكثر من توبيقها، وبالتالي، نسيان هذا الفصل. وهذا ما حدث، عندما وصلت ريفر ميست من بعدها لزيارته، وتحت تأثير رؤيتها من جديد، نسي باو-يو كل شيء عن الحادثة.

وفي أحد الأيام، وأثناء قيام كل من ريفر ميست وبريشوس فيرتشو بزيارة إلى باو-يو في غرفته، أرسل والده أحد الخدم يطلبها، وقال له بأنّ شيئاً يو-تسون موجود في قاعة الضيافة، ويطلب رؤيتها. تضائق باو-يو من ذلك، وقال متذمراً وهو يُدلى ثيابه:

- «لا أدرى لماذا يستدعيني هذا الرجل في كل مرة يأتي فيها إلى هنا».

قالت ريفر ميست مُمتازجة:

- «قد يكون بسبب اعتقاد لاو-يه بأنك مضيف جيد، وإنما كان أرسل في طلبك».

أجابها باو-يو بعبوس:

- «لكته ليس لا-يه، إنه نفسه هو الذي يُريدني».

- «يُقال بأنه عندما يكون المضيف أهلاً للثقة، تزداد أعداد الزوار. فلا بد أن يو-تسون يعتبرك مضيفاً مؤهلاً، وعليك أن تشعر بالسعادة لذلك».

- «يكفي هذا»، قال باو-يو بنفاذ الصبر، وأكمل: «أنا لا أدعى بأنني مؤهل، ولا أريد التعامل مع هذا النوع من الأشخاص المؤهلين مثله».

- «لا يزال الأمر هو نفسه يا باو-يو»، قالت ريفر ميست مُعلقة، وتتابعت تقول: أفترض بأنك مهتم بامتحاناتك الآن، فأنت لا تزال صغيراً وتطمح في الحصول على الشهادة. وفشلك في تحقيق ذلك، يعني اضطرارك إلى التنسيق أو التعامل مع الموظفين الرسميين من أجل تعلم شيئاً من عالمهم، والتعرف إلى بعض الأصدقاء للاستعانة بهم في المستقبل. ولسوف تبقى في مكانك، إذا ما أمضيت عمرك بيننا».

- «وسيسعد كوني ناغ بالذهب إلى أي مكان آخر»، قال باو-يو وقد علت وجهه دلائل وهم الفخر، وتتابع: «أخشى بأنني غير مؤهل لواحدة حكيمية مثلك».

قالت بيير فايدينغ فريغرانس تُخاطب ريفر ميست:

- «كُو-نيانغ لا تتكلّمي معه بهذه الطريقة. عندما طرحت باو كُو-نيانغ الموضوع، نهض وغادر الغرفة من دون أن يقول شيئاً. شعرت بالدهشة من هذا السلوك، إلا أن باو كُو-نيانغ لم تشعر بأي إهانة. ولو حدث هذا مع لين كُو-نيانغ، لكان المشهد مُغايراً تماماً. لكن الحق يُقال: أن باو كُو-نيانغ نادرة—إنها لطيفة ومتسامحة، وسخية أيضاً، بالرغم من أن هذه الصفة الأخيرة قد يطول الحديث عنها. أما عندما تشعر لين كُو-نيانغ بالمهانة، سواء أكان ذنبها أم لا، فإنها تذهب إليها وتبدأ بالتذلل والاستعطاف».

قال باو-يو وقد شعر بالملل:

- «لكن لين كُو-نيانغ لم تقم بهذه الأشياء المُبتذلة مطلقاً. وإذا ما كانت قد فعلت ذلك، فلسوف أشعر بال شيء نفسه تجاهها».

قالت كل من بيير فايدينغ فريغرانس وريفر ميست بسخرية:

- «نعم، بالطبع! إنه شيء مُبتذل أن تكون الأحاديث عن هذا النوع من المواضيع».

في هذا الوقت، وصلت بلاك دجاييد إلى صومعة الفاوانيا، وسمعت ملاحظة باو-يو. كانت سعيدة بها، لكنها كانت أيضاً مُفاجئة بما سمعته: كانت سعيدة لأنها لم تُخطئ في الحكم عليه؛ ومُفاجئة، لأنَّه سيكون سلوكه هذا طائشاً من حيث التصريح العلني بمشاعره تجاهها أمام الآخرين. ولم تلبث أن شعرت بالحزن حينما تذكريت الحديث بشأن المصير المرتبط بالذهب وحجر اليشم الكريم. ولماذا الإشارة إلى هذا المصير طالما أنها وباؤ-يو يُحتجان بعضهم البعض—طالما أنهما مقسومين لبعضهما البعض؟ ولماذا لا تملك هي هذا الرمز الذهبي بدلاً من بريشوس فيرتشو؟

بعد ذلك، راحت تُفكِّر مليأً في حقيقة أنَّ والديها مُتوفين، وأنَّها محرومة من الوالدة التي يُمكن أن ترکن إليها أو تبough لها بأسارها أو بما تشعر به، ولكن عليها أن تصبر على ما قضاه القدر. وعلاوة على ذلك، فهي لم تكن أبداً على ما يُرام، وقد حدث مؤخراً، أن حذرها الأطباء من ضعف دمها وانخفاض حيويتها، وأنَّ هذا النوع

من الهزال التدريجي سيبدأ بالظهور الفعلي ما لم ت العمل على استعادة عافيتها وقوتها على وجه السرعة. ثم بدأت تفكّر وتتذكّر: «رُغم أنني أقدر حُبكِ، لكنني لست قادرة على انتظارك إلى ما لا نهاية». وبعد أن وخذتها هذه الكلمات في صميمها، بدأت دموعها تنهر من جديد، فما لبثت أن عادت أدراجها دون أن يشعر بوجودها أحد. لكن باو-يو الذي انطلق يتمشى في قاعة الضيوف فجأة، وعن غير قصد، قد لاحظ وجودها قبل أن تصرف، ولم يشكك في تمييزه آثار الدموع على وجنتيها. فسألها على الفور:

- «إلى أين أنتِ ذاهبة، ماي-ماي؟ ولماذا كنتِ تبكي؟»
- «لم أكن أبكي؟»، قالت بلاك دجايدي، وهي تحاول أن تُخفِّي عينيها، وتتابعت:
«علامَ أبكي؟»
- «لا تزال هنالك دموع في عينيكِ، فكيف تنكرين ذلك؟»
حاول باو-يو مسح الدموع من عينيها، لكنها تراجعت إلى الوراء وقالت:
«لقد نسيت نفسك من جديد!»
- فقال باو-يو ملطفاً:

- «إن دموعك تدفعني إلى نسيان كل شيء، حتى الموت نفسه».

- «الموت لا يعني شيئاً»، ردت عليه بلاك دجايدي وأضافت: «وما الذي ستفعله بالقلادة الذهبية إذا ما مت؟»

قال باو-يو، وقد شعر بالانزعاج:

- «ما الذي تقصدينه فعلاً لكي تُشيري باستمرار إلى تلك الأشياء؟»
بعد أن تذكّرت شجاراتهما الأخيرة، وما قالته لها الخادمة حولها، تراجعت بلاك دجاييد عن كلامها السابق ، فقالت بنبرة أشبه بالاعتذار:
«سامحني. لقد أخطأت، ولكن لا يجب أن تكون عصبياً إلى هذه الدرجة.
إن عروقك تقاد تفجر في جهتك».

حتى أنها نسيت نفسها هي أيضاً، وراحت تمسح العرق عن جبهة باو-يو.

فصمت باو-يو وكأنه في حالة تأمل، ثم قال:

- «يمكنك أن تطمئني».

ذهلت بلاك دجاييد من هذا الكلام المطمئن، والذي بدا لها وكأنه ليس في مكانه ولا يناسب الحديث. فقالت تسأله:

- «وما الذي علي أنأشعر بالاطمئنان لأجله؟ لا أعرف عما تتكلم أصلاً».

- «ألم تفهمي فعلاً»، قال باو-يو وأكمل: «إذن، لا بد أنني كنت مخطئاً في تفكيري بخصوصك، وأتساءل ما إذا كنت فعلاً قد سببتك أي نوع من الغضب أو الإزعاج».

- «أنا فعلاً لا أفهم ما تعنيه بالاطمئنان وعن انشغال البال، أو بعده... لست أفهم...».

وهنا، قاطعها باو-يو قائلاً بجدية واضحة:

- «لا تظاهري بأنك لا تفهمي، ماي-ماي، فهل كنت إذن على خطأ طوال الوقت، وأن كل تفكيري بك كان بلا معنى؟ فإذا كان ذلك صحيحاً، فسأكون قد ظلمتك أيضاً. لقد عانيت الكثير من المرض، لا شيء إلا لأنك شديدة القلق. فلو لا أنك لا تنهكين نفسك بالقلق الذي أقصده، لما كان مرضك على حافة الخطر كل لحظة».

كان لهذه الكلمات وقع الصاعقة على بلاك دجاييد لأنها كانت تُشبه إلى حد بعيد أفكارها الدفينة كما لو أنها قد انثرت من صميم قلبها. كان لديها آلاف الأشياء التي تُريد قولهها، لكن ردة فعلها لم تزد عن تحديقها بـ باو-يو بصمت. أما باو-يو فقد أحسن بالمثل، فراح يُحذّر بها جامداً صامتاً على غير عادته، بينما اغروقت عينا بلاك دجاييد بالدموع من جديد، وهي تعمل على إخفاء عواطفها الجياشة تجاهه مُحاولة الانصراف. وفي الحال، أوقفها باو-يو قائلاً لها:

- «ماي-ماي، لا تغاري قبل أن أتحدى معلم بشيء طرأ على رأسي الآن».

- «لا داعي لذلك»، قالت بلاك دجاييد وهي تُتابع انصرافها، وأضافت: «لأنني أعلم ما هو».

في هذه الأثناء، وصلت بيرثايدينغ فريغرانس بعد اصراف بلاك دجايدي، وهي تحمل مروحة باو-يو التي كان قد نسيها سابقاً. قالت له:

- «لقد نسيت مروحتك، ولحسن الحظ أني وجدها، وأتيت لك بها».

كان باو-يو لا يزال مشغول الفكر حول بلاك دجايدي، ولم يدر بعد بأنها قد غادرت المكان، كما أنه لم يشعر بوصول الخادمة بيرثايدينغ فريغرانس. ودون أن يشعر، أخذ بيديها وقال بنبرة عاطفية:

- «ماي-ماي، لم أجرؤ أبداً على البوح بأسرار قلبي إليك من قبل. فسأكون شجاعاً اليوم، ولا يهمني لو أدى ذلك إلى موتي. لكنني أيضاً مريض لأنني دائم التفكير بكـ لا أجرؤ على البوح بهذا لأيٍ كان، ولن أشعر بالتحسن والراحة، إلا إذا شعرتِ أنتِ كذلك؛ فأنا لا أستطيع نسيانكِ حتى في أحلامي».

عند سماعها هذا الكلام، أُصيبت بيرثايدينغ فريغرانس بالدهشة، فأوقفته وقالت:

- «هل جئتِ» نسيت أن أقول لك بضرورة ذهابك على الفور إلى لاو-يهـ فقد يفقد صبره ويغضب إذا لم تذهب في الحال».

حين أدرك ما فعله، طفح وجه باو-يو بالخجل وهرع يغادر المكان على عجل، تاركاً بيرثايدينغ فريغرانس مُتتطرفة تحت الشمس الحارقة، وهي تسأله بينها وبين نفسها عما كان يدور بين باو-يو وبلاك دجايدي. في تلك اللحظة، أطلت بريشوس فيرتشو وسألتها عن الذي كانت تُفكّر فيه بهذا الاهتمام، فردت:

- «لا شيء أبداً، لقد كنت فقط أراقب الطيور من حولي».

فسألتها بريشوس فيرتشو من جديد:

- «لماذا كان باو-يو مغادراً على عجلة من أمره؟ كان يسير بسرعة لدرجة أنه لم يتوقف حتى لمُكالمتي».

قالت بيرثايدينغ فريغرانس:

- «لقد أرسل لاو-يه بطلبها».

- «لا غرابة في هذا»، قالت بريشوس فيرتشو، واستكملت حديثها قائلة بقلق: «أتمنى أنه لم يتذمّر شيء مفاجئ يريد توييخ باو-يو عليه». ردت بيرفایدینغ فریغرانس بهدوء: «لا أبداً، لا شيء من ذلك لحسن الحظ. لقد فهمت أن هناك زائر يرغب برؤيته».
- «أعتقد أن أي شخص عاقل سيفكر في منزله في مثل هذا اليوم الحار بدلاً من الزيارات واستدعاء الأشخاص وإزعاجهم—إنه حقاً لتصرف أحمق!» وافقتها بيرفایدینغ فریغرانس على ذلك بالقول: «إنك على حق».

سألتها بريشوس فيرتشو:

- «ولكن أخبريني، ما الذي تفعله شيء كُو-نيانغ الآن؟»
- «لقد كُنا نتحدث للتو. كنت أعمل على حياكة نعلين لها، وقد أعجبها كثيراً. كنت أتمنى أن أطلب منها حياكة زوجين لي أيضاً».

عندما سمعت بريشوس فيرتشو هذا، نظرت من حولها لتأكد من عدم وجود أحد في الجوار، ثم قالت تُخاطب بيرفایدینغ فریغرانس بصوتٍ مُنخفض:

- «ألم تلاحظي بأنك عميقة التفكير كعادتك؟ ألا تدرين بأنها مُغمضة في أعمال المنزل؟ لم تقل لي أي شيء بالتحديد، لكنني أعتقد بأنَّ أهل بيتها ليس لديهم ما يكفي من الخدم لخياطة ما يحتاجون إليه بأنفسهم، ولذلك كان عليهم القيام ببعض أعمال الخياطة العائلة لهم بأنفسهم. فكيف تتوقعين منها إيجاد الوقت لحياكة أي شيء لكِ وتتنفيذ طلباتك كما تعتقدين؟»

- «أعتقد أن كُو-نيانغ على حق»، قالت بيرفایدینغ فریغرانس، وتتابعت: «طلبت منها الشهر الماضي صناعة بعض العقد على شكل فراشات، لكنها لم ترسلها لوقت طويل. ثم أنها اعتذرَت فيما بعد لأنَّها لم تعتني بحياكتها جيداً، قائلة بأنَّها ستبدل جهدها في صناعة أشياء أجمل حينما تأتي لزيارتـنا

لاحقاً. كل ذلك لأنها لا تملك الوقت الكافي في بيتها. يا لي من إنسانة رعناء. ولكنك تعلمين كيف هو باو-يو؟ إنه دقيق جداً، ليس فقط بخصوص العمل، ولكن بخصوص الشخص الذي يقوم بتنفيذه أيضاً.

بعد ذلك، وصلت إحدى الخدمات العجائز، فسألتها:

- «ألم تسمعاً؟ لقد قفزت غولدن برايسليت إلى البئر، وأغرقت نفسها!»

وعلى الفور. سألتها بيرفایدینغ فريغرانس بذهول:

- «أي غولدن برايسليت منهن؟»

- «هناك خادمة واحدة بهذا الإسم»، قالت العجوز، وأضافت: «تلك التي في غرفة تاي-تاي. لسبب ما كانت تاي-تاي غاضبة منها وأعادتها إلى عائلتها. لقد قضت وقتها تبكي من بعد إرسالها إلى البيت، ولكن لم يأبه لها أحد. وبعد أن اختفت بالأمس لفترة طويلة، اكتشف أحدهم جثة في البئر، وبعد أن تم سحبها تبين أنها عائدة لها».

على وقع هذه القصة المأساوية، هرعت بريشوس فيرتشو إلى جناح مدام وانغ، ووجدها في غرفتها تبكي لوحدها، وبما أنها لم تكن ترغب في فتح الموضوع، جلست صامتة دون أن تُبالي بوجود أحد.

ثم، التفت بشكل مفاجئ باتجاه بريشوس فيرتشو، وسألتها وفي صوتها غصة:

- «أين كنتِ الآن؟»

- «كنتُ في الحديقة».

- «هل رأيتِ باو-يو؟»

- «نعم، رأيته. فقد كان يرتدي ثيابه وفي طريقه إلى مكان ما، وبدا لي أنه على عجلة من أمره».

- «هل علمتِ بأنَّ غولدن برايسليت قد ألقت بنفسها في البئر؟»

- «أحقاً ما تقولين؟ ولما عليها أن تفعل ذلك؟»

نهدت مدام وانغ، وقالت:

- «منذ بضعة أيام، كسرت شيئاً ما. وبدون مقدمات، وبسبب فقداني لأعصابي، صفعتها وطردتها إلى بيتها. ومن كان يظن بأنها ستأخذ الأمر على هذا النحو وتُغرق نفسها في البئر! آه لن أن أسامح نفسي وإلى الأبد على تسببي لها بالموت بهذه الطريقة؟»

قالت لها بريشوس فيرتشو وهي تُهدئ من روعها:

- «بالطبع ستشعر تاي-تاي بالذنب وتلوم نفسها، لأنها شديدة الحساسية وحقيقة القلب، ولكنني لا أعتقد بأنّ غولدن برايسليت قد تأثرت إلى هذه الدرجة لتعلقها بنفسها إلى البئر—لا بدّ من أنه حادث. فإذا لم يكن كذلك، فهذا يعني بأنّها لم تكن تقدّر طيبة تاي-تاي حق قدرها، وأنّها لا تستحق حتى حزن تاي-تاي عليها».

- «أتمنى أن تكوني على حق، يا صغيرتي»، قالت مدام وانغ، وتابعت تقول بحزن: «ولكنني لا زلت أتمنى لو أنّي لم أكن بتلك القساوة معها».

قالت لها بريشوس فيرتشو في محاولة منها لکبح أحزانها:

- «عليكِ ألا تلقي الملامة على نفسك إلى هذه الدرجة. فليس باستطاعتكِ أن تفعلين شيئاً الآن، سوى معاملة عائلتها بسخاء».

- «لقد أعطيتُ والدتها خمسين تايل»، قالت مدام وانغ، وأكملت تقول راضية: «و كنتُ أفكّر أن أعطيها ثوباً جديداً من أجل الدفن، ولكن حدث أنه لا يوجد أي شيء جديد. سوى ثوبين أعداً خصيصاً من أجل لين مای-مای لمناسبة عيد ميلادها القادم. ولا أستطيع أن أطلب من لين مای-مای ذلك. إنها فتاة حساسة وليس على ما يرام، كما تعلمين، ومن المُمحتمل أن تتشاءم من هذا الشيء. لكنني سأطلب من الخياطة أن تعمل بأسرع ما يُمكّنها على خياطة ثوب لها—فلو أنّ الأمر يتعلق بخادمة أخرى، لما انشغلت واهتممت إلى هذا الحد، لكنّ غولدن برايسليت كانت بمثابة ابنة لي».

وما إن أنهت كلامها، حتى انفجرت باكية من جديد.

اقربت بريشوس فيرتشو منها تُخفّف عنها قائلة:

- «لست بحاجة إلى خياطة ثوب جديد، فلدي بعض الأثواب التي خيطتها منذ بضعة أيام ولحسن الحظ أتنى ووالدتها نلبس المقاس نفسه أيضاً.

سألتها مدام وانغ على الفور:

- «ألا تتشائمين من هذه الأشياء؟»

قالت بريشوس فيرتشو وهي ذاهبة لإحضار الثوب:

- «لا، لا أبداً».

عندما عادت بريشوس فيرتشو بعد لحظات، وجدت باو-يو يجلس إلى جانب والدته وهو يبكي. ومن الواضح أنه قد علم بموت غولدن برايسليت، وبأنه قد تلقى توبيخاً قاسياً من مدام وانغ.

الفصل العشرون

وفيه يكتشف تشيما تشينغ مُعَامِرات ولده الخاطئ
ويُعاني باو-يو من عقوبة والده الصارم

حينما علِم باو-يو بانتحار غولدن برايسليت، كان قلبه قد انفطر حُزناً عليها، وعندما وبخته مدام وانغ، كان على قناعة كبيرة من أنه قد عمل على تبرير نفسه بما يكفي لرفع المسؤلية. وكم كان سعيداً حينما دخلت بريشوس فيرتشو وأنقذته من المأزق الذي كان فيه. خرج من بعد ذلك، وراح يهيم على وجهه في الساحات يائساً ويدون هدف، إلى أن وجد نفسه واقفاً في البهو الأمامي. وعندما استدار من حول السور، اصطدم بشخص دون أن يُميّزه هو - ثم سمع هذا الشخص يصرخ به:

- «قف مكانك!»

نظر إلى أعلى ليتعرف إلى صاحب الصوت، فتفاجأ بوالده واقفاً أمامه وهو يُحدّق في وجهه. وقف جانباً احتراماً وهو يلهث بلا إرادة. سأله والده:
- «لماذا تلهث وتتنقد بهذه الطريقة؟ لقد استغرقك المجيء وقتاً طويلاً منذ أن استدعاك يو-تسون إليه. وعندما حضرت لم تقل شيئاً. تبدو لي مُشتتاً وضيق الصدر وغير هادئ، هات أخبرني ما الذي يُحزنك ويُشغلك الآن؟ وما هو السبب المُمكِن الذي يجعلك ساخطاً إلى هذا الحد؟»

من المعتاد أن يكون باو-يو سريع البديهة، لكنه الآن، وهو مشغول البال بموم غولدن برايسليت، كان يرحب في اللحاق بها إلى العالم الآخر. لم يكن يسمع ما الذي كان يقوله له والده، بل كان يقف كمَن فقد قُدرته على النطق. وبالمثل،

فإن تشيأ تشينغ بدا مُنزعجاً من صمته وارتباكه الواضح؛ فهو لم يكن غاضباً في البداية، لكنه قد يشعر بذلك الآن—كان على وشك أن يُوجه مزيداً من كلمات التوبيخ والتحذير لولده، بينما أعلن عن وصول ضابط من قصر أمير الولاء والطاعة. أربك ذلك تشيأ تشينغ لا سيما وأنه لا تربطه مع الأمير أي علاقة معرفة. وعلى الفور، وضع على نفسه الثوب البلاطي، وأسرع لمقابلة المبعوث.

قال الضابط:

- «طلب مني التدخل بسبب قضية حساسة تهم الأمير وأحد أفراد عائلتك، ويتمنّى الأمير عليك التوسط... أتمنى من فخامتكم أن تعذروني على التدخل، وأن تُعيروا القضية الأهمية التي تستحقها».

ازدادت حيرة تشيأ تشينغ على وقع ما سمعه أكثر من ذي قبل. فنهض من مكانه وقال:

- «وهل سعادتكم مُحرجون من أن تكونوا صريحين بحيث يكون تلميذكم المتواضع على مستوى الاستجابة والطاعة؟»

- «إنها لقضية سهلة وبسيطة، إذا ما قلتم سعادتكم الكلمة الفصل»، قال الضابط هذا وتابع: «هناك ممثل في قصر الأمير يُدعى تشي-گوان، والذي اختفى عن الأنظار منذ عدة أيام. وبعد البحث وتقضي العديد من أماكن الترفيه في العاصمة، تبيّن لنا أن ثمانية أشخاص من أصل عشرة يعرفون أنه على علاقة وطيدة بحضوره وريثكم النبيل. وعندما عرفنا بذلك، لم نتوانى عن المجيء إلى هنا من أجل البحث عن هذا الممثل كما لو أثنا ببحث عنه لدى عائلة عادية. ولهذا أبلغنا الأمير بالأمر، فقال لنا بأنه لم يكن يرغب في إزعاج فخامتكم لو أن الأمر متعلق بمئة ممثل موجودين لديه في القصر، إلا أن الموضوع مع تشي-گوان يختلف كلياً؛ فهو مهم وأساسي بالنسبة لسعادة الأمير وموته في هرمه. ومن هنا، نناشدكم أن تسألوا وريثكم الكريم التنازل عن تشي-گوان، من أجل التخفيف من قلق الأمير، وأن تسمح لضابطه المتواضع في إتمام بحثه الضروري لإيجاده».

وفور انتهاء مبعوث القصر من كلامه، انحنى احتراماً كما بدأ.
صعق تشيما تشينغ لما سمعه، فاستدعي باو-يو على الفور وقال له:
ـ «أيتها المُخادع المستحق للموت! ألا يكفيك أنك تُهمِّل دروسك، لترتكب
أيضاً جرائم الخيانة؟ إنَّ تشي-كُوان هو خادم الأمير الخاص، فكيف تجرؤ
على إخفائه وتجلب عليَّ المصائب؟»

والواقع، أنَّ باو-يو كان قد تعرَّف إلى تشي-كُوان، واسمه الحقيقي هو تشييانغ
يُو-هان، في حفلة عيد ميلاد هسوبيه بان. فتعلقاً ببعضهما البعض؛ فتبادل الإثنان
الهدايا، وازداد تواصل كلٍّ منهما بالآخر. تفاجأ باو-يو بتطور الأحداث، إلا أنه
نفى الاتهامات المُوجَّهة له، وكذلك أي علم له حتى بمعنى الكلمة «تشي-كُوان».
لكنَّ ذلك لم يكن ليقنع مبعوث القصر بسهولة. فقال عند سماع ذلك وعلى وجهه
ابتسامة ساخرة:

ـ «أرجوك لا تُحاول إخفاؤه. لذلك، إذا كان مختبئاً في القصر، أو إن كنت
تدرِّي بأماكن وجوده، فأرجو من جانبك تنويري، لأنَّ ذلك سيُوفِّر علينا
المزيد من عناء البحث».

أصرَّ باو-يو على عدم علمه بمكان المُمثل، وقال:
ـ «صدقني لا أعلم أي شيء عن القضية، ومن المؤكَّد أن المعلومات التي
وصلتني عنِّي خطأة».

ـ «لدينا الدليل على ذلك»، قال مُساعد القصر، ثمَّ تابع مُبتسماً: «لكتنا لا
ننوي كشف هذا الدليل أمام والدك المُوقَر خشية أن يكون ذلك مصدر
إزعاج لك. وطالما أنك تدفعنا لذلك، فقل لي، إنْ كنت لا تعرف من هو
تشي-كُوان، فهل لي أن أسألك كيف حدث أن يتذَلَّ منديله الأحمر من
حزامك الداخلي؟»

تأكد باو-يو أن لا جدوى من التمادي في النفي، فقال:
ـ «إذا كانوا يعرفون كلَّ شيء، فكيف أمكنهم تجاهل أكثر التفاصيل أهمية؟
ويبدو لي أنني سمعت من أحدهم يقول بأنه قد اشتري منزلًا يبعد حوالي

العشرين لي عن العاصمة—في قرية اسمها شيئاً يُشبه «البرج الأرجواني»، وأعتقد بأنك لربما تجده هناك.

ابتسم مبعوث القصر وقال:

— لا بد أنه هناك إن كنت تقول هذا. ستنطلق إلى هناك ونستطلع الأمر. وأخشى إن لم نجده، من العودة إلى هنا مرة ثانية من أجل المزيد من الاستئارة بما تعرفونه».

وما إن أتم كلماته حتى انطلق. كان تشيا تشينغ صامتاً ومندهشاً بما يرى ويسمع. فرافق المبعوث إلى الباب، طالباً من باو-يو عدم التحرّك من مكانه حتى عودته. عندما عاد، شاهد تشيا هوان يركض بالإتجاه المعاكس، فصرخ عليه:

— «توقف مكانك!»

جمد تشيا هوانغ في مكانه، وراح يتظاهر مصيره. وصل إليه تشيا تشينغ، وسألته:

— «ما الذي تركض من أجله كالحصان البزي؟ أليس من المفترض بك أن تكون في المدرسة الآن؟»

في تلك اللحظة، وجد تشيا هوانغ فرصة، فهمس لوالده قائلاً:

— «لم أقصد الركض، لكنني كنت خائفاً من جثة الخادمة—فقد بدت مُنتفخة الوجه والجسد، الشيء الذي أرعبني، ودفعني إلى الهروب بعيداً عن البشر بكل ما أوتيت من قوّة».

— «ومن قفز إلى البشر؟»، سأله تشيا تشينغ باستهجان، وأضاف: «إنه شيء لم يحدث في هذا البيت من قبل أبداً. لقد كنا نعامل خادماتنا وخدمانا باللين والرأفة منذ عهد أجدادنا؛ وبسبب غفلتي عن الأمور في هذه السنوات الأخيرة، يجد بعض المسؤولين عن الأعمال في هذا القصر فرصة التلذذ في اضطهاد الخدم البائسين. يا للعار الذي يلحق بذكرى الأسلاف والأجداد!»

دنا تشيا هوان من والده يهمس في أذنيه قائلاً:

— «لا أحد يعرف عن هذا الموضوع باستثناء الموجودين في غرفة تاي-تاي. لقد سمعتُ والدي يقول . . .»

في هذه اللحظة، توقف تشيا هوان عن الكلام، وراح يتلفت يمنة ويسرى. وعلى الفور طلب تشيا تشينغ إلى مُرافقيه الانصراف. وهنّا، تابع تشيا هوان قائلاً:

- «سمعت والدتي تقول بأنّ باو-يو كان يحاول اغتصاب غولدن برايسليت، وهي خادمة في غرفة مدام وانغ. وقالت بأنّ الخادمة قد امتنعت عن ذلك، لكنّها طردت من قبّل سيدتها بحزم—بعد ذلك، سمعنا بأنّها قد انتحرت برمي نفسها في البئر».

وعلى الفور، ز مجر تشيا تشينغ، وقد أصفر وجهه واستند غيظه:

- «أمسكوا باو-يو وهاتوه إلى هنّا!»

ثم ذهب إلى مكتبه ونادي مُساعديه وخدمه:

- «لو حاول أحد منكم إيقافي اليوم، فلسوف أتنازل له عن شارة سلطتي الرسمية، وبיתי وأملاكي، واتركه لخدمة باو-يو، ولسوف أقص ما تبقى من شعري وأجد لي قفراً لأعيش فيه، من أجل أن التوقف عن الحطّ من قدر أجدادي، وتحمل مسؤولية جرائم الخيانة والمصائب التي تأتيني من باو-يو الجاحد».

عمل مُساعدو تشيا تشينغ على حماية باو-يو من غضب والده في الكثير من المواقف، ولكنهم كانوا مُتيقنين الآن من أنّ تشيا تشينغ لن يسمح بأي تدخل—وهكذا انسحبوا جميعهم بصمتٍ وهدوء. وسرعان ما صرخ تشيا تشينغ بخدمه:

- «هاتوه إلى هنّا، وقيندوه. اثنوني بقضيب قوي من الخيزران، وأغلقوا كل المداخل. وسائل كل من يحاول نشر ما يحدث هنّا في الأجنحة المتبقية».

خضع الخدم لأوامر سيدهم على الفور دون أي تردد. وخرج بعضهم لإحضار باو-يو الذي كان قدماً يهيم في قاعة الضيوف على غير هُدى. كانت قضية تشيا هوان خطيرة بما يكفي، ولم تكن تحتاج من تشيا هوان كي يُضيف المزيد من الوقود إلى غيظه والده. كان باو-يو في البهو حائراً—يبحث عنمن يوصل منه رسالة إلى سيدة المنزل، لكنه لم يجد أحداً في الجوار. وأخيراً، ظهرت خادمة عجوز، وهرع باو-يو إليها وكأنّها ملجأه الذي أرسلته السماء، وقال لها:

- «إن لاو-يه سيضربني هذه المرأة حتى الموت. إذهي بسرعة إلى الداخل وأخبري الجميع. أسرعي، إن الأمر عاجل، لا بل شديد الإلحاح [ياو-تشين].».

كانت المرأة العجوز قليلة السمع، أما باو-يو، وفي حالة الرعب والعجلة التي يستجدي فيها، لم ينطق كلماته بوضوح تام. ولذلك، ظنت بأنه قد قال لها: «أبي باو تشينغ، [إذهي وارمي نفسك في البئر]». فراحت تتحدث إلى نفسها وتقول: «فليرمي هو نفسه في البئر، وما الذي همني أنا إن فعل».

و قبل أن يحصل على الوقت الكافي لتوضيح مقصده، كان الخدم قد وصلوا إليه وأخذوه إلى المكتب. كان تشيبا تشينغ في قمة جنونه وأوج غضبه لرؤيه ولده المذنب. ومن دون أن يزعج نفسه في تعداد جرائم ولده، اكتفى بالطلب إلى المساعدين:

- «كمموا فمه واضربوه حتى الموت!»

لم يتردد مُساعدوه في التنفيذ، فربطاوا باو-يو إلى أحد المقاعد، واستجابة لأمر تشيبا تشينغ، بدأوا بضرره بقضيب سميك من الخيزران. لكن هذا لم يُشف غليل تشيبا تشينغ، فدفع بالرجل الذي يحمل القضيب، وأخذه منه، وضرب باو-يو أكثر من عشر ضربات بكل ما أوتي من قوة.

في البداية، صرخ باو-يو وبكي من الألم، لكنه ومع توالي الضربات، بدأ صوته يخفت تحت تأثير قوة كل ضربة. وقد حاول المساعدين التدخل عندما لاحظوا أن غضب تشيبا تشينغ بات يتحول إلى ما يُشبه الإجرام. لكنه زجرهم بقوله:

- «إسألوا أنفسكم إن كان سلوكه هذا يمكن التجاوز عنه أو غفرانه. إن كل ما ارتكبه من أعمال فاسدة هو بسببيكم. وأعتقد بأنكم ستستمرون في طلب الشفاعة له، حتى ولو قتل والده أو ملكه».

أصبح المساعدون على يقين من أنه لا جدوى من النقاش مع تشيبا تشينغ. وكانت مدام يونغ أول من لبى نداء النجدة. وما إن أطلت، حتى أسرع جميع المساعدين بالهuida. ثارت ثائرة تشيبا تشينغ بسبب هذا التدخل، وانهال بعضها

الخيزران على باو-يو ولكن بزخم أقوى وأكثر إيلاماً من قبل.

حينما أرخي المساعدان المتبقيان من إحكام قبضتها على باو-يو، كان هذا الأخير ممددًا على المهد بلا حراك، وبدا وكأنه قد فقد الوعي. وحينما رفع تشييا تشينغ عصاه من جديد، تلقتها مدام وانغ بيديها بكل ما أوتيت من قوة، وصرخت:

- «لنفترض أنّ باو-يو يستحق كل هذه العقوبة، ولكن على لاو-يه الالتفات

إلى صحته وتتجنب إجهاد نفسه وتحميلها المزيد من العناء—عدا عن أنّ لاو-

تاي-تاي ليس على ما يرام في هذه الأيام الحارة. قد يهون علينا موت باو-

يو تحت وطأة هذا العقاب، ولكن ماذا سيحصل لو أصاب لاو تاي-تاي

أي مكروه وعرضه لمعاناة أليمة وطويلة؟»

على وقع هذه الكلمات، تبسم تشييا تشينغ بازدراة، وقال:

- «أنا مذنب لأنني قد ولدت هذا الوحش العاق. وفي كل وقت كنت أحارو

فيه تربيته، كان كل واحد هنا يتدخل لصالحه. ومن الأفضل لي الآن أن

أخنقه حتى الموت، قبل أن يُورّطنا في جرائم أكبر وأخطر».

قال هذا، ثم أخذ قطعة حبل وحاول لفها حول عنق باو-يو وخرقه. وعلى الفور،

أسرعت إليه مدام وانغ ومنعه، وهي تصرخ قائلة:

- «صحيح أنه من واجب لاو-يه تربية ولده ومُعاقبته، ولكن عليه أيضاً أن

يأخذ بعين الاعتبار وجود زوجته. لقد أصبحت الآن فوق الخمسين من

العمر، وليس لدى إلا هذا الشيء الشيرير. وإن تصمييك على قتلها يعني

حرفيًا أنك لا ت يريد لي العيش. ولذلك، أقول لك: اخنقني أولاً ثم افعل

به ما تشاء من بعد ذلك! فمن الأفضل أن نموت نحن الإثنين معاً، وبهذا

سنكون معاً أيضاً عندما نصل إلى العالم الآخر».

ثم ألقى بنفسها فوق باو-يو وانفجرت بكى بأسى.

في هذه الأثناء، كان تشييا تشينغ يقف صامتاً، ثم تنهَّد ورمى بنفسه على كرسيه

وقد اغورقت عيناه بالدموع هو أيضاً. أما باو-يو، فقد أיבض وجهه وانخفض

تنفسه، والتصقت ثيابه المبللة بالدماء بجسده المثقل بالجراح—كان جسمه من رأسه

حتى أخمن قد미ه مُغطى بالكمامات، بعضها أزرق وبعضها الآخر باللون الأحمر الأرجواني، ولم تسلم أي بقعة في جسده من الجروح المؤلمة. كانت مدام وانغ تأنّ وكأنها تشعر بألمه، وهي تنوح وتردد: «باو-يو، باو-يو!» بأسى ولوحة حارقة. ثُم تذكّرت ولدتها الأولى المتوفى، تشيما تشوشو، وبدأت تبكي وتناجيه: «تشوشو-يُون، لو أنك ما زلت على قيد الحياة، لما تألمت لموت مئة باو-يو بهذه العصا!»

في هذا الوقت، كان جميع من في الأجنحة الداخلية قد سمعوا بالخبر. وهرع على الفور كل من لي هوان، وفيبيكس، وكل الخادمات والوصيفات—على عجل لرؤيا باو-يو. وعندما صرخت مدام وانغ من جديد باسم ولدتها الأولى (تشيشا تشوشو)، استيقظت أحزان وماسي لين هوان القديمة، وانفجرت باكية هي الأخرى.

وفجأة، هتفت إحدى الخادمات:

- «لاو تاي-تاي قادمة!»

وقبل أن يتوقف رنين صدى هذا النداء في آذان الذين سمعوه، كان صوت الأم الحاكمة يصدح في المكان:

- «أقتلني أولاً ومن ثم يُمكنك أن تقتله!»

وعلى الفور، خرج تشيما تشيشو على عجلٍ لملاقاة والدته. ثُمّ حاول أن يبتسم وهو يقول:

- «كان على الوالدة أن لا تخرج في هذا اليوم الحاز. فإذا ما رغبت في شيء، فما عليها إلا أن تبعث لولدتها، وتأمره بالتنفيذ.»

قالت الوالدة تردد عليه بسخرية:

- «هل أنت توجه كلامك لي؟ نعم، لدئي الكثير من الأشياء التي عليّ قولهها، لكثني، وللأسف قد حملت ووضعت ولداً غير مطيع لكي أمره». أحسّ تشيما تشيشو بجرح نتيجة كلام والدته. وما لبث أن جشى على ركبتيه وقال:

- «إنّ ولدك يعلم على تربية ولدته لأنّه يحافظ على شرف العائلة بكلّ قلبه وجوارحه. وكيف لولدٍ أن يتتحمل هذا النوع من كلمات تصدر عن والدته؟»

ردت الأم ببرودة:

- «لا تستطيع تحمل بعض كلمات مني؟ فكيف إذن تتوقع من باو-يو أن يتحمل منك كل هذه القسوة؟ لقد قلت بأنك تعمل على استعادة شرف العائلة، فهل نسيت إذن كيف عمل والدك على تربيتك؟»

كانت عينا الوالدة ملأى بالدموع، وفي الوقت نفسه، حاول تشيما تشينغ الابتسام من جديد وهو يقول:

- «أرجوك لا تحزني يا أمي. إنه خطأ ولدكـ لم يستطع تماليك نفسه، ويعذر بأنه لن يمس ولده مرة ثانية أبداً.»

قالت الوالدة بنبرة التأنيب:

- «عليك ألا تحاول إغضابي، كما أنه بإمكانك ضربه إذا أردت طالما أنه في النهاية ولدك. والآن وقد تعبت من وجودنا، سيكون من الأفضل تركك لوحديك»، قالت هذا وطلبت من المساعدين تجهيز عربتها، وأضافت: «أريد العودة في الحال إلى تشينلينغ برفقة تاي-تاي و باو-يو».

بدأ المساعدون بتنفيذ أوامرها، بينما التفتت إلى مدام وانغ وقالت لها:

- «لا تبكي أبداً. فطالما أن باو-يو لا يزال فتياً، فسوف تُحبينه وتعانين من أجله. ولكنه عندما يكبر، سيسىء بأنك والدته أصلاً. وأرى أنه من الأفضل ألا تتمادين في حبه الآن، لكي لا تندمي أو تأسفي على ذلك في المستقبل».

في هذه اللحظات، انحنى تشيما تشينغ أمام والدته من جديد وقال:

- «تقول والدتي أشياء يتنى معها الولد لو أنه يموت أو أنه لم يولد أساساً».

- «من الواضح أنك الوحيدة الذي يُريد أن يُعدني عن طريقه. سأتركك، وهكذا لن يُحاول أحد من الموجودين هنا التدخل في شؤونك، لا سيما في ما يتعلق بموضوع باو-يو».

ثم كررت أمرها للمساعدين بتجهيز العربة، وسارت باتجاه المكتب لتتفقد باو-يوـ فلم تره أبداً يُعاني كما كان يُعاني هذا النوع من العقاب. وما لبثت أن انفجرت باكية من جديد، وكررت ذلك لأكثر من مرّة قبل أن تتوقف كالمزهولة أمام المنظر

القاسي. وبعدما تم نقل باو-يو إلى غرفته، لم يتردد تشيما تشينغ في التراجع إلى جناحه، لكنه لحق بالجميع، مع اعتقاده بينه وبين نفسه من أنه قد ذهب بعيداً جداً في ما خصّ مُعاقبة باو-يو. بعد ذلك، قالت تُخاطب باو-يو وهي لا تزال تبكي بأسى:

- «كان يجب أن تموت بدلاً عن تشوي-يُز قبل وقت طويل. فلو أنك مت وقتها، لما كانت حياتي عبئاً، ولكن أخوك قد عرف كيف يسعد والدك. أما إذا مت الآن، فعلى من سأتكَل في ما تبقى من عمري؟»

وفي النهاية، طلبت الوالدة الكبيرة من تشيما تشينغ الانصراف قائلة:

- «من الطبيعي تربية الولد إذا ما أخطأ، ولكن عليك أن تعرف متى تتوقف. بإمكانك الانصراف الآن. هل فعلت ما يكفي، أم أنك تُريد الاستمرار؟ فلعلك تُريد متابعة ما بدأته إلى أن يموت؟»

ثم غادر تشيما تشينغ الغرفة دون أن يتفوّه بكلمة.

وقفت مدام وانغ والأخرين يُراقبون باو-يو، بينما وقفت الأم الكبيرة تراقب الجميع. أما بيرثا دينغ فريغرانس، التي كانت عادة تُلقي نداء باو-يو عند كل حاجة، فلم يكن لديها الوقت الكافي للانتظار قُربه-فتسلىت خارج الغرفة وبعثت بطلب مينغ-ين. عندما وصل، سألته عن أسباب قيام تشيما تشينغ بضرب باو-يو بهذه الطريقة، ولماذا لم يبعث للوالدة الكبيرة يُخبرها بالأمر. قال مينغ-ين عندما وصل:

- «حصل كل هذا في غيابي، ولم أعلم بالأمر إلا عندما بدأ لاو-يه الحديث عن الموضوع. وبعد تحرياتي تبيّن لي أن كل ما حصل كان بسبب قضية المُمثل تشي-كوان والمُشكلة التي أثارتها مسألة غولدن برايسليت».

- «وكيف اكتشف لاو-يه الأمر؟»

- «بالنسبة لقضية تشي-كوان، فعلى الأغلب أن هُسوه تا-يه هو المسؤول- فهو يغار من باو-يو بسبب تشي-كوان، ولعله قد حرض أحدهم للإبلاغ عنه. أما بالنسبة لقضية موت غولدن برايسليت، فقد قال الخدم من حول لاو-يه بأنه قد سمع عن ذلك من سان-يه [تشيا هُوان]».

عندما عادت بيرفایدينغ فريغرانس إلى غرفة باو-يو، كانت الأم الكبيرة والبنية لا يُزالون هناك، ثم انصرف الجميع بعد قليل، وطلبوها من الخادمة الاهتمام به وعدم مغادرة الغرفة لأي سبب كان.

الفصل الحادي والعشرون

وفيه تُعطي بيرفايدينغ فريغرانس تقييماً
نزيهاً لـ مدام وانغ
ويبعث باو-يو بإشارة خفية إلى بلاك دجاييد

بعد مغادرة سيدة المنزل والآخرين الغرفة، بدأت بيرفايدينغ فريغرانس بتبدل ملابس باو-يو. الواقع أن هذه العملية لم تكن سهلة أبداً بسبب تأثير تأثير باو-يو مع كل لمسة منها على جسده المجرح. وفي النهاية نجحت في خلع ملابسه كاشفة عن كدمات كبيرة ومؤلمة منتشرة من الخصر نزولاً حتى الساقين.

قالت بيرفايدينغ فريغرانس متسائلة بتعجب:

- «يا للهول! كيف أمكنه أن يكون بهذه القسوة؟ ولكن ما كنت لستعرض لذلك أبداً لو أتيت أصفيت للنصائح والتوجيهات. لحسن الحظ، لم تُصب عظامك بأي كسور، وإنما لكنت قد أصبحت بالشلل».

في هذه الأثناء، أُعلن عن وصول بريشوس ثيرتشو. وعلى الفور طرحت بيرفايدينغ فريغرانس الشرشف من فوق باو-يو إذ لم يتوفّر لها الوقت لإلباسه. كانت بريشوس ثيرتشو تحمل يدها قرص دواء قد أبلغت الخادمة بضرورة تذويبه في النبيذ ودهن جروح المصاب في الليل قبل النوم.

قالت تسأل باو-يو:

- «هل تشعر بتحسن الآن؟»

- «نعم، أنا أفضل بكثير، ولكن أرجوكِ اجلسني».
- «لو أنك أصغيت لكل النصائح التي تُسدي إليك، لما حصل ما حصل اليوم. فالحال الذي أنت عليه، لم يُحطّم قلب لا وناري-تاي وحسب، ولكثنا نحن أيضاً قد—»

توقفت عن الكلام فجأة وقد غمرتها الدهشة - فهي عادة ما تنسى أنها خادمة احتياط في حالات تأثيرها. لكن باو-يو شعر باهتمامها الواضح، ولو لم يكن صريحاً. وكان أيضاً سعيداً بارتباكها، وكيف كانت تلعب بوشاحها وهي حانية الرأس ومُحمرة الخدين. في تلك اللحظات، نسي ألمه، وغرق في أفكاره يقول لنفسه: «كم هُنَّ رحيمات معي ويعانين من أجلي فقط من أجل القليل من الضرب الذي تعرّضت له! كم هُنَّ غاليليات على قلبي، وكم يستحققن عاطفتي! وكم سيكين ويشحن من أجلي إذا ما مت! فالموت سيكون جميلاً إذا ما اهتم بك الآخرون وبكوا عليك كما تفعل هي».

قالت بريشوس فيرتشو بعد تفكير تسأل بيرفابيدينغ فريغرانس:

- «وما السبب الذي حمل لاو-يه على فعل ما فعل؟»

ومن دون أن تدرك بأنها قد تشعر بريشوس فيرتشو بالتوتر، كزرت الخادمة القضية التي كانت قد سمعتها من مينغ-ين. وهنا، قال باو-يو مُحاولاً التخفيف عن بريشوس فيرتشو:

- «أنا أكيد من أن الأخ هُسويه ما كان ليفعل هذا».

في هذا الوقت، وقفت بريشوس فيرتشو صامتة تُفكّر بينها وبين نفسها: «كم هو عميق التفكير، حتى وهو يُعاني من الآلام الشديدة، يهتم فقط بمشاعر الآخرين وعواطفهم. فلو أنه أعطى ثلث اهتمامه لرغبات والده ومشاعره، لما عانى ما عاناه اليوم. لكنني أعرف أخي حق المعرفة؛ فهو يتصرف بطريقة سيئة تجاه تشين تشانغ، وإنما كان مثله فيترك غروره وغيرته يفعلان ما هو أفضل من أجله اليوم».

بعد ذلك قالت بصوتٍ مرتفع:

- «لا نفع من لوم هذا أو ذاك، فالشيء الأساسي الآن أنه يتعين على الأخ

باو-يو عدم التعامل مع هذا النوع من الناس، ولو أنه فعل ذلك، لما أثار استياء لاو-يه. ربما كان أخي ممتازاً في عدم الإفصاح عن إسم باو، ولكنه وللأسف، كما يقول باو، فقد فعل ذلك عن قصد. فالرجال بحكمة باو هم اليوم قلة».

غفا باو-يو بعد انصراف بريشوس فيرتشو. وحلم بأنْ تشييانغ يو-هان، المُمثل، جاء إليه ليخبره كيف ألقى الأمير القبض عليه؛ ورأى في الحلم أيضاً غولدن برايسليت وهي تقول له بأنها قد ماتت من أجله وأنها قد سامحته - وهو يسرح في عالم الأحلام، أحسن بأحد يهزه، ففتح عينيه ورأى بلاك دجاييد تبكي من فوقه. شعر باو-يو بالفزع معتقداً أنه ما زال يحلم. ولكي يتأكد من الأمر، رفع نفسه قليلاً من أجل أن يراها عن قرب؛ فرأى عيناهما مُتفتحتان بحجم حبة الخوخ، وكان وجهها مُبقيعاً بالدموع التي كانت قد ذرفتها - لكنه تأكد من أنها بلاك دجاييد حقيقة. قال لها:

- «لم يكن عليك القدوم إلى هنا. فالرغم من غياب الشمس، إلا أن الحرارة المُخزنة في الأرض لا تزال تصاعد وقد تؤثر عليك. لست أعني الكثير من الضرب، لكنني أتظاهر بذلك فقط، لكي يعتقد لاو-يه بأنني قد جرحت أو تأذيت فعلاً. فرجاء لا تقلقي كثيراً من أجلي».

لم تكن بلاك دجاييد تبكي بصوت مرتفع، إلا أنَّ نحيبها الصامت كان أبلغ بكثير من أي حزن علىي. عند سماعها تأكيد باو-يو من أنه لا يشعر بالألم الكبير، لم تجد الكلمات التي تُعبر عن مدى سرورها بذلك. لكنها ارتأت أخيراً أن تكتفي ببعض **كلمات**»

- «من الآن وصاعداً، عليك أن تُحسن من أساليبك وتصير فاتك». بعد ذلك، أُعلن عن قدوم فينيكس.

وعلى الفور، نهضت بلاك دجاييد، وقالت:

- «سأخرج من الباب الخلفي»، وأضافت وهي تتحرّك على عجل: «لكنني سأعود لاحقاً».

فرّد عليها باو-يو **مُستهجنًا**:

- «ولماذا عليك الذهاب إذا كانت هي قادمة؟ وما الذي يُخيفك من البقاء؟»
 - «ولكن أنظر إلى عيني»، قالت ذلك وهي تشير إلى عينيها، ثم تابعت:
«فسوف تسخر مني إن رأتك على هذه الحال».

عندما دخلت بيرثا يدينغ فريفرانس الغرفة، كانت مدام وانغ تجلس في مقعدها الخيزران وتلوح بمروحة في يدها. عندما رأتها قالت لها:

قالت مدام وانغ:

- «ليست لدى تعليمات خاصة في رأسي الآن، ولكني أردت أن أطمأن إلى حالة باو-يو، فهل خفت آلامه؟»

«لقد أتى باو كُو-نيانغ بطبيب، وقد عالج الألم بطريقة لافتة. هل تناول شيئاً من الطعام؟»

«لقد بعثت له لاو تاي-تاي ببعض الشورب يا الساخنة، لكنه لم يشرب منها إلا القليل. سمعته يشكو العطش، ويرغب في شراب الخوخ البارد. ولكني لم أسمح له بالحصول عليه، فهو شراب شديد بطبيعته، وقد يؤذى إلى بعض المضاعفات التي نحن بغني عنها. لقد اقنعته في النهاية بالحصول على القليل من شراب الورد مع الماء، لكنه لم يعجبه كثيراً. كان عليك إخباري بذلك»، قالت مدام وانغ، ثم تابعت بعد ان تذكرت:

«منذ بضعة أيام، حضر أحدهم حاملاً بعض العبوات من عصير الفاكهة المركّز، والمعدّ خصيصاً للقصر. بإمكانك حمل اثنتين منها معك عندما تعودين؛ فلن تحتاجي منها الكثير، فقط أضيفي مقدار ملعقة الشاي الصغيرة إلى كوب من الماء، واخلطيها جيداً».

حينما أصبحت بيرثا يدينغ فريغرانس مستعدة للمغادرة، تذكرة مدام وانغ شيئاً

فقالت:

«انتظري لحظة»، ثم صرفت بقية الخدم، وتابعت تقول بصوتٍ مُنخفضٍ:-
ـ «لقد سمعت من أحدهم أن هُوان-يز كان مسؤولاً عما حصل مع باو-يو
اليوم. فهل سمعت شيئاً من هذا القبيل؟»

أجابت بيرثايدينغ فريغرانس وهي مستهجة:

قالت مدام وانغ مُستكملة، وهي تهزّ برأسها:

- «ولكن علمتُ بأن هذا لم يكن السبب الوحيد».

وقفت بير فايدننگ فريغرايس مترددة للحظات، ثم قالت:

«أعتقد أن» -

اكتفت بهذا، وسرعان ما صمتت من جديد.

قالت لها مدام وانغ تحثّها على الكلام:

هیا تابعی -

- «أخشى أن يؤدى ذلك إلى إغضاب تاي-تاي».

— «لا، لا تخافي لن أغضب»، قالت لها ذلك، وتابعت مؤكدة: «هيا قوللي ما لديك ولا تخافي».

— «أعتقد أنَّ باو-يه قد استحقَّ هذا الدرس»، تابعت بيرثايدينغ فريغرانس بتردد، وقالت: «فلو أنَّ لاو-يه ترك الأمور تجري مجرهاها اليوم، فلن

يستطيع أحد توقع ما كان يمكن أن يفعله يؤدي لاحقاً.

عند سماعها لهذا الكلام، هزت مدام وانغ برأسها موافقة، وقالت متنهدة:

- «عزيزي، إنك على حق في ما تقولين. وهذا يبرهن لي عن مدى استيعابك وفهمك للأمور، وبث متأكدة من أن باو-يو يحتاج إلى التربية الصارمة. فأنت تعلمين كم كنت صارمة مع تشوتا-يه عندما كان لا يزال حياً ولكنني الآن، وقد ربي عمري على الخمسين، لا أملك سوى هذا الولد الوحيد. ليس هذ وحسب، بل أنه من المفضلين لدى لاو تاي-تاي. ولهذا السبب لم أكن قاسية معه كما يجب. بالإضافة إلى ذلك كلّه، إن باو-يو وكما تعلمين ليس قوياً كفایة، فماذا لو وقع له شيئاً بسبب الضرب الذي يتلقاه، فماذا عسانى فاعلة عندئذ؟»

ثم توقفت عن الكلام وبدأت بالبكاء، وهي تنظر إلى بيرفاديونغ فريلغرانس التي كانت تُشار إليها ذلك. ثم قالت:

- «ليس من الصعب على المرء اكتشاف ما يشعر به باو-يو في هذا الإطار. حتى خادماته يشعرون بالطريقة نفسها. لم يمض يوم على من دون أن أحث باو-يو ودفعه إلى تحسين سلوكه، ولكن أصبح ذلك بلا فائدة الآن. كما أنه من الصعب عليه الابتعاد عن أولئك الأشخاص أمثال ذلك الممثل تشي-كوان، لا سيما عندما يكونون مستعدين لتسلیته بتملق صريح وواضح؛ لقد فكرت طويلاً في وضع باو-يو، وفكّرت أيضاً في إثارة موضوعه مع تاي-تاي؛ لكنني ترددت كثيراً بذلك لأنني خشيت أن أتسبب فقط في قلق تاي-تاي من الوصول إلى أي نتيجة إيجابية».

كانت مدام وانغ متأثرة جداً بهذا الحديث العميق. فراحت تتحدث من جديد

قائلة:

- «حبيبي، أخبريني كل شيء من دون أي تحفظ. لقد سبق لي وسمعت عنك أشياء جيدة وجميلة، ولكنني كنت أعتقد أنها مجرد مجاملات بسبب اهتمامك براحة باو-يو وأنك شديدة التروي حتى في الأشياء الصغيرة.

ولكن ما سمعته منكِ من ولاء تجاه باو-يو، يتعدّى حدود الأشياء الصغيرة.
فأنتِ تفكرين فيه كما أفعل أنا تماماً، ولهذا، لا تخشى شيئاً، هيا استمرّي
في الكلام وأخبريني كل شيءٍ».

قالت بيرثايدينغ فريغرانس:

- «ليس لدى شيء معين لأقوله، ولكن كنتُ أفكِر في أنه سيكون من الحكمَة
بمكان انتقال باو-يو من الحديقة بذريةٍ ما».

دُهشت مدام وانغ لسماع ذلك، فأمسكت بيد بيرثايدينغ فريغرانس، وقالت
تسألها بقلق:

- «وهل فعل باو-يو شيئاً دفعكِ إلى قول هذا؟»

- «لا أبداً»، أجبتها بيرثايدينغ فريغرانس مؤكدةً، وتابعت تقول: «ولكن يز-
يه يكبر يوماً عن يوم، وكذلك بالنسبة للفتيات. وبالرغم من أنهم إخوة
وأخوات، ولكن لا أحد يعلم ما الذي يدور على ألسنة الشر. فلو أن يز-
يه يُصبح عُرضة للقليل والقال والشائعات الشريرة، فعلينا عندئذٍ، ونحن
القدين على تربيته ورعايته، أن نكون مستعدين لتحمل المسؤولية. وهذه،
كما ترين، ليست إلا مسألة بسيطة - ونحن جميعاً مستعدين للموت في
سبيل سيدنا، ولكن ما هو أهمٌ من هذا كله، هو سمعة باو-يو. أنا أعرف بأنه
لشيء افتراضي أن يصدر عنِي مثل هذا الكلام، ولكن لا و تاي-تاي و تاي-
تاي، يشقان بي كثيراً عن طريق تشريفي بخدمته؛ وكنتُ لأشعر بالذنب الكبير
لو أنني امتنعتُ عن إخبار تاي-تاي بالذي كان يخطر على بالي من كلام». لم تستطع مدام وانغ كبح جماح تفكيرها في حادثة غولدن برايسليت أثناء
حديث بيرثايدينغ فريغرانس الذي كانت تقدّره وتقدّر عمق تفكير هذه الوصيفة
ومنطقها. فقالت من جديد:

- «عزيزي، لقد فكرتِ في كل شيءٍ! وسوف أعتبر أن الموضوع قد انتهى،
وسأتصرّف على هذا الأساس. أنا سعيدة لأنك قد أخبرتني بكلِّ هذا،
وأشعر بالارتياح الآن لوجود أحد يُشاركني قلقي ومخاوفي. يُمكنكِ أن

تذهبى الآن؛ إهتمي جيداً برعاية باو-يو، وكوني على ثقة من أننى لن أنسى
جميلك أبداً».

عادت بيرثا يدينغ فريغرانس إلى صومعة الفاوانيا (بايوني كورت).

في الوقت الذي كان فيه باو-يو قد صحى من نومه. فتناول البعض من شراب الفواكه المركزة مع الماء، ووجده مختلفاً تماماً عن أي شيء تناوله من قبل. إلا أن كل تفكيره كان مع بلاك دجايدين. كان يرغب في معرفة أحوالها، ولكن من دون أن تعلم بيرثا يدينغ فريغرانس أي شيء عن ذلك وتعارضه. ومن أجل ذلك، أرسلها إلى تعرية الويستاريا (ويستاريا آربور) لاقتراب بعض الكتب من بريشوس ثيرتشو. ثم استدعاها برأيت ديزاين إليه وقال لها:

- «إذهبى واعرفى لي ما الذى تفعله لين كو-نيانغ الآن. فإذا سألتكِ عنى،
أخبريها فقط بأننى على خير ما يرام».

قالت برأيت ديزاين على الفور:

- «عليك التفكير بحجّة أفضل من هذه. أليس لديك أي شيء تود إرساله أو
تُريد استقراره؟ فلا أريد الذهاب إلى هناك لأبدو كالمحفلة من دون أي
شيء لاقوله».

فَكَرْ باو-يو قليلاً، ثُمَّ سحب منديلين من تحت وسادته، وناولهما للخادمة،
وقال:

- «حسناً إذن، أخبريها بأننى قد أرسلتك مع هذين المنديلين».
- «يا لها من هدية غريبة لتبث بها»، قالت الخادمة وهي تبتسم، وتتابعت:
«وما حاجتها إلى منديلين قديمين؟ فسوف تغضب من جديد وستقول بأنك
تحاول أن تسخر منها».

قال باو-يو مؤكداً:

- «لا تقلقي، سوف تفهم المقصود».

كانت بلاك دجايدين ترتاح عندما وصلت برأيت ديزاين إلى مُعْتَزل الخيزران (بامبو ريتريت). فسألتها:

- «ما الذي جاء بكِ في مثل هذه الساعة؟»

- «لقد أرسلني يَرْبِّي، وأرسل معي هذين المنديلين من أجلكِ كُوٰنِياغٌ».
- كانت بلاك دجاييد للحظات في حيرة من أمرها، تتساءل لماذا أرسل لها باو-يو هذه الهدية وفي هذه اللحظة بالذات. ثم قالت وهي تنظر إلى الخادمة:
 - «أعتقد أنَّ هذه الهدية شيء غير عادي قدّمها له أحد في وقت من الأوقات. قول لي له أنْ يحتفظ بهما، أو أنْ ينقدِّمها لأحد يقدرها - فلا حاجة لي بهما».

قالت برایت دیز این:

- «ليسا شيء غير عادي - ليسا إلا منديلين عاديين كانا بجواره فناولني إيهاما وأتيت».

في هذه الأثناء، ازدادت حيرة بلاك دجاييد، ثم اتضحت لها فجأة: أنَّ باو-يو عرف بأنَّها ستُبكي من أجله، ولهذا أرسل لها منديلين قديمين من مناديله. ثُمَّ التفت إلى برايت ديزاين وقالت:

«يمكنك أن تركيهما هنا إذن». -

ظهرت الدهشة على وجه برايت ديزاين عندما سمعت هذا منها، واستغربت من أن بلاك دجايid لم تعتبر ما بدا لها في البداية مزحة ثقيلة وسمجة، على أنه إهانة أو نوع من الإساءات الفظة.

حين فكرت بلاك دجايدي بمعزى المنديلين، كانت سعيدة وحزينة في آن: سعيدة لأنّ باو-يو يقرأ أفكارها الداخلية، وحزينة، لأنّها احترات في إمكانية تحقيق ما هو أولى في تفكيرها. وفي خضم هذا النوع من التفكير في المستقبل والماضي، كانت عاجزة عن النوم؛ وبالرغم من احتجاجات بيربل كوكو، عادت وأشعلت المصباح، وشرعت بتأليف مجموعة من الأبيات الشعرية—وراحت تكتبهما مباشرة على المنديلين اللذين أرسلهم باو-يو. وبعد كتابة ثلاثة مقاطع، بدأت تشعر بأنّها مرهقة ومحمومة. فهرعت إلى المرأة تنظر في وجهها، فوجدت خديها يتقدان أحمراراً كما لو أنّهما يشتعلان ناراً. لم تأبه لذلك، لكنّها ومنذ تلك اللحظة، بدأ مرضها يتتطور ودخل في مرحلة دقيقة وحرجة.

الفصل الثاني والعشرون

وَفِيهِ تُقْصَحُ بِرِيشُوسُ فِيرْتُشُو عَنْ شَكْهَا
بِهُسُويَّهِ بَان
وَيُعْلَمُ بَاوِيُّو عَنْ تَقْضِيَهِ لِبَلاَكْ دِجَايِيد

انتقلت بيرثا يدينغ فريغرانس في هذه الأثناء إلى تعرية الويستاريا (ويستاريا آربور). وصوف أن بريشوس فيرتشو لم تكن في الحديقة، ولكنها ذهبت إلى البيت لرؤيه والدتها، وبما أن بيرثا يدينغ فريغرانس لم تنشأ العودة إلى باو-يو فارغة اليدين، قررت انتظار عودتها. ولكن لم يطل الوقت كثيراً من أجل هذه العودة.

لم تكن بريشوس فيرتشو في مزاج مُريح؛ فهيء كانت قد دخلت في نقاش حاد مع أخيها بخصوص باو-بو. وهي تعلم ما تعلمه عن أخيها، لم تكن قادرة على تصديق الاتهامات التي كانت تُساق ضده. وبالرُّبما، وصوناً للحقيقة، فقد كان هُسويه بان برييناً هذه المرة ولا يعرف شيئاً عن الشبهات التي تحوم حوله. بالإضافة إلى أنه لا بريشوس فيرتشو ولا هُسويه بي -ما تطرقا إلى الموضوع حينما وصل إلى البيت في تلك الأمسية، لأنَّه كان قد شرب الكثير ولم يُرد أحداً إثارةه. إلا أن هُسويه بان قد ذكر الموضوع بنفسه وهو يأوي في النهاية إلى غرفته. فقال:

ـ «بالمناسبة، لقد سمعتُ بأنّ باو-يو قد تلقى ضرباً مُبرحاً هذا اليوم. وهل
تعلمون ما السبب؟»

- «ولديك الوقاحة لأن تسأل، أيها الأحمق الأرعن!»، قالت هسوبيه بي-ما،

وتابعت كلامها وهي تشير إليه بإصبعها: «أنت تعلم تماماً وبشكل واضح، أنك مسؤول عن ما حصل».

تفاجأ هسوبيه بان بما سمع، وسائل مُستغرباً:

«ولماذا على تحمل المسؤولية؟» -

قالت هسویه بی-ما:

- «لا تتطاير بالبراءة، فكل واحد قال بأنك أنت من أخبر عن باو-يو ووشى به».

ردّ هُسْوِيَّه بَان وَقَد اعْتَرَاهُ الغَضَبُ:

- «أعتقد بأنكم ستصدقونهم لو اتهموني بارتكاب جريمة».

أضافت هسویه بي-ما، وقد عادت تُشير إلية:

- «حتى والدتك ماي-ماي تعلم بأنك أنت السبب». -

حاولت في هذه اللحظات بريشوس فيرتشو التدخل لرأب الصدع بين والدتها وشقيقها، فقالت:

ـ «سوف أجده ذاك المدان الصانع للكذب والمُدبّر للمكائد، ولسوف أريه
أسنانه أماماه على الأرض. لا بد أنه شخص يحاول تصنيع الجميل مع لاؤ

تاي-تاي. ولكن، لماذا يختارني أنا؟ ومن هو باو-يو بأي حال؟ بـٌ أعتقد بأنكم أصبحتم تجعلون منه إلهًا في كل مرة يجره فيها والده إلى الضرب والعقاب. ففي المرة الأخيرة، ألقوا باللامامة على دجين تا-كو، ويا له من زعيق وصياح تلقاه من لاو تاي-تاي. والآن دارة دائرة اللوم عليّ، لكنني لن أقبل بهذا - ولسوف أذهب وأضرب باو-يو حتى الموت، ومن بعدها سأجيب عن ذلك بحياتي».

وما إن انتهى من كلامه، حتى هرع إلى الباب الخلفي يتنزع منه الملاج الخشبي الضخم مُحاولاً الخروج. فأسرعت باتجاهه هسويه بي-ما على عجل تمنعه من الخروج وهي تقول:

- «إنك تتسبب بالمشكلات لنا أيها الوحوش! ولكن عليك أن تقتلني أنا أيضًا إذا ما كنت تنويني الخروج من أجل التسبب بالمشاكل».

وبالمثل، قالت له بريشوس قيرتشو:

- «عليك أن لا تصرّف بهذه الطريقة. فقد كانت الوالدة مضطربة بما فيه الكفاية من قبل أن تأتي أنت وتحاول أن تزيد من قلقها واضطرابها».

- «أنتِ من أثارها وأقلقها بالدرجة الأولى بخبرياتك وقصصك. وباؤ-يو ليس بريئاً كما تعتقدين؛ ولكن دعيني أخبرك بالذى حصل ذاك اليوم مع الممثل تشي-گوان. لقد رأيت منه ذلك لعشرات المرات ولكنه لم يُسمعني أي شيء لطيف. لكنه عندما التقى باو-يو للمرة الأولى، أهداه منديلاً. وقد اعتاد باو-يو أن يتقبل أي شيء على اعتبار أنها من مفاتيح الصداقات الحميمة، لا سيما مع هذا الممثل، من أول لقاء بينهما».

- «يبدو أنك الآن تعرف بذلك بنفسك»، قالت هسويه بي-ما، وتتابعت: «والسبب في تعزض باو-يو للضرب إذن، هو تشي-گوان كما نستشف من كلامك».

قال هسويه بان صارخًا:

- «إنكِ تدفعيني إلى الجنون، ومن ثم تُحاولين التعادل مع شقيقته. ألا تظنين

بأنني لا أعرف لماذا تقفين إلى جانب باو-يو ضدي. كل ذلك بسبب تلك السخافة المتعلقة بقلادة حجر اليشم الذهبية».

عند هذا الحد، انفجرت بريشوس فيرتشو غضباً، ثم التفت إلى والدتها وقالت:

- «أتسمعين يا أمي ما الذي يقوله هسوبيه؟»

في هذه اللحظة، أدرك هسوبيه بان بأنه قد تمادي كثيراً في الكلام؛ فشعر بنوع من الإحباط، والتفت من حوله عدّة مرات، ثم قفل عائداً إلى غرفته. ولأن بريشوس فيرتشو لا تُريد زيادة كرب والدتها، كبتت دموعها وعادت على الفور إلى الحديقة. لكنها أحست بالألم من تلميحات شقيقها، وقضت ليتلها باكية. وفي صباح اليوم التالي، أسرعت تسوّي هندامها، وذهبت على عجل إلى جناح والدتها من جديد. وفي طريق العودة، التقت على نحو مفاجئ بـ بلاك دجايدي، ولما لاحظت هذه الأخيرة انتفاخ عينيها، قالت لها:

- «من الأفضل أن تعتنني بنفسك، وأن تتبعدي قدر المُستطاع عن الأحزان. فالدموع لن تعمل أبداً على شفاء الكدمات!»

لكن بريشوس فيرتشو كانت مشغولة البال كثيراً، فلم توقف أو تُجيب. في هذه الأثناء، وقفت بلاك دجايدي في ظل بعض الأشجار، وراحت تنظر باتجاه صومعة الفاوانيا (باليوني كورت). ورأت من بعيد لي هوان، وولكوم سبرينغ، وغيرهما يدخلون ويخرجون من زيارتهم. واحتارت بأمر فينيكس - فهي لم تظهر بين هذه الجموع. فقالت في نفسها تعليقاً على ذلك: «بالطبع، فهي ستكون كثيرة المشاغل في هذه الأوقات. فعليها أن تُسجل ظهورها من أجل مرضاه لاو تاي - تاي». ثم نظرت إلى أعلى، فوجدت الإجابة. رأت مجموعة أخرى من الزائرين يقتربون من صومعة الفاوانيا؛ كانت فينيكس و الوالدة الكبيرة في هذه المجموعة. وقالت في نفسها: «كم هو محظوظ باو-يو ليري كل هؤلاء الأشخاص يهتمون به»؛ ثم تأملت في وضعها، وبعدها في أمر والديها... . ثم شعرت بالحزن والألم الشديدين.

وما هي إلا لحظات حتى وصلت بيربل كوكو إليها وقالت:

- «لقد حان الآن موعد دواء كُو-نيانغ. فقد برد الماء».

ترى ثت بلاك دجايدي قليلاً، ثم استدارت باتجاه مسكنها، واتكأت على الخادمة. شعرت الوالدة الكبرى بالسعادة للتحسن المستمر في حالة باو-يو، ولكن لكي تتأكد من أن شيئاً تشينغ لن يتسبب في المزيد من المتاعب، أرسلت بطلب أحد مساعديه وقالت:

- «إذا سألك سيدك لاو-يه عن باو-يو، فقل له بأنّ السيدة الكبيرة تُريد أن يأخذ قسطاً طويلاً من الراحة. بالإضافة إلى أنّ العرافة قد قالت بأنّه يمزّ الآن في فترة حرجة، ويجب أن لا يُقابل أي غريب قبل الشهر الثامن القادم».

وبهذا، كسب باو-يو مزيداً من فرص الحرية التي لم يحصل عليها من قبل. فأمضى معظم أوقاته يلعب لعبة «العبد بالإرادة» مع الآنسات ومع خادماته المفضلات. وكانت اعترافات أو نصائح بريشوس فيرتشو أو بيرثايدينغ فريغرانس له عرضية ونادرة لا سيما في ما يتعلق بدراسته أو مهنته المستقبلية. لكنّ هذا النوع من النصائح لم يكن بالنسبة له أكثر من إزعاج وأضطراب، ما فاجأه كان وجود اللمحات الدنيوية إليها فيتهم جميعاً - وأنه لم يربط نفسه إلا بتلك اللذة من ميول الجنس المبتذلة. وكانت بلاك دجايدي الوحيدة التي لم تعطِه الفرصة لإبداء هذا النوع من الملاحظات.

والآن، ومنذ وفاة غولدن برايسليت، بدأت فينيكس تتلقى الهدايا من العديد من الخادمات. لم تكن تُفكّر بالبنية من وراء هذه الهدايا في البداية أبداً، ولكنها في أحد الأيام، وبعد أن تلقت هدية أخرى منها، لم تتردد في التلميح عنها أمام باشينس. قالت باشينس بعد أن سمعت:

- «أنا مُندھشة كيف أنّ هذا لم يحصل مع ناي-ناي، فكل الهدايا تأتي من الخادمات اللواتي لهنّ أخوات في غرفة تاي-ناي. وكما تعلم ناي-ناي، فإنّ تاي-ناي لديها أربع خادمات خاصة مع بدل شهري يبلغ تايل واحد لكل واحدة منهن. أما البقية، فيتقاضين بعض مئات من القطع النقدية. ولا

خرج من القول، أن كل واحدة منهمن، كانت ترغب في أن تقوم ناي-ناي باقتراح قيام ابتها بملء الفراغ».

قالت فينيكس ضاحكة:

- «بالطبع، كان لا بد لي من أعلم بذلك مسبقاً. فالناس لا يشعرون من شيء أبداً. فهم يحصلون على أكثر مما يدخلون، لكنهم يرغبون بالمزيد. دعينهم يأتيين بالهدايا، ولكن في النهاية، تبقى لي آرائي الخاصة حول الموضوع». في أحد الأيام ذهبت فينيكس إلى مدام وانغ لطلب التعليمات اليومية. فوجدت عندها كل من هسوبي بي-ما، وبريشوس ثيرتشو، وبلاك دجايدي يتناولون الشمام البارد. قالت فينيكس:

- «بما أنَّ شقيقة دجايدي برايسليت قد توفيت، فقد أصبح هناك مكان شاغر بين خادمات تاي-تاي الشخصية. فهل ترغب تاي-تاي في واحدة أخرى تُضمَّن إلى الآخريات بحيث يكون الأجر الشهري المُقبل محولاً لها تلقائياً؟» فكرت مدام وانغ قليلاً، ثم قالت: - «أعتقد بأنَّ لا حاجة لملء الفراغ الآن. فلستُ مضطورة للحصول على أربع خادمات شخصية».

قالت فينيكس:

- «أرى أنَّ تاي-تاي على حق، ولكنها القواعد-إذ ليس من المستساغ أن تحصل تاي-تاي على خادمات شخصية أقل من غيرها».

قالت مدام وانغ بعد فترة جديدة من التأمل:

- «لتحصل دجايدي برايسليت على أجرة أختها بالإضافة إلى أجرتها، فاختها كانت خادمة جيدة ومثالية، وأسفه لموتها المأساوي».

وعلى الفور، استدارت فينيكس نحو الخادمة المحظوظة وهنأتها، فانحنى الخادمة بدورها أمام سيدتها تشكرها بسعادة بالغة. ثم طرحت مدام وانغ سؤالاً على فينيكس:

- «ما هي المبالغ المسموح بها لكل من تشو بي-نيانغ وتشاو بي-نيانغ؟»
- «الأجر الأساسي لكل منها تايلين اثنين. لكن تشاو بي-نيانغ تحصل فعلينا على أربع تايلات إضافية لاهتمامها بمحضصات هُوان هسيونغ أيضاً. كما أنها يحصلان على سلسلة من المال النقدي من أجل الخادمات».
«وهل يتم دفع الأجر بشكل نظامي؟»
- «نعم، بالتأكيد»، قالت فينيكس، ثم سألت: «ولماذا تاي-تاي تسأل عن هذا؟»
- «اعتقدت بأنني قد سمعت إحداهن تشكو من التأخير في أوقات الدفع».
- «أوه، إن...»، قالت فينيكس بارتياح، وتتابعت: «إن الأجر الأساسي الذي يخصص من أجل خادمات بي-نيانغ، كان عبارة عن سلسلة نقدية لكل واحدة، ولكن الشابات قد ارتدين خفافها إلى النصف في العام الماضي؛ بما أن كل واحدة أصبح لديها خادمتين، فمن الطبيعي أن تحصل على سلسلة نقدية أقل من قبل. وليس لدى ما أفعله بالنسبة للمجموع؛ فما علي إلا أن أمررها وأخرجها من الحسابات وفق الجرارات والجداول التي تصلني. لقد حاولت جهدي لإقناعهن بضرورة الحفاظ على المبلغ الأساسي، قبل خفض النسبة، ولكن لم ألق أي نوع من الاستجابة بهذاخصوص».
- صمتت مدام وانغ لفترة من التفكير، ثم سألت:
- «كم واحدة من الخادمات في غرفة لاو تاي-تاي تحصل على تايل واحد؟»
- «ثمانى خادمات»، أجابت فينيكس، وأضافت: «ولكن سبع خادمات فقط منهن يعملن فعلياً في جناح تاي-تاي، أما الثامنة، فهي هسي-دجين [بير فايدينغ فريفرانس]».
- قالت مدام وانغ:
- «نعم، بالتأكيد؛ فلم يُخصص لـ باو-هسيونغ⁽¹⁾ خادمة بأجر شهرى. أما هسي-دجين، فلا تزال إسمياً بخدمة لاو تاي-تاي».

(1) «باو-هسيونغ» تعنى الأخ الأصغر.

- «هذا صحيح»، قالت فينيكس، وأكملت: «فلو سمح لـ باو-هسيونغ بالحصول على خادمة بهذا الأجر، فلنـم أن يحصل هـوان هـسيونغ-تاي على واحدة أيضاً من أجل التساوي العادل. والآن، هـناك سبع خادمات في جناح هـوان هـسيونغ-تاي تحصل كل واحدة منهـن على سلسلة كاملة من النقد، وثمانـي يحصلـن على نصف القيمة، وهذه كلـها بأوامر من لاو تاي-تاي نفسه».

عند هذه النقطـة، قال هـسوـيه بيـ ما وهو يضـحك:

- «اصـح إـليـها وهـي تعدـ وـتحـصـي، وكـأنـها كـسـارـة الجـوز؛ فـهي تـذـكـر كلـ شـيء، وـتـعـرـف كلـ الأـجوـبة».

قالـت فيـنيـكـس وهـي تـضـحك أـيـضاً:

- «هل قـلت أيـ شيء خطـأ، بيـ ما؟»

- «لا أـبـداً»، أـجـابت هـسوـيه بيـ ما، وأـضـافت: «ولـكـنـ حـاـولي أنـ توـفـري من طـاقـتكـ وـتـابـعي ما تـبـقـى بـيـطـءـ».

بعد ذلك قـالت مـدـام وـانـغـ:

- «علـيكـ غـداً أنـ تـخـتـاري خـادـمـة أـخـرى لـتـحلـ محلـ محلـ هـسيـ دـجيـنـ فيـ جـناـحـ لاـوـ تـايـ تـايـ، وـتـوقـقـي عنـ دـفعـ أـجـرـها الشـهـرـي منـ خـارـجـ المـيزـانـيـة الرـسـميـةـ، باـشـتـثـاءـ سـلـسـلـةـ النـقـدـ المـخـصـصـةـ لـهـاـ أـصـلـاًـ. ولـكـنـ أـرـيدـكـ أـنـ تـدـفـعـ لـهـاـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـيـ ذـلـكـ، تـايـلـينـ اـثـنـيـنـ منـ العـشـرـينـ المـخـصـصـةـ لـهـيـ. وبـهـذاـ تكونـ قدـ حـصـلتـ عـلـىـ الحـصـةـ نـفـسـهـاـ عـلـىـ غـرـارـ تـشـوـيـ نـيـانـغـ وـتـشـاوـيـ نـيـانـغـ».

قالـت فيـنيـكـسـ:

- «هلـ سـمعـتـ هـذـاـ يـاـ بيـ ماـ؟ أـلمـ أـقـلـ بـأـنـ هـسيـ دـجيـنـ سـتـثـابـ عـلـىـ صـدـقـهـاـ، وـأـمـانـتـهـاـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ؟»

- «هـاـ هوـ الـوقـتـ قدـ حـانـ مـنـ أـجـلـ أـنـ تـحـصـلـ عـلـىـ الثـوابـ»، قـالت هـسوـيهـ بيـ ماـ، وـتـابـعـتـ تـوـضـحـ: «فـهـيـ لـيـسـتـ جـمـيـلـةـ وـحـسـبـ، إـنـمـاـ جـيـدةـ وـتـتـصـرـفـ بـشـكـلـ رـصـينـ وـحـاذـقـ أـيـضاًـ».

قالت مدام وانغ متهكمة:

- «لا تبدأي بالتعرف إلى قيمتها الحقيقة الآن؛ فالجميع يعلم بأنّ باو-يو محظوظ جدًا لحصوله على خادمة تهم به وبشئونه دون تقاعس».

وما إن انتهت حفلة الشمام في جناح مدام وانغ، حتى انطلقت بريشوس فيرتشو إلى صومعة الفاواني لتفقد باو-يو، ولتبشر بيرثايدينغ فريغرانس بالحظ السعيد الذي أتاهما على حين غفلة. عندما وصلت، وجدت باو-يو يأخذ قيلولته، وبجانبه تجلس الخادمة وهي تعمل على بعض أشكال المطرّزات، وتعمل من وقتٍ لآخر على التلويع بمروحة التهوية من فوق سيدتها. تحذّث إليها بريشوس فيرتشو لبعض الوقت، ولاحقاً، وبعد أن خرجت الخادمة لغرضٍ ما، حملت مطرّزاتها، وجلست حيث كانت تجلس بيرثايدينغ فريغرانس، وبدأت تعمل بها.

في هذا الوقت، وصلت كل من بلاك دجايدي وريفر ميست لتهنئة بيرثايدينغ فريغرانس أيضاً. وذهبت ريفر ميست للبحث عنها، تابعت بلاك دجايدي سيرها باتجاه غرفة باو-يو، وخطفت نظرة سريعة من خلال النافذة. فكبت ضحكتها، وأومأت إلى ريفر ميست لتأتي وترى مشهد الوداعة الذي تُبديه بريشوس فيرتشو في جلستها الهدأة بالقرب من باو-يو النائم. كادت عندها ريفر ميست أن تنفجر ضاحكة بأعلى صوتها؛ لكنّها سرعان ما تذكّرت طيبة بريشوس فيرتشو معها ومعاملتها اللينة لها، فقررت أن تحفظ لها مفاجئة ما جاءت من أجله. فقالت تُخاطب بلاك دجايدي:

- «ليست بيرثايدينغ فريغرانس في غرفتها، وقد قالت لي بعض الخادمات بأنّها ذهبت إلى البركة من أجل الغسيل، فهيا بنا نذهب ونبحث عنها هناك». تابعت بريشوس فيرتشو العمل على مطرّزاتها، من دون أن تنتبه إلى أنها تحت المراقبة. وفجأة، سمعت باو-يو يهتف في منامه:

- «كيف لك أن تُصدق كلام الرهبان والكهنة؟ والمصير الذي ترسمه قلادات الذهب والأحجار الكريمة! فكل ما تسمعه عنها هراء بهراء. إنّي مُصرّ على القول، بأنّني أُصدق الكلام عن المصير الذي يرسمه الخشب والحجارة، بدلاً عن كل ذلك».

كانت بريشوس ثيرتشو شديدة الدهشة بحدّ النبرة التي عبر باو-يو من خلالها عما يختلج في داخله من مشاعر فتاضة، حتى وهو في عالم النوم الغامض.

الفصل الثالث والعشرون

وفيه تُقييم الأُمّ الكبيرة عيدين في تاكوان يان
ويزور ليو لاو-لاو عائلة يونغ كُوفُو مَرَّة ثانية

بعد مرور بضعة أيام، أرسلت عائلة ريثر ميست بطلها، وكان عليها المُغادرة إلى البيت. كانت تكره مُفارقة أولاد عمها وأجنحة الحديقة، لكنها عملت على كبت ذلك وعدم إظهاره، لخوفها من أنَّ الخادمات اللواتي أُرسلن لجلبها، قد يُخبرن عمتها بالأمر، مما يحمل هذه الأخيرة على التذمر منها، واتهامها بأنَّها تفضل أقاربها على عائلتها. وقبيل المُغادرة بقليل، تمكنت من الهمس في أذن باو-يو قائلة:

- «إذا نَسِيت لاو تاي-تاي أن تُرسل بطلبي، فاحرص على تذكيرها بذلك».

بعد ذلك، تم تعيين شيئاً تشينغ «مُحققاً أكبر» في إحدى المُقاطعات، ولهذا الغرض، ترك العاصمة في العشرين من الشهر الثامن، فاسحاً في المجال أمام باو-يو للتمتع بحرية أكبر في إشباع رغباته والانغماس في المزيد من أهوائه وزواجه الجامحة.

وفي أحد الأيام، تلقى باو-يو دعوة رسمية من كويست سبرينغ تقترح فيها تشكيل نادياً للشِّعر. عندما وصل إلى مكتب أوتومن، وجد بلاك دجاييد وبريشوس فيرتشو وآخرين كانوا قد سبقوه إلى هناك. كان الجميع سعداء بفكرة النادي، وكان من المُقرر أن تبدأ اللقاءات الشعرية في اليوم الثاني واليوم السادس عشر من الشهر. كان على كل واحد منهم القيام بدور المُضيف على التوالي، وتأمين المشروعات والمؤطبات للمناسبة. أما بالنسبة إلى لي هُوان، الذي لم يكن يكتب الشِّعر، بل كان

يعرف الجميع، ناقداً عادلاً وممِيزاً، فقد عُين رئيساً. وبناء على اقتراح بلاك دجايدي، فقد تم عقد اللقاء الأول في ذلك اليوم بالذات، وتم اختيار هاي-تانغ أو زهرة البيغونيا موضوعاً لهذا اللقاء.

جاء في المرتبة الأولى من حيث الانتهاء من كتابة الشعر على التوالي: كويست سبرينغ أولاً، ثم تلتها كل من بريشوس ثيرتشو وباؤ-يو. أما بلاك دجايدي، فقد بقى لوحدها تعمل بقدر ما تستطيع على الفراغ من الكتابة - وفي النهاية، قام لي هوان بمنح الجائزة إلى بريشوس ثيرتشو لعمق مشاعرها، بالرغم من أنها هي والآخرين قد اعترفوا ضمناً بأن قصائد بلاك دجايدي قد بدت أكثر إبداعاً وأصالة.

وفي اللقاء التالي، أُضيفت ريفر ميست إلى قائمة الأعضاء، وبعد أن تذكرها باو-يو، أرسل بضرورة حضورها على الفور الشيء الذي أزعج الأم الكبيرة. كان موضوع اللقاء هذه المرة زهرة الأقحوان، وكانت ريفر ميست تلعب دور المُضيفة بمساعدة بريشوس ثيرتشو التي كانت تُرافقها طوال زيارتها. ولما كانت ظروف عائلة ريفر ميست لا تقارن بظروف عائلة تشي، فقد اقتربت بريشوس ثيرتشو ببقائها في البيت لتسلية الأم الكبيرة وباقى أفراد الأسرة. وقد أمنت بريشوس ثيرتشو بواسطة أخيها بضم سلال من سلطان البحر، الذي كان قليل الكلفة، وفي الوقت نفسه، يتناسب مع مختلف الأذواق التي كانت سائدة بين أعضاء يونغ كوفو.

كانت الوليمة ناجحة جدّاً، ذلك لأن الأم الكبيرة كانت في مزاج جيد، فاستجابت لكل مُحاولات فينيكس التي كانت تعمل على الترفية عنها. وبعد انتهاء الوليمة، غادر كل من الأم الكبيرة ومدام وانغ وغيرهما، واستمرّ أعضاء نادي الشعر في منافساتهم، وكان المُفاجئ في هذه المناسبة أن تربح بلاك دجايدي الجوائز الثلاث. ومع بدء مُناقشة مزايا التراكيب الشعرية، دخلت باشينس تقول بأن فينيكس ترحب في المزيد من سلطان البحر. وقالت موضحة:

- «كانت ناي-ناي مشغولة بخدمة لاو تاي-تاي، فلم يتسع لها تناول أي شيء منه».

قالت ريفر ميست وهي تتناول عشر حبات كبيرة منها وتضعها على صينية:

- «لا يزال هنالك ما يكفي منه».

بعد ذلك، استدعوا باشينس للانضمام إليهم. قالت الوصيفة بأنها لا تستطيع، غير أنَّ لي هُوان جرَتها إلى أحد المقاعد وأجلستها فيه قائلة لها:

- «أخبرني سيدتكِ بأنني أنا من أصرَ على ذلك».

وتم إرسال كمية سرطان البحر مع خادمة أخرى.

في هذه الأثناء، تناوب كل من باو-يو والفتيات على تقديم الشراب إلى باشينس. قالت لي هُوان وهي تُربت بمودة على الوصيفة:

- «يا لها من فتاة لطيفة! تُميَّز نفسها بالكرامة والفضيلة. فلا يُمْكِن أن تكون خادمة، ولكن لا مهرب من المُقدَّر».

قالت باشينس وهي تصحّل:

- «إنك تُضحكيني، ناي-ناي!»

سألتها لي هُوان:

- «أوه، وما هذه الكومة التي تحملينها؟»

- «إنها حزمة مفاتيح».

- «وما هي الأشياء القيمة التي تدفع سيدتك ناي-ناي إلى حمايتها وراء الأقفال؟»، سألتها لي هُوان، وتابعت: «لقد لاحظت دائمًا أنه من المستحيل تخيل الفارس تانغ من دون جواهه الأبيض، تماماً مثل عدم إمكانية تخيل فينغ-تشيه من دون أميتها باشينس. فبماذا تنفعها المفاتيح، ولديها أنت، مفاتها الأول والأساس؟»

صحّكت باشينس من جديد، وقالت:

- «ناي-ناي، أنت تُمازحيني من جديد».

- «إنها تقول الحقيقة فقط»، قالت بريشوس ڤيرتشو، وتابعت: «نحن دائمًا نتحدَّث عنكِ في ما بيننا، ونعتبرك الوحيدة الأفضل من بين المئات. إننا

نُقدَّر قُدرات سيدتك ناي-ناي، ولكنها من دونك تُصبح كعصفور بلا جناحين».

بعد انتهاء الحفلة، دعت بيرثايدينغ فريغرانس باشينس إلى غرفتها، وراحتا تتحدثان لفترة من الوقت. وعندما همت باشينس بالرحيل، سألتها بيرثايدينغ فريغرانس بما حلّ بمُخصّصات الشهر الحالي، وتابعت موضحة:

- «لا يبدو أنَّ أحداً قد تسلّمها بعد. ولا حتَّى لاو تاي-تاي، أو تاي-تاي نفسيهما».

نظرت باشينس من حولها في مُحاولة للتأكد من عدم سماع أحد لكلامها، ثم قالت:

- «لا تذهبِي إلى ناي-ناي للاستفسار عنها، فسوف تصل في غضون أيام معدودة».

سألتها بيرثايدينغ فريغرانس باستغراب:

- «ما القضية؟ تبدين غامضة الآن».

اقربت باشينس إليها وهمسَت:

- «الحقيقة أنَّ المُخصّصات الشهرية قد وصلت منذ فترة، لكنَّ ناي-ناي استخدمتها في بعض القروض القصيرة الأجل، وهي سوف تعيد جمعها عما قريب. كوني حرِيصة، فأنا لم أخبر أحداً بالأمر سواكِ، فاحتفظي بها لنفسك فقط».

- «ولماذا عليها أن تفعل ما فعلته؟»، ردَّت بيرثايدينغ فريغرانس باستهجان، وأكملت تقول: «ومن المؤكَّد أنها لا تفتقر إلى المال، والجميع يعرف بأنَّها يدها ملأى بما فيه الكفاية من دون الحاجة إلى هذا النوع من الإرباك الإضافي».

- «هذا ما أفَكَرْ فيه أنا أيضاً، ولكنها هي هكذا؛ فخلال الأعوام القليلة الماضية، جمعت ما يقارب الألف تايل من عائدات القروض كفوائد فقط».

هذا عدا عن الأموال التي تمّ عبر يديها، والأموال التي تحفظ بها من مُخصصاتها الشخصية».

- «إذن، هذا هو سبب انتظارنا دائمًا من أجل الحصول على أجورنا الشهرية! ردت باشينس:

- «وما همكِ لو انتظرت بضعة أيام إضافية؟ فأنتِ لا تحتاجين إليها بهذه الشدة».

أجبت بيرفایدینغ فریغرانس موضحة:

- «أنا لا أحتاجها لنفسى. لكنكِ تعلمين كيف هو سلوك باو-بو المُبدّر مع المال. ولهذا السبب أهتم دائمًا بلزموم توفر المال بين يدي». قالت باشينس وهي تستعد للخروج:

- «إذا كنتِ تحتاجين إلى المال الآن، فسأفترضك منه، وسأستعيده من مُخصصتك الشهري».

- «لا، ليس الآن، ولكنني سأتذكر عرضك عندما أصل إلى الوقت الذي أحتاج فيه لذلك».

عندما وصلت باشينس إلى جناح فينيكس، وجدت عندها ليُو لاو-لاو ولدتها الأكبر بان-يُز، بالإضافة إلى إحدى قريبات مدام وانغ، التي سبق لها وأن زارت يونغ كُوفُو منذ ثلاث سنوات، تنتظر سيادتها أيضًا. وكانت معهم أيضًا، زوجة شؤُ دجُوي في زيارتها الأولى. وعلى أرض الغرفة، كان هناك أكياس من العناب، والجزر واليقطين وغير ذلك من بعض المنتجات الزراعية.

وقف الجميع عند دخول باشينس، بمن فيهم ليُو لاو-لاو، التي كانت تُقدّر أهمية الموقع الذي تشغله باشينس في قصر آل تشييا. قالت هذه الأخيرة، وهي تبتسم في وجه باشينس:

- «كيف حال كُو-نبانغ؟ جميع من في عائلتي يُرسلون لك التحية والسلام. لقد خططنا لرؤيتكم منذ فترة طويلة، لكنك تعلمين كم هي المشاغل في المزرعة. ومن حسن الحظ جاءت مواسم الحصاد جيدة هذا العام، وكانت

الخضار والفاكه ممتازة. وهذه هي أولى خياراتنا من الباب الأول. إنها لا شيء بالنسبة لكم، ولكنها من أفضل ما يمكن تقديمها، وتختلف عن المأكولات الغنية التي تعيشين عليها.

سألتها باشينس:

- «هل رأيتِ ناي-ناي حتى الآن؟»
- «نعم، لكنها طلبت منا انتظارها، ثم نظرت إلى السماء وتابعت: «لقد تأخر الوقت. من المستحسن الانطلاق الآن، وإلا لن نصل إلى مدخل المدينة قبل إفاله».

قالت زوجة تشوشوجوي:

- «فقط انتظري قليلاً لأرى ما الذي تفعله ناي-ناي الآن».
- وما لبثت أن عادت لتقول مخاطبة ليو لاو لاو:
 - «ليكن الحظ معكِ اليوم. لقد كانت ناي-ناي مع لاو تاي-تاي. لقد أخبرتها بأنك تُريددين المغادرة قبل حلول الظلام، فقالت لي بأنه لطف منكِ أن تأتي من هذه المسافة البعيدة وأنتِ تحملين لها الكثير من الأشياء. وقالت بأن أدعوكِ لقضاء الليلة معنا. ليس هذا فحسب، بل أنَّ لاو تاي-تاي سمعتنا، وسألت عمن يوجد هنا، وعندما أخبرتها ناي-ناي، طلبت روبيتك. فانظري كم أنتِ محظوظة الآن».

وعلى الفور، قالت ليو لاو لاو، وهي تشير إلى ملابسها وهندامها القروي:

- «ولكن كيف يمكنني أن أظهر بهذا الشكل أمام لاو تاي-تاي؟»
- «لا تكوني خجولة إلى هذه الدرجة»، قالت باشينس، وتابعت: «إنَّ سيديتنا لاو تاي-تاي طيبة جداً، ولا تميل إلى الانتقادات والتعليقات كما يفعل بعض الناس. فتعالي معي، وسوف آخذك بنفسي إلى هناك».

كان باو-يو وجميع آنسات تاكوان يوان في جناح الأم الكبيرة عندما دخلت باشينس وبرفقتها ليو لاو لاو. كانت الأخيرة مأخوذة بالجواهر اللامعة التي تضعها الآنسات، وبثيابهن الزاهية والرائعة، لكنها استطاعت تمييز سيدة مُسنة تمدد

على إحدى المقاعد، ويجانبها إحدى الخادمات التي تعمل على تدليلك ساقيها، واستنجدت من أنها هي السيدة الكبيرة بلا شك. فانحنىت بقوّة وقالت:

- «تحياتي إلى ربة المنزل الطويلة العمر».

رددت سيدة المنزل التحية، وطلبت منها الجلوس.

سألتها السيدة تُخاطبها كما لو أنها واحدة من الأقرباء:

- «كم هو عمركِ الآن؟»

نهضت ليُو لاو-لاو واقفة لتجيب:

- «خمس وسبعون سنة».

- «رأيتكم هي قوية»، قالت الأم الكبيرة تُخاطب الموجودين، وتابعت:

«ومع ذلك، فهي تبدو أكبر مني سنًا⁽¹⁾. لست أدرىكم سأكون عديمة الفائدة واتكالية حينما أصير في عمرها».

قالت ليُو لاو-لاو تُجيب بنوع من التواضع:

- «ولكتنا نحن ولدنا للعمل، بينما ولدت لاو تاي-تاي من أجل التمتع ببركات السماء. فما الذي سيحصل بكل الأعمال الزراعية إذا ما كُنا مثل لاو تاي-تاي؟»

سألتها الأم الكبيرة:

- «هل أن عينيك وكل أسنانك لا تزال في حالة جيدة؟»

- «نعم، كلها في حالة جيدة. باستثناء ضرسي الأيسر الذي بدأ ينخره السوس».

عند سماعها ذلك، قالت الأم الكبيرة بنوع من الحسرة:

- «أما أنا فأكبر وأصبح عجوز بلا فائدة كما ترين؛ فبصري قد خفت، وسمعي ضعف، وذاكري لا يُؤول عليها. ولا أقابل العديد من الزوار، لخشتي من

(1) بعد ستين، كما يظهر في الفصل الثاني والثلاثين، ستحتفل «الأم الكبيرة» بعيد ميلادها الثمانين.

فضح عيوبه. وجل ما أفعله الآن هو تناول ما يمكن لأنساني مضمته، والنوم حين أستطيع، وتسلية نفسي بالأولاد، وبالكتاب حينما أحتج إلى التغيير». قالت ليو لاو-لاو بحسرة:

- «تلك نعمة لاو تاي-تاي من السماء. كم أود أن أفعل تلك الأشياء، ولكن لا أستطيع».

بدت الأم الكبيرة سعيدة بزيارة المرأة الريفية وبساطتها، فطلبت منها البقاء لبعض أيام. وعندما لاحظت فينيكس إعجاب السيدة الكبيرة بـليو لاو-لاو ورغبتها في بقائها، أصرّت هي الأخرى على ذلك، فقالت لها:

- «صحيح أن يونغ كوفو ليست بحجم ومساحة مزرعتك، ولكن هناك العديد من الغرف الفارغة التي يمكن إشغالها كما تشاءين».

وفي صبيحة اليوم التالي، قامت السيدة الكبيرة برفقة حفيداتها وأحفادها، بزيارة إلى تاكونان يوان، لتشاهد ليو لاو-لاو المناظر واللوحات الطبيعية الساحرة هناك. كانت الزائرة متأثرة بكل ما تراه، فقالت:

- «اعتنى رؤية اللوحات الجدارية للمناظر في بداية السنة الجديدة-كسور القصور والمجمعات السكنية الضخمة. كنا نعتقد بأن هذا النوع من القصور لا وجود له إلا في عالم الخيال، والآن وقد رأيت هذه الحديقة، فهي أجمل من كل تلك اللوحات والصور. وكم سيكون جميلاً أن تتكلّفي أحداً لرسم حديقتك وتدعى أهل الريف يُحسّنون معرفتهم ويُغنون خيالهم!» أعدت مائدة الغداء في مكتب أوتومن، في جناح كويست سبرينغ. وفي الأثناء، وبعد استشارة سريّة مع فينيكس، قامت فايث بأخذ ليو لاو-لاو جانباً وعلّمتها كيفية وجوب التصرف على المائدة. وقالت لها:

- «هذه هي العادات على المائد هنا. وعليك أن تُراقي طريقتك في الأكل، إذا ما أردت تجنب مراقبتهم لك والضحك بما تفعلين».

أكّدت لها ليو لاو-لاو بأنّها ستفعل كما تقول لها دون ارتکاب أي هفوات. خُصّص للزائرة مكاناً لها على مائدة صغيرة خاصة بـسيدة المنزل. وعادة، لا

تقوم فايث بالمهام الوضيعة، كتمرير الفوط، أو التلويع بريشة طرد الذباب، لكنها في هذه المناسبة، وقفت من وراء سيدة المنزل، بحيث تكون قادرة على توجيه الأعمال. ومن ذلك، أنها انحنت من فوق ليو لاو لاو تُعيد تذكيرها بالتعليمات، فرددت عليها الأخيرة:

- «لا تقلقي، كُو-نيانغ. سأنفذ كل شيء كما قلت بالضبط».

بعد جلوسها، وجدت ليو لاو لاو نفسها أمام زوج من عيدان العاج ذات الطراز القديم المغطى بالذهب، وكانتا ثقيلتين ويصعب عليهما استخدامهما بسهولة. نظرت إليهما باستغراب، وقالت بأسف:

- «يا لهاتين الأداتين، إنهم أثقل من شوكات الحديد التي نستعملها، فكيف لي أن أتصرّف بهما؟!»

بعد أن خدمت سيدة المنزل، حملت فينيكس قِدراً من بيض الحمام، ووضعته أمام ليو لاو لاو. وعندما رفعت السيدة الكبيرة زوج عيدانها، وطلبت من زائرتها التفضل بالأكل، نهضت ليو لاو لاو من مكانها واقفة، وأنشدت بجدية واضحة:

ها أنذا ليو المرأة الكهلة، السيدة الحذرة،
قد وهبها شهيتها الصيت والشهرة،
ستلتهم بقرة، بأسهل من لفظ اسمها، وما أدرك ما البقرة.

ثم جلست، وكأنها قد أدت شعيرة مقدّسة. في البداية، أصاب الذهول الجميع، ولم يدرؤها كيف يتصرفون تجاه ما بدر منها، لكنهم ما لبثوا لاحقاً، أن انفجروا في عاصفة من الضحك. بدأت ريفر ميست بحسب الشاي، بينما كانت بلاك دجاييد قد غصّت بطعامها بسبب الضحك، فاتكأت على المائدة تبكي وتبئن. أمّا باو-يو، فقد وقع مُتشنجاً من الضحك بين يدي الأم الكبيرة، التي كانت تدعوه بشتى الأسماء اللطيفة بنوع من الهستيريا. حتى أنّ مدام وانغ، لم تستطع الحفاظ على مهابتها. كما حمل الضحك العديد على مغادرة المائدة.

كانت فينيكس وفايث الوحيدتين قادرتين على تمالك نفسيهما، فوتفتا بالقرب من ليو لاو-لاو، يحثانها على متابعة الأكل.

نظرت ليو لاو-لاو إلى قدر بيض الحمام، وقالت:

- «حسناً، حسناً. حتى دجاجكم أكثر أناقة ودلاّل من دجاجنا. أترون دقة ورقة البيض الذي بيضه».

وما إن انتهت من كلامها، حتى هبت عاصفة أخرى من الضحك في أرجاء القاعة.

وعلى الفور، قالت سيدة المنزل:

- «إن هذه العفريتة فينغ يا-تو، قد تلجاً إلى تمرير حيلها وخدعها القديمة معها. لا تأخذني بنصيتها، لاو-لاو».

في هذا الوقت، استمررت فينيكس تحت ليو لاو-لاو على الأكل، فقالت لها:

- «هيا تناولي طعامك. فهذا البيض يُكلف تايلاً لكل بيضة، ولن يكون جيداً إذا ما برد».

لكن ليو لاو-لاو كانت تجد صعوبة في تناوله، لا سيما في زوج العيدان اللتين أعطتهما لها فينيكس عن عمد. وبعد أن حاولت التقاط البيض بعيدانها لبعض الوقت، استطاعت ليو لاو-لاو في النهاية من التقاط إحداها. وما إن اقتربت البيضة من فمها، واقترب منها من البيضة، حتى انزلقت البيضة ووقيعت على الأرض. وضحك الجميع مرة ثانية. في تلك اللحظة، أمرت سيدة المنزل الخادمات بإحضار زوج آخر من عيدان الطعام لها. وكان هذا الزوج الجديد مصنوعاً من خشب الأبنوس، وقد غطّت الفضة طرفهما. لاحظت ليو لاو-لاو هذا التغيير: بعد كلّ ما حصل، اثنتين من عيدان الطعام الخشبية الخفيفة كانت مؤاتية للكثير من أغراض الطعام.

وهنّا، قالت فينيكس مُشيرة إلى هذا التغيير:

- «لكن الفضة أيضاً لها فائدتها، فإذا ما كان الطعام مُسمّماً، فإنّها تعمل على كشف ذلك».

وعلى الفور، هتفت ليو لاو-لاو قائلة:

- «سم! إذا كان هذا النوع من الأطعمة سماً، فإنّ طعامنا بالمقابل سيكون زرنيخاً-وحتى ولو كان مسموماً، فلسوف أموت دون تراجع؛ فهي ستكون ميّة سعيدة».

كانت نفس الأم الكبيرة، والتي عادة ما تكون شهيتها في أعلى درجات دلالها، لا تقبل الطعام هذه المرة، مُغبطة وهي ترى ليو لاو - لاو مُقبلة على تناول الطعام بهذه الشهية.

لم تكن المرأة العجوز جاهلة بما تفعل، كما تخيلت الخادمة، لأنّها، عندما اعتذرت منها فايث على طريقة ضحكتها من طريقة طعامها، قالت لها:

- «لا داعي للاعتذار ، فأنا سعيدة لنجاحي في خلق جوّ من السعادة للسيدة لاو تاي-تاي».

وفي فترة ما بعد الظهر، وبعد زيارة مُختلف الأقسام في تاكوان يوان، أخذت الأم الكبيرة ليو لاو-لاو إلى الدير الموجود في إحدى زوايا القصر حيث توجد إسکوپيزيت دجاييد. طلبت الراهبة من الأم ورفيقتها التقدّم إلى البهو الداخلي، لكنّ الأم الكبيرة رفضت قائلة بأنّها قد تناولت اللحوم ولا تُريد تُدنيس أرض البهو المقدسة.

أمّا باو-يو الذي كان على علمٍ بشدة حساسية الراهبة، وقف يُراقب كيفية تعاملها مع الضيوف عن كثب. صبت الراهبة الشاي في كوب مصنوع في عهد تشينغ هوا (1665-88 قبل الميلاد)، وقدّمته إلى الأم الكبيرة على صينية من الورنيش المنحوت. سألتها الأم الكبيرة عن نوع المياه الذي تستعمله، فأجبتها الراهبة بأنه من مياه الأمطار المُجمعة من السنة الفائتة. شربت الأم الكبيرة نصف الكوب، وقدّمتباقي إلى ليو لاو-لاو. وقال لها:

- «عليك تذوق هذا الشاي أيضاً».

فعلت ليو لاو-لاو ذلك، وعندما سألتها الأم الكبيرة عن طعمه، قالت لها بأنه شاي قد تم إعداده بطريقة خفيفة جداً.

وبعد أن شرب الجميع الشاي، جرّت الراهبة كلاً من بلاك دجاييد وبريشوس

فيرتشو من ثوييهماء، وأخذتهما إلى غرفة أخرى. أثار ذلك حفيظة باو-يو الذي لحق بهن ليرى ما الذي يمكن أن تقوله الراهبة أو تقدمه لهما. رأى إكسكوزيت دجاييد تُحضر شيئاً خاصاً لهم. دخل إلى الغرفة وفي نيته الحصول على نصيبه من هذه المعاملة الخاصة. صبت الراهبة الشاي في كوبين من طرازين مختلفين من عهد سُونغ النادر (1225-960 قبل الميلاد)، وقدّمتهما إلى بلاك دجاييد وبريسوس فيرتشو.

أما بالنسبة لـ باو-يو، فقد قدمت له كوبها المصنوع من حجر اليشم الأبيض.

سألتها بلاك دجاييد وهي ترشف من كوبها:

- «وهل هذا أيضاً من مياه أمطار السنة الماضية؟»

ردت الراهبة مستهجنة:

- «أنا مُندھشة من سؤالك هذا، ألا تلاحظين الفرق في الطعم؟ كان هذا الماء ثلجاً جمعته عن شجر الخوخ منذ خمس سنوات مضت. وملأت به تلك الجرة الزرقاء هناك، وحافظت عليه طيلة هذه المدة. وقد كانت تلك الجرة مدفونة تحت الأرض ولم أفتحها إلا في الصيفية الأخيرة، وهذه المرة الثانية التي أستعمل هذا الماء فيها. فكيف تتوقعين من مياه الأمطار أن تتصف بهذا الصفاء وهذه الخفة؟»

كانت بلاك دجاييد تعلم أيضاً مدى حساسية الراهبة وفسادها، ولذلك، لم تقل شيئاً. دخلت إحدى الخادمات وهي تحمل الأكواب التي استعملت من قبل الزوار في البهو الخارجي، إلا أن الراهبة أوقفتها وطلبت منها وضع الكوب الذي استخدمته ليو لاو-لاو جانباً.

قال باو-يو بعد أنقرأ أفكار الراهبة:

- «سيكون من العار أن ترمي هذا الكوب. لما لا تقدّmine لها؟ فيإمكانها أن تبيعه وتحصل على سعر جيد به».

قالت الراهبة:

- «قدّمه أنت لها، إذا كنت ترغب في ذلك؛ فمن حُسن الحظّ أنتي لا تستخدمه شخصياً، ولو كنت أستخدمه، لحظّته قبل أن أعطيها إيه».

قال باو-يو موافقاً:

- «بكل تأكيد، وغداً سأبعث لكِ مع أحدهم أو عية مليئة من مياه النهر لتغسلـي المكان الذي كانت تجلسـ عليه».
- «سيكون هذا عملاً عظيماً»، قالتـ الراهبة، وتابعتـ: «ولكنـ قلـ لـ رجالـكـ أنـ يتركواـ الأوعـيةـ فيـ الخارجـ، وأـنـ سـأـرسـلـ الخـادـمـاتـ كـيـ يـنـقلـونـهاـ إـلـىـ دـاخـلـ الـدـيرـ».

عند العشاء، كانـ هـنـاكـ نوعـ منـ مـبارـياتـ الشـعـرـ الإـرـجـالـيـ، وـقـدـ لـعـبـتـ ليـوـ لاـوـ لاـوـ فيـ تـسـلـيـةـ الجـمـيعـ بـشـعـرـهاـ الجـافـ منـ جـديـدـ. كانـ هـذـاـ يـوـمـ، يـوـمـاًـ مـُـرـهـقاًـ وـطـوـيـلاًـ بـالـنـسـيـةـ لـلـسـيـدـةـ الـكـبـيـرـةـ وـهـيـ التـيـ اـعـتـادـتـ عـلـىـ أـلـآـ تـزـورـ إـلـآـ مـكـانـاًـ وـاحـدـاًـ فـقـطـ فـيـ تـاكـوـانـ يـوـانـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ. وـكـتـيـجـةـ لـهـذـاـ يـوـمـ الـمـتـعـبـ، شـعـرـ بـوـعـكـةـ صـحـيـةـ فـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ تـشـيـهـ، شـقـيقـةـ فـيـنـيـكـسـ. وـفـيـ هـذـاـ إـطـارـ، قـدـمـتـ ليـوـ لاـوـ لاـوـ نـصـيـحـتـهاـ فـيـ كـيـفـيـةـ مـوـاجـهـةـ الـأـرـوـاحـ الـخـبـيـثـةـ. وـقـالـتـ أـنـ سـبـبـ مـرـضـ النـاسـ، يـكـونـ بـسـبـبـ تـجـاهـلـهـمـ لـبعـضـ الـمـحـرـمـاتـ الـمـادـيـةـ.

وـفـيـ نـهـاـيـةـ الـمـطـافـ، غـادـرـتـ الـعـجـوزـ ليـوـ لاـوـ لاـوـ القـصـرـ وـفـيـ جـعـبـتهاـ الـكـثـيرـ مـنـ الـهـدـيـاـيـاـ مـثـلـ الـثـيـابـ، وـالـعـلاـجـاتـ الـأـسـرـيـةـ، وـالـطـعـامـ، وـالـمـالـ مـنـ جـمـيعـ أـفـرـادـ يـونـغـ كـوـفـوـ. وـدـعـوـهـاـ إـلـىـ الـزـيـارـةـ فـيـ أـيـ وقتـ تـخـتـارـهـ؛ وـلـذـلـكـ، لمـ تـكـنـ هـذـهـ الـزـيـارـةـ خـاتـمـةـ زـيـارـاتـهـ لـآلـ تـشـيـهـ، بلـ تـبـعـتـهـ بـعـدـ ذـلـكـ الـكـثـيرـ مـنـ الـزـيـارـاتـ الـمـتـكـرـرـةـ، حـامـلـةـ لـهـمـ الـكـثـيرـ مـنـ نـتـاجـ مـزـرـعـتـهـ الـبـسيـطـةـ، آـخـذـةـ مـعـهـاـ الـعـدـيدـ مـنـ الـأـشـيـاءـ الـقـيـمـةـ وـالـنـفـيـسـةـ.

الفصل الرابع والعشرون

وفيه يتم إقامة الدليل على أنّ الظواهر البشرية غامضة
على غرار الظواهر المُناخية
وأنّ الرجل يهبّ لتقديم الاعتذار إلى خليلته قبل زوجته

كان اليوم، هو الثاني من الشهر التاسع، وكان جميع من في يونغ كوفن^١
يحتفلون بعيد ميلاد فينيكس داخل البهو الخاص بجناح الأم الكبيرة - حيث كانت
تجري الحفلة تقديرًا لجميلها وقدرتها على إدارة شؤون القصر. ولم تلبث بعد ذلك،
أن غادرت الأم الكبيرة إلى غرفتها فاسحة في المجال أمام الجيل الشاب من أجل
الاستمتاع بعيدًا عن الكبت والمضائقات. وطلبت إلى يو-شيء التأكيد من أنّ فينيكس
تستغل أوقاتها بالاستمتاع على أكمل وجه. نفذت يو-شيء ما أمرت به، لكنها قالت
بأنّ فينيكس لا تجلس، ولا تشرب أي شيء.
رددت الأم الكبيرة وهي في غرفتها:

- «إنك لا تعرفين كيف تحبينها على ذلك، فسوف أخرج إليها بنفسي إذا لم
تحققني أي نجاح».
- في تلك الأثناء، أسرعت فينيكس إلى الداخل وقالت:
 - «لا تصدقها لاو ناي-تاي، لقد شربت فينيكس عدّة كؤوس من قبل».
 - قالت الأم:
 - «أعيديها إلى الحفلة يا يوشيه، واحرصي على أن يقدم لها كل واحد في

القاعة كأس الميلاد، فإذا أصرت على رفض الشراب، فسوف آتي شخصياً
وأدفعها إلى ذلك».

أعادت يو-شيه فينيكس إلى الطاولة، وصبت لها كأساً، وقدّمه لها قائلة:
- «إنك أمينة ومخلصة لـ لاو تاي-تاي، ولـ تاي-تاي،ولي أنا شخصياً. وها
أنذا الآن أقدم لكِ كأساً قد صبته بيدي».

قالت لها فينيكس ضاحكة وهي تشرب:

- «قبل أن أقبله، سأجعلكِ تقدميه لي وأنت جاثية على ركبتيكِ أمامي». بعد ذلك، قدم باو-يو والفتيات العديد من الكؤوس لـ فينيكس، ثم تلا ذلك، زوجات المُضييفين ومُدراء الأعمال والخدمات... ثم بدأت تشعر بتأثير المشروب، واختلقت الذرائع من أجل الهروب.

سارت برفقة باشينس إلى غرفتها، وكانت إحدى الخادمات تقف في مقدمة الشرفة؛ فاستدارت فجأة، ولما لمحت فينيكس، بدأت بالهرولة هاربة. اشتبهت فينيكس بها، فنادتها، لكن الخادمة ظهرت في بداية الأمر بأنها لم تسمعها، لكنها عادت إليها طائعة بعد أن نادتها بالإسم. جلست فينيكس على التراس، وطلبت من الخادمة الركوع. ثم استدارت إلى باشينس تقول لها:

- «إذهي واستدعِي اثنين من المُساعدين، وليأتوا بالسياط، وليجلدوا هذه الواقعَ حتى لا يبقى جلداً على ظهرها».

عند سماعها ذلك، راحت الخادمة تتسلل برعب.

قالت فينيكس:

- «أنا لست متوجهة، لماذا لم تتوافقِ متأهبة عندما رأيتني آتية؟ ولماذا
جريت بعيداً عندما ناديتِكِ؟»

أجبت الخادمة باكية:

- «لم أر ناي-ناي. وركضت لأنني تذكرت بأنه لا يوجد أحد في الداخل يهتم
بأمور الغرفة».

- «إذا لم يكن هناك أحد في الداخل كما تقولين، فلماذا أتيت لتتفقى هنـا في الأصل؟ حتى ولو كنت لم تريـنى، لا بد من أنك سمعـت باشـينـس وأنا نـنـادـيكـ من الصوت الأول. فأنت لـست بـصـماءـ، أليس كذلك؟»

قالـتـ هـذـاـ، وـمـاـ لـبـثـتـ أـنـ صـفـعـتـ الـخـادـمـةـ عـلـىـ خـدـهـاـ الـأـوـلـ ثـمـ عـلـىـ خـدـهـاـ الثـانـيـ بـعـنـفـ. وـفـيـ غـضـونـ لـحـظـاتـ، بـدـأـ خـدـيـ الـخـادـمـةـ بـالـانـفـاخـ، فـتـدـخـلـتـ باـشـينـسـ مـنـ أـجـلـهـاـ قـائـلـةـ بـأـنـ عـلـىـ سـيـدـتـهاـ أـلـأـشـبـبـ الـأـلـمـ لـيـدـيـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ.

عـنـدـ ذـلـكـ، قـالـتـ فـيـنـيـكـسـ تـأـمـرـ باـشـينـسـ:

- «اضـربـيـهـاـ، وـاسـأـلـيـهـاـ لـمـاـ رـكـضـتـ. إـذـاـ بـقـيـتـ مـصـرـةـ عـلـىـ الصـمـتـ، دـعـيـ الـدـمـوعـ تـأـكـلـ مـنـ خـدـيـهـاـ!»

بـقـيـتـ الـخـادـمـةـ ثـابـتـةـ عـلـىـ أـقـوالـهـاـ، إـلـىـ أـنـ هـدـدـتـهاـ فـيـنـيـكـسـ بـإـحـرـاقـ خـدـيـهـاـ بـالـحـدـيدـ السـاخـنـ. ثـمـ قـالـتـ باـكـيـةـ:

- «يـزـ يـهـ فـيـ الـبـيـتـ، وـطـلـبـ مـنـيـ أـنـ أـرـاقـبـ لـهـ نـايـ نـايـ وـأـخـبـرـهـ فـورـاـ إـذـاـ ماـ غـادـرـتـ نـايـ نـايـ الـمـأـدـبـةـ. وـلـمـ أـكـنـ أـدـرـيـ بـأـنـ نـايـ نـايـ سـتـعـودـ إـلـىـ هـنـاـ بـهـذـهـ السـرـعـةـ.»

أـرـتـأـتـ فـيـنـيـكـسـ بـأـنـ شـكـهـاـ لـمـ يـصـلـ إـلـىـ التـيـجـةـ المـرـجـوـةـ بـعـدـ، فـسـأـلـتـهـاـ مـنـ جـدـيدـ:

- «ولـمـاـ طـلـبـ مـنـكـ الـقـيـامـ بـذـلـكـ؟ ولـمـاـ عـلـيـهـ أـنـ يـخـشـيـ مـنـ عـودـتـيـ؟ لاـ بـدـ مـنـ سـبـبـ لـذـلـكـ. أـخـبـرـيـنـيـ الـحـقـيقـةـ، وـسـأـكـونـ طـيـةـ مـعـكـ إـلـىـ أـبـعـدـ الـحـدـودـ، أـمـاـ إـذـاـ أـصـرـيـتـ عـلـىـ إـخـفـاءـ مـاـ تـعـرـفـينـ، فـسـوـفـ أـحـوـلـكـ إـلـىـ قـطـعـ.»

وـفـيـ الـحـالـ، تـنـاوـلـتـ فـيـنـيـكـسـ دـبـوـسـ شـعـرـ وـهـدـدـتـ الـخـادـمـةـ بـوـخـزـهـاـ بـكـلـ أـنـحـاءـ جـسـمـهـاـ.

قـالـتـ الـخـادـمـةـ بـتـذـلـلـ وـهـيـ تـبـكـيـ:

- «سـأـخـبـرـ نـايـ نـايـ بـكـلـ شـيـءـ، وـلـكـ أـرـجـوكـ لـاـ تـخـبـرـيـ يـزـ يـهـ بـأـنـيـ أـنـاـ أـخـبـرـتـكـ بـذـلـكـ: لـقـدـ حـضـرـ يـزـ يـهـ إـلـىـ الـبـيـتـ قـبـلـ عـودـتـكـ بـقـلـيلـ، وـأـخـذـ قـطـعـتـيـنـ مـنـ الـفـصـةـ، وـدـبـوـسـيـ شـعـرـ، وـقـطـعـتـيـنـ مـنـ الـحـرـيرـ، وـقـالـ لـيـ بـأـنـ أـعـطـيـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ إـلـىـ زـوـجـهـ بـاـوـيـزـ وـأـنـ أـطـلـبـ مـنـهـاـ الـحـضـورـ إـلـيـهـ. وـفـيـ

الحال، أخذت زوجة باو-يُر هذه الأشياء وأتت. ومن بعدها، طلب مني يُر-يه مراقبة قدوم ناي-ناي، ولا أدرى ما الذي حصل من بعد ذلك». أسرعت فينيكس إلى جناحها مهرولة. فوجدت عند الباب إحدى الخادمات واقفة كالحارس، وما إن لاحظت قدوم فينيكس، حتى بدأت بالجري. ولمّا نادتها فينيكس باسمها، استدارت وتوقفت على الفور، بوعي أكثر من سابقتها—ثمّ بدأت تجري نحوها أيضاً. قالت الخادمة حين وصلت وهي تلهث:

— «كنت ذاهبة لأرى ناي-ناي، ويا لحسن الحظ أن تأتي ناي-ناي بنفسها!» ثمّ بدأت تروي تفاصيل القصة السابقة إليها.

سألتها فينيكس بنبرة شك:

— «أين كنت طوال هذا الوقت؟ لأنني لم أرك إلا قادمة إليّ لتقولي ما تقولين؛ فأنا أعرف حيّلك».

حينما اقتربت فينيكس من غرفتها الخاصة أكثر، سمعت صوت امرأة تقول:

— «سيكون ذلك أسهل لنا إذا مات ذلك الوحش قريبك!» أجاب صوت تثبياً لين:

— «سيكون هناك واحدة أخرى، وستنهيها بالمثل».

قالت المرأة:

— «يمكنك أن تجعل من باشينس زوجة لك، فتطويعها أسهل».

قال تثبياً لين:

— «حتى أنها لا تتركني ألمس باشينس، ثمّ أنّ باشينس لا تهتم ولا تشتكى، بالرغم من أنها لا تحب يقظتها وحضرها كذلك. ولا أدرى ما الذي يمكنني فعله لكي أحصل على زوجة مثلها».

صُدِمت فينيكس وامتلأت غيظاً مِمَّا سمعته. واعتقدت أنّ باشينس قد تميل إلى زوجها من وراء ظهرها، وعلى الفور، استدارت نحوها، وصفعتها على وجهها. وما لبثت أن اقتحمت الغرفة، وأمسكت بزوجة باو-يُر وانهالت عليها ضرباً. كما أنها

ثبتت نفسها في الباب خوفاً من هرب تشيلا لين، بينما استمرت في توبيخ المرأة صارخة:

- «عاهرة! تغرين زوج سيدتك، ثم تتأمرين على قتلها!»، ثم التفتت إلى باشينس وتابعت: «وأنتِ... يا لكن من العاهرات، كل肯 تتأمرن ضدي، وتدعون بأنكم إلى جنبي».

ثم صفت باشينس من جديد. التي انفعلت بشدة، وصرخت في وجه زوجة باو-يرز:

- «أنتما الإثنين - ألا يكفيكما فعل هذه الأشياء المُشينة من دون إقحامي فيها؟

أما تشيلا لين الذي كان لا يزال جاماً بلا حول ولا قوة يُراقب زوجته فينيكس وهي تضرب زوجة باو-يرز، حاول اغتنام الفرصة من أجل إخفاء وهلته بسبب ضرب باشينس صارخاً في وجه الخادمة:

- «وأنتِ من تكونين لكي ترفعي يدك عليها؟»
تراجعút باشينس وقالت له:

- «ولكن لماذا أقحمتني في هذا مِن دون أي ذنب؟»
إزداد غيظ فينيكس عندما لاحظت خوف باشينس من تشيلا لين، وأمرتها بتجاهله، ومتابعة ضرب زوجة باو-يرز. لكن الخادمة، وبسبب غضبها و Yasها، اندفعت تهروء إلى خارج الغرفة، وهي تبكي وتُهدّد بقتل نفسها.

بعد ذلك، ألقى فينيكس بنفسها فوق تشيلا لين، وبدأت تبكي وتقول له بأنه عليه قتلها هي أيضاً عاجلاً أم آجلاً طالما أنه يُريد التخلص منها. أحـسن تشيلا لـين بالـيأس والـتهـور، فسحب سيفاً عن الحائط وقال بأنه سيكون مـُرغـماً وسعـيدـاً على فعل ذلك إذا ما أصرـت.

وفي ضوء ما يحدث، وصلت يوــشـيه وآخــرين لـاستــطــلاــع ما يــحــدــث، فقالــت:

- «ما القضية الآن؟ لقد كان كل شيء على ما يــرــامــ منــذــ دقـــائقــ مــعــدوــدةــ».

بعد أن وقف القادمون الجدد يشاهدون ما يحصل، ازدادت جرأة تشيلا لين وازداد معها تهديده ووعيده. أما فينيكس، في المقلب الآخر، فقد عملت على تهدئة نفسها، وتركت كل شيء ولجأت إلى الأم الكبيرة تطلب حمايتها. فقالت لها، وقد رمت بنفسها بين يديها:

في غمرة هذا المشهد الدرامي، طرحت الاستفسارات على فينيكس من قبل الأم الكبيرة، بالإضافة إلى مدام وانغ، ومدام هسینغ، لمعرفة ما حدث، وعلى إثرها بدأت تروي قصتها:

ـ «ذهبـت إلىـ الـبيـت مـنـ أـجلـ تـغيـيرـ مـلـابـسيـ. وـكانـ لـيـنـ يـرـ يـتـحدـثـ مـعـ أحـدـ مـاـ فـيـ الدـاخـلـ. لمـ أـجـرـؤـ عـلـىـ التـدـخـلـ، ظـنـنـاـ مـنـيـ بـأنـهـ يـتـحدـثـ مـعـ أحـدـ الضـيـوـفـ. وـلـكـنـيـ، وـبـعـدـمـاـ سـمـعـتـ المـزـيدـ، تـبـيـنـ لـيـ أـنـ هـذـاـ الشـخـصـ هوـ زـوـجـةـ باـوـيـرـ، التـيـ كـانـتـ تـخـطـطـ مـعـهـ مـنـ أـجلـ تـسـمـيمـيـ، وـأـخـذـ باـشـينـسـ مـكـانـيـ كـزـوـجـةـ لـهـ. لمـ أـجـرـؤـ عـلـىـ الدـخـولـ فـيـ شـجـارـ مـعـهـ، فـاـكـتـفـيـتـ بـإـاعـطـاءـ باـشـينـسـ عـدـةـ صـفـعـاتـ، وـسـأـلـتـهـاـ عـنـ السـبـبـ الذـيـ يـدـعـوـهـاـ إـلـىـ قـتـلـيـ. عنـدـهـاـ، اـشـتـدـ غـضـبـهـ وـصـارـ كـالـمـجـنـونـ وـهـدـدـنـيـ بـالـقـتـلـ».

أخذت الأم الكبيرة كلام فينيكس على محمل الجد، فاستدعت المساعدين. وطلبت إليهم إلقاء القبض على تشيبا لين وسوقه ليُمثل أمامها في الحال. لكنه كان قد حضر من تلقاء نفسه، وهو يحمل سيفاً في يده، مُتشجعاً بحالة السكر التي كان فيها، ومُعتمدًا على حنكة وعدالة الأم الكبيرة.

عندما اقترب، أوقفه كل من مدام وانغ ومدام هسینغ وسألاه بحزم:

قال وكأنه لا يعي ما يتقوه به:
في حضور لاو تاي-تاي؟»
ـ «هل فقدت صوابك أيها البائس؟ كيف تجرؤ على التصرف بهذه الطريقة

- «كل ما يحصل هو بسبب لاو تاي-تاي لأنها تمادت في تدليلها».

وفي الحال، نزعت مدام هسينغ السيف منه وأمرته بالمعادرة. لكنه استمرَّ يزيد ويرعد، إلى أن هدّته الأم الكبيرة باستدعاء والده—وبهذا فقط، غادر بارتباك وعلى عجل.

قالت الأم الكبيرة تُكلِّم فينيكس:

— «إنَّ كلَّ ما يحصلُ ما هو إلَّا ضجيجٌ بلا معنى؛ فالأطْفال يقونُ أطفالاً، والقطط تستمرُّ في سرقة السمك. إنَّه خطأي أنا. كانَ عليَّ إلَّا أسمحُ لكِ بشربِ هذا القدرِ منِ الخمر، مِمَّا أثَارَ فيكِ الرغبةِ في النكدة».

ضحكَ كلُّ من في الغرفةِ من هذه الإشارةِ الغريبةِ لغيرِ فينيكس. لكنَّ الأم الكبيرة لم يُعيقها ذلك، واستمرَّت تقولُ:

— «لا تبكِ الآن؛ فغداً سأطلبُ إليه المجيء والاعتذارَ منكِ. من الأفضلِ لكِ إلَّا تذهبِي إليه اليوم لتفاديِ الشجارِ معه. أمَّا بالنسبةِ لـ باشينس، فقد اعتقدتها دائمًا تلك الفتاةِ الرصينة، ولم أكن أظنَّ أبدًا بأنَّها ستكونُ على هذا المنوال».

وعلى الفور، قالت يو-شيَّه ضاحكةً:

— «لم تفعلَ باشينس أيَّ شيءٍ إطلاقًا. فهما أراداها أن تكونَ مجردةً كبس فداءً، وهذا كلُّ ما لدىَي؛ ولطالما يفعلانَ ذلكَ عندما يتشارجرانَ من وقتٍ لآخر».

— «هذا صحيحٌ بالتأكيد»، قالت السيدة بهدوءٍ، وتتابعتُ: «فأنا أعرفُ هذا حقَّ المعرفة؛ لقد كنتُ أتساءلُ كيفُ يمكنُ أن تكون قادرَةً على فعلِ هذا الشيءِ».

ثمَّ التفتَ إلى إحدى خادماتها، آمبر، وقالَ لها:

— «إذهبي إلى باشينس وقولي لها بأنِّي قد عرفتُ كلَّ شيءٍ، وغداً سأمرُّ سيدتها بالمجيءِ إليها للإعتذار. ولكنَّ عليها إلَّا تُصعبَ الأمورِ اليوم، لأنَّه عيد ميلادِ سيدتها».

في هذا الوقت، استطاعَ لي هُوان بمعونةِ الفتياتِ من مُرافقةِ باشينس إلى داخلِ تاكونانِ يوانِ مُحاولين التخفيفِ عنها. قالت لها بريشوس ثيرتشو:

- «أنت فتاة عاقلة، ولا أفهم لماذا تُعاملك سيدتك دائمًا بهذه الطريقة الفجة».

لقد رأيناهااليوم؛ فهي ليست هي! إنها تشعر بأنك الأقرب لها، ومن لديها غيرك منفس لغضبها؟ فإذا لم تهدأي وتوقفـ عن البكاء الآن، فسوف فسيشـيع الأمر من حولنا، وسيـسخـر الناس من سـيدـتكـ. ونحن مـتأكـدـاتـ من أنـكـ لا تـريـدينـ هذاـ فيـ صـمـيمـكـ».

وَمَا هِي إِلَّا لَحْظَاتٌ، حَتَّى وَصَلَتْ أَمْبَرْ تَحْمِلُ رِسَالَةَ الْأُمِّ الْكَبِيرَةِ. وَوَجَدَتْ باشينسِنْ فِي ذَلِكَ مُبَرِّراً، لَكِي تَوقَفَ عَنِ الْبَكَاءِ تَدْرِيْجِياً. كَمَا أَنَّهَا لَمْ تَعُدْ إِلَى جَنَاحِ فينيكسِ فِي تَلْكَ اللَّيْلَةِ، بَلْ أَصْرَتْ عَلَى الْبَقَاءِ عِنْدَ لِي هُوَانْ. أَمَا فينيكسِ، فَقَدْ بَاتَ فِي جَنَاحِ الْأُمِّ الْكَبِيرَةِ.

في صباح اليوم التالي، جاءت مدام هسينغ إلى منزل السيدة الكبيرة، ومعها تشيلاين. حين وصل إليها جثى أمامها على ركبتيه، فقالت له:

- «ما الذي عليك قوله لنفسك الآن؟»

ضحك مُعتذراً، وقال:

- «السبب في ما حصل، أتنى شربتُ كثيراً تلك الليلة، وأتيتُ لازعاج لاو- تاي-تاي. وها أنذا قد حضرتُ لطلب صفح وغفو لاو-تاي-تاي لا أكثر».

- «لو كان لديك حقاً أي اعتبار وقيمة لي»، قالت الأم الكبيرة له، وتتابعت:
«اعتذر يا خلاص وتواضع لزوجتك هناك، وسوف أسامحك على كل

شيءٍ وإنما، عليك المغادرة؛ فلا أريد أيّ من اعتذاراتك الكاذبة».

كانت فينيكس واقفة من وراء الأم الكبيرة، وكانت عيناهَا متورمتان من أثر البكاء، وقد ظهرت على وجهها البقع؛ فقد كانت تبدو لطيفة وحزينة. وبدا تشياها اليوم أكثر ميلاً إلى الاعتذار من اليوم الذي سبقه. بالإضافة إلى أنه لم يكن لديه ما يفعله مع الأم الكبيرة في، ما يتعلّق بزوجته. ثم التفت إلى الأم الكبيرة وقال بخجاً:

- «كيف أجرؤ على مُخالفة إرادة لاو تاي-تاي في الاعتذار من زوجتي؟ ولتكنى أخشى من أن لاو تاي-تاي قد أفسدتها».

- «إفسادها!»، قالت الأم الكبيرة، وتابعت باستهجان: «لا تكن وقحاً إلى هذا

الحد! فهي ليست بالإمرأة السليطة؛ وهي تعرف كيف تصرف بصوابية من تلقاء نفسها. وإذا تصرفت معك بأي أسلوب من أساليب التشفى والظلم، فلسوف أسمح لك أنا شخصياً بمعاقبتها».

وعلى الفور، نهض تثبياً لين من مكانه، ثم انحنى أمام فينيكس قائلاً لها:
- «الذنب ذنبي، ناي-ناي، لقد أخطأت في حقك؛ فأرجوك لا تغضبي مني
مرة أخرى».

وسط هذه الفرحة الناجمة عن هذا التواضع المتبادل، استمرت الأم الكبيرة بالكلام:

- «لن تشعر فينفع يا-تو بالغضب من جديد. وسوف أغضب كثيراً إذا ما استمرت في حزدها ونكدها».

وبعد أن استدعت باشينس، طلبت من تشيلا لين وفينيكس تقديم الاعتذار لها. والحقيقة أن تشيلا لين الذي ينطبق عليه المثل، كان مستعداً للاعتذار إلى باشينس أكثر من زوجته؛ فتقدم إليها وقال آسفًا:

- «أرجوك لا تغضبي أكثر، كُو-نيانغ. لقد بدر الخطأ مني -حتى وإن كانت ناي-ناي قد غضبت منك، فهو بسببي أنا».

و قبل أن تتفوه فينيكس بأي حرف أمام باشينس، هرعت هذه الأخيرة إليها، وجئت أمامها، وقالت:

- «إنني أفضل الموت على أن أتسبب بحزن ناي-ناي في ذكرى ميلادها». وإثر ذلك، شعرت فينيكس بالخجل من نفسها لمعاملتها باشينس بهذا الأسلوب الظالم. والآن، وهي تراها تتسلل الغفران منها بدلاً من التذمر وطلب الاعتذار-لم تقو على تحمل الموقف، فانفجرت باكية. ثم لم تتوانى عن مد يدها إلى الخادمة ترفعها عن الأرض، بينما استمرت باشينس في الكلام:

ـ «لقد خدمت نايـنـاـيـ لـلـعـدـيدـ مـنـ السـنـوـاتـ، وـلـمـ أـذـكـرـ أـنـهـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الأـيـامـ، قـدـ رـفـعـتـ إـصـبـعـهـاـ فـيـ وـجـهـيـ أوـ وـجـهـتـ لـيـ أـيـ نـوـعـ مـنـ الإـهـانـاتـ أوـ التـهـديـدـ. أـنـاـ مـوـقـنـةـ مـنـ أـنـ كـاـ ذـلـكـ يـسـبـ بـ تـلـكـ الـمـرأـةـ الـفـاسـدـةـ».

وما إن انتهت من كلامها، حتى انفجرت في البكاء هي الأخرى.
وفي النهاية، أرسلت الأم الكبيرة الثلاثة إلى غرفهم، متوعدة بأنها ستعمل شخصياً على ضرب أي واحد منهم يتجرأ على ذكر الموضوع من جديد.

بعد أن أصبحت فينيكس وحيدة هي وزوجها في البيت، سألته:
- «فقط قُل لي لماذا أصبحت عندك متوحشة الآن؟ فهل أصبحن أقل قيمة
عندك من تلك العاهرة؟»

قالت ذلك، ثم غرقت عيناهما بالدموع، وكأنها تنتحب فقيدة غالياً عليها.
وقف تشيا لين يتأملها بصمت لفترة وجيزة، ثم قال بعصبية:
- «وما الذي تُريدينه الآن أكثر من ذلك؟ لن أقول من تسبب بالضجيج يوم
أمس، ولكن ألا يكفيك بأنني قدمت لك اعتذار أمام الجميع؟ وهل
تُريدين مني أن أجثو أمامك على ركبتي وأطلب منك السماح والمغفرة؟
على المرء أن يعرف متى وكيف يتوقف».

وفجأة قطعت حديثهما إحدى الخادمات التي وصلت لتقول بأن زوجة باو-يز
قد انتحرت شنقاً. فاجأ الخبر تشيا لين وفينيكس، ولكن لم تلبث هذه الأخيرة أن
عادت إلى واقعها، وقالت وكأنما الأمر لا يعنيها:

- «وما المشكلة إن فعلت؟ ولماذا أنت متأثر بهذا الشكل عليها؟»
وكانت زوجة تشيه-هسيباو، أحد مدراء الأعمال في يونغ كوف، قد لحقت
بالخادمة. ثم قالت متوجهة بالكلام إلى فينيكس:

- «إن زوجة باو-يز قد انتحرت، وأهلها يهددون برفع دعوى قضائية».
أفصحت فينيكس عن ابتسامة باردة، وقالت:
- «إنه لأمر عادل بالنسبة لي، وأنا كنت أفك في رفع دعوى أيضاً.
نظرت إليها زوجة تشيه-هسيباو لبرهة، ثم قالت:

- «لقد كُنا نعمل على استرضائهم، وبدا لي أنهم على استعداد للإصغاء
لمنطق العقل، بعد أن وعدناهم بدفع بعض المال».

- «المال؟»، أجبت فينيكس باستهجان، وتابعت تقول: «ليس لدى مالاً لرميه بهذه الطريقة. حتى ولو كان لدى، فلا أرغب في تبذير مالي هكذا. دعيمهم يرثون الدّعوى، وبعد أن يخسروها، فسوف أرفع أنا بدوري دعوى ضدّهم بتهمة الابتزاز».

تفاجأت زوجة تشيه-هسيباو بهذا الكلام، ولم تدرّ كيف تردّ عليه، لكنّها ما لبثت أن تلقت إشارة من تشيا لين، فانسحبت حتّى من دون أن تنظر خلفها. بعد انصرافها، اقترب تشيا لين من فينيكس واقتصر علىها الذهاب ليرى ما يمكن فعله بخصوص الموضوع. لكنّها أصرّت على أنّها لن تدفع أي فلس. والواضح أنّ تشيا لين كان يعرف كيف يتصرّف في هذا النوع من القضايا—فدفع لعائلة المُتّحرة متّي تايل، وأضاف المبلغ إلى حساب التّشيات أو المصارييف المختلفة.

الفصل الخامس والعشرون

وفيه يُمكن للمرء توقع السلوك غير اللائق من أي شخص مثل تشيا شيء ولا يستغرب أحد اتخاذ قرارٍ مثير للإعجاب من فتاة مثل فايث

بدت مدام هسينغ غامضة عندما وصلت إليها فينيكس بناء على دعوتها. وبعد أن صرفت الخادمات، قالت لـ فينيكس:

- «لدي شيء أود التحدث معك بخصوصه. إن لاو-يه [إشارة إلى تشيا شيء] قد تسبب لي بمشكلة عويصة، وأرغب في الاستنارة برأيك قبل أن أقدم على أي خطوة: لقد علمت بأنه مولع بـ يوان-يانغ [فايث]، وقد حاول كثيراً اصطحابها إلى غرفته. ثم عرض على مؤخراً أن أطلبها له من لاو تاي-تاي؛ أعلم أنه ليس في الموضوع ما هو استثنائي، ولكن ما أخشاه هو رفض لاو تاي-تاي لهذا الطلب. فما الذي تنصحين به بهذا الخصوص؟» أخذت فينيكس فترة وجيزة للتأمل بعد استماعها إلى كلام مدام هسينغ، ثم قالت:

- «لو كنت مكان تاي-تاي، لما أقدمت على ضرب رأسه بهذا المسمار الكبير. كما أنها لا تستطيع التحمل طويلاً من دون يوان-يانغ، مع العلم أنها لا ترغب في مفارقتها. وعلاوة على ذلك، أعرف أن لاو تاي-تاي كثيراً ما كانت تُعبر عن استنكارها لوجود هذا العدد الكبير من الخليلات حول

لاو-يه. وغالباً ما تسأل: "لماذا يحتفظ بهن؟ فهو بذلك يمنعهن من الزواج، بينما هن في سن الزواج. إنه يزداد كبراً، لكنه لا يزال يُنَادِد حيويته، مُهملًا لواجباته، ويُضيّع أيامه هدراً مع خليلاته". ومما سبق، تستطعين تاي-تاي أن تستتبطي طبيعة تفكير ونواباً لاو-تاي-تاي تجاه لاو-يه. وأعتقد أن على لاو-يه أن يُفكّر في كيفية تفادي المزيد من استياء لاو-تاي-تاي، بدلاً من خنز أنف الأسد بقشة. وما يبدو لي، أن تاي-تاي ستعمل على ثنيه عن ذلك».

- ليس غريباً أن يكون لرجل في موقع لاو-يه ثالث خليلات أو أربع، قالت مدام وانغ بنبرة استياء، وتابعت: «أضف إلى ذلك، أنه لا يوجد ما يثنيه عن أمر قد خطر بياله، ووضع مسألة تحقيقه نصب عينيه. ولسوف ينقلب ضدي إذا ما نصحته ومنعته عنه».

أدركت فينيكس، أن لا جدوى من النقاش مع مدام هسينغ التي كانت تعيش شبح الخوف الدائم من زوجها، وتفعل كل ما يطلبه منها دون تردد. قالت فينيكس: «إن تاي-تاي على حق في ما تراه، وأنا موقة من ذلك. ماذا يُمكّنني أن أعرف، وأنا شابة كما أنا؟ بحسب فهمي، أن الإنين يرغب دائمًا في الحصول على ما يُريده من والديه. لقد كنت سخيفة حينما أخذت ما قالته لاو-تاي-تاي على محمل الجد. وحتى مع باو-يو مثلاً، كانت تتصرف معه وكأنها ستضرره حتى الموت عندما كان يتسبّب بغضبها. لكنها كانت عندما تراه، تحبه أكثر من قبل، وتؤمن له كل ما يُريده. ولا بد أنها تسير على نفس المنهاج مع لاو-يه. إن لاو-تاي-تاي في مزاج حسن اليوم، ولذلك، سأذهب وأحاول تهيئتها ووضعها في أجواء الموضوع. وعندما تأتي، سأتركها وأأخذ الجميع معي، بحيث تكوني قادرة على التحدث إليها بخصوصية».

كانت مدام هسينغ صامتة، ولكن صاغية طوال الحديث. فكرت هُنّيَّة ثم قالت

: بهدوء:

- أرى أنه من الأفضل لأن نطرح الموضوع على لاو تاي-تاي الآن. لا بد لي من الاجتماع بـ يوان-يانغ والتحدث إليها أولاً. فإذا وافقت، سيكون من الصعب على لاو تاي-تاي عندها الرفض، حتى ولو كانت لا ترغب في مفارقتها.

قالت فينيكس بنوع من التملق:

- «في نهاية المطاف، لاو تاي-تاي تعرف الأفضل. ومن ذا الذي لا يرغب في القفز إلى أعلى؟ فستكون سعيدة لأن تُصبح نصف سيدة من أن تُزوج خادمة عادية أو قروية».

- «هذا ما كنت أُفكّر فيه أيضاً»، ردت مدام وانغ، وأكملت: «عليها أن تشعر بالإطراء. يمكنك أن تذهب إلى الجهة الأخرى الآن، ولكن لا تدعى الموضوع الذي نقشناه للتخرج عن سرنا نحن الاثنين. وسأعود من جديد بعد الإفطار».

بعد ذلك، غرقت فينيكس في تفكير عميق. فكرت في: «أن يوان-يانغ فتاة لها تفكيرها الخاص هي أيضاً. فلو عدت إليها أنا أولاً، فسيكون كل شيء على ما يرام في حال وافقت على عرض تاي-تاي. ولكن إذا رفضت، ستظنين تاي-تاي بأنني قد أفشلت السر». سيكون إذن من الأفضل الانتظار والذهاب مع تاي-تاي، وهكذا لن يلقي على أي نوع من اللوم. إذاً، انطلاقاً من هذا الاعتبار عملت فينيكس على ترتيب الأشياء، بحيث كانت مدام هسينغ أولى الواصلات إلى منزل الأم الكبيرة، وأولى المعنتمات لفرصة الحديث مع فايث.

بعد انتظارها بعض دقائق في منزل الأم الكبيرة، دخلت مدام هسينغ مُباشرة إلى غرفة فايث. شاهدت مطرزاتها ومدحتها لمهاراتها في ذلك. وبسبب تدقيقها وتفحصها للأشياء، أحست الخادمة بعدم الارتياح، وشعرت بأن الزائرة قد جاءت من أجل غرض ما.

سألتها الخادمة:

- «لماذا مررت تاي-تاي من هنا باكراًاليوم؟»

أشارت مدام هسينغ للخدمات الأخريات بالانسحاب، ثم أمسكت فايث من يدها، وقالت:

- «لقد أتيت لتهنئة كُو-نيانغ».

فهمت فايث نيتها، ولكنها لم تقل أي شيء. بينما تابعت مدام هسينغ كلامها لتقول بأنّ زوجها بحاجة إلى فتاة لابنه يُمكّنه الوثوق بها، وقد اختار فايث من بين عدد كبير من المرشّحات المُتلهفات لذلك. واليوم ننظر إلى الخادمة على قدم المساواة بنا، وعلى أنها واحدة من العائلة:

- «فتعالي معى، سذهب وتحدّث بالموضوع مع لاو تاي-تاي».

سحبت فايث يدها بطريقة فجّة ولم تُجب بشيء.

استمرّت مدام هسينغ بالكلام:

- «لا يحتاج الموضوع إلى الخجل، ولست ملزمة بقول أي شيء أمام لاو تاي-تاي، فكل ما عليك فعله، هو مُرافقتي إليها».

كانت فيث لا تزال تنظر بصمت. أمّا مدام هسينغ فاستكمّلت كلامها في محاولة لإقناعها، أو للحصول على إجابة حاسمة منها:

- «هل أنّ صمتك يعني بأنّك لا ترغبين بالأمر؟ فإذا كان هذا معنى صمتك، فأنت إذن مُغفلة تماماً! فكيف لك أن ترفضي أن تصبحي سيدة وتفضليين البقاء خادمة تعمل تحت أوامر سيدات؟ وبعد بضع سنوات، ستتزوجين من أحد الخُدام، لكنك، وبكل الأحوال، ستبقين عبدة مدى الحياة. تعالي معى، فأنت تعلمين بأنّي طيبة وحسنة المزاج، وأسأكون حنونة كالأم معك».

حتى هذه اللحظة، وبعد كلّ ما سمعته من مدام هسينغ، بقيت فايث صامتة واجمة تنظر إليها وكأنّها صماء لا تفهم شيئاً. لكنّ مدام هسينغ لم تتراجع عما جاءت من أجله، وتابعت الكلام وكأنّها على ثقة من الوصول إلى النتيجة التي ترغبتها في النهاية:

- «أعتقد بأنّك تشعرين بضرورة قيام والديك بترتيب هذه الأشياء من أجلك».

لا تقلقي، سأفتح والديك بهذا الشأن، وسأطلب منهم مُحادثتك بكل الأمور التي تخص هذه المسألة. وعندما، بإمكانك إخبارهما بكل ما يدور في رأسك من دون الإحساس بالخجل». بعدما علم تشيا شيء بفشل مهمة زوجته، فكر قليلاً ثم قرر استدعاء تشيا لين.

قال له:

- «هناك أكثر من وكيل في تشينلينغ ؛ فابعث بأحد إلى هناك في الحال لإحضار تشين تساي والد يوان-يانغ».

حاول تشيا لين التهرب من طلب والده، فقال:

- «تقول الأخبار التي وصلت أخيراً من تشينلينغ بأنه مريض جداً، وأن الميزانية الخاصة بتحضيرات الدفن قد تم رصدها فعلاً. فإذا كان لا يزال حياً، فمن المرجح أن يكون عاجزاً ولن يفيد في شيء. كما أن زوجته حاولت تشيا لين صماء—»

قاطعه تشيا شيء عند هذه النقطة، قائلاً:

- «أيها الوحش العاق! يبدو أنك على علم بكل شيء. هنا اخرج من هنا». انسحب تشيا لين على الفور، وجلس في مكتبه بانتظار ما قد يطرأ من تطورات. في هذا الوقت، استدعي تشيا شيء شقيق فايث الأكبر تشين وين-هسيانغ، وطلب منه استخدام ما لديه من تأثير على شقيقته. وعندما استدعيت فايث من قبل أخيها، ترددت كثيراً من الكلام خشية التسبب باستياء سيدة المنزل إذا ما فاحتتها بالأمر، لكنها صرّت بأسنانها، ورفضت كل توصل أو تملق من أخيها-الذي ذهب على الفور للقاء تشيا-شيء وإبلاغه بعناد وتصلب الخادمة.

قال له تشيا شيء فور سماعه الخبر:

- «قل لزوجتك أن تخبرها بأنني أعرف ما الذي تفكّر فيه. فمنذ بداية التاريخ، والخدمات يفضلن الشباب على المتقدمين في العمر. ولعلها تفكّر بأنني كبير جداً بالنسبة إليها، وقد وضعت قلبهما جانباً بانتظار الجيل القادم. وأعتقد أن هذا الجيل-هو باو-يو مثلاً. فإذا كان هذا ما يدور في رأسها،

فأبلغها بأن تخلع هذه الفكرة من رأسها! فمن سيتجزأ على التقدم إليها بعد أن يعرف بأنني أريدها؟ وهذا هو الشيء الأول والأساسي الذي عليها أن تعرفه. أما الأمر الثاني، فهو أنها إذا كانت تُفكّر في أن تُصبح زوجة أحدهم من خارج القصر، فعليها أن تُفكّر وتعتبر جيداً؛ لأن القضية ليست في من تزوج، بل أنها لن تستطيع الفرار مني. إلا إذا قررت الموت أو البقاء عزياء طوال عمرها، فمن الأفضل لها أن تُغيّر رأيها. وإذا فعلت ذلك، فسأسامحها وأسأكون لطيفاً معها.

لم يكن لدى تشين وبن-هسيانغ أي شيء ليقوله، سوى الموافقة على كل شيء، والتعهد بعمارة كل ما يعرف من ضغوط على شقيقته من أجل الموافقة.

تابع تشينا شيه يقول:

- «لا تحاول أن تخدعني بمظهرك الكاذب؛ فغداً سأرسل لها تاي-تاي من جديد. فإذا اقتنعت بما أخبرتني من أنها لن تُغيّر رأيها، فعندي، عليك أن تتبه إلى فروة رأسك».

كانت فايث مصدومة بردة فعل تشينا شيه غير اللائقة. وبعد أن استمعت إلى كلام أخيها، فكرت قليلاً ثم قالت:

- «حتى وإن كنت راغبة في الذهاب إليه، فسيكون من الضروري، لا بل من الواجب عليّ أولاً، أن أذهب إلى تاي-تاي والحديث بالموضوع معها». ازدادت سعادة أخيها عند سماع ذلك منها، لاعتقاده بأنها قد بدأت تلين، وأنّ بوادر التغيير في رأيها قد بدأت تلوح في الأفق. أخذتها زوجة أخيها إلى الأم الكبيرة، التي كانت في تلك الأثناء تتحدث مع زوارها: مدام وانغ، هسوبي بي-ما، لي هوان، فينيكس، باو-يو، وآخرين. تقدّمت فايث منها وجشت أمامها، وما بين قليل من بكاء وبين كثير من توسل، أخبرتها القصة. ثم أردفت ما روت بالقول:

- «يقول تا لاو-يه بأنني أميل إلى باو-يو، أو لدى طموح للزواج من أحد من الخارج. وقال بأنني لن أفلت من يديه حتى ولو صعدت إلى السماء نفسها. لقد صممت، وهذا أنا أقولها أمامكِ، وأمام كل الموجودين هنا، بأنني

لن أتزوج طوال عمري، سواء أهتم ذلك باو-يو أو أي أحد آخر. وحتى لو أقدمت لاو تاي-تاي على إرغامي على ذلك، فلسوف أموت قبل أن أحضر لهذا الأمر. وبعد أن رأيت عودة لاو تاي-تاي إلى الغرب، فلن أعود إلى والدي أو إلى شقيقتي. وأفضل الموت أو أن أصبح راهبة على أن أفعل ذلك. وأنا أقول هذا من كل قلبي وجوارحي، وبكامل قواي وإرادتي وإن كنت لا أقول ما في داخلي، أو نفذت ما أنا عازمة عليه، فلتبتلعني السموات والأرض، ولتحرقني الشمس والقمر، ولتشهد علي الملائكة والشياطين، ولتصبني بكل الأمراض المُزمنة التي لا نجاة منها. . .

كانت فايث، قبل أن تأتي إلى الأم الكبيرة، قد أخفت في كمها مقصاً. وفور الانتهاء من كلامها سحبت المقص وشرعت بقص شعرها، لكنها لم تُكمل ذلك بعد أن هرع كل من في الغرفة ونزعوا المقص من يدها.

شعرت سيدة المنزل بالاستياء والغضب فور سماع قصة الخادمة. فقالت وهي ترتعد:

- «لدي خادمة واحدة يُمكّنني الاعتماد عليها، وهذا هم يحاولون حرمانني منها وأخذها بعيداً عنّي.

توقفت سيدة البيت لبرهة عن الكلام وهي ترتجف من الحنق، ثم التفت إلى مدام وانغ وتابعت تقول:

- «ها أنتم جميعاً تحاولون خداعي؛ فظاهرياً، تبدون أبناء ومطيعون، لكنكم جميماً تتأمرون عليّ وتعلمون ضدّي بالخفاء. عندما يكون لدى الخير، تأتون إليّ وتطلّبونه، والآن وقد بقيت لدى هذه الخادمة المسكينة، أراكم تحسدونني عليها لأنّني طيبة القلب وحنونة معها. ولكنني أقول لكم الآن، وليشهد الجميع، إذا ما كنتم تنوون بإبعادها عنّي، فما عليكم إلا الاستمرار في مؤامراتكم ضديّ».

كانت مدام وانغ، أثناء كلام السيدة الكبيرة، قد نهضت من مكانها ووقفت تستمع إليها بصمت. كانت تعتبر أن ذلك لا يعنيها لأنّها ليست صاحبة المشكلة من

أجل أن تُدافع عن نفسها. أمّا هُسُويه بيـ ما فلم يكن بمقدورها قول شيء بالطبع، طالما أن مدام وانغ تكون شقيقتها. وبالنسبة إلى لي هُوان والآخرين، فقد غادروا الغرفة فور شروع فايث برواية قصتها. لكن مدام وانغ، البريئة كعادتها، استمرت واقفة وصامتة لترى ماذا ستكون النهاية.

تفهمت كويست سبرينغ موقف مدام وانغ الحرج، وتأكدت من أنها ليست المعنية لكي تُدافع عن نفسها، ولا تعني هُسُويه بيـ ما من أجل الدفاع عن شقيقتها، ولا تعني بريشوس فيرشتو لكي تُدافع عن عمتها. كما أنّ الأمر لم يكن يعني فينيكس أو لي هُوان، ولا حتى باوـ يو ليدفعهم إلى الكلام. إذن، هذا هو الوقت المناسب الذي تظهر فيه الحاجة الماسة إلى الشقيقات. لكن ولكرن سبرينغ كانت تفتقر إلى الشجاعة، وكانت كومباشن سبرينغ صغيرة جداً. وارتأت أنها هي الوحيدة التي يمكنها الكلام؛ فدخلت الغرفة، وابتسمت في وجه السيدة الكبيرة، وقالت:

ـ «ما الذي يجب أن نفعله مع تايـ تاي؟ لاو تايـ تاي، فكري قليلاً، كيف يمكن لزوجة الإبن الصغرى أن تدرك أو تعرف شؤون زوجة الإبن الكبرى؟»

ابتسمت الأم الكبيرة، وقالت مستدركة خطأها:

ـ «بالطبع، لعلني بدأت أفقد حواسِي مع الكبير»، ثم التفت إلى هُسُويه بيـ ما، وتابعت: «يجب أن لا تسخري مني، بيـ ما. إن شقيقتك مخلصة ومطيعة لي، وليس مثل تاي ستاي التي لا تعرف إلا زوجهاـ فقد كنت غير عادلة بالنسبة لشقيقتك».

ردت هُسُويه بيـ ما بأن الأم الكبيرة رُبّما كانت متحيزَة لزوجة ابنها الصغير. فقالت الأم الكبيرة:

ـ «لا أبداً، أنا لست بمتحيزة أبداً أقول الحقيقة فقط. كما أن باوـ يو»، ثم التفت إلى حفيدها متابعة: «لماذا لم تتبهني إلى خطأي وتتجنبي توبيخ والدتك بهذه الطريقة الظالمة؟»

ـ «ولكن كيف لي أن أُدافع عن والدتي ضد عمتِي أو خالتِي؟»، قال باوـ يو،

وابع: «كنت أود التعرّض للملامة، ولكنني كنت أخشى من لاو تاي-تاي أن لا تصدقه».

- «إن هذه لإجابة منطقية أيضاً»، قالت الأم الكبيرة مُبتسمة، وأضافت: «والآن انحني لوالدتك واطلب منها أن لا تغضب، ولكي تأخذ بعين الاعتبار عيوب هرمي، وأن تنسى أي أذى من أجل خاطر باو-يو».

وما أن شرع باو-يو بفعل ما طلبت منه الأم الكبيرة، حتى استوقفته مدام وانغ

قائلة:

- «هذا أمر سخيف، باو-يو. كيف يمكنك أن تعذر من أجل لاو تاي-تاي». نهض باو-يو واقفاً، مدركاً أن الاعذار بالطريقة التي كان ينويها، قد تكون تسلیماً بأن جدته كانت على خطأ.

ثم قالت وهي تلتفت إلى فينيكس:

- «كما أن فينونغا-تو لم تلفت نظري إلى ذلك أيضاً»

فقالت فينيكس:

- «حسناً، حسناً. لقد امتنعت عن لفت نظر لاو تاي-تاي، لكنها الآن هي من تعمل على التسبب بالخطأ معى».

فضحكت الأم الكبيرة، وضحك جميع من في الغرفة.

في هذا الوقت، أُعلن عن وصول مدام هسينغ، وخرجت مدام وانغ لمقاتلتها. وكانت الأولى قد سمعت من الخادمات كل ما حصل، ولكن كان من الصعب عليها التراجع الآن. فدخلت مع مدام وانغ وحيث السيدة الكبيرة كالعادة، أما الأخيرة، فبقيت صامتة. وعلى الفور، طلبت فينيكس إذناً بالخروج، وما لبث أن تبعها الآخرون، الذين لم يكونوا راغبين بالحضور وإخراج مدام هسينغ.

عندما أصبحا بمفرددهما، قالت الأم الكبيرة تُخاطب مدام هسينغ:

- «أنا أعرف بأنك كنت تحاولين القيام بدور صانعة مباريات من أجل ولدك لاو-يه. كما وأعرف أنك زوجة فاضلة ومُخلصة، ولكنني في الوقت نفسه أيضاً، أعتقد أنك مُخلصة بشكل مبالغ فيه. لقد أصبح لديك الآن أولاد

وأحفاد، ولكنكِ ما زلتِ تخشين ولدكِ هذا، وتركتينه يتصرف في كل شيء على هواه».

- «لقد كنتُ أتواجه معه دائماً، وأحتاج على أفعاله»، ردت مدام هسينغ، وتتابعت: «لكنكِ لا تاي-تاي، تعرفين ما تكون نتائج ذلك. لا أستطيع فعل شيء».

- «أتحسين أنكِ تركبين جريمة إذا ما طلب منكِ ذلك؟»

سألتها الأم الكبيرة هذا، وراحت تشرح لها كيف أنها لا تقوى على فراق الخادمة، ثم أكملت كلامها قائلة:

- «أخبri ولدكِ لاو-يه بأنني لدى من المال هنا ما يُمكّنه من شراء الامرأة التي يُريدها، ولا آبه لو كلف هذا عشرة آلاف تايل، ولكن لا أريد مفارقة هذه الخادمة، وأصرّ على بقائها إلى جانبي لرعايتها. وإن موافقتها على احتفاظي بهذه الخادمة، سيكون أفضل له من مجئه ومواجهتي شخصياً. أنهت ذلك، ثم التفت إلى أحد المساعدين وقالت:

- «أطلب من بي تاي-تاي والآخرين العودة إلى هنا، لماذا اختفى الجميع؟» عاد الجميع، وانطلقت لعبة الماجونغ. وبما أنّ نظر الأم الكبيرة، لم يكن على ما يُرام، جلست فايث بقربها وراحت تُراقب لها اللوحات. وعندما رأت أن سيدتها تحتاج إلى «إثنين من الدوائر»، لإكمال مجموعة الدوائر في يدها، أوّمأت إلى فينيكس باللوحة التي تُريدها. وهُنا جاء دور فينيكس؛ فتظاهرت بأنّها مُترددة في اللعب، وقالت:

- «لدى بي تاي-تاي القطعة التي أريدها، لكنّها فقط تحاول الصمود. ولذلك سألعب هذه بحيث أجبرها على التخلّي عن القطعة التي أريدها».

قالت هسوبيه بي-ما:

- «أنا متأكّدة من أنّي لا أملك القطعة التي تُريدينها».

قالت فينيكس ضاحكة:

- «لن أصدق ما تقولين إلا إذا رأيت ما في يدك».
 - على الفور، أجبتها هسوبيه بي-ما بنوع من التململ:
 - «إذا اكتشفت لاحقاً من أنني كنت أملك القطعة التي تريدينها فعاقبني، ولكن، رجاء العبي الآن ولا تُعرقلني سير اللعبة».
- لعبت فينيكس ورقة الـ «إثنين من الدوائر»، ودفعتها إلى أمام هسوبيه بي-ما ، لعلها بأنّ هذه الأخيرة ستأخذها. لكنّ هسوبيه بي-ما رفضتها قائلة:
- «أنا لا أحتاج إليها، ولكن أخشى من أن لاو تاي-تاي سُسجل الرقم القياسي بها».

وأشارت فينيكس إلى فايث من أجل التقاط القطعة، لكن الأم الكبيرة رمت القطع وصرخت:

- «فات الأوان!»

قالت فينيكس:

- «ألم أقل لكم بأنني لا بد خاسرة أمام الأم الكبيرة بسبب مختلف أنواع التجسس التي تدور من حولي؟ لكن هذه المرة كانت هفوتي أنا».

قالت لاو تاي-تاي وهي مُغبطة بالربح:

- «بالتأكيد أنت لن تجدي أحداً آخر لإلقاء اللوم عليه. وعليك إذن، أن تصفعي نفسك، وأن تسألي نفسك لماذا لعبت بهذه الطريقة، مع أنني لم ألعب أبداً ورقة الدائرة المفردة طوال اللعبة، ثم التفت إلى هسوبيه بي-ما، وقالت:

- «لا آبه للمال، ولكن الربح يدفعني إلى الإحساس بغيضة الربح بدورة واحدة وفي غضون دقائق».

كانت فينيكس في هذه الأثناء تعدّ مالها. وعندما سمعت كلام الأم الكبيرة، أوقفت ذلك وقالت:

- «طالما أن لاو تاي-تاي تلعب فقط من أجل التسلية، فليس علي إذن أن أدفع المال».

أما فيث، التي تعمل عادة على ترتيب أوراق السيدة الكبيرة، فلم تُحرِّك ساكناً. سألتها لاو تاي-تاي عن المشكلة، فأجبتها بأنه يفترض على فينيكس أن تدفع المال الذي خسرته. وعندها، التفت الأم الكبيرة إلى فينيكس وقالت باستهجان:

- «لا تُريد الدفع إذن؟ ستتعلم أن تدفع فوراً في المرة القادمة».

قالت هذا، ثم التفت إلى إحدى الخادمات التي كانت تقف إلى جانبها وأمرتها بجمع سلسلة المال النقدي من أمام فينيكس ووضعه فوق كتلة المال أمامها. عند هذه النقطة، بدأت فينيكس بالتوسل إليها قائلة:

- «أرجوكِ أعيدي المال لي، وأتعهد بأن أدفع بناء على النقاط».

قالت هسوبيه بي-ما:

- «إن فينيكس امرأة بائسة، واللعبة ليس إلا للتسلية. لقد أخذت خسارة سلسلة واحدة من المال على محمل الجد».

انتفضت فينيكس وقالت تردد على هسوبيه بي-ما، وهي تُشير لها إلى صندوق مركون في إحدى زوايا الغرفة:

- «ولكن أنظري إلى ذاك الصندوق. لا أعلم كم يوجد من المال النقدي فيه، وهو نتيجة نصف ساعة فقط منذ بداية اللعبة وإن القطع النقدية التي في الصندوق أمست تتحسّر على سلاسل المال التي أصبحت على نهايتها. وعما قريب سيكون كل ما في الصندوق قد تلاشى. ولكن طبع لاو تاي-تاي الطيب ورفقتها، سُعيد الأمور إلى نصابها. وسأعود أنا أيضاً إلى القيام بواجباتي، وإدارة الأعمال التي على القيام بها».

بعدها، دخلت باشينس وهي تحمل سلسلة أخرى من النقد، معتقدة أن فينيكس لم يعد لديها ما يكفي من المال. نظرت إلى خادمتها وقالت لها مُبتسمة:

- «ضعى هذا المال فوق كومة المال التي أمام لاو تاي-تاي. فهذا قد يُنذر القطع الموجودة في الصندوق، والذي يستجدي لاستعادة المال الذي نقص منها».

ضحكت الأم الكبيرة بأعلى صوتها، وطرحت كومة المال على كامل الطاولة،

وطلبت من فيث أن تذهب إلى فينيكس وتغلق فمهما.

وضعت باشينس المال على الطاولة وخرجت بعد لحظات. فاللتقت في الفنان الخارجي تشيلا لين، مبعوثاً من قبل تشيلا شيه ليعرف ما الذي حصل مع مدام هسينغ. نصحته باشينس بعدم الدخول قائلة:

«لو كنت مكانك لما دخلت. كانت لاو تاي-تاي شديدة الغضب، وإذا ما دخلت إليها، فستكون أشبه بمن يضرب رأسه بمسمار حاد. ولم تهدأ إلا حينما تدخلت تاي-تاي وجاذفت في الترفيه عنها وتسللتها».

أجابها ت شيئاً لين:

«طالما أنها هدأت، فلا أعتقد بأنّ هناك أي شيء أقلق عليه. وقد طلب مني لاو-يه المجيء، وسيغضب إذا علم بأنّني لم أفعل».

أكمل تشيما لين طريقه إلى الداخل، وعندما بدأ بالإقتراب من غرفة الأم الكبيرة، بدأ يسير ببطء. عندما لمحته فينيكس أشارت له بعدم الدخول، ثم انحنت نحو مدام هسينغ وهمست لها بوجود تشيما لين في الخارج. خشيت الأخيرة من أن ذلك سيُجبرها على أن تغادر فوراً؛ فنهضت تصب فنجاناً من الشاي للأم الكبيرة آملة في أن هذا قد يجذب انتباها عنه ويسمح له بالهرب سريعاً. ولكن ما إن التفت الأم الكبيرة لأخذ كوب الشاي، حتى لمحت خيال تشيما لين المتردد في الجهة الخارجية من الباب. فسألت على الفور:

- «وَمَنْ هُوَ ذَاكُ الَّذِي يَقْفِي أَمَامَ الْبَابِ؟»

عندما أحسّ بأن لا مجال للتسلل بعيداً، خطى تثبيلاً إلى داخل الغرفة، وقال:

— «لقد حضرت للتأكد ما إذا كانت لاو تاي-تاي تنوي الذهاب إلى منزل لايتا، لأقوم بتجهيز العربية لها».

قالت الأم الكبيرة له بشيء من الشك:

- «ولماذا لم تدخل مُباشرة بدلاً من التسلل من أمام الغرفة كالجواسيس؟»
تبسم تثبياً لين متملقاً وقال:

- «خشيت من أن أزعج لاو تاي-تاي وهي في أوج لعيتها، وكنت على وشك لفت انتباه زوجتي لكي أتمكن من إخبارها بذلك».

قالت الأم الكبيرة وهي تشكي في ما يقول:

- «لا أصدق بأن هذه العجلة من أجل العربية. فلديك كل الوقت من أجل الحديث مع زوجتك عند عودتها. فمن حركاتك أستنتاج بأنك كنت تتتجسس عليّ من أجل إبلاغ أحد ما بكل تحركاتي. إن سلوكك هذا يزعجني، لكنني ما زلت بحاجة إلى زوجتك هنا لفترة من الوقت. يمكنك أن تذهب الآن وتتأمر أنت وزوجة تشاو-يز عليها».

ضحك جميع من الغرفة لدعابة الأم الكبيرة، فقالت فايث مُستهجنة:

- «زوجة تشاو-يز! لماذا أقحمت لاو تاي-تاي زوجة تشاو-يز في الأمر؟»

قالت الأم الكبيرة:

- «لا يهمني أكان تشاو-يز أم باو-يز، فكيف لي أن أتذكر هذا النوع من القضايا المُخجلة؟ وأنا لا أستطيع إلا أن أنفجر غضباً حينما أعيد التفكير بهما. لقد أتيت إلى هذا المنزل بصفتي كبرى الحفيدات، وبعد أربع وأربعين سنة، أصبحت لدى أنا نفسي حفيدة كبيرة؛ لكنني لم أسمع بأمر كهذا طوال هذه السنوات. والآن، ما الذي تنتظره؟»

وعلى الفور، انسحب تشاو-يز بين بطريقة فظة دون أن يتبس بكلمة. أما باشينس التي كانت لا تزال تنتظر خارجاً لنرى ما يحصل، فقالت له:

- «ألم أقل لك ذلك؟»

خرجت مدام هسينغ أيضاً، فقال لها تشاو-يز:

- «إن كل ما حصل لنا من إذلال على يد لاو تاي-تاي هنا-كله كان بسبب لاو-يه».

- «أيتها الولد العاق»، قالت مدام هسينغ موبخة، وتابعت: «كثير من الأولاد يتمتنون الموت بسعادة من أجل آبائهم، وأنت الآن تندمر وتشكو لمجرد

بعض كلمات من لاو تاي-تاي. فإذا كنت لا تأبه للطريقة التي تتصرف بها، فإن لاو-يه قد يُحطم لك رجليك يوماً ما».

شعر تشيما شيه بنار الذل والعار تجري في دمه بسبب تهوره. فادعى المرض، وتجنب بذلك التحقيقات الصباحية والمسائية في جناح الأم كبيرة. ومع ذلك، فقد اشتري، بثمانمائة نايل، فتاة جميلة لتحمل محل فيث.

الفصل السادس والعشرون

وفيه يتجلّى مجد السيد في رفاهية الخادم ورخائه
وشرف المهنة يُصان من قبل المُمثل ليو هسيانغ-لين

وصل الخامس عشر من الشهر بسرعة، وخصوص هذا اليوم للاحتفال بتنصيب لاي شانغ-جونغ، ابن لاي تا، في سلك القضاة. وكان آنئذياً يعملون كوكلاً لأعمال في يونغ كوفو لأجيال، وفي هذا الوقت، قد ازدهروا للدرجة أصبحوا معها قادرين على شراء مكتب لأكثر أعضاء العائلة الموعدين. وبهذه المناسبة، استطاعت والدة لاي-تا، وهي امرأة طاعنة في السن قد أُعفيت من الخدمة منذ وقت طويل، من إقناع الأم الكبيرة وآخرين لتكريم منزلها بوجودهم.

وبينما كانت الأم الكبيرة وبباقي أفراد قصرها يُونغ كوفو ونبنيغ كوفو من الإناث يشاركن في الحفل في الأجنحة الداخلية، كان لاي شانغ-جونغ يحتفل مع تشيا تشين وتتشيا لين وباؤ-بيو وهسوبيه بان وآخرين في الأفنية الخارجية. ودعا أفراد عائلة لاي العديد من الأصدقاء اللائئين—من ذوات المظاهر الحسن من أجل المساعدة في تسليمة المدعىين والترفيه عنهم. وكان من بين هؤلاء المدعو ليو هسيانغ-لين، وهو صديق لـ باو-بيو، وأحد أصدقاء تشين تشانغ المتوفى.

وكان هسوبيه بان قد قابل ليو هسيانغ-لين من قبل، وقد راق له بشكل كبير. علم أن الشباب مولعون بالحركة، ولذلك كان قد ظهر على مسرح الهواة يلعب دور امرأة. أمل هسوبيه بان بأنه قد يتمكّن من إفساد ليو هسيانغ-لين، كما فعل مع العديد من الشباب إلا أنه كان على خطأ. كان هسيانغ-لين من عائلة جيّدة ومعروفة، لكنه كان

ضالاً ونابذاً للتقاليد والأعراف العائلية، يفعل ما يُريد، ولا يأبه لكلام الناس. توفي والديه وهو لا يزال طفلاً. وكان يُحب التمثيل وممارسة المبارزة بالسيف والرمح، والقمار، وغير ذلك من أنواع التسلية التي ينغمس فيها عادة مثلي الجنس. ولما كان وسيم للغاية ومقبول، فإنه كان بالنسبة للذين لا يعرفونه بمثابة ممثل معروف ويُمتنع بأخلاق الممثل. إستاء من مُجاملات هُسُويه بان، وهم بالمعادرة، إلا أنَّ لاي شانغ-جونغ أخبره بأنَّ باو-يو طلب منه انتظاره. فقال له:

- «أصبر قليلاً بعد، سأبعث بطلب باو يز-يه».

كان باو-يو قد عرف ليو هسيانغ-لين لفترة من الوقت، وكانت هما الاثنين من أصدقاء تشين تشانغ. وفي هذه المناسبة، أراد باو-يو أن يطلب من لاي شانغ-جونغ أن يعتني بتصريح تشين تشانغ، وتقديم بعض الأضاحي له، لأنَّه لا يستطيع الذهاب بنفسه إلى هناك. وعندما سأله باو-يو عن سبب نيته بمعادرة المأدبة بهذه السرعة، أجابه لاي شانغ-جونغ بأنَّ هُسُويه بان كان يُضايقه. كما أنه أعلمته بأنَّ عليه قطع مسافة طويلة للعودة. لم يقل إلى أين سيدهب، لكنه قال بأنَّه سيعلم باو-يو بذلك إذا ما وعده هذا الأخير بعدم فضح مكان وجوده أمام الآخرين.

ألقى لاي شانغ-جونغ تحية الوداع على باو-يو وتوجه نحو الباب، حيث رأى هُسُويه بان الذي سأل بحماس:

- «من الذي قد يتجرأ على ترك «ليو اللطيف» هذا يُعادر بهذه السرعة؟»

بدا وكأنَّ عينا ليو هسيانغ-لين تقدحان ناراً عندما سمع كلمات هُسُويه بان المُهينة. كان يوذ لو أنه يقتله حالاً لو لم يعْ حقيقة أنهما هما الاثنين ضيوف في منزل لاي شانغ-جونغ. والواقع أنَّ هُسُويه بان كان في سعادة لا توصف عندما رأه أمامه عند المدخل، فأخذ يده بكلتا يديه، وقال له:

- «إلى أين أنت ذاهب، يا أخي الجميل؟»

حاول ليو هسيانغ-لين أن يتفاداه قائلاً:

- «كنت لا أتني المُغادرة باكراً، ولكن عليَّ الذهاب الآن للاهتمام ببعض الأمور الطارئة».

إشتعل ليو هسيانغ-لين غيظاً وكرهاً من هذا الكلام، وفجأة خطرت له خطة.
مرافق هسوبيه بان إلى الخارج وقال له:

«هل لديك الحماس حقاً لتكون صديقاً، أم أنك تتظاهر بذلك؟»
أجابه هشويه وقد ابتسم مُبتهجاً:

— «يا صديقي العزيز، كيف لك أن تسأل هذا السؤال؟ فلتبتلعني الأرض الآن إن كان قلبي يكذب».

ـ «إذن، عليك أن تأتي معي»، قال ليو هسيانغـلين وهو ينظر بمُكـر، وتابع:
ـ لأنـ هذا المكان غير مُنـاسب لـ الكلام؛ تعالـ معي إلى بيـتي وسوف نـشرـب
ـ طـوال اللـيل، ولكنـ لا تصـحـب أحدـ معـكـ، فـلـديـ المـسـاعـدـيـنـ الـذـينـ
ـ سـيـهـتـمـونـ بـكـلـ شـيءـ». -

سأله هشويه بان وهو لا يصدق أذنيه:
— «أحقاً ما تقول؟»

قال ليو هسيانغم-لين:

- «يبدو أنك تشكّ بلحظات في كلام شخص يتكلّم من أعماق قلبه».
- «لا أبداً، فأنا أصدقك»، قال هشويه على عجل، وأكمل: «لكن العقبة أنتي لا أعرف أين تعيش. فكيف لي أن أجده وانت ستغادر المأدبة قبلي؟»
- «يعق منزلي خارج البوابة الشمالية»، قال ليو هسيانغ-لين، وأضاف: «سأنتظرك على الجسر خلف البوابة مباشرةً. ولكن دعنا نعود إلى المأدبة الآن. سوف أغادر أولاً، لكنني لا يتبه أحد إلى مغادرتنا معاً».

كان هشويه بان طوال المأدبة ينظر إلى ليو هسيانغ-لين بإعجاب شديد، وسعيد كل السعادة بحظه الجيد. وبلاوعي، راح يشرب الكأس تلو الكأس حتى أصبح

سكيراًً وقد رصانته واتزانه. ثمَّ ما لبث أن تبع خطوات ليو هسيانغ-لين الذي تسلَّل من الحفل بهدوء.

صرف ليو هسيانغ-لين خادمه، وسار وحيداً إلى الجسر المُحدَّد، ووقف يتظر هسوبيه بان. وفي الحال، ظهر الأخير يخرج من باب المدينة، وهو يترنَّح من جهة إلى جهة من فوق جواده، وعبر الجسر من دون أن يُلاحظ هسيانغ-لين. لحق به الأخير، وتحول كرهه إلى نوع من التسلية ضد هسوبيه بان الماكر. قال الأخير عندما لاحظ ليو هسيانغ-لين:

- «كنتُ أعلم بأنك ستحافظ على وعدك».

قال ليو هسيانغ-لين:

- «إنطلق، علينا ألا نسمح لأحد برؤيتنا معاً».

وما لبث أن وكز جواده، وسار أمام هسوبيه بان الذي كان يُحاول أقصى جهده ليقي ثابتًا على سرج حصانه. قطعاً حوالى الكيلو مترين شماليًّا حتى وصلا إلى منطقة مهجورة أشبه بالصحراء، بعيدة عن أي قرية أو معبد. ترجل هسيانغ-لين عن جواده وطلب من هسوبيه بان أن يفعل الشيء نفسه، ثمَّ قال له:

- «لنُقسم يميناً، فإذا ما بدأ أي واحد منا نيته وأفشي السر، تُصبِّه اللعنة ويعاني البلاء المُناسِب».

أبدى هسوبيه بان الموافقة، فنزل عن جواده، ثمَّ جثَّ على ركبتيه وشرع يقول:

- «لو أُنْتَي، أنا هسوبيه بان، حاولت أن أبدَّل نيتِي، أو أن أُخْبِر أحداً، سـ— وفجأةً سمع ضربة وكأنَّما مطرقة من حديد قد هوت على ظهره، ثمَّ شعر وكأنَّ آلاف النجوم اللامعة تترافق أمامه في ظلام حالكـ ثمَّ هوى إلى الأرض. أداره هسيانغ-لين نحوه وراح يكيل له الضربات في الوجه حتى أصبح أشبه بالثمرة الناضجة. حاول هسوبيه بان النهوض جاهداً، إلا أنَّ هسيانغ-لين عاجله بركلة قوية من قدمه، فأسقطته طريحاً على الأرض من جديد.

قال هسوبيه بان وهو على الأرض:

- «لم يكن أحد يُحاول إرغامك على فعل شيء؛ فإذا كنت لا ترغب بي، كان

من الأجدى لك أن تُخبرني بذلك بدل أن تفعل كل هذا».

ثم راح يكيل الشتائم لـ ليو هسيانغ-لين، ويصفه بشتى أنواع الأسماء.

ليو هسيانغ-لين، وبالمثل، لم يُقصَر في توجيه الإهانات له، فقال:

- «أنظر إلى ليو تا-يه لترى من هو، يا ابن السلفة الحمقاء الأعمى. وتنجزأ

الآن على إهانتي! لن أقتلك، ولكنني سأجعلك تعرف من أنا».

ثم سحب سوطه وبدأ ينهال عليه ضرباً. وعندما بدأ هشويه بان بالأين، سخر

ليو هسيانغ-لين منه قائلاً:

- «حسبتك رجلاً حديدياً تستطيع الحصول على ما تريده»، قال هذا وقد ازداد

حناً، ثم سحبه من خلال الأجمات إلى طرف المستنقع وأضاف: «والآن

هل أصبحت تعرف من أنا؟»

كان هسویه بان عنیداً، فالرغم من ازدياد أنيمه، إلا أنه لم يتفوه بأي كلمة. لكن هسيانغ-لين، الذي كان أشبه بالمجنون في تلك اللحظات، طرح السوط من يده، وعاد يوجه له اللكمات الواحدة تلو الأخرى، حتى أصبح غير قادر على تحمل المزيد، ثم التفت إلى هسيانغ-لين بعد جهد جهيد وقال ببطء شديد:

- «أعرف بأنك رجل شريف، ولكن كل ما تفعله معي الآن هو لأنني أصدق كل الإشاعات التي أثيرت حولك».

وعلى الفور، ردَّ ليو هسيانغ-لين قائلاً وهو يركله في صدره:

- «لا تُحاول توريط أي شخص آخر في هذا».

- «وماذا تُريدينِي أَنْ أَقُولُ غَيْرَ هَذَا؟»، سَأَلَهُ هَسْوِيَّهُ بَانٌ وَهُوَ يَئِنْ، ثُمَّ تَابَعَ:

«أأقول بأنني قد أخطأت بما أعرفه عنك؟»

عاد لیو هسیانغ-لین یرکله من جدید و هو یقول:

- «عليك أن تكون أكثر تواضعاً من هذا».

تأوه هستویه بان بقوه، و عاد پنکزه بأسماء دلع من؛ جدید:

«—کو۔۔۔ ۹۹۹ ہے» —

وفي الحال، فقد ليو هسيانغ-لين صبره، وراح يكيل له اللكمات والركلات في كل أنحاء جسمه كالمجنون.

عند هذا الحد، قال هسوبيه بان وقد ازداد أذنه:

- «هاي أنت! هاو لاو-يه! سامح هذا الأحمق الأعمى، الذي لا يعود يعرف الرجال الأشراف عندما يراك. أقر بأنني على أن أحترم لاو-يه، وأن أخشى لاو-يه منذ هذه اللحظة وحتى آخر العمر».

بدأ ليو هسيانغ-لين بأنه قد اكتفى بذلك، لكنه قال وهو يُشير إلى ماء المستنقع

الكريهة:

- «والآن إشرب من هذا الماء».

جفل هسوبيه بان من هذا الطلب، وقال متواصلاً:

- «الرحمة، لاو-يه»، فكيف يمكن لأي شخص أن يشرب من هذا؟ ثم، وبسرعة بعد أن ركله ليو هسيانغ-لين من جديد، قال:

- «توقف، توقف، سأشرب منه».

ثم مد برأسه نزواً إلى جذور الأعشاب وشرب ملء فمه. أصابته الرائحة الكريهة بالغثيان، فتقى مياهاً وخمراً وكل ما كان قد ملاً به جوفه.

- «ومن هذه الأشياء الكريهة أيضاً»، قال ليو هسيانغ-لين وقد سد أنفه، وهو يُشير إلى مستنقع سميك من الخليط الكريه، وتابع يطلب منه: «تناول القليل من هذه الآن، وسوف أتركك تذهب».

عند هذا، أحجم هسوبيه بان عن التنفيذ، وما لبث أن انحنى ويتسل، ولكنه قال بأنه لن يأكل من هذا حتى ولو قتله ليو هسيانغ-لين.

لكن ليو هسيانغ-لين أيضاً لم يكن قادرًا على تحمل الرائحة، فقال:

- «لا أستطيع البقاء أكثر من هذا، فهذه الرائحة تُشعرني بالغثيان».

وما لبث أن وجّه ركلته الأخيرة إلى هسوبيه بان وامتطى جواهه ورحل. عجز هسوبيه بان عن الوقوف على قدميه، بسبب الكدمات والجروح المؤلمة،

فعاد وتمدد على ظهره، وراح يصرخ طالباً النجدة. حينما لاحظ تشييا دجانغ برفقة أحدهم للبحث عنه. وبعد حوالى الكيلو مترين من مدخل المدينة الشمالي، شاهدا جواه هائماً لوحده، ولما اقتربا أكثر من المُستنقع، سمعاً أصوات تأوهات وأنين. كان هسوبيه بان مُغطى باللحوح، وجهه ينزف وغير واضح الملامح. فهم تشييا دجانغ الذي حصل له، ومازحه قائلاً:

- «كيف حدث لـ هسوبيه تا-شُو أن يختار مكان كهذا من أجل مواعيده العاطفية؟ وهل كان يلقى استحسان الملك التنين؟»

كان من المستحيل على هسوبيه بان ركوب حصانه، نتيجة الجراحات والخدمات الكثيرة التي أصيب بها، ولتفادي هذه العقبة، تم استئجار عربة. اصرَّ تشييا دجانغ في البداية ساخراً بالعودة معه إلى المأدبة، لكنَّ توسل هسوبيه بدَّل رأيه وانطلق به إلى البيت. بكت والدته وصرخت بسبب ما أصابه، وفكَّرت في رفع دعوى لتجبر ليُو هسيانغ-لين على دفع تعويضات. أمّا بريشوس فيرتشو فقد كانت أكثر تعقلاً، فأشارت إلى والدتها بأنَّ هذا قد يتسبب لهم بفضيحة، عدا عن أنه سيُعرض هسوبيه بان للسخرية أمام رفقاءه.

بعد أن تعافي هسوبيه بان من جروحه، غادر العاصمة من أجل إعطاء الوقت لأصدقائه لنسيان العار الذي لحق به من جهة، ومن أجل شعوره بأنه عليه فعل شيء للتخلص من حياته الماضية التي أمضها بلا جدوى من جهة أخرى. في البداية، عارضت هسوبيه بي -ما هذه المُغادرة، لأنَّها لا تثق بقدراته على التصرف بمفرده، لكنَّ بريشوس فيرتشو شجعته على ذلك معتبرة أنَّ هذا الشيء سيكون أفضل له للتفكير في شيء من التغيير بهدوء. عند مغادرته، رافقه أحد مُديري مستودعاته على أساس أنها ستكون رحلة عمل.

سمح غياب هسوبيه بان لـ بريشوس فيرتشو بأخذ لتوس إلى تاكوان يوان للبقاء في «ويستاريا آربور» (تعريشة الويستاريا) لبعض الوقت. وقد كان والدها قد علمها القراءة والكتابة، والآن وهي تحت وصاية بلاك دجايدي، أصبحت قادرة وبسرعة على

نظم الشعر، وهو أحد إنجازاتها الذي دفع بشابات القصر إلى قبولها بينهن. في هذا الوقت، تم إنشاء مجمع الحديقة بوصول العديد من الخادمات الشابات اللواتي خُصصن للتجمُّع هنالك. وكان منها، اثنتين من بنات عم لي هُوان-لي وينولي تشي، ووالدتهما الأرملة؛ وكانت أيضاً هُسوه باو-تشين (بريشوس هارب) وشقيقها هُسوه كيو، وهما من أبناء عم بريشوس فيرتشو. وكانت أيضاً حفيدة مدام هسينغ الصغرى مع ابنتها هسين تي-ين (ماونتن ريث). وكُنَّ خلال قدومهن إلى العاصمة من الجهة الجنوبية، قد التقين معاً، وبعد أن اكتشفن أنهن جمِيعاً مُتشابهات بالصفة والسفر إلى مكان الالتقاء نفسه، تجمعن معاً وتتابعن الرحلة سوية.

كانت الأم الكبيرة، وهي التي تحب الرفقة، سعيدة جداً بوصول المُفاجئ للزائرات، وأصرت على أن يقينن معها في يُونغ كُوفُو وفي تاكوان يوان. كما أن شابات القصر كُنَّ أيضاً سعيدات من مشهد وجود هذا العدد الكبير من الرفيقات لا سيما وأنَّ القداميات الجديدات كُنَّ خادمات جميلات وبارعات في الوقت عينه. الواقع أنَّ لي هُوان و بريشوس فيرتشو ولكوم سبرينغ، وهنَّ الأكثر تصافأً بالزائرات، كُنَّ أكثر سعادة من الجميع.

كانت بريشوس هارب، قد أثرت في قلب الأم الكبيرة أكثر من البقية؛ فطلبت من مدام وانغ أن تتخذها بمثابة إبنة بالتبني، وأن تعتبرها أيضاً مُتناسبة ومُتكافئة مع باو-يُو. سألتها الأم الكبيرة عن عمرها، وعن ساعة ويوم وشهر ولادتها. وبعد أن أدركت هُسوه بي-ما نية الأم الكبيرة، نبهتها إلى أنَّ بريشوس هارب مخطوبة إلى عائلة من آك ماي، وقد حضرت إلى العاصمة حقيقةً، إستعداداً لزفافها.

عاشت بريشوس هارب مع بريشوس فيرتشو. وسرعان ما أصبحت من أفضل صديقات بلاك دجايدي، لأنَّها كانت فتاة موهوبة واستثنائية، وبعد أن اكتشفت ذكاء بلاك دجايدي، لم تخف هي أيضاً إعجابها بها.

عاشت بنتا عم لي هُوان معها في «رايس فيلنج» (قرية الأرض)، وشاركت ماونتن ريث السُّكن في «بروكايد تشامبر» (غرفة التطريز) مع ولكوم سبرينغ. كانت ماونتن ريث تختلف عن مدام هسينغ، وأعجب الجميع بدماثة خلقها وتهذيبها. أمَّا فينيكس

التي أحبتها، فقد كانت تستغل كل فرصة من أجل تقديم يد العون لها - لأنها كانت تعرف أن أفراد أسرة هسپينغ لم يكونوا من الأغنياء.

وحدث أيضاً في هذا الوقت تقريباً، أن عَيْن عمَّ رِيَفِر مِيَسْتَ، في أحد المناصب في المُقااطعة، فاضطررت العائلة إلى مُغادرة العاصمة. ولما كانت الأم الكبيرة ترفض ذهابها، فقد عملت مع عائلتها على ترتيب بقائهما في يونغ كُوفُوْ. فقدمت لها الأم الكبيرة جناحاً خاصاً، لكنَّ رِيَفِر مِيَسْتَ فضَلَت البقاء مع بريشوس فِيرْتُشُو. وهكذا، أصبح جميع من يعيش في تاكوان يوان، أو من هم مرتبطين بهذا المكان بطريقه أو بأخرى، حوالى الثلاثة عشرة شخصاً من اليافعين، بمن فيهم فينيكس وباؤ-يُو؛ كانت لي هُوان أكبرهم، تليها فينيكس. أما الآخريات-ولكوم سبرينغ، كويست سبرينغ، كومباشن سبرينغ، بريشوس فِيرْتُشُو، بلاك دجايـد، رِيَفِر مِيَسْتَ، لي وين، لي تشي، بريشوس هارب، وماونتن رِيَث-كُنْ جميـعاً من نفس الأعمار تقريباً، ما بين الخامسة عشرة أو السابعة عشرة، وبتواريخ ميلاد مُختلفة. وحتى هُنْ أحياناً كُنْ يضعون عن أعمار بعضهن البعض، وينادين بعضهن بأسماء خاطئة.

الفصل السابع والعشرون

وفيه تأخذ القوية كويست سبرينغ مسؤوليات فينيكس

بسبب مرضها

وتتسبب المُتخبطة تشاو يي-نيانغ بالإذلال لابنتها

كانت فينيكس حاملاً منذ بضعة شهور، ولكن بما أنها ذات طبيعة نشيطة، لم تستطع أبداً إهمال أي من واجباتها العديدة التي كانت تأخذها على عاتقها. كان موسم السنة الجديدة الذي مر للتو، من أكثر المواسم إرهاقاً لها، وبالرغم من معرفتها لحالتها، إلا أنها لم تعمل على إراحة نفسها. وكانت النتيجة أنها أجهضت حملها مباشرة بعد عيد الفوانيس. وحدثت وبالتالي بعض المضاعفات وأصبحت ملزمة بالبقاء في فراشها. ولم يكن هذا في الحقيقة، إلا كارثة لها؛ فهي تحب ممارسة الحياة المليةة بالنشاط والحيوية، والشعور بأهمية نفسها وبالحاجة الماسة إليها من قبل الجميع. فخففت في ظل الخمول، وتمت لو أنها تتحسن سريعاً من أجل العودة إلى إدارة الأعمال من جديد. لكنها لم تكن بالقوة الكافية التي تفكّر فيها، ولم تتحسن كلياً إلا في أواخر الشهر الثالث من تاريخ الإجهاض.

شعرت مدام وانغ بأنها من دون فينيكس ستكون عاجزة تماماً، كما لو أنها قد فقدت يدها اليمنى. فحاولت الاهتمام بالأمور الأكثر أهمية بنفسها قدر المستطاع، وعهدت بالأمور الأقل أهمية إلى لي هوان. وكانت هذه الأخيرة تُعرف بفضيلتها وإخلاصها أكثر من قدراتها ومهاراتها في إدارة الأشياء. وكانت ومن دون أن تدري تُدلل الخدم والخدمات. ولذلك، طلبت مدام وانغ من كويست سبرينغ مساعدتها.

إلا أنها، وبعدما تبين لها لاحقاً أنَّ مرض فينيكس سيطول أكثر، أدرجت اسم بريشوس فيرتشو على لائحة المساعدات.

كان الخدم - كلُّ الرجال ونساء، سُعداء بهذا التغيير الدرامي في الأحداث، لأنَّهم كانوا يعلمون مدى طيبة وتسامح لي هُوان معهم. كانت كويست سبرينغ مجھولة القدر بالنسبة لهم، لكنَّهم لم يكونوا يعيروها أيَّ اهتمام. كما أنها كانت لا تزال خادمة عازبة وقد كانت بسبب تواضعها وخجلها الزائد़ين، قابلة وسهلة للعمل. وهكذا أصبح جميع الخدم سُعداء بازدهار أوقات العمل البسيطة والسهلة في الفترات القادمة. لكنَّهم، وبعد بضعة أيام، تبيَّن لهم أنَّهم كانوا على خطأ في حساباتهم بالنسبة إلى كويست سبرينغ؛ صحيح أنَّ أخلاقها كانت أقلَّ حدة، ولسانها أقلَّ تسلطاً من فينيكس، لكنَّ اهتمامها بأدقِ التفاصيل، وقدرتها الخارقة في الكشف عن المخالفات، جعلاها تتفوق على فينيكس بأشواط عديدة.

وقد وقعت إحدى الحوادث يوماً، وفَرَتْ لـ كويست سبرينغ الفرصة لتبرهن للخدمات وللجميع بأنَّها لم تكن من اللواتي يُمكِّن العبث أو المزاح معها؛ كانت هي ولِي هُوان كالعادة تجلسان في قاعة المجلس، عندما وصلت زوجة وُهسِين - تينغ لتخبرهما بأنَّ تشاو كيوُ-تشي - شقيق تشاو بي - نيانغ قد تُوفِيَ. وقالت:

- «لقد نقلتُ الخبر إلى لاو تاي-تاي، فقالت بأنِّي يجب عليَّ أيضاً إبلاغ كوُ-نيانغ».

بعد هذا، وقفت زوجة وُهسِين - تينغ تنتظر تعليق وقرار كويست سبرينغ في ما يتعلُّق بموضوع الوفاة. بالإضافة إلى إنتظار العديد من الخدم والخدمات في الباب الخارجي لسماع ما ستقوله كويست سبرينغ؛ فإنَّ كانت ستخلص من هذه المسألة بطريقة مناسبة، فإنَّهم سيحترمونها؛ وإن لم تفعل ذلك، فسيكون لهم المُبَرَّر على ضوء القرار الذي تخذه... . وعادة ما كانت تقوم زوجة وُهسِين - تينغ بتذكير فينيكس وإعلامها بطبيعة العرف الذي كان سائداً من قبل في مثل هذه الحالات، وما الذي يجب فعله على ضوء الحالات التي مرت، تاركة لها اختيار الأفضل من الاقتراحات التي تراها مناسبة، لكنَّها لم تفعل هذه المرة من أجل مُساعدة كويست سبرينغ.

التفت الأخيرة إلى لي هوان وسألتها عن الذي يمكن فعله. فكرت لي هوان
لدقائق ثم قالت لها:

- «طالما أن بيرثايدينغ فريغرانس قد حصلت على أربعين تايلاً عند وفاة
والدتها، فأرى أننا علينا دفع المبلغ نفسه إلى عائلة تشاو». أجبت زوجة وو هسين-تينغ بنعم، وهمت بالمغادرة عندما أوقفتها كويست سبرينغ، وقالت لها:

- «لا تذهب الآن. دعني أطرح عليك بعض الأسئلة. في جناح لاو تاي-تاي، هناك العديدات من لاو بي تاي-تاي.⁽¹⁾ بعضهن من أتباعنا، وبعضهن قد قدمن من الخارج. هل بإمكانك أن تقولي لي ما العرف الذي كان سائداً في حالة الوفيات في العائلات من اللواتي هن من أتباعنا، أو من اللواتي أتبن من الخارج؟»

لم تستطع زوجة وو هسين-تينغ تذكر الحالات السابقة من هذا النوع، فتملأست من السؤال وقالت وهي تبتسم:

- «لا يهم، طالما أن كو-نيانغ تستطيع أن تعطي حكمها الخاص في ذلك؛ فمن الذي سيهتم أكان المبلغ كبيراً أم كان قليلاً؟»

قالت كويست سبرينغ مُبتسمة ولكن بحزن:

- «من الصعب فعل ذلك. بإمكانني أن أدفع حالاً مائة تايل، ولكن إن لم يكن ذلك مطابقاً للعرف السائد، فلن تصلك جماعتك مني فحسب، بل أنتي سأخجل من مواجهة سيدتك يز ناي-ناي التي أعمل لحسابها».

قالت زوجة وو هسين-تينغ:

- «في تلك الحالة، سأذهب للاطلاع على السجلات القديمة، لأنني لم أتمكن من تذكر المسائل القديمة بهذا الخصوص».

تبسمت كويست سبرينغ من جديد، بشيء من السخرية، وقالت لها:

(1) خليلات أو محظيات جد باو-يو الأكبر.

- لقد تم تأمينك على الكثير من هذه الأمور ولسنوات عديدة، ومع ذلك لا تذكرين؟ فهل أنت مُستعدة لتوسل السماح من سيدتك يز ناي-ناي في هذه الحالة؟ أعتقد بأنها كانت سيدة صارمة ودقيقة، ولكن إن كانت قد تغاضت عن هذا النوع من عدم الأهلية، فأعتقد أنها كانت متساهلة إلى أبعد الحدود... والآن، هيا اذهبي وأعيدي تلك السجلات».

فاض وجه زوجة وو هسین-تینغ احمراراً، وانصرفت على عجل بارتباك وحيرة. كان الخدم الذين يتظرون في البهو الخارجي يقفون وهم فارهي الأشداء باستغراب.

كشفت السجلات في ما يتعلق بمحظيات الراحل تشيما تاي-شان، أنَّ اثنتين كانتا ابتيتين للعائلة الخادمة، واثنتين كانتا من خارجها. ففي الحالة الأولى، كان المبلغ الذي تم دفعه لتكليف وفاة كل واحدة أربعة وعشرين تايلًا. وفي الحالة الثانية تم دفع أربعين. بالإضافة إلى أنَّ اثنتين أخريَّتين من الخارج تلقتا مائة تايل وستين تايلًا على التوالي، ولكن كان هناك سبباً خاصاً لدفع المبلغ الإضافي. وطالما أنه لا توجد أي اعتبارات خاصة في حالة الوفاة الراهنة، فقد أمرت كويست سبرينغ بدفع أربعة وعشرين تايلًا فقط لعائلة تشاو كيو-تشي، من حيث أنها عائلة خادمة.

بعد أن غادرت زوجة وو هسین-تینغ بقليل، وصلت تشاو بي-نيانغ وقالت باستحياء:

- «كل واحد يحاول الآن أن يدوس على رأسي بدوره. لا بد لي من الاعتقاد بأنَّ كُو-نيانغ على الأقل ستقف في وجهي».

ثم انفجرت في البكاء. فقالت كويست سبرينغ:

- «ومن يتجرأ أن يطأ رأس بي-نيانغ؟ وما الذي تعنيه بي-نيانغ؟ أخبريني وسوف أعمل ما باستطاعتي لحمايتك».

قالت بي-نيانغ:

- «إنها كُو-نيانغ نفسها».

وعلى الفور، نهضت كويست سبرينغ من مكانها وقالت:

- «ما الذي تشير إليه بي-نيانغ؟ لم أحلم أبداً بأن أفعل شيئاً كهذا». في هذه الأثناء، نهضت لي هوان أيضاً وحاولت تهدأ تشاو بي-نيانغ، التي خططت خطوة إلى الأمام وقالت:

«لقد خدمت لاو-يه للعديد من السنوات، والآن لديكِ أخيكِ أيضاً. ولكن
يبدو أنني لست بأهمية هسي-جين. إنه إذلال، ليس لي فقط، بل له كُو-
نيانغ نفسها».

تَبَسَّمَتْ كُويِستْ سِيرِينْغْ وَقَالَتْ:

«ألهذا تتذمّر بي-نيانغ؟»، ثُمَّ رفعت السجلات وعرضتها أمام تشاو بي-نيانغ، وتابعت: «أرأيْتِ هُنَا، لم تكن لدى الجرأة على كسر الأعراف التي لا تزال مُتبعة منذ الأجداد. فإذا ما أرادت هُوان-بيز أن تتخذ يوْماً ما خادمة من والدين خارجين، فسوف يحصل أهلها على ما حصلت عليه هسي-جين تماماً. وهذا كله يتعلق باتباع الأعراف ليس إلَّا، إذ ليس هُنَاكَ ما له علاقة بالشرف أو بالإذلال. إنَّ تشاو كيو-تشي هو خادم تاي-تاي. وما همني إذا ما تسلّمت عائلته ألف تايل من تاي-تاي أو لم تسلّم أي شيء؟ ولسوف أفتقر على بي-نيانغ أن تقاعده وتُرِيَح نفسها، وأن لا تدع هذا النوع من التفاصيل يُتبعها. أنتِ تعلمين بأنَّ تاي-تاي طيبة معِي، ولكنني، ولأكثر من مناسبة، قد تعرَّضت للإذلال والحزن بسبب بي-نيانغ. ولو أنني كنتُ ولدًا، لغادرت هذا المكان وحصنت نفسي بالكثير من الانجازات. ولكن، ويا للأسف، فأنا لستُ فتاة ومُرتبطة بخدمة الأجنحة الداخلية لهذا القصر. لقد كانت تاي-تاي عميقَة التفكير بما فيه الكفاية لفهم موقفِي، وقد كرِّمتني بتوكيلِي بتسليم زمام الأمور، والآن، ها هي بي-نيانغ قد جاءت لتُصعب علىَّ الأمور. فإذا ما علِمت تاي-تاي بهذا، مع عدم رغبتها لأن تراني أخوض في موقف صعب، فلسوف تعفيوني من واجباتي، وسيكون ذلك بمثابة عارٍ حقيقيٍ علىَّ وعلىَّ بي-نيانغ بالمثل».

وعند هذه النقطة، انفجرت كويست سبرينغ بالبكاء هي الأخرى. وكانت ت Shaw

بيـ-نيانغ عاجزة عن التفكير في ما تقوله في هذا الموقف. وهكذا حاولت لمس أحد المواضيع الدقيقة فقالت تُخاطب كويست سبرينغ:

- «يجب على كـوـ-نيانغ مساعدتنا طالما أنها ذات تأثير مهم لدى تايـ-تايـ. ويبدو أنـكـ قد نسيتنا في خـضمـ حـرصـكـ على كـسبـ وـدـ تـايـ-تـايـ».

قالت كويست سبرينغ:

- «لا أبداً، أنا لم أنسـ. لكنـي لا أفهم لماذا عليـ حـمـلـ كلـ هـذـهـ الأـشـيـاءـ عـلـىـ كـتـفـيـ؛ فـكـلـ الأـسـيـادـ يـكـافـئـونـ جـمـيـعـ الـمـخـلـصـيـنـ وـالـمـوـظـفـيـنـ الـمـسـتـحـقـيـنـ. وـهـمـ لاـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ الـمـسـاعـيـ الـحـمـيـدةـ مـنـ الـآـخـرـيـنـ».

حاولت ليـ هـوـانـ تـحـقـيقـ السـلـامـ مـاـ بـيـنـ كـوـيـسـتـ سـبـرـيـنـغـ وـوـالـدـتـهـاـ،ـ فـقـالـتـ:

- «لاـ تـغـضـبـيـ بـيـ-نيـانـغـ. أـنـاـ أـكـيـدـةـ مـنـ أـنـ كـوـ-نيـانـغـ سـتـسـاعـدـكـ،ـ لـكـنـهاـ لـاـ تـرـغـبـ بـقـولـ ذـلـكـ عـلـانـيـةـ».

أـجـابـتـهاـ كـوـيـسـتـ سـبـرـيـنـغـ:

- «لاـ تـكـوـنـيـ سـخـيـفـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ،ـ سـاـوـ-ـسـاـوـ.ـ مـنـ ذـاـ الـذـيـ سـمـعـ بـسـيـةـ تـشـغـلـ نـفـسـهـاـ بـأـمـورـ الـخـدـمـ؟ـ وـمـاـ هـيـ شـؤـونـهـمـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ؟ـ»

إـسـتـاءـتـ تـشـاوـ بـيـ-نيـانـغـ مـنـ لـهـجـةـ اـبـتـهـاـ الشـكـلـيـةـ،ـ فـقـالـتـ:

- «لمـ أـطـلـبـ منـكـ أـنـ تـنـغـمـسـيـ فـيـ شـؤـونـ الـخـدـمـ.ـ وـلـكـنـكـ الـآنـ تـمـسـكـيـنـ بـزـمـامـ الـأـمـورـ.ـ إـذـاـ قـلـتـ وـاحـدـ فـهـوـ وـاحـدـ،ـ إـذـاـ قـلـتـ اـثـنـيـنـ فـهـمـاـ اـثـنـيـنــ فـمـنـ ذـاـ الـذـيـ يـتـجـرـأـ عـلـىـ قـوـلـ الـعـكـسـ؟ـ أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ مـخـصـصـاتـ جـنـازـةـ عـمـكـ،ـ فـأـنـاـ أـكـيـدـةـ مـنـ أـنـ تـايـ-ـتـايـ لـنـ تـعـارـضـكـ لـوـ دـفـعـتـ عـشـرـينـ أوـ ثـلـاثـيـنـ تـايـلـاـ إـضـافـيـةـ؛ـ فـكـمـاـ تـعـلـمـيـنـ تـايـ-ـتـايـ كـرـيمـةـ وـسـخـيـةـ،ـ لـكـنـكـ تـحـاـولـيـنـ أـنـ تـظـهـرـيـ عـكـسـ ذـلـكـ.ـ وـلـمـاـذـاـ عـلـىـ كـوـ-ـنيـانـغـ أـنـ تـكـوـنـ مـقـتـصـدـةـ؟ـ فـهـيـ لـيـسـتـ أـمـوالـكـ الـخـاصـةـ.ـ لـطـالـمـاـ تـأـمـلـتـ أـنـ تـذـكـرـيـ عـائـلـةـ تـشـاوـ،ـ حـتـىـ مـنـ بـعـدـ زـوـاجـكـ.ـ وـلـكـنـ يـبـدوـ أـنـكـ قدـ نـسـيـتـ الـحـضـنـ الـذـيـ رـيـاكـ حـتـىـ قـبـلـ أـنـ يـنـبـتـ رـيـشكـ».

ـ اـيـضـ وـجـهـ كـوـيـسـتـ سـبـرـيـنـغـ وـفـاضـتـ غـضـبـاـ عـنـدـ سـمـاعـ هـذـاـ الـكـلـامـ،ـ فـقـالـتـ باـكـيـةـ:

- «وـمـنـ هـوـ عـمـيـ؟ـ عـمـيـ هـوـ الرـجـلـ الـذـيـ عـيـنـ لـلـتوـ مـفـتـشاـ عـسـكـرـيـاـ عـلـىـ

المُقاطعات التسع. فمن أين أتى هذا العُمّ الآخر الذي ذكرته؟ لقد كنت حتى الآن أراعي الأمور، ولكن ذلك لم يجعل لي إلا الأقارب الذين لم أسمع بهم ولا أعرفهم. فإذا كان ما كل تقولينه صحيحاً، لماذا أرى تشاو كيو-تشي ينهض ويقف احتراماً كلما خرج هوان-يُز من المنزل، ومن ثم اللحاق به إلى المدرسة، بدلاً من أن يتصرف كعُمّ؟ بي-نيانغ، لا تكوني سخيفة. فمن لا يعلم بأنكِ أنتِ من ولداني ووهبني الحياة؟ وما هو الداعي لكي تُكرري هذه الحقيقة الواضحة في كل مرة تسنح لكِ الفرصة لذلك؟ أنتِ تقولين بأنني أتسبب لك بالإذلال، ولكن الحقيقة الواضحة هي أنكِ أنتِ التي تتسببين لي بالإذلال والتحقيق».

حاولت لي هوان تهدأة تشاو بي-نيانغ، ولكن الأخيرة استمررت بالتبَّرُّ و لم توقف إلى أن وصلت باشينس برسالة من فينيكس.

- «تعتقد يُز ناي-ناي وسان كُو-نيانغ قد لا تعلم ان حجم المُخصص المالي الذي يمكن دفعه في ما يتعلّق بموت شقيق تشاو بي-نيانغ»، توقفت باشينس قليلاً تنظر من حولها، ثم تابعت: «وقالت فينيكس بأنّ القاعدة تقول بدفع أربعة وعشرين تايلًا، ولكن في هذه الحالة، يمكن لـ سان كُو-نيانغ أن تسمح بدفع مبلغ أكبر إذا ما رغبت في ذلك».

وفي الحال، قالت كويست سبرينغ تسأل:

- «ولماذا الاستثناء في هذه الحالة؟ فهل لدينا هنا أيّ رجل قد استغرقت ولادته أربعة وعشرين شهراً، أو أنقذ حياة سيده كما فعل تشاو تا في القصر الآخر؟ ويا لها من مهارة عند سيدتكِ ناي-ناي، التي تحاول أن تُحملني مسؤولية خرق القواعد، والعمل في الوقت نفسه على كسب الصيت الحسن في الكرم والجود! قولي لسيدتكِ ناي-ناي بأنني لن أتجرأ على تحمل هذه المسؤولية. وإذا ما كانت تُريد أن تكون سخينة، فما عليها إلا أن تنتظر وقت عودتها للإمسك بزمام الأمور من جديد».

لاحظت باشينس عند وصولها أنَّ الأجواء ليست على ما يُرام؛ لكنّها الآن، وبعد

كلام كويست سبرينغ فهمت الموضوع. فقد كانت تصغي بصمت واحترام عندما كانت كويست سبرينغ تتكلّم، بالرغم من أنها عادة ما تبدو كأخت ورفقة أكثر من كونها خادمة في يوُنْج كُوفُو الخاص بسلاة باو-يو.

في هذه الأثناء، وصلت بريشوس ثيرتشو مبعوثة من طرف مدام وانغ، وانضمت إلى كويست سبرينغ ولي هوان. ووصلت في الوقت نفسه إحدى الخادمات تحمل جفنة من الماء إلى كويست سبرينغ لغسل وجهها المبقع بالدموع. وما إن انحنت إلى الجفنة، حتى دخلت خادمة أخرى، ومن دون أن تنتظر انتهاءها، بدأت بالكلام:

- «لقد بعثت المدرسة بأحدهم يطلب المُخصّصات الماليّة المُتعلّقة بكل من هوان-يه ولان-كُو».

- «ولماذا أنتِ مُستعجلة؟»، سألتها كويست سبرينغ بنبرة حادة، وتتابعت: «الا ترين بأنّ كُو-نيانغ مشغولة؟ أتجرؤين على المثلوث أمّا يُز ناي-ناي؟ قد تكون كُو-نيانغ متسامحة، ولكن لا تلوميني إذا ما وصل هذا إلى مسامع يُز ناي-ناي، ووجهت إليكِ ما تستحقين على قلة الأدب».

وفي الحال، خفت الخادمة إلى القول بتملق وهي تُغادر:

- «كم أنا غبية!»

بعدها، قالت كويست سبرينغ لـ باشينس وهي تضع مساحيق التجميل على وجهها:

- «كان عليكِ أن تري شيئاً أكثر سخافة—لقد كان ذلك من وُو تشيه-تشيه، التي تصرّفت على سجيتها؛ فقد جاءت تحمل لي تعليمات من دون أن تتعمق في التجارب السابقة المُتعلّقة بالقضية. لم أكن أعرف أنّ سيدتك ناي-ناي صبورّة إلى هذا الحدّ على اللامبالاة وعدم الكفاءة».

- «لن تسامح مع ذلك»، قالت باشينس، وأكملت: «إنهن فقط يُحاولن الاستفادة من ناي-ناي وكُو-نيانغ»، ثم التفت نحو الباب، فقالت تُتابع وقد رفعت صوتها عالياً من أجل إسماع الخادمات اللواتي يقفن خارج الباب لاستراق السمع: «أمضين قُلُّماً والعن الحيل التي ترغبن بها،

ولكن انتظرن لترى ما الذي سيحدث لكنّ عندما تتحسن حال يز نايـ.
نايـ».

بعدها، استدعت كويست سبرينغ الخادمة التي جاءت من أجل مُخصصات المدرسة، وسألتها:

- «ولما هذا البدل السنوي؟»

أجبت المرأة:

- «إنه من أجل المُربّبات والقرطاسية». ويبلغ كل مُخصص ثمانية تايلات في السنة».

سألتها كويست سبرينغ من جديد، ولكن بلهجة حازمة:

- «ولماذا يُريدانها وكل منهما يحصل على مُخصص شهري خاص به؟» وفي الحال، سجلت كويست سبرينغ ملاحظتها، وأمرت بإلغاء هذه المُخصصات. ثم استدارت إلى باشينس وقالت:

- «عودي الآن واخري سيدتك نايـ-تاـيـ بالذى فعلته، فأنا لا أرى ضرورة لهذا النوع من المصاريـف».

عملت كويست سبرينغ أيضاً على إدخال عدد من الإجراءات على أساس مدققة للحدّ من النفقات ومنع المُخالفات التي تقع من جهة وكلاء الأعمال لا سيما في حقل المشتريات. من هذه الإجراءات مثلاً: أن توضع مسكنات الأزهار، والأشجار والأجمات، ومستنقعات اللوتس، وبساتين الخيزران، وغيرها من مصادر مُنتجات تاكوان يوان، تحت إشراف مجموعة متنوعة من الخدام المؤهلين والمستحقين؛ فقد عهد إليهم حفظ الأشياء في أحسن حالاتها، وتزويد العائلة بأنواع وأجزاء معينة من المنتجات وفقاً للموسم المعنى. كان الكثير من الموظفين يرغبون في جعل العروض نقدية لتأمين استمرارية الامتيازات (من حيث أن تاكوان يوان ذات مساحات هائلة، وكان هناك مجال لتحقيق الربح الحقيقي والجيد عن طريق بيع الأزهار، وبراعم الخيزران، وجذور اللوتس، والتفاح... إلخ)، لكن كويست سبرينغ قد عينت فقط الخادمات القديمات من ذوات السجلات النظيفة في هذا

المجال. وقد تنازلت عن الأموال التي يقدمها، لكنها اقترحت عليهن توزيع قسم من ربحهن على زميلاتهن الأخريات في مجمعات الحديقة-وبهذه العملية، تبتعد الآخريات عن الحسد والغيرة، أو عن افتعال التلف المعمد في المستجاثن.

سررت فينيكس عندما سمعت بهذه الإصلاحات التي أدخلتها كويست سبرينغ،

فقالت تُخاطب باشينس:

- «طالما كنت أقول بأنَّ سان كُو-نيانغ هي مُساعدة ذكية وحاذقة. إنها تقوم بعمل جيد، ولكن من المؤسف أنها لم تولد من تاي-تاي». «وما الفرق الذي قد يُحدثه ذلك؟»، سُألت باشينس، وأضافت: «ومن يتجرأ على النظر إليها بأي نظرة مُغايرة؟ أوليس بإمكانه من لاو-يه؟» «هذا صحيح من الناحية النظرية»، أجبتها فينيكس، وتتابعت: «أما من الناحية العملية، فهي لا تفرق عن أي كُو-نيانغ آخر طالما هي في منزلنا. لكنها في النهاية ستتزوج؛ فهناك الكثير من الناس الذين يفضلون بنات الزوجة الأولى على البنات من الخيلات أو المحظيات. وهذا بالطبع مفهوم سخيف إلى أبعد الحدود، وقد يخسر المرء حفيدة ذكية وحاذقة بسبب هذه التفاهة. ولكن بالرغم من ذلك، يبقى هذا المفهوم ويستمر».

الفصل الثامن والعشرون

وفيه تُظهر كوكوْ كم هي معنية بِمُستقبل سيدتها
ويُقدم باو-يو دليلاً جديداً على أنه لا يستطيع العيش
من دون بلاك دجايده

في أحد الأيام، ذهب باو-يو إلى «بامبو ريتريت» (منتجمع الخيزران) لرؤية بلاك دجايده، التي كانت حينها تأخذ قيلولة ولم تشا أن يزعجها أحد، ولذلك، انضم إلى بيربل كوكوْ، التي كانت تجلس على الشرفة تتجز بعض أعمال الخياطة.

سألها باو-يو عن وضع بلاك دجايده:

- «هل خفت سعالها الليلة الماضية؟»

- «نعم، ولكن ليس بشيء يُذكر».

- «يا للأسف! أتمنى أن تتعافي سريعاً وإلى الأبد».

تبسمت بيربل كوكوْ وقالت:

- «إنها لمفاجأة في الواقع حينما تتسلل باسم بوذا».

كانت بيربل كوكوْ ترتدي معطفاً من الحرير بلون البحر الأسود المُبطّن بطيبة رقيقة من القطن وسترة من الساتان الأخضر.

تلمس باو-يو ثوبها وقال:

- «لا يجب أت تجلس في الهواء وأنت ترتدين هذا الثوب الخفيف. فلا أمان للطقوس. وسوف أزداد قلقاً إذا ما مرضت أنت أيضاً».

سحبت بيريل كوكو نفسها بعيداً وقالت:

- «لتكلّم في ما نريد من الآن فصاعداً. ولكن أرجو منك ألا تلمسني. فالمرء يزداد عمراً كل سنة، وهناك أناس يحبون القيل والقال. يجب علينا أن لا نتصرف كما لو كنا لا نزال أطفالاً؛ فكثيراً ما أوصتنا كونياخ ألا نتحدث إليك. ألا ترى أنها هي نفسها تحاول أن تبقى بعيدة عنك قدر الإمكان أيضاً؟»

وما لبست أن أنهت كلامها، حتى نهضت وغادرت المكان.

أحس باو-يو بالإساءة؛ فوقف قليلاً يُحدّق في بستان الخيزران، ثم جلس على صخرة... . وبدأت دموعه بالانهmar. وبعد انقضاء فترة لا بأس بها من الوقت، رأته سُنُو داك وهي عائدة من إحدى مأمورياتها، وسألته تستفسر عن سبب جلوسه هناك كالحجر.

فقال لها بنبرة حزن ممزوجة بالحنق:

- «ولماذا تتحدّثين معي؟ ألسْتِ بفتاة أيضاً وتخشين من كلام الناس؟ فابتعدّي عنّي قبل أن يراكِ أحد». ظنت سُنُو داك بأنّ كلامه بهذا الطريقة يُفسّر على أنه قد دخل في شجار جديد مع بلاك دجايـد. تركته وانصرفت إلى بيريل كوكو تُخبرها بما حصل، ثم سألتها:

- «من الذي أساء إليه مرة أخرى؟ إنه يجلس هناك وي بكى بمرارة».

وعلى الفور، هرعت بيريل كوكو إليه، وقالت تسترضيه:

- «كنت أفكّر فقط بما هو أفضل لكلينا. فلا يجب أن تستاء من ذلك وتجلس هنا في الهواء، فماذا لو أصابك الرشح ومرضت؟»

- «لا، لست بمستاء»، رد عليها باو-يو، وتتابع: «إن كل ما قلتـيه كان صحيحـاً تماماً، ولكن إذا تكلّم كل واحد وفـكر بطريقتك، فلن يطول الأمر إذن لينصرف عنـي الجميع. وهذا في الواقع هو سبب حزني».

وفي الحال، تقدّمت بيريل كوكو وجلست بقربـه، فيما استكمـلـ هو كلامـه قائلاً:

- «قبل قليل فقط، تركتني فجأة لمجرد أنني جلستُ أمامك. والآن، ها أنتِ تجلسين إلى جنبي مُباشرة! ألا تخافين من كلام الناس؟»
- «يبدو لي أنك قد نسيت نهائياً الموضوع الذي كنت تتحدث عنه منذ فترة»، قالت بيربل كوكوُّ مستهجنة، وتابعت مُتجاهلة تماماً ملاحظة باو-يو: «أتذكر أنك منذ بضعة أيام خلت، كنت أنت وسيدتنا كُو-نيانغ تخوضان في حديث ما، عندما وصلت تشاو يي-نيانغ وقاطعتكم؛ لقد سمعتكم تذكر شيئاً في حديثك يتعلق عن «عش الطير»»⁽¹⁾

صمت باو-يو قليلاً، ثم قال:

- «أوه، نعم. كنت أفكّر حينها، بأنّه يجب علينا أن لا نُحمل باو تشيه-تشيه أكثر من طاقتها، لا سيما عندما سمحت لين ماي-ماي لنفسها بأخذ «عش الطير» كل يوم. ولهذا، كنت أرمي إلى إخبارها بأنّي سأتحدّث بهذا الخصوص مع لاو تاي-تاي، ولقد فعلت ذلك. وبعد أن عرفت أنها قد بدأت فعلاً بإرسال طبقي منه كل يوم، توقفت عن الخوض في هذا الموضوع من جديد».

- «إذن هذا هو السبب، شكرأً كثيراً لك. لكنني كنت أتساءل كيف حدث أن تذكّرتنا لاو تاي-تاي بهذا الشكل المفاجئ».

- «حسناً، قال باو-يو، وأضاف: «إن كانت ستأخذه كل يوم، فستُصبح فعلاً في حالة أفضل في خلال عامين أو ثلاثة».

- «نعم، ولكن من أين سترّ تأمّن المال من أجل هذا في السنة المُقبلة عندما تعود إلى البيت؟»

بدا باو-يو مشدوهاً لما سمع، فقال:

(1) هو نوع من الحسأء الصيني، غالٍ الكلفة، يتكون من لعب الطيور، بعد أن يكون قد جف وتصلب. يُعتبر هذا النوع من الحسأء مُنشطاً قوياً، ويساعد على حماية الجسم وخفض الإصابة بالالتهابات والحمول الجسدي... إلخ.

- «أيّ بيت؟»

- «أقصد سُوْشُو بالطبع، لأنَّ كُوْ-نيانغ ستعود إلى سُوْشُو».

- «ما هذه التفاهة!»، قال باو-يو، وأكمل: «بالرغم من كون سُوْشُو هي مسقط رأسها، فنحن نعلم بأنَّ والديها لم يعودا على قيد الحياة، ولهذا السبب أساساً جاءت للعيش معنا. فلمن تذهب إذن لو غادرت من هنا؟ وهذا ما قصدته بأنَّ ما تقولينه عن العودة إلى سُوْشُو هو كلام هراء بهاء». صاحبت كوكُو ببرودة، وقالت له:

- «إنك قليل التفكير جداً بالأخرين. فهل تعتقد بأنك الوحيد الذي لديه أقارب؟ لقد بعثت لاو تاي-تاي بطلبيها لأنها تُريدتها بقربها، لكنها سرعان ما ستُصبح في سن الزواج، وستُرسلها لاو تاي-تاي من جديد إلى سُوْشُو لكي تتزوج؛ فإن لم تفعل لاو تاي-تاي هذا، فسيحضر آك لين بأنفسهم من أجل إعادتها، لأنهم سيعتبرون أنه من غير اللائق لها أن تعيش طوال عمرها عند الأقارب. وكانت كُوْ-نيانغ قد أخبرتني الليلة الماضية بأنه يجب عليك إعادة كل شيء كانت قد أعطتك إياه من قبل. وبالمثل، قالت بأن أشيائك قد أصبحت جاهزة لديها لإعادتها إليك أيضاً».

وقع هذا الكلام الأخير على رأس باو-يو كوقوع الصاعقة، بينما كانت كوكُو قد صمت بانتظار ما سيقوله. ولما حاولت الكلام من جديد، وصلت برايت ديزاين لتفقده. حينما عاد إلى بيته، بقي صامتاً، وقد بدأت قطرات التعرق تنزلق إلى حاجبيه. شعرت بيرثايدينغ فريغرانس بالقلق والخوف، لكنَّ ما أزععها أكثر شدة تفرسه في الأشياء وضياعه الواضح. فكان يُمكن أن يستلقي لو ناولته وسادة، ومُمكِّن أن يجلس هامداً لو شدته، وأن يشرب الشاي لو أحضرته له—لكنه كان يفعل كل ذلك بطريقة آلية كمن فقد السيطرة على عقله وإرادته.

لم تعرف بيرثايدينغ فريغرانس ولا غيرها من الخدمات ما الذي يُمكن فعله. كنَّ لا يُرِدُن إرسال أي خبر إلى الأم الكبيرة دون التأكُّد من رزانة سلوكه وتصرُّفاته. وبعد ذلك، أرسلت لها لي ما-ما تُخبرها بالأمر. نظرت إليه، وجست نبضه، ووكرزت

وجنتيه بأظافرها، لكنه لم يكن يشعر بأي شيء. وإثر هذا، أطلقت لي ما-ما تأوهاتها الحزينة وانفجرت باكية، قائلة أنها قد أسعفت باو-يو ولكن من دون نتيجة. وارتعبت بيرثايدينغ فريغرانس وشعرت وكأن العالم مُقبل على النهاية، ثم راحت تطرح الأسئلة على برایت دیزاین وهي تبكي، في محاولة منها لتفسير ما أصاب باو-يو؛ فسألتها عن المكان الذي وجدها فيه، وعن الظروف التي كان فيها عندما وجدها، ومع من كان يتكلم. ثم هرعت إلى «معزل الخيزران»، بعد أن أخبرتها برایت دیزاین بأنه كان هناك مع بيرثايدينغ كوكو.

في تلك الأثناء، كانت بيرثايدينغ تُعطي بلاك دجايديدواء. فسألتها بيرثايدينغ فريغرانس:

- «ما الذي قلته أمام باو-يو؟ إذهبي وابحري لاو تاي-تاي بأنني قد انتهيت». وفي الحال، رمت نفسها على الكرسي بشكل عشوائي، على عكس استقامتها المعتادة. كانت بلاك دجايديدواء بدهشة إلى سلوك بيرثايدينغ فريغرانس المستهجن، فسألتها باستغراب:

- «ما الذي حدث؟»

قالت بيرثايدينغ فريغرانس بنبرة شديدة:

- «لا أدرى ما الذي قالته تلك الخدمات الساذجات لهذا المُغفل؛ فقد أصبحت عيناه شديدة التفَّرس، ويداه ورجليه باردة. وهو لا يتكلم ولا يشعر عند وخذه. لقد بدا وكأن الجزء الأكبر من جسده يفتقر إلى الحياة، حتى أنّ لي ما-ما تقول بأن لا أمل من فعل شيء وكل واحدة هناك كانت تبكي عندما أتيت، فلعله قد فارق الحياة الآن، وهذا كل ما أعرفه».

تحت وطأة هذه الكلمات، تقىأت بلاك دجايديدواء كل الدواء الذي تناولته للتو، وبدأت بالسعال الشديد حتى بدت وكأن رئتها تكاد انتفجران؛ فقد طفح وجهها أحمراراً، ونُفِّش شعرها. أسرعت إليها كوكو في الحال تضرب صورها بقوة لإراحتها. لكن بلاك دجايديدواء دفعتها عنها، وقالت:

- «لا تضربني على ظهري، فلا أريد أن أتسبب لك بالمتاعب. فاذبهي واتي

بحبل واشنقيني، فذلك سيكون خير ما تخدمني به».

قالت لها بيريل كوكو:

- «لم أفعل له شيئاً، لقد قلت له بعض الكلمات على سبيل الدعاية، ولكن يبدو أنه قد أخذها على محمل الجد».

قالت لها بيريل كوكو: فريغرانس بعصبية:

- «ألا تعلمين بأنه أحمق، ويأخذ كل شيء بجدية كبيرة؟»

عادت بلاك دجايديتسألها من جديد:

- «وما الذي قلته بالتحديد؟ إذهي إليه واطلب منه أن يعتذر. فلعل هذا يعيد إلينا من جديد».

عندما عادت بيريل كوكو برفقة بيريل كوكو إلى «بيوني كورت» (صومة الفاواني)، وجدت هناك الأم الكبيرة، ومدام وانغ، وغيرهما. حينما ظهرت بيريل كوكو حذقت بها الأم الكبيرة، وسألتها بغضب:

- «ما الذي قلته له أيتها الصغيرة البائسة؟»

بدأ باو-يو بالبكاء فور ظهور بيريل كوكو أمامه، وشعر لذلك كل من في الغرفة - لأنها كان الصوت الوحيد الذي ينطق به منذ إصابته. في هذا الوقت، شعرت الأم الكبيرة بأن بيريل كوكو هي السبب، وطلبت منها التقدم إليه والاعتذار. إلا أن باو-يو أخذ ييدي كوكو وقال:

- «إذا رحلتِ فعليكِ أن تأخذني معكِ».

لم يفهم أحد ما الذي قصدته بهذا الكلام، إلى أن قامت الخادمة بالتوضيح أنها كانت قد أخبرته بعوده بلاك دجايديتسألها إلى سؤالها.

قالت الأم الكبيرة تلوم بيريل كوكو:

- «لقد عرفتك دائمًا فتاة عاقلة، لقد كنت أتوقع منكِ أن تتأكدِي قبل أن تقولي شيئاً كهذا له».

خلال كلام الأم الكبيرة، وصلت زوجة لين تشيه-هسيباو وغيرها من أجل

الاستعلام عن حالة باو-يو. كانت الأم الكبيرة سعيدة باهتمامها، ودعتها مع الآخرين إلى الدخول ورؤية باو-يو. وما إن تناهى إلى سمعه اسم «لين»، حتى أصبح شديد القلق من جديد، وهتف:

- «النجدـة، النـجـدة! لقد حـضـر آلـلـين لـأخذـ لـينـ ماـيـ ماـيـ!» فـراـحتـ الأمـ الكـبـيرـةـ تـشـرحـ لـهـ بـأنـ آلـلـينـ قدـ مـاتـواـ جـمـيـعـاـ وـأـنـ «ـلـينـ»ـ هـذـهـ لـاـ تـمـتـ بـأـيـ صـلـةـ إـلـىـ بلاـكـ دـجـايـدـ.

قال باو-يو بهلع:

- «لا يهمـنيـ كـانـتـ تـقـرـبـ لـهـمـ أـمـ لـاـ. لاـ أـحـدـ لـهـ الحـقـ فيـ حـمـلـ اـسـمـ «ـلـينـ»ـ إـلـاـ لـينـ ماـيـ ماـيـ.»

- «حسـنـاـ»ـ، قـالـتـ الـأـمـ الـكـبـيرـةـ تـلـاطـفـهـ، وـتـابـعـتـ: «ـفـلـاـ وـجـودـ لـأـحـدـ مـنـ آلـلـينـ هـنـاـ الـآنـ، فـكـلـهـمـ قـدـ اـنـتـهـواـ.»

ثـُمـ هـمـسـتـ لـجـمـيـعـ الـمـسـاعـدـاتـ بـعـدـ ذـكـرـ هـذـاـ اـسـمـ أـمـامـهـ مـنـ جـدـيدـ، وـأـنـ يـخـبـرـنـ زـوـجـةـ لـينـ تـشـيهـ هـسـيـاـوـ بـعـدـ الدـخـولـ. أـخـفـتـ الـخـادـمـاتـ ضـحـكـاهـنـ، وـأـجـبـنـ بـالـطـاعـةـ. بـعـدـ ذـلـكـ، لـاحـظـ باـوـيـ سـفـيـنـةـ دـمـيـةـ عـلـىـ رـفـ التـحـفـ، فـهـتـفـ عـلـىـ الـفـورـ، وـهـوـ يـشـيرـ إـلـيـهـاـ:

- «ـانـظـرـوـاـ! تـلـكـ هـيـ السـفـيـنـةـ الـتـيـ جـاءـتـ لـأـخـذـهـمـ! أـعـطـونـيـ إـيـاهـاـ.» ثـُمـ وـضـعـ الـدـمـيـةـ تـحـتـ الغـطـاءـ وـقـالـ بـأـنـهـمـ لـنـ يـسـتـطـعـوـ اـنـتـهـاـ الـآنـ. . . وـكـانـ لـاـ يـزالـ مـمـسـكـاـ بـ بـيـرـيلـ كـوـكـوـ.

وـفيـ وقتـ لـاحـقـ، وـبـعـدـ أـنـ تـنـاـوـلـ الدـوـاءـ الـذـيـ وـصـفـهـ لـهـ الطـيـبـ، بـدـأـ باـوـيـ يـشـعـرـ بـالـتـحـسـنـ السـرـيعـ وـفـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ، استـعادـ كـامـلـ حـوـاسـهـ، لـكـنـهـ بـقـيـ مـظـاـهـرـاـ بـأـنـهـ ذـهـنـيـاـ لـمـ يـسـتـقـرـ تـاماـًـ مـنـ أـجـلـ إـبـقاءـ بـيـرـيلـ كـوـكـوـ إـلـىـ جـانـبـهـ.

وعـنـدـمـاـ أـصـبـحـاـ وـحـيدـيـنـ، سـأـلـهـاـ:

- «ـلـمـاـ حـاـوـلـتـ إـخـافـتـيـ؟»ـ

- «ـكـنـتـ أـمـازـحـكـ فـقـطـ.»ـ

- «ولكن بدا ذلك حقيقةً، فكيف يمكن أن تكون مجرّد مزحة؟»
- «في الحقيقة، لقد اختلفت كل ذلك من نفسي»، أجبت وهي تُلطفه، وأكملت تقول: «إن عائلة لين ليست كبيرة، وما تبقى منهم، لا يعودون بهم أقرباء لعائلة كُوُّنيانغ من بعيدٍ، وبعيدٍ جدًا، كما أنهم قد توزعوا في كل أنحاء المُقاطعات؛ وحتى وإن أتوا لأذننا، فمن المُحتمل أن لا ونادي-تاي لن تدعنا نذهب».

قال باو-يو بغضبة:

- «حتى ولو سمحت لا ونادي-تاي بذلك، فأنا لن أسمح».
- «أنت لن تسمح؟»، قالت بيريل كوكُوُّ مستغربة، وتابعت: «أخشى من كل هذا الإطراء-أنت تكبر، وقد تمت خطوبتك مُسبقاً، وبعد تزويجي في السنتين أو الثلاث المُقبلة، فستكون قد نسيت كل شيء».

سألها باو-يو بانفعال:

- «خطوبتي أنا؟ ولمن؟»

قالت كوكُوُّ بهدوء:

- «القد سمعت بأنّ لا ونادي-تاي قد خطبت تشين كُوُّنيانغ (بريشوس هارب) لك. ولن تكون لا ونادي-تاي سعيدة إذا لم يكن كذلك».

شعر باو-يو بالارتياح وقال:

- «يقولون بأنّ غبي، ولكنني أرى بأنّك أسوأ مني. لا تعلمين بأنّها مخطوبة منذ زمن لأسرة ماي؟ أعتقد بأنّ كلامك هذا ليس إلا مزحة الآن. وهل تعتقدين بأنّني سأقبل بذلك فيما لو كان هذا صحيحاً؟ وهل نسيت العديد من المشاحنات السابقة التي وقعت بسبب هذا النوع من المواضيع؟»، توّقف قليلاً ثمّ تابع بجدية أكثر قائلاً: «أتمنى-أتمنى لو أنّي أقتلع قليبي وأريك إياته. وأموت من بعدها، أو أتحول إلى رماد ودخان، وتذريني الرياح».

وعلى الفور رفعت بيريل كوكُوُّ يدها ووضعتها على فمه وقالت:

- «لا تفعل، إنّ قلقي الشديد، هو الذي دفعني إلى قول هذا من أجل اختبارك».

سألها باو-يو:

- «وأيَّ قلق؟»

«أنت تعلم بأنّي في الأصل لستُ خادمة لين كُو-نيانغ، بل لـ يوان-يانغ وهسي-جين. ولكن منذ أن أعطتني لاو تاي-تاي إلى لين كُو-نيانغ، فقد أصبحتُ أكثر تعلقاً بها. إنّها لطيفة جداً معي، وتعاملني أفضل من الخادمة التي أحضرتها من سُوشُو. وأنا وهي الآن معاً بشكل دائم، ولا أتحمل فكرة مفارقتها على الإطلاق. كنتُ دائماً أخشى من قدوم الوقت الذي ستتّخذ فيه القرار بالمعادرة، وإذا ما حصل هذا فعلاً، فماذا عليّ أن أفعل عندها؟ فإذا لم أرافقها، فسيعني ذلك أنّ كل هذه السنوات التي مرّت معها، لم يكن لها أيَّ معنى منذ البداية. وإذا غادرتُ معها، فسأنفصل نهائياً عن جماعتي وقومي هنا. ولهذا، حاولتُ أن أجسّ نبضك لأنّك من شعورك... ولم أشكُ بأنّك ستقلّق على هذا النحو».

- «إنكِ حقاً لغيبة لكي تقلقي حول هذا الموضوع»، قال باو-يو، وأضاف بنبرة ساخرة: «أريحي فؤادك، ودعيني أقول التالي: إذا قُدّر لنا أن نعيش، فسنعيش معاً، وإذا متنا، فلا بدّ من أن نتحول إلى رمادٍ ودخانٍ معاً». بدت بيربل كوكُو مأخوذه بما سمعت، وراحت في تفكيرها بعيداً إلى أن انقطع ذلك بوصول تشيا هُوان وتشيا لان، اللتين جاءتا للاستعلام عن حالة باو-يو.

عندهما، قالت بيربل كوكُو مودعة:

- «عليّ العودة لتفقد إحدى المريضات، وأرى كيف أصبحت اليوم، فأنت لا تحتاجني أكثر من ذلك اليوم».

- «لقد كنتُ أفكّر في ذلك الليلة الماضية، لكنّي نسيت الموضوع اليوم»، قال باو-يو، وأضاف: «يمكنكِ الذهاب إليها الآن».

بسبب ما حصل مع باو-يو، أصبحت بلاك دجاييد بانتكاسة، وذرفت الكثير من الدموع. وما لبثت أن شعرت بالتحسن فور وصول بيربل كوكُو وعلمت منها بأنّ

باو-يو قد أصبح في أحسن حال الآن. وفي الليل، وبعد أن أوت كل منهمما إلى السرير، قالت الخادمة لها:

- «إن قلب باو-يو مُخلصٌ حقاً. لقد شعرتُ بأنه قد فقد صوابه عندما سمع بأننا سنرحل من هنا!»

لم تُجب بلاك دجايدي، لكن الخادمة استمرت في الكلام، وكأنها تُكلّم نفسها:

- «أنتما الإثنين سُتشَكَلان التطابق الكامل؛ لقد تربّيتما معاً وترعران میول بعضكم البعض على أكمل وجه». سألتها بلاك دجايدي وكأنها ملّت الكلام:

- «ألم تتعبي بعد من كل ما حصل في الأيام الأخيرة؟ لما لا تخلدين إلى النوم بدلاً من الشريطة بهذه التفاهات؟»

لم تسكت بيريل كوكو واستمرت تتصحّ بلاك دجايدي بالحفظ على «أهم شيء في الحياة» ثابتةً في الذهن وأنه ينبغي أن يتحقق قبل وفاة الأم الكبيرة. وتتابعت:

- «ألم تسمعي بالحكمة التي تقول بأنّه من الأسهل الحصول على عشرة آلاف أونصة من الذهب من أن تعثري على قلب مفعّم بالعاطفة الحقيقية؟»

قالت بلاك دجايدي:

- «إن هذه الخادمة قد فقدت عقلها. كيف يمكنكِ أن تتبدّلي بهذه السرعة في غضون أيام؟»، ثم تتابعت: «لا بدّ لي من أن أُخبر لاو تاي-تاي بأنني لا أجرؤ على الاحتفاظ بكِ هنا أكثر».

- «أنا أقول ذلك فقط من أجل خاطر كوكو-نيانغ».

قالت بيريل كوكو هذا وقد شعرت بجرح بسيط. فاستدارت إلى الجهة الأخرى تخلد للنوم. لكن بلاك دجايدي بقيت صاحبة وهي تُفكّر بكلام خادمتها المُخلصّة، باكية طوال الليل.

الفصل التاسع والعشرون

وفيه يتزوج تشييا لين من يو ير-تشيه لتكون خليلته السرية
وتطلب سان-تشيه يد ليو هسيانغ-لين علانيةً لزوجها

بعد أيامٍ من الأحداث الأخيرة، وصلت أخبار من المعبد الطاوي حيث كان يعيش تشييا تشينغ تقول بأنه قد تُوفى بجُرعة زائدة من إكسيرٍ كان قد أعدَّ بنفسه. وعلى الفور، أرسل تشييا دجين إلى هناك. ولكن بما أنه لن يستطيع العودة قبل عشرة أيامٍ أو نصف الشهر على الأقل، تم تكليف يو-شيه بإعداد الترتيبات اللازمَة من أجل الجنازة. كما طلبت هذه الأخيرة من زوجة أبيها، لُو لاو-نيانغ⁽¹⁾ مُساعدتها في إنجاز الأعمال الداخلية لأجنحة القصر، طالما أنَّ فينيكس لا تزال متوعكة ولا تستطيع تحمل المسؤولية كما فعلت عند وفاة تشين شيه.

كانت لُو لاو-نيانغ قد أنجبت من زواج سابق بنتين، هما: ير-تشيه وسان-تشيه.⁽²⁾ كانتا هاتين الفتاتين جميلتين كثيراً ولكنهما كانتا مختلفتين جدًا في الشخصية—فيَّنما كانت الأولى لينة العريكة ولطيفة، كانت الثانية عنيدة وحازمة. وكانتا، مع والدتهما، من بين الزوار الدائمين إلى يونغ كوفُو، وقد انتشرت الكثير من الشائعات حول علاقتهما بكل من تشييا دجين وتشيا دجانغ. وكان تشييا لين قد سمع عنهما، وكثيراً ما كان يحسد تشييا دجين وولده على هذه العلاقة، وقد أتاح له

(1) تعني «لاو-نيانغ» لغوياً «الجلدة من ناحية الأم».

(2) أي «الأخت الثانية» و«الأخت الثالثة» على التوالي، من حيث أنَّ يو-شيه تعني الأولى.

المأتم فرصة لقائهما والتعرف عليهما. وسرعان ما أكتشف أن يز-تشيه كانت الأكثر قابلية للتقارب، فقررت تركيز اهتمامه عليها، فكان بإمكانه اختلاق الأعذار للاتصال بيو لاو-نيانغ، وهكذا تمكّن إلى حدٍ ما، من تبادل النظارات، وأحياناً، الهمس ببعض الكلمات لها.

لم يخف اهتمام تشيشا لين بـ يز-تشيه على تشيشا دجانغ. ففي أحد الأيام، وبينما كان الاثنين يسيران على جoadيهم في إحدى المهام، راح تشيشا لين يتحدّث بتقدّم عن يز-تشيه، عن جمالها وحلوتها، وسمو سلوكها وعذب كلامها، وقال:

- «كل شيء فيها يستدعي حُبها واحترامها»، ثم استنتاج يقول لزميله: «كل واحد أصبح يتحدّث بالجميل عن قرينته شين-شين⁽³⁾ ولكن برأيي، لن تُعادل بجمالها جمال قرينته يز-بي⁽⁴⁾.»

حين ذلك، قال تشيشا دجانغ بمكر:

- «طالما أنك تحبها هذا الحب، فلماذا لا تدعني عديلك والحصول عليها من أجل الغرفة الأخرى».

سأله تشيشا لين وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة:

- «هل أنّ ما تقوله حقيقي أم أنك تمزح؟»

- «بالطبع حقيقي، فأنا جدي تماماً».

فقال تشيشا لين على الفور مُغبطةً:

- «سيكون هذا مدهشاً. لكنني أخشى من أن قرينته شين-شين لن تستسيغ الأمر، وبالتالي لن تكون جدتك لاو-نيانغ راغبة بذلك أيضاً، بالإضافة إلى أنّي قد عرفت مؤخراً بأنّها مخطوبة».

- «الخطوبة لا تعني أي شيء»، قال تشيشا دجانغ، وتتابع: «فقد كانت موعدة بالزواج من عائلة تسانغ منذ سنوات خلت، وإحدى أنواع مشاريع الخطوبة

(3) أي: زوجة عم الشخص أكبر من أبيه.

(4) أي: الحالات بجهة الأم.

هذه كانت حتى قبل الولادة. ومنذ ذلك الحين، تدهورت سلالة تشانغ من الناحية المادية، وتزوجت جدّي لاو نيانغ من جديد. وقد مرت حتى الآن حوالي عشر سنوات منذ أن سمعنا آخر مرّة شيئاً من ذلك عن سلالة تشانغ. وغالباً ما كانت جدّي تبذر الخطوبة، وتُعتبر عن رغبتها الدائمة في فسخها. ولكنها كانت عموماً مسؤولة بحثٍ عن شريكٍ آخر. وبما أنّ عائلة تشانغ فقيرة جداً الآن، فالإمكان شراؤها بسهولة. أمّا بالنسبة إلى لاو-نيانغ، فأنا أكيد من أنها ستكون أكثر من راغبة، وقس ذلك على والدي أيضاً. فالمشكلة الصعبة والحقيقة، تبقى في الأساس زوجة عمّي شين-شين».

كان تشيا لين سعيداً ومُغبظاً لدرجة أنه لم يقل شيئاً سوى الابتسام. وبعد لحظات، تابع تشيا دجانغ كلامه:

- «إذا ما اتّسم شو-شو بالشجاعة، فسيكون بالإمكان ترتيب كل الأمور؛ فأنا أعتقد أنّ المسألة لن تتكلّف سوى بعض المبالغ الإضافية».

وحينما طلب منه التوضيح، قال:

- «لن يكون شو-شو ملزماً على قول شيء إلى شين-شين. وسأكون أنا فقط ملزم بالحديث مع والدي ومع لاو-نيانغ. فما إن أسمع بموافقتهم، سيُصبح بمقدور شو-شو شراء منزل في الجوار، واقتناء بعض الخادمات والخدم، والترتيب من أجل عرس مُعتبر. وإذا ما اهتم شو-شو باقتناء الخدم والخدمات المؤوثتين، فسيكون بالإمكان حفظ سر الزواج عن باقي أفراد العائلة، وبالطبع ستكون شين-شين آخر من يعلم بكل الأحوال. وإذا ما تفشي السر في خلال ستة أشهر أو سنة، فإيمكاني شو-شو القول دائماً بأنه قد أخفى خبر زواجه لأنّه يُريد ضمان وريث ذكر. وأعتقد بأنّ شين-شين ستقبل بالوضع على ما هو عليه كأمر واقع، طالما أنّ طبخ الأرض قد انتهى».

«الرغبة تجعل المرأة أعمى» كما يقول المثل. وهذا ما ينطبق على تشيا لين الذي

كان مبهوراً بالآفاق المفتوحة التي فتحها أمام عينيه ت شيئاً دجانغ، مع أنه قد فشل كلياً في توقيع المصاعب المنصوبة في الطريق. فقد نسي تماماً كيف كانت فينيكس كل العيون والأذان، وكيف سيكون ممكناً إخفاء كل شيء عنها، وكيف أنها اعتادت على إدارة الأشياء على طريقتها الخاصة. لقد نسي بأنه ستكون هناك فترة من الحداد الذاتي، وبالإضافة إلى الحداد الخاص بعمه. نسي أيضاً بأنه من غير القانوني اقتناة الخليلة من دون علم وموافقة الزوجة. كما أنه لم يتمهل للاستفسار والتحقق من دوافع ت شيئاً دجانغ، والتي كانت أبعد ما تكون عن النزاهة والتعقل. ذلك لأنّ لـ ت شيئاً دجانغ ترتيباته بخصوص يزـتشيه بالرغم من أنه يعلم بمشاعر والده تجاهها. وهو لا يمكن أن يأمل في تحقيق أهدافه طالما أنه لن يتمكّن من رؤيتها إلا في نينغ كوفو، ولكن إذا رغب ت شيئاً لين في الزواج منها ووضعها في عش الزوجية السري، فسيكون لديه الفرصة الجيدة، طالما أنّ ت شيئاً لين سيمضي أغلب أوقاته في يونغ كوفو مع فينيكس.

وافق ت شيئاً لين بسهولة على مخطط ت شيئاً دجانغ. وسارت الأمور بالطريقة التي يشتتهاها الأخير؛ فقد أعطت يوُ لاوـنيانغ موافقتها الكلية بأسرع من البرق، ولم يُدْ ت شيئاً دجين أي معارضة. وكانت لدى يوـشيه شكوكها لكنها اعتادت على الانصياع والاستسلام لرغبات زوجها، ولذلك لم تعمل على إعاقة هذه النقطة. أما في ما خصّ تشانغ هُوا، خطيب يزـتشيه، فقد كان في وضع لا يسمح له بمقاومة الضغط الذي كان يمارس عليه، لا سيما المالي منه.

وفيما بعد، إشتري ت شيئاً لين منزلًا في الشارع الخلفي، على بعد كيلومترٍ من يونغ كوفو، وجهزه بكل أنواع الأثاث. كما اشتري عبدتين واستأجر خادمتين كبيرتين من أجل المنزل، لخوفه من حصول أي نوع من التحقيق إذا ما طلب خدمات من يونغ كوفو. وما إن انتهى كل شيء، حتى كان كل من يوُ لاوـنيانغ وسانـتشيه أول الواصلين إلى البيت. وفي هذا اليوم الميمون، وصلت يزـتشيه من نينغ كوفو، وتمت مراسم الزواج بسرية تامة.

أمضى ت شيئاً لين أغلب أوقاته مع زوجته الجديدة. كما أنه غالباً ما كان يُقدم

الأعذار إلى فينيكس لتبرير غيابه الطويل. وقد حاول جهده من أجل إسعاد يُر-تشيه، كما أنه أمر الخدامات بمناداتها كما لو أنها كانت هي «الزوجة الأولى». وكان يسرّ إليها بكل شؤون وشجون يُونغ كُوفُو، ويُخبرها عن مرض فينيكس، ويعدها بأن يجعلها الزوجة الأصلية في حال وفاة الزوجة الأولى.

مز على هذه الحالة شهرين بالكمال والتمام؛ وقد تمت مراسم تشيع تشيما دجینغ منذ فترة، وفي أحد الأيام قرر تشيما دجین زياره يُو لاو-نيانغ، وحصل بذلك على الفرصة لرؤيه سان-تشيه. وهذا ما فعله تلك الأمسيه، بعدما تأكد من أن تشيما لين غير موجود في البيت. بدئ أولًا أنه مُستمتع بوجود يُو لاو-نيانغ والأختين. ولكن لاحقًا، استاذنت يُر-تشيه، وعادت إلى غرفتها لأنها كانت تخشى عودة تشيما لين بصورة غير متوقعة، ولا تُريد التسبب بأي سوء فهم.

بعد فترة وجيزه، عاد تشيما لين بالفعل، وعندما علم من الخدامات بأن تشيما دجین كان موجوداً في البيت، اكتفى بالابتسام دون أن ينطق بشيء. ثم دخل إلى غرفة يُر-تشيه وراح يتسامر معها وكأنه لم يكن هناك شيء في الأجزاء. وشعرت يُر-تشيه بالإحراج من الحديث بالواقعه، ولذلك عندما بدأ العاشق تشيما لين يُداعبها ويعُلّن لها بأنها أجمل وأكثر جاذبية من فينيكس، قالت له:

- «إنك لطيف جدًا. ولكن حتى لو كنت أجمل منها، فأنا في وضع غير مواعٍ بسبب ما لدى من ماضي».

سألها تشيما لين باستغراب:

- «وأي ماضٍ، أنا لا أفهم ما تقصدين».

قالت يُر-تشيه:

- «لا داع لأن تظاهر بأنك لا تعرف. فأنا سعيدة بإطلاعك عليه، فما تم فعله لا يمكن التراجع عنه، وأشعر بأنني يمكنني الاعتماد عليك. ولكن ماذا عن شقيقتي؟ فالأشياء لا تسير كما هي عليه».

- «يمكنك الاعتماد علي إلى أقصى الحدود»، قال تشيما لي مؤكداً، وتتابع يقول: «أنا لست من النوع الذي يغار من الماضي، وأنا أكيد من أنك طالما

أصبحت الآن لي، فإن دجين تا-كُوْ لن يُوفِّر لي السبب من أجل الغيرة في المستقبل أيضاً. أما بالنسبة إلى شقيقتك، فأقترح إحضارها إلى هنا هي وتا-كُوْ. عندها سيأتي إلى هنا من الإحساس بأي نوع من القلق أو الاستياء. فما هو رأيك بذلك؟»

- «إن ما تعنيه جيد، بالطبع، لكنني أخشى من أن هذا لن يحصل»، أجبت يُرثِّشيه، وتابعت: «ففي المقام الأول أنت لا تعرف كيف تتصرف أختي، ثم، يجب ألا تنسى بأن تا-يه مُتزوج من شقيقتنا الصغرى».

قال تشييا لين؛ وقد كان يشرب حتى بلغ الخمر منه مبلغ:

- «لا ضير من التجربة، سأذهب الآن وأنظر ما الذي يمكنني القيام به».

شعر تشييا دجين بالقلق الواضح من حضور تشييا لين المفاجئ، لكن الأخير كان مُصرّاً على أن أخيه العزيز يجب أن يحضر إلى بيته بكل حرية؛ فهو يُدرين له بسعادته، وإذا تصرف تشييا دجين على عكس المتوقع، فهو نفسه سيكون ملزماً بالتخلي عن المنزل. وبعدما فعل ذلك، جلس مع تشييا دجين في مكتبه؛ فصبَّ كوبين من الخمر - أعطى أحدهما إلى تشييا دجين وناول الآخر إلى سان-تشيه، وقال:

- «إشربا هذين الكأسين من أجل سعادة ثنائية: تا-كُوْ وسان ماي-ماي، بحيث يمكننا تقديم التهئة لكما».

في تلك اللحظة، قفزت سان-تشيه من مكانها وصرخت، وهي تهزّ إصبعها نحو تشييا لين، وتقول:

- «لن أقبل التعزّز لأيّ نوع من وقاحاتك. فمن الأفضل عدم خرق شاشة عرض الظلال المتحرّكة. فأنت مُخطئ كثيراً إذا كنت تظنَّ بأنك قادر على معاملتنا كاثنتين من المؤمنات، فقط لأنك تملك المال. لقد عملت، بما لديك من حلاوة الكلام والوعود الكاذبة، على خداع شقيقتي لكي تتنازل عن نفسها، وجعلتها تضع نفسها في وضع لا يمكنها من خلاله مواجهة العالم علانية بسبب امرأتك الغيورة. ولكنك لن تستطيع خداعي أو الإيقاع بي. فإذا عملتما كلاكم على تحسين سلووكهما، فسيكون ذلك خيراً».

وأنتهينا. أما إذا لم تفعلا ذلك، فسأريكما ما أنا قادرة على فعله: سأجعل الحياة بائسة لكم، وعند الضرورة، سأتواجه طوال حياتي مع داعمتكم كثيرة الكلام والمُتبرجحة فينفع ناي-ناي. تُريدينني أن أشرب؟ سأفعل ذلك بسرور، لأنّه لا يعني بالنسبة لي أي شيء».

وبعد ذلك، صبّت لنفسها كأساً، وشربت نصفه، ثم شدت تثبياً لين نحوها، وقدمت له النصف الآخر قائلة:

- «لم أسمح لأخيك أبداً الشرب من كأسِي، ولكني سأمنحك هذا الشرف». كان هذا السلوك الغاضب وغير المبرر مفاجئاً تماماً، بحيث أنه أذهل تشيلا لين وتشيلا دجين بالكلية، ولم يدريا ماذا يفعلان. حاولا التهرب من الواقع، إلا أن سان-تشيه لم تسمح لهما بذلك. وراحت تشرب الكأس تلو الآخر، وترشقهما بوابل تلو البابل من الشتائم، وبعد أن ملتهما، غادرت إلى غرفتها على عجل.

بعد ذلك، قاماً بأشياء غير لائقة بالنسبة لكل من تشيلاين وتشيبا دجين. فقد الحت عليهما بالعديد من الإغراءات والطلبات، وراحت تتذمر من كل شيء. وعند أدنى استفزاز تشعر به، كانت تُرسل إلى تشيلاين وتشيبا دجين، وأحياناً إلى تشيلا دجانغ، وعند حضورهم تنهال عليهم بالشتائم واصفة إياهم بأنهم دجالين وغشاشين، وغير ذلك من الأسماء الجديرة بالازدراء.

إستمر الوضع عما هو عليه، إلى أن تأكّد تشيّا لين من أنّ سان-تشيه، وهي الجميلة كالزهرة، كانت مليئة بالأشواك بالنسبة له. وقد دفعه ذلك في النهاية إلى التخلّي عن الأمل الذي كان يشغله بالحصول عليها لنفسه، وطلب من تشيّا لين تزويجها بأسرع ما يمكن. فقام الأخير باستشارة ير-تشيه على الفور، وارتآياً أن يتكلّما مع سان-تشيه بجدية قريباً.

فهمت سان-تشه نتهما، فیکت بحزن، وقالت لشقيقها يه-تشه:

- «أعلم بأنّ لدى تشيه-تشيه شيئاً مهمّاً لقوله لي. وأعلم أيضاً، بأنّ الأشياء لا تعالج بهذه الطريقة. فلدى تشيه-تشيه الآن بيتاً، وكذلك لدى الوالدة. إنّها رغبتهما في أن يكون لي أنا أيضاً بيتاً. صحيح أن الفتاة لا بد أن تتزوج

الآن أو لاحقاً، ولكن هذه المناسبة تعتبر من أهم المناسبات في حياتها، ولا يمكن أن تدخلها من دون بعض الاعتبارات المهمة. لقد تصرفت بهذه الطريقة السيئة، لأنني أردت أن أحمي نفسي من هذه الذريعة. حتى أتنى الآن، لا أستطيع افتراض التواضع الزائف؛ ولا بد لي من التكلم بصرامة: ما لم أُخطب إلى رجل أريده أنا نفسي، سأبقى بلا زواج إلى آخر العمر». قال تشيا لين:

- «سأعمل كما ترغبين، فقط سُمّ لي الرجل الذي تُريدين وسأحضره لكِ إلى هُنا». -

- «لا داعي لتسميتها»، قالت سان-تشيه، وتابعت: «فشكّيقي تعرف من أقصد». -

- «من هذا الرجل إذن؟»

طرح تشيما لين على زوجته الثانية هذا السؤال، لكنها لم تستطع التفكير باسم الرجل الذي تحتفظ به سان-تشيه في رأسها.

بعد ذلك، وصلت إحدى الخدمات التي يثق بها تشيلا لين، وأخبرته بأنّ تشيلا
شيء تُريده في الحال. وعلى الفور، اندفع تشيلا لين، من دون أن يعلم اسم الشخص
الذى يدور فى مخيلة سان-تشيه.

وعند عودته في اليوم الثاني، قالت له يرثتسيه:
- «لا يجب أن تُشغل نفسك كثيراً بهذه المسألة. يجب أن تعلم بأنّ شقيقتي
عنيدة، وقد حددت خياراتها من قبل، ولا شيء أبداً يمكن أن يجعلها تبدل
رأيها. وبما أنّ الرجل الآن في الخارج، فعليك أنت أيضاً أن تضع هذه
المسألة جانباً وتنتظر محنته».

- سألهما تشبياً لين: «من هو هذا الرجل؟ كم أؤذ أن أعرف من هو، ومن يشبهه». - إنها قصة طويلة»، قالت يز-تشيه، وتابعت تشرح: «منذ خمس سنوات، وفي حفلة عيد ميلاد جدّي، أُقيم عرض تمثيلي في المنزل من قبل مجموعة من الممثلينــ كان من بينهم مُمثل يلعب دور امرأة تحت اسم ليو هسيانغــ لين.

ويبدو أنها قد وقعت في حُبّه، حتى من دون أن تنسح لها فرصة التحدث معه».

ـ «هل هذا هو؟»، سأّلها تشيّا لين مُستفّسراً، وتابع يُبدي رأيه: «لا يمكنني إلا أن أقول بأنّها ذات ذوق حسن، فأنا أعرفه؛ إنه وسيم جداً، لكنه لم يُيد يوماً اهتماماً بأي امرأة. وهو أيضاً صديق جيد لـ باو-يو، وهو الوحيدة الذي يمكنه أن يعرف أين يمكن أن يكون. لكنني أعرف أنه في وقت ليس بعيداً، وجه جلداً عنيفاً إلى هسوبيه لاو-تا، وغادر المدينة خوفاً من مواجهتنا بعد معرفتنا بالأمر. والآن، ليس له مكان مُحدّد؛ فلربما تمضي سنوات قبل إيجاده من جديد».

- «إذن لا بد أن تكون سنوات!»، قالت يرثـٰ-تشيه مُسْتَهْجِنَةً، وأكملـت: «فليس هناك جلد لفتاتنا، ولا بد من أن يكون الأمر كما تُريد». في هذه الأثناء، دخلت سان-تشيه وقالـت:

«على صهي أن يعرف أي نوع من النساء أنا ولو لمرة واحدة؛ فأنا لست من أولئك الذين يقولون الشيء ثم يفعلون عكسه. ولم أبدل رأيي عندما أصرّ على شيء. ولهذا أقول بأنني لن أتزوج أحد باستثناء ليو هسيانغ-لين. وسأنتظره طوال حياتي إذا ما رأيت ضرورة لذلك»

ثُمَّ أَخْذَتْ دِبُوسْ شِعْرَ مِنَ الْحَجَرِ الْكَرِيمِ، وَكَسَرَتْهُ إِلَى قَسْمَيْنِ، وَرَفَعَتْهُمَا عَالِيًّا
وَقَالَتْ:

- «إذا لم أعني ما أقوله، فلتفعل بي الآلهة مثل هذا».
- جاب تشيما لين أماكن كثيرة يستعلم عن ليو هسيانغ-لين، لكنه فشل في إيجاد أي خيط يوصله إليه. وفي الوقت نفسه، ونتيجة للجدية في البحث عن الرجل، أظهرت سان-تشيه الكثير من التغيير على حياتها وسلوكها؛ فأصبحت هادئة، وظرفية في سلوكها، وتركت مساحيق التجميل، والثياب الغريبة... وتصديقاً لكلامها، كانت مصممة على انتظار هذا الرجل، الذي اختارته، ولو طال ذلك إلى نهاية العمر.

الفصل الثلاثون

وفيه تدفع سان-تشيه حياتها من أجل أن تُبرهن
على صدق حُبها
وينبذ هسيانغ-لين أرض التربية الحمراء بسبب ندمه

بعد أيامٍ لاحقة، انطلق تشيما لين إلى بینغ-آن-تشاؤ في مهمة لدى والده. وبعد ثلاثة أيام على خروجه من العاصمة، التقى بموكبٍ من المسافرين وتفاجأً بوجود هشويه بان وليو هسيانغ لين بينهم. وبعد تبادل التحيّات، لجأوا إلى أحد الفنادق، وهُناك قال تشيما لين لهما:

- «بعد الشجار الذي حصل بينكمَا أنتما الإثنين، حاولنا جاهدين لإعادة جمعكمَا وإحداث نوعاً من المصالحة، لكننا لم نكن قادرين على ذلك لأن الأخ ليو كان قد غادر المدينة مباشرةً بعد ذلك. وأنا سعيد الآن لأن أراكما قد أصلحتما ذات البين من دون الحاجة إلينا. فكيف حدث هذا؟»
- «نُدين بذلك إلى إحدى الظروف غير العادية»، قال هشويه بان، وتابع يُجيب: «ذهبت أنا وأحد المديرين العاملين لدى إلى فينيغتين لشراء البضائع. وأنباء رحلة عودتنا، تعرضنا لهجوم من قبل مجموعة من قطاع الطرق، وما إن أصبحنا على أهبة الدخول في شجار، حتى ظهر الأخ ليو، فأبعد اللصوص وأنقذ حياتنا. لكنه لم يقبل أي شيء مقابل مساعدتنا، ومنذ تلك اللحظة تعاهدنا على الأخوة وبدأنا السفر معاً. لدى الأخ ليو عمّة ليست بعيدة من هنا، وهو سيزورها لفترة وجيزة من الوقت، ومن بعدها سينضم إليَّ في

العاصمة. فعلى تأمين منزل له هناك بأسرع ما يمكن، لأنّه يخطط للزواج والاستقرار».

قال تشييا لين مُستبشرًا:

- «أنا سعيد لسماع كلّ هذا، وكم أرغب لو أتني سمعتها من قبل؛ كان يمكن أن تجتني الكثير من القلق الذي كنت بغني عنه. وبمناسبة الحديث عن الزواج، فأعتقد بأنّي لدى بالضبط الفتاة التي تناسب الأخ ليو».

ثم تابع الحديث، وروى لصديقه قصة زواجه من ير-تشيه، مُقترحًا زواج ليو هسيانغ-لين من سان-تشيه. لم يُعجبه بشيء، وهذا طبيعي، فقد اختارته سان-تشيه هي بنفسها، ولا علم له بالموضوع.

شعر هسوبيه بان بفرح لسماع عرض الزواج، وحثّ ليو هسيانغ-لين على القبول به. قال المُمثّل:

- «كنت دائمًا أريد إيجاد فتاة ذات جمال حقيقي بدني، ولكن ماذا أقول؛ لا يمكنني رفض مساعديكما الحميّدة أنتما الإثنين».

قال تشييا لين:

- «لست مضطّرًا للاستجابة من أجل خاطرنا، وها أنتا قد طرحت الموضوع؛ فلا أرى أي فائدة من التفاخر والإشادة بشقيقة زوجتي، ولكنني أكيد من أنك عندما تراها ستشركوني وستُوافق معي بأنّها ذات جمال لا يضاهي».

أحسن هسيانغ-لين بالسعادة من التأكيد الذي سمعه، فقال:

- «علي العودة إلى العاصمة في أقل من شهر، فماذا عن ترتيب إجراءات خطوبة رسمية حينها؟»

وعلى الفور، قال تشييا لين:

- «لنحدّد ذلك الآن. فأنا لاأشك أبداً من تنفيذ وعدك، ولكنني أعرف أنك رجل غير معروف التحرّكات. فإذا ما قررت فجأة القيام بواحدة من رحلاتك الطويلة، فقد يستغرقنا ذلك سنوات لكي نجدك مرة أخرى. فلا يمكنك أذن أن تدع فتاة—أي فتاة—معلقة بهذه الطريقة إلى ما لا نهاية. ومن

أجل كل ذلك أقترح أن نحدد ذلك الآن عن طريق إعطائي رمز تعهد منك بذلك».

قال هسيانغ-لين:

- «يمكنك الاعتماد على كلمتي، لأنني أتيت من عائلة فقيرة، زد على ذلك أنني بعيد عن بلدي ومنزلي. فكيف لي أن أؤمن هذا النوع من الرمز؟» وهنّا، تدخل هسوبيه بان للمُساعدة على الحل، إلا أن تشيلا لين قال:

- «أنا لا أقصد الرموز العادية كالذهب والفضة. ما أفكّر به هو شيء من الآخر هسيانغ-لين شخصياً. وليس بالضرورة أن يكون شيئاً قيماً».

- «في هذه الحالة، سأقدم لك هذا كرمز تعهد»، قال هسيانغ-لين وهو يسحب غمد سيفه الذي كان يحمله، ويسلمه إلى تشيلا لين، وأضاف:

- «لقد انتقل هذا السيف في عائلتي من جيل إلى جيل، ولا أذكر بأنه قد فارقني في يوم من الأيام أبداً».

وهكذا، تمت خطوبة ليو هسيانغ-لين وسان-تشيه. ومن ثم افترق المسافرين كل إلى وجهته.

فور عودته إلى العاصمة، ذهب تشيلا لين مباشراً إلى ير-تشيه وسان-تشيه قصصاً عليهما كل ما حدث وكيف تحققت عملية الخطوبة؛ فقدم إلى سان-تشيه السيف، فتسلمته، ووجدت، بعد تفحصه، أنّ في الغمد سيفين - حفر على الأول كلمة «يوان»، وعلى الثاني «يانغ»، وتشكلان معاً إسم «البط اليوسفي» - رمز السعادة الزوجية. شعرت عندها بسعادة لا توصف، فأخذت السيف إلى غرفتها، وعلقتها على الجدار، وراح تحدّق فيه وكأنّها تهْنئ نفسها بأنه، وأخيراً ستحصل على الرجل الذي اختارته بنفسها.

عاد هسيانغ-لين في الشهر الثامن إلى العاصمة. وما إن وصل، حتى ذهب لرؤيه باو-يو. وخلال حديثهما، سأله عن زواج تشيلا لين السري.

قال باو-يو:

- «لا أعرف الكثير عنه، ولم أسمع عنه إلا من مينغ-يه. وقد أخبرتني مينغ-

يه، بالمناسبة، بأن الأخ لين كان يسأل عنك قبل مغادرته، فأتساءل لماذا؟»

أخبره هسيانغ-لين بما حدث، وهنأه باو-يو من كل قلبه قائلاً له:

- «إنها تتمتع بجمال نادر، وهي تناسبك تماماً».

وبالرغم من ذلك، أحسن هسيانغ-لين بالقلق، وقال:

- «ما لا أفهمه، لماذا عليهم اختياري أنا بالذات. ومن المؤكد، لو أنها بالجمال الذي تصفه، لكان عليهم أن يجدوا لها من يناسبها من العائلة-من يكون أغنى وأفضل، وأكثر تواصلاً مني أنا. أضف إلى ذلك، أن الأخ لين ليس واحداً من أصدقائي المقربين. ويبدو لي غريباً أنه يسعى من أجلني أنا بالذات، ناهيك عن حقيقة أنه من غير الطبيعي أن تسعى عائلة الفتاة نفسها لأخذ زمام المبادرة. لقد كانت لي شكوكٌ حول الأمر، وأصبحت ألوم نفسي لتسويبي السيف كرمز تعهد بالخطوبة.وها أنا وقد أتيت إليك، وأكلمك للسعى من أجل اكتشاف المزيد لي عن هذه الفتاة وعن عائلتها».

- «لماذا تُقلق نفسك إلى هذه الدرجة؟»، قال باو-يو، وتابع: «قلت أنك تُريد فتاة جميلة، وهذا أنت الآن قد حصلت عليها، فلماذا تعمل على إرهاق نفسك بالقلق والتردد؟»

قال هسيانغ-لين بنبرة توسل:

- «عليك أن تعرف لي شيئاً عن العائلة، طالما أنك تجزم بجمال الفتاة الرائع».

- «بالطبع أنا أعرفهما، شقيقتان من ناحية زوج الأم-دجين تا-ساو. وقد رأيتهما في الجنازة».

ضرب هسيانغ-لين رجليه بالأرض، وقال بنبرة حازم:

- «لا يعجبني ذلك، هذه الخطوبة لن تتم أبداً. لعل أنظف وأظهر شيء في قصركم الغربي، هو زوجي الأسود المنصوبة قبالة المدخل، فليست لدى

الرغبة لأكون «ديوثاً»⁽¹⁾ في النهاية».

تفاجأ باو-يو، لكنه ليو هسيانغ-لين قال على الفور:

- «اغفر لي، لقد كنت مُنفعلاً ولم أشعر بما كنت أقوله. أرجو منك أن تُخبرني بصراحة عن شخصيتها».

أجبر باو-يو نفسه على الابتسام وقال:

- «إذا كنت تعرف أشياء حسنة عنها، فما الفائدة من توجيه الأسئلة لي؟ فلعلني أنا أيضاً غير بريء بالحديث عنها».

- «أرجوك، لا تأخذ ذلك بهذه الحساسية»، قال هسيانغ-لين، وهو ينحني اعتذاراً، وتابع: «أنا حقاً لم أكن أدرك ما أقول».

- «إذن لا تعود إلى ذكر هذا»، ردّ باو-يو بلهجة حازمة، وأضاف: «إذا فعلت، فسأفترض ذلك عندها على أنك تعمد الإساءة».

بعد مقابلته مع باو-يو، قرر ليو هسيانغ-لين فسخ الخطوبة. وذهب على الفور للقاء تيشيا لين في منزله السري، وعندما تم تقديمها إلى يُو لاو-نيانغ، خاطبها وكأنه صديق الوالدة، وليس على أساس أنها لربما تكون والدة زوجته المستقبلية. شعر تيشيا لين بالارتباك، ثم قال هسيانغ-لين بعد تناول الشاي:

- «جئت، ولدي بعض الأنباء المُحرجة التي سأقولها. عندما عدت إلى البيت، وجدت خالي قد أعدت لي ارتباطاً وأنا غير موجود. فإذا ما أطعتك أنت، أخي لين، فسأكون قد خالفت إرادة خالي. ولو أن رمز تعهدي كان مالاً أو فضة، لما طلبت استعادته إطلاقاً، ولكن طالما أنه سيف تناقلته أجيال العائلة للعديد من السنوات، فأنا لا أقوى على التخلّي عنه، وأنوسل إليك إعادةه لي في الحال».

وعلى الفور، قال تيشيا لين:

- «فَكَرْ بما تقول! فالوعد وعد، والخطوبة ليست شيئاً يُمكنك أخذها بهذه

(1) أي: زوج زانية، الذي يكون في كثير من الأحيان محظوظ سخرياً.

الخفة، وأنا أخشى من أنك لا تستطيع فسخ تعهدك والتراجع عن كلمتك». - «هذا صحيح»، أجاب هسيانغ-لين، وأضاف مبّرراً: «ولكن في ظل هذه الظروف، ما من شيء آخر يمكنني فعله. وما عليك فقط إلا أن تعيد لي سيفي. ولسوف أخضع وأقبل بأي نوع من الجزاء أو الغرامات التي ترى وجوب فرضها عليّ».

حاول تشيلا لين قول شيء، لكن هسيانغ-لين قاطعه واقتصر عليه بأنه سيكون من الأفضل لو انتقالا إلى الغرفة الثانية لمتابعة الحديث في الموضوع.

فرحت سان-تشيه النبي كانت موجودة في الغرفة الثانية، عندما عرفت بقدوم هسيانغ-لين. وعندما سمعت ما كان يطلبه، عرفت بأنّ هناك أشياء فاضحة ضدّها قد سمعها من أحدهم. وشعرت بأنّها لو تركته هو وتشيلا لين ينتقلان إلى الغرفة الداخلية للحديث لوحدهما، فلن تكون أكيدة من قدرة تشيلا لين على إقناعه بتبديل رأيه. ولكن إن ناقشا الموضوع في لقاء مفتوح، فإن ذلك سيتسبب لها بإهانة علنية.

وعلى الفور، طرأت في رأسها فكرة؛ فاندفعت إلى الغرفة وقالت:

- «لا تذهب الآن، لأنّ سيفك معي هنا».

وقت وفي يدها اليسرى الغمد، وفي يدها الأخرى تحمل أحد السيفين من وراء ظهرها. ناولت الغمد إلى هسيانغ-لين، وعندما مدد يده لالتقاطه، وضع حدة السيف الآخر على عنقها، وراح تشد عليه بقوة.

حول الاثنين الاندفاع نحوها لمنعها من الإقدام على أي عمل أحمق—ولكن كان الأولان قد فات؛ فقد أصابهم الشلل حينما لمع السيف وهي تؤرجهه على حنجرتها بقوة، وعندما استفاقا من الصدمة، كانت سان-تشيه قد وقعت على الأرض صريعة.

أزهار الخوخ قد هوت، تُغطي الأرض بالأحمر؛
وانهار جبل اليشم، وأبدًا لن ينهض أو يظهر.

حاول تشييا لين توقيفه عازماً على تسليمه إلى الشرطة، ولكن كانت يز-تشيه أكثر
بكى تشييا لين وهو يلعن هسيانغ-لين ويقول بأنّ عليه دفع حياته ثمناً لذلك.

عقلانية، فقالت لوالدتها في محاولة منها لتهدايتها:

- «لم يُجبرها على فعل ذلك بأي طريقة، فلن يكون من المستحسن والعدل تسليمه إلى السلطات، ولن يجلب علينا ذلك إلا العار على الملا». الأفضل تركه يرحل».

أفلت تشييا لين ليو هسيانغ-لين من يده، لكن هذا الأخير لم يرحل، فقال وهو

يسعد دموعه:

- «لم أكن أعرف أنها امرأة حازمة وعفيفة إلى هذه الدرجة، والبلاء بلائي الآن لأنني قد خسرت زوجة مثلها».

لم يغادر، إلا حين رأى سان-تشيه ممددة في الكفن، ثم ارتحل من بعدها هائماً على وجهه، وهو يُفكّر في شجاعة وعفة سان-تشيه وجمالها، الآن بعد أن كان ينظر لها... وحينما كان يجوب في بعض الأماكن المهجورة خارج المدينة، بدا له وكأنه يسمع حفيظ ورنين حلبي من الذهب والفضة؛ فرأى طيف سان-تشيه تحمل بإحدى يديها سيفاً، وباليد الأخرى كتاباً. وقالت له:

- «انتظرتك خمس سنوات، لكن قلبك أبد من وجهك. لقد مِتْ للتکفير عن حبي لك؛ لقد عيتني «إلهة خيبة الأمل» لمراجعة سجلات مختلف الأرواح التي تحمل ديون الحب. ولكتنى لا أريد مفارقتك من دون الحصول منك على كلمة الفراق الأخيرة، لأنني لن أراك من جديد وإلى الأبد».

وعند هذه اللحظة، اختفت من دون أن تسمع رده. فانفجر في البكاء والعويل إلى أن سقط مغمياً عليه. وفجأة، صحي فوجد نفسه ممدداً في وسط أنقاض معبد، وإلى جانبه يجلس كاهن طاوي أعرج، وهو يتقط البراغيث عن معطفه البالى. فألقى التحية على الكاهن، وسأله عن هذا المكان ومن يكون. فأجابه:

- «لا أعرف هذا المكان، ولا أعرف من أنا، وجل ما أعرفه، أنني هنا إلى أن أصبح في مكان آخر».

أدلت هذه الكلمات البسيطة إلى ضرب هسيانغ-لين بتنوير مفاجئ-فقص شعره بسيفه وتبع الكاهن إلى مكان مجهول.

الفصل الحادي والثلاثون

وفيه تَقْهُرٌ فِينِيكسَ مُنافِسَتَهَا بِلَطْفَهَا الْوَاضِعِ
وَتَهْلِكَ يِرْ-تَشِيهَ بِسَبِّبِ مُخْطَطٍ شَيْطَانِيٍّ مُؤَكَّدٍ

يقال أن الطريقة الوحيدة لمنع الناس من معرفة أسرار المرأة، تكون في عدم امتلاكه أيّ منها على الإطلاق. وهكذا، ومع مرور الوقت علِمَتْ فِينِيكسَ بِالزِّواجِ السَّرِّيِّ بَيْنَ تَشِيهَ لِينَ وَيِرْ-تَشِيهَ، وَكَانَ الْمَسْؤُولُ عَنِ إِفْشَاءِ هَذَا السَّرِّ هَسِينِيغَ-يِرْ، أَحَدُ خُدَّامِ تَشِيهَ لِينَ الْمَوْثُوقِينَ. فَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَى خَادِمِ آخر حَوْلِ سَيِّدَتَهُمَا الْجَدِيدَةِ، تَنَاهَى الْحَدِيثُ إِلَى سَمْعِ فِينِيكسَ، فَاسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا عَلَى الْفُورِ.

قالت تُلْمَحُ بحزن:

- «أَرِيَ أَنْكَ وَسِيدَكَ قَدْ مَارَسْتَمَا بَعْضَ الْخَدْعِ. وَالآنَ أَخْبُرُنِي بِكُلِّ مَا تَعْرِفُ مِنْ دُونِ أَيِّ لَفْتٍ أَوْ دُورَانٍ».

أشعره سؤال فِينِيكسَ الْمُفَاجِئُ بِالْهَلْعِ بِالرَّغْمِ مِنْ قُوَّةِ عَزِيمَتِهِ وَذَكَائِهِ، وَرَاحَ يَنْحِنِي أَمَامَهَا بِصُورَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ، فِي حِينَ أَكَمَلَتْ فِينِيكسَ كَلَامَهَا:

- «أَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَيْسَ خَطَّاكَ وَلَا مِنْ تَدْبِيرِكَ. وَلَكِنْ عَلَيْكَ إِخْبَارِي بِكُلِّ التَّفَاصِيلِ، وَسَوْفَ أُسَامِحُكَ. وَإِلَّا، فَعَلَيْكَ أَنْ تَخَافَ عَلَى رَقْبَتِكَ، وَتَبْحَثَ مَا إِذَا كَانَ لَدِيكَ رَأْسٌ أَخْرَى تَسْتَخْدِمُهُ فِيمَا بَعْدِهِ».

قال هَسِينِيغَ-يِرْ مُحاوِلًا تَبْرُأَةً نَفْسِهِ:

- «ما الذي تُحاول أن تُشير إليه ناي-ناي؟»
وعلى الفور صرخت فينيكس غاضبة، وقالت بنبرة الأمر:
- «فليضرب هذا البائس بسبب كذبه».
- وما إن سمع وينغ-يز، أحد خدمها المُفضلين صوتها، حتى أسرع لتنفيذ الأمر، لكنها أوقفته وقالت له:
- «لا، دعه هو يضرب نفسه أولاً. ومن بعدها يأتي دورك لكي تضرره أنت».
- خضع هسينغ-يز للأمر؛ فوقف ومدّ يديه إلى الأمام قدر استطاعته وراح يلطم خديه بكل ما أوتي من عزم، إلى أن أمرته فينيكس بالتوقف. ثُمّ كررت كلامها له بصورة أوضح:
- «ألا تعلم شيئاً يتعلّق بسيديك الجديدة؟»
- ولمّا أدرك أن لا مفرّ من إخفاء أي شيء عن القضية، رکع هسينغ-يز أمامها وقال:
- «سأقول كل شيء إذا ما عفوت عنّي. فلا أستطيع التهرب من ذلك، إذ أنّ سيدي تشيلا لين قد هدّدني بالقتل إذا أخبرت ناي-ناي».
- صرخت فينيكس بغضب:
- «هيا إذن!»
- بدأ هسينغ-يز الكلام، وهو لا يزال راكعاً:
- «في أحد الأيام كان سيدي يسير على حصانه إلى جانب دجانغ-كُو إلى القصر الآخر، قادمين من المعبد. وكانا يتحدثان عن شقيقتي دجين-تا ناي-ناي، وقال دجانغ-كُو بأنه سيُحاول الحصول على الأخت الثانية بي ناي-ناي—»
- قطعته فينيكس بشيء من التجذيف، وقالت:
- «أيتها البائس الوجه! أي بي ناي-ناي تقصد؟ ومن أين أنت بي ناي-ناي هذه؟»

انحنى هسينغ-يز وقد غفل عما كان يقول. فحثته فينيكس على الكلام موبخة،
تابع يقول:

- «كان سيدي سعيداً بعرض الزواج الذي اقترحه دجانغ-كو، لا أعرف كيف حصل ذلك، لكن الأمر قد تم ترتيبه».
 - «بالطبع، أنت لن تعرف كيف تم الأمر، ولكن أكمل».
 - «من بعدها، استأجر دجانغ-كو منزلًا».
 - «منزل؟ أين هو هذا المنزل؟»
 - «إنه من خلفنا تماماً، وليس بعيد عن هنا».
- الفتت فينيكس إلى باشينس وقالت:

- «كنا كالجيوفتين، بينما يحدث كل هذا من وراء ظهورنا!»
- تابع هسينغ-يز يقول:

- «ومن بعدها، أعطى دجين تا-يه بعض المال إلى عائلة تشانغ، وبالتالي، أسكتهم».
- «عائلة تشانغ؟»، هتفت فينيكس مُندھشة من هذا التحول في رواية هسينغ-يز، وسألت باستهجان: «ومن أين دخلت عائلة تشانغ إلى الموضوع؟»
- «آه، نعم»، قال هسينغ-يز، وأكمل: «ناي-ناي لا تعرف بأنّ يز ناي-ناي الأخرى»—

وفجأة توقف مُستدركاً أنه كان يستخدم نوع الخطابة المحرّم عند الإشارة إلى يز-تشيه، فصفع نفسه على الفور، فأضحك فينيكس ومن معها، وعاد يتابع الكلام بالخطابة المسمومة:

- «كانت شقيقة دجين تا ناي-ناي الثانية في الأصل مخطوبة لعائلة يطلق عليها اسم تشانغ. ولما كانوا الآن قد أصبحوا فقراء، كانوا ينونون إعادة أوراق الخطوبة عندما قام دجين تا-يه بإعطائهم بعض المال».
- تابع هسينغ-يز كلامه، وأخبرها عن المنزل، وعن الخدم، وعن انتحار سان-

تشيه، وعن الحقيقة بأنّ يو-شيه كان في المنزل بعد بضعة أيام من الزواج. وبعد أن استخرجت كل المعلومات التي يعرفها هسينغ-يُر، أمرته فينيكس بالغادر. فانحنى لها من جديد وترأجع إلى البهو الخارجي، معتقداً أنه لا يستطيع المغادرة على الفور، فقد تحتاجه فينيكس لطرح بعض الأسئلة من جديد.

ولم تمر لحظات، حتى استدعته فينيكس إليها من جديد. دخل هسينغ-يُر، فانحنى لها ووقف ينتظر. فسألته:

- «لماذا أنت مُستعجل على المغادرة بهذه السرعة؟ فهل تُريد أن تذهب إلى منزل سيدتك الجديدة يُر-تشيه وتُخبرها بما حصل هنا؟ وها أنا أقول لك الآن بأنك لن تذهب إلى هناك مجدداً، وعليك أن تكون مُستعداً للمثول أمامي في أي وقت قد أطلبك فيه. وسأحطم ساقيك إذا تأخرت دقيقة واحدة، والآن يُمكنك الذهاب».

أطاعها الخادم، ولكنها عادت ونادت عليه بالرجوع إليها وقالت:

- «أعتقد بأنك ستُهرون الآن إلى يُر-يه وتُخبره بكل شيء».

أجابها الخادم بخوف:

- «لن أجرب على فعل هذا ولو كان لي ألف رأس إضافي».

- «حسناً، ولكن إن عرفت بأنك قد تجرأت ونطقت بحرف واحد من هذا، فما عليك إلا أن تخاف على جلدك من السلح».

وما إن أنهت كلامها، حتى صرفته من أمامها للمرة الأخيرة. ثم التفت إلى وانغ-يُر، الذي كان قد وصل ويتظاهر دوره. لكنها لم تقل له إلا:

- «بإمكانك أن تذهب الآن، ولكن اعلم بأنك ستكون مسؤولاً عن أي تسريب لما حصل».

في هذا الوقت، كان تشيا لين في رحلة أخرى إلى بينغ-آن-تشاؤ، والتي عاش فيها من قبل فترة شهرين. كانت فينيكس أثناءها، قد تصورت خطة لتدمير مُناقتها. وفي أحد الأيام، أعدت العدة وانطلقت لزيارة يُر-تشيه، يُراقبها في الزيارة: باشينس، وفيينغ-ير، وزوجة تشوشوجوي، وزوجة وانغ-يُر. فرحت بـ تشيه بها وحياتها بمثابة

وبالمثل، فقد بدأت فينيكس من جهتها تهدأة روع يز-تشيه بالقول:

«في المبدأ، على أن الولمك على الطريقة التي حدثت بها هذه الأشياء»، ثم انطلقت تقول بلطفافة واضحة: «بما أن اهتمامي بيـزـ يـه نـابـعـ مـنـ القـلـبـ، فـلاـ يـمـكـنـيـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ أـحـرـضـهـ ضـدـ «الـنـومـ مـعـ الصـفـصـافـ وـالـكـذـبـ مـعـ الزـهـورـ» عـلـىـ حـدـ سـوـاءـ، لـأـنـهـ أـمـرـ ضـارـ بـصـحـتـهـ، وـلـأـنـهـ يـتـسـبـبـ بـالـقـلـقـ لـلـاـوـ تـايـ-تـايـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ كـبـارـ السـنـ مـنـ الجـيلـ الـقـدـيـمـ. أـنـاـ أـكـيـدـةـ مـنـ أـنـكـ سـتـفـهـمـيـنـ هـذـهـ الـمـخـاـوـفـ السـخـيـفـةـ جـيـداـ، طـالـمـاـ أـنـكـ اـمـرـأـةـ، وـلـكـنـ لـاـ بـدـ لـيـ مـنـ الإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ يـزـ يـهـ قـدـ فـهـمـنـيـ خـطـأـ، وـيـعـتـقـدـ بـأـنـيـ غـيـرـةـ، وـلـكـنـ هـذـاـ لـاـ يـمـتـ بـأـيـ صـلـةـ إـلـىـ الـحـقـيقـةـ. وـالـوـاقـعـ، أـنـيـ قـدـ اـقـتـرـحـ عـلـيـهـ لـمـرـاتـ عـدـيـدـةـ مـنـ أـنـهـ لـيـسـعـدـنـاـ جـمـيـعـاـ بـأـنـ تـكـوـنـ لـهـ زـوـجـةـ ثـانـيـةـ، بـحـيـثـ يـنـجـبـ لـنـاـ وـلـدـاـ نـهـمـ بـهـ وـنـعـاـيـشـهـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ. أـمـاـ الـآنـ، فـأـنـاـ أـشـعـرـ بـالـإـهـانـةـ وـالـظـلـمـ مـنـ يـزـ يـهـ لـأـنـهـ أـقـدـمـ عـلـىـ الـأـمـرـ بـطـرـيـقـةـ سـرـيـةـ كـمـاـ لـوـ أـنـيـ اـمـرـأـةـ غـيـرـ قـادـرـةـ عـلـىـ تـحـمـلـ عـضـوـاـ آـخـرـ فـيـ الـعـائـلـةـ». -

فتأكلين مِمَّا أَكَلْتُ وَتُلْبِسِين مِمَّا أَلْبَسْتُ. وَحِينَما يَعُود يَرْ-يَهُ، سِيرِي بِأَنِّي لَا
أَغَارُ وَلَا أَحْقَدُ كَمَا يَعْتَقِدُ. فَإِذَا لَمْ تَشْعُرِي بِالرَّأْفَةِ تَجَاهِي وَتَأْتِي مَعِي،
فَسَاتِي إِلَيْكِ وَأَعِيشُ مَعَكِ هُنَا وَأَكُونُ خَادِمَتَكِ أَيْضًا؛ وَلَكِنْ عَلَيْكِ بِكُلِّ
الْأَحْوَالِ أَنْ تُعْطِينِي وَعْدًا سَوَاءً أَكَانَ هُنَا أَوْ هُنَاكَ، بِأَنْ يَكُونُ يَرْ-يَهُ إِذَا
يَعُودُ، عَادِلًاً مَعِي وَلَا يُعَامِلِنِي بِالْقَسْوَةِ وَالظُّلْمِ.

وَبَعْدَ أَنْ نَطَقَتْ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَالْأَخْطَاءِ التِّي رَمَاهَا هَذَا الْعَالَمُ عَلَيْهَا،
وَالْمُعَامَلَاتِ السَّيِّئَةِ التِّي تُعْانِي مِنْهَا، افْجَرَتْ بَاكِيَةً بِشَدَّةٍ وَكَانَهَا تَبْكِي عَلَى مَوْتِ
نَفْسِهَا. وَنَتْيَاجَهَا هَذَا الْكَلَامُ، أَصْبَحَتْ يَرْ-تَشِيهُ، التِّي شَعَرَتْ بِالْتَّرَاحِ، مُقْتَنِعَةً بِمَصْدَاقَةِ
مَا قَالَتْ فِينِيَّكِسُ، وَتَلَوَّمَتْ نَفْسَهَا عَلَى تَصْدِيقِ الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ التِّي كَانَتْ قَدْ سَمِعَتْهَا مِنْ
قَبْلِهِ. ذَهَبَتْ يَرْ-تَشِيهُ مَعَ فِينِيَّكِسَ إِلَى تَاكُونَ يُوانَ، وَنَزَّلَتْ فِي غُرْفَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ جَنَاحِ
لَيْهُوَانَ. ثُمَّ قَدَّمَتْهَا إِلَى فَيَّاتِ مُجَمَّعِ الْحَدِيقَةِ، الْلَّوَاتِي تَفَاجَأَ بِتَسَامِحِ فِينِيَّكِسُ
الْاسْتَثَانِيِّ كَمَا كُنْتُ مُغْتَبِطَاتِ بِجَمَالِ وَجَاذِبِيَّةِ يَرْ-يَهِ.

صَرَفَتْ فِينِيَّكِسُ خَادِمَاتِ يَرْ-تَشِيهِ، وَخَصَّصَتْ لَهَا، شَانِ-يَرْ، وَاحِدَةً مِنْ
خَادِمَاتِهَا الشَّخْصِيَّةِ. ثُمَّ جَمِعَتْ كُلَّ الْخَادِمَاتِ وَأَمْرَتْهُنَّ بِخَدْمَةِ يَرْ-يَهِ، وَبِأَنَّهُنَّ
سَيَحْمَلُنَّ الْمَسْؤُلِيَّةَ الْكَاملَةَ عَنْ هَرُوبِهَا مِنَ الْقَصْرِ. لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّحْذِيرُ ضَرُورِيًّا
لأنْ يَرْ-يَهُ امْرَأَةٌ لَيْسَتْ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يُقْدِمُ عَلَى فَعْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. لَا بِلَّ أَنَّهَا كَانَتْ
تَنْطَلِقُ هُنَا وَهُنَاكَ مَعَ كُلِّ نَسْمَةٍ مِنَ الظَّرُوفِ. شَعَرَتْ يَرْ-تَشِيهُ بِالسَّعَادَةِ لِانْقِلَابِ
الْأَحْدَاثِ، فَقَدْ كَانَتْ فِينِيَّكِسُ طَيِّبَةً وَلَطِيفَةً مَعَهَا مِنْذِ الْلَّقَاءِ الْأُولَى، وَكَانَتْ فَيَّاتِ
تَاكُونَ يُوانَ يُعَامِلُنَّهَا وَيَتَصَرَّفُنَّ مَعَهَا بِتَهْذِيبٍ وَمُوَدَّةٍ.

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ أَرْبَعَةَ، شَعَرَتْ فِينِيَّكِسُ بِتَبَدِّلٍ فِي طَبِيعَةِ الْخَادِمَةِ شَانِ-يَرْ؛
فَقَدْ أَصْبَحَتِ الْخَادِمَةِ غَيْرَ مُطِيعَةٍ وَمُتَعْجِرَّفَةٍ. وَبَعْدَ يَوْمٍ، احْتَاجَتِ يَرْ-تَشِيهُ إِلَى الْقَلِيلِ
مِنَ الْزَّيْتِ لِشَعْرِهَا، فَطَلَبَتِ الْخَادِمَةُ أَنْ تَذَهَّبَ إِلَيْ فِينِيَّكِسَ لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ. لَكِنْ
الْخَادِمَةُ قَالَتْ لَهَا:

- «بِرْ نَايِ-نَايِ،⁽¹⁾ عَلَيْكِ أَنْ تَكُونِي أَكْثَرَ عَقْلَانِيَّةً مِنْ هَذَا. إِنْ تَأْنَايِ-نَايِ،⁽²⁾ امْرَأَةٌ مُشْغُولَةٌ جَدًّا، وَعَلَيْنَا أَلَا نُضَاقِيَّهَا بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّفَاهَاتِ. مَا كُنْتُ أَعِيشُ هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ وَالْاسْتثنائِيَّةِ لَوْ كُنْتُ فِي مَكَانِكِ. عَلَيْكِ أَنْ تَتَذَكَّرِي حَالَةُ الْمُقَارَنَةِ الَّتِي تَضَعِينَ نَفْسَكِ فِيهَا. فَلَوْ كُنْتِ فِي أَيِّدِيهِ غَيْرِ لطِيفَةِ وَلَا كَرِيمَةِ كَأَيِّدِي سِيدَتِي تَأْنَايِ-نَايِ، لَكُنْتِ الْآنَ مَنْبُوذَةً، وَلَتُرْكَتِ فِي الْخَارِجِ ثَعَانِينَ. وَأَيْنَ عِنْدَهَا سَتَكُونِينِ؟ وَمَا هِيَ الْحَالُ الَّتِي يُفْتَرُضُ أَنْ تَكُونِي عَلَيْهَا الْآنِ؟»

أَهَانَ هَذَا الْكَلَامِ يَزْتَشِيهِ، وَلَكِنَّهَا، مَعَ ذَلِكَ، لَمْ تُقْدِمْ عَلَى التَّذَمُّرِ أَوِ التَّشَكُّيِّ لِخَوْفِهَا مِنْ أَنْ تَظْنَنَ فِينِيَّكِسْ وَغَيْرِهَا مِنْ أَنَّهَا تَقْصِدُ التَّسْبِيبَ بِالْمَتَاعِبِ أَوْ بِالْتَّهَزُّرِ وَالْاسْتَهْتَارِ. وَمَعَ الْوَقْتِ، أَصْبَحَتِ الْخَادِمَةُ شَانِ-بِرْ أَسْوَأَ فَأْسَوًا، إِلَى درَجَةِ أَنَّهَا لَمْ تَعُدْ حَتَّى تُحْضِرَ وِجْهَةَ الْغَدَاءِ إِلَى يَزْ-تَشِيهِ عَلَى الْوَقْتِ. وَعِنْدَمَا تَأْتِي لَهَا بِالْطَّعَامِ، يَكُونُ بَارِدًا وَمُجْمَعًا مِنْ فَضَّلَاتِ الْأَطْعَمَةِ الَّتِي بِالْكَادِ تُصْلَحُ لِلَّأْكَلِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنْ يَزْ-تَشِيهِ قَدْ اسْتَجَمَعَتِ مَا يَكْفِي مِنْ شَجَاعَتِهَا وَكَلْمَتَهَا بِالْأَمْرِ، وَلَكِنَّ الْخَادِمَةَ سَرَعَانَ مَا كَانَتْ تَتَجَاهِلُ ذَلِكَ. وَلَمَّا كَانَتْ تُكَلِّمُهَا مِنْ وَقْتٍ لَآخَرَ، تَحَوَّلَتِ الْخَادِمَةُ إِلَى مُتَمَرِّدَةِ، وَأَصْبَحَتِ مُتَوَحِّشَةَ وَعَدَائِيَّةً—كَانَتِ فِينِيَّكِسْ تَأْتِي لِتَفَقَّدِ يَزْ-تَشِيهِ كُلَّ بَضْعَةِ أَيَّامٍ. وَبِهَذِهِ الْمُنَاسِبَاتِ، كَانَتْ لَا تُنْطِقُ إِلَّا بِالْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةِ، وَلَا تُنَادِي يَزْ-تَشِيهِ إِلَّا بِاسْمِ «مَايِ-مَايِ الْعَزِيزَةِ». وَتَسْأَلُهَا مَهْمُومَةً كَيْفَ تُمْضِي أَوْقَاتَهَا، وَتُوصِيهَا بِأَنَّهَا يَجِبُ أَنْ تُعْلَمَهَا مَا إِذَا انْتَقَصَتِ أَيَّ مِنِ الْخَادِمَاتِ مِنْ قَدْرِهَا أَوْ إِنْ قَصَرْنَ فِي خَدْمَتِهَا، أَوْ عَامَلْتَهَا بِطَرْقَةِ غَضَبٍ أَوْ جَافَةٍ. ثُمَّ تَلْتَفَتْ إِلَى الْخَادِمَاتِ، فَتَقُولُ:

- «أَعْمَلْنَيْ جَيِّدًا بِأَنَّكُنْ تَهْتَمِمُنَ فَقْطَ بِمَنْ يُعَامِلُكُنْ بِرَأْفَةِ وَطَيِّبَةِ، وَتَخْشِينَ مِنْ يُعَامِلُنَّكُنْ بِحَزْمٍ وَقَسْوَةً. فَإِذَا مَا تَنَاهَى إِلَى سَمْعِي أَيِّ شَكْوَى وَاحِدَةٍ مِنْ يَزْ-تَشِيهِ بِخَصْوَصِكُنْ، فَلَسْوَفَ أَسْلَخَ جَلُودَكُنْ دُونَ أَنْ تَأْخُذَنِي بِكُنْ رَأْفَةً

(1) أي «السيدة الثانية».

(2) أي «السيدة الأولى أو الأساسية».

أحبط هذا الكلام أي نية كانت لدى يز-تشيه للإشتقاء من الخادمة شان-يز أو غيرها.

في هذه الأثناء، استطاعت فينيكس تحديد مكان تواجد تشانغ هوا، خطيب يز-تشيه الأول، الذي تحول إلى شخص بلا جدوى، يُمضي أوقاته وماله هائماً في حانات القمار وأوكار الفسق والرذيلة. وكان هذا قد عزم على رفع دعوى ضدّ تشيا لين لتغريمها لإقدامه على الزواج في الفترة العائلية السنوية، وفي فترة الحداد العام. وإرغام تشانغ هوا على فسخ خطوبته، وغيرها من الجرائم المتّوزعة التي كان تشيا لين من الناحية التقنية مُتهمًا بها. بعد ذلك، ذهبت فينيكس إلى نينغ كوفو، وهناك أنجزت المشهد المُرعب: مُوبخة يو-شيه وتشيا دجانغ ومُهددة لهما بإخبار الأم الكبيرة بما فعلاه من استدراج وإرشاد لـ تشيا لين إلى هذا النوع من الجرائم الجنائية. توسل تشيا دجانغ وناشد فينيكس إلى أن تراجعت عن قرارها.

تلا ذلك، قيام فينيكس بتقديم يز-تشيه إلى الأم الكبيرة، قائلة لها بأنّها قد عملت على تأمين الزوجة الثانية من أجل تشيا لين بمساعدة يو-شيه. سُرت الأم الكبيرة ومدحتها على اهتمامها بأمور زوجها وخيروه، وعلى اهتمامها بأهمية استمرار سلالة العائلة. وقد تم لاحقاً انتقال يز-تشيه إلى غرف أعدّت خصيصاً لها بعلم الأم الكبيرة. كما ازدادت سعادة الأم بوجود يز-تشيه أيضاً لأنّها كانت امرأة جميلة ومتواضعة جداً.

كان الخطّة الرئيسة الذي تسعى فينيكس إلى تطبيقها، أن تبدو الأمور في أحسن حال لكي تبدو وكأنّها لا تشعر بأي غيرة أو حسد، وفي نفس الوقت، للتخلص من يز-تشيه بطريقة أو بأخرى. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، وهبت المزيد من المال إلى تشانغ هوا، وأجزلت عليه بالعطايا بهدف الإستمرار في إصراره على طلب استعادة خطيبته. ومن ثم ذهبت إلى الأم الكبيرة وأخبرتها بأنّه، وبسبب خطأ غير مقصود من قبل يو-شيه، فقد تزوج تشيا لين من إحدى الفتيات التي كانت في الأصل مخطوبة، وأن خطيبها قد رفع دعوة من أجل استرجاعها. وبخت الأم

الكبيرة يُو-شيه بعنف لعدم انتباها وتهورها، وطلبت إلى فينكس العمل على تهدأة
ومُساومة تشانغ هُوا بقدر استطاعتها.

رُعمت فينيكس أنها قد أطاعت، لكنها فعلياً شجّعت تشانغ هُوا على الاستمرار قُدماً بالدعوى. وفي النهاية، قرر تشيا دجين أن المسألة قد تجاوزت مداها الممكّن، إذ كان من غير الوارد لعائلة تشيا التخلّي عن يِــتشيه. وهكذا، استدعى تشانغ هُوا وهدّده بأنه إذا كان يعرف قيمة جلده، فعليه أن يُسقط الدعوى في الحال. كان تشانغ هُوا مُريداً لذلك، لكنه كان من جهة ثانية، مُرغماً بإيعاز من فينيكس. عمل تشيا دجين على حل المُشكلة له عن طريق منحه مائة تايل مقابل وعدٍ منه بِــمغادرة العاصمة في الحال.

فور عودته من بيونغ-آن-تشاؤ، ذهب تشييا لين مُباشرة إلى بيته الجديد، وشعر بالاستياء عندما علم بأنَّ فينيكس ظهرت على الساحة وأخذت معها يِرْ-تشيه. كان شديد الحرج عند مُواجهة فينيكس، التي قالت له بأنَّها سعيدة جدًا بتأمين زوجة ثانية قد تحمل لهما ولدًا، لكنَّها لامته فقط على اعتقاده بأنَّها قد تعارض ذلك. كانت تقول مُخاطبة يِرْ-تشيه:

«أنا آسفة كثيراً لأنَّ الناس تتكلّم كثيراً عن ماي-ماي. حتّى لاو تاي-تاي-وتاي-تاي قد أصبحتا الآن على علمٍ بالموضوع، ويا لينتي أعرف أي طريقة أستطيع من خلالها وقف هذه الشائعات الشريرة».

لكتها كانت في السر، تُشجع الخادمات على تحويل حياتها إلى بؤس وتعاسة قدر الإمكان.

أما اليوم، فقد أعدت تواطئها مع تشييُو-تُونغ، وهي الخادمة التي أعطاها تشيا شيه إلى تشيا لين لإنجاح مهمته في بينغ-آن-تشاوف. ولأنَّ الخادمة قد أُعطيت إلى تشيا تشيه من قبل تشيا شيه، فقد شعرت بأنَّها في موقع يفوق موقع يِرْ-تشيه. فلم تعد تُعير اهتماماً إلى فينيكس أو باشينس، ولا حتى إلى التعيسة يِرْ-تشيه. كما أنها لم تُقبل بأنَّ تُداس من قبل أيِّ امرأة وصلت إلى المنزل عن طريق السُّفاح أو الزنا، وكانت لا تخشى من قول ذلك حتى على مسامع يِرْ-تشيه. وكانت فينيكس

تعمل على نصحها؛ فكانت تأخذها جانباً وتقول لها:

- «أنتِ شابة ولتكنك متهورة. يجب أن تعلمي بأنَّ يُرِّ-تشيه من المفضلات لدى يُرِّ-يه. حتى أنا لا أدعُي المُساواة بها؛ إنه لتهور منكِ أن تقومي بإهانتها وإغاظتها باستمرار».

وكما كان متوقعاً، فقد ألهب هذا الكلام تشيو-تُونغ، وجعلها تزيد من إساءاتها ضد يُرِّ-تشيه، التي بدأت تهزل وتضعف تحت وطأة الاضطهاد الذي لا هوادة فيه، وأصبحت فريسةً للمرض الطويل. إلا أنَّ الشيء الوحيد الذي كان يُساعدها على التحمل، هوأملها في وضع مولود ذكر يمنحها الحماية والقوة. الواقع أنها كانت تحمل هذا الطفل، إلا أنَّ الطبيب الذي استدعي، أجرى تشخيصاً خاطئاً، وتسبب علاجه القوي لها بالإجهاض.

أُصيب تشيا لين بنوبة حزن عنيفة، وعمل على توقيف الطبيب ومعاقبته، إلا إذا كان هذا الطبيب قد علم بخطأه وهرب. وبدت فينيكس أكثر حزناً من تشيا لين، فقالت أنه لا بد في هذه الحالة من استدعاء الأطباء المُميزين بحيث تحسن حالة العزيزة مای-مای وتحمل لهم الطفل الموعود.

وتمَّ في هذا الإطار استشارة أحد العزافين؛ فقال بأنَّ سقم المريضة كان بسبب تقاطع نجمها مع نجم شخص آخر مولود تحت رمز الأرب. أشعلت هذه النبوءة نيران الغضب داخل تشيو-تُونغ، التي صودف أنها الشخص الوحيد من حول يُرِّ-تشيه المولودة تحت هذا الرمز. فقالت هاتفه:

- «أنا وهي مثل ماء النهر وماء البئر. فلماذا يجب أن يتصارع نجمي مع نجمها؟ لقد اعتادت أن ترى وتلتقي كل أنواع الناس، لكنها لم تُعاني من شيء بسبب ذلك. فلماذا يجب أن تكون عُرضة لذلك الآن؟ لا يمكنها أن تخدع إلا السيد. فما هو الطفل؟ مع الوقت، أي واحدة يمكنها أن تحمل بطفل، وأصلِّ أيضاً».

وفي وقت آخر، لجأت تشيو-تُونغ إلى مدام هسينغ واشتكى من أنَّ تشيا لين وير-تشيه يعاملانها بقسوة، فأرسلت مدام هسينغ بطلب تشيا لين ووبخته على ذلك

بشدة، وقالت بأنه من العار معاملة أي شخص بهذه الطريقة وهو مثلنا من البشر. شجع هذا التوبيخ تشيو-تونغ، فأصبحت أكثر وقاحة من ذي قبل. فكانت تقف خارج غرفة يز-تشيه، وتوجه لها من وراء النافذة الإهانة تلو الأخرى.

في تلك الليلة، عزمت يز-تشيه على وضع حد لحياتها البائسة—كانت قد سمعت من قبل بأن الذهب يمكن إسباب الموت، فنهضت من فراشها، فقاومت ألماها وسارت بقوة على رجليها، إلى الخزانة وفتحت علبة المجوهرات وابتلت قطعة من الذهب. ولما لم يزره أحد في تلك الليلة، بقيت مرمية ولم تُكتشف وفاتها حتى وقت متاخر من صباح اليوم التالي.

الفصل الثاني والثلاثون

وفيه تبرهن شا تا-تشيه أن جهلها هو مصدر برkatها
وأن جمال برايت ديزاين هو سبب سقوطها

كانت جنازة ير-تشيه بسيطة إلى أبعد الحدود. وبعد بضعة قداديس أقيمت في بير فريغرانس كورت، دُفنت إلى جانب قبر سان-تشيه، بحسب رأي الأم الكبيرة التي اعتبرت بأن ليس من حقها أن تُدفن في مقبرة عائلة تشيه. وكان على تشيشا لين أيضاً أن يعمل على كل التفاصيل بنفسه، لأن فينيكس لم تكن مستعدة لأن تحرّك ساكناً لمساعدته؛ فبالإضافة إلى عدم رغبتها في عمل أي شيء من أجل ندتها السابقة، كانت مشغولة بالتخطيط من أجل احتفالات السنة الجديدة.

استمر نادي الشعر متوقفاً عن نشاطاته أثناء قيام لي هوان، وكويست سبرينغ، وبريشوس فيرتشو بمساعدة فينيكس في إنجاز بعض أعمالها أثناء فترة مرضها؛ فقد تمت إعادة إحياؤه من جديد، وتغيير اسمه إلى «بيتش فلاور كلب» (نادي زهور الخوخ). وقبل أن تبدأ العديد من اللقاءات فيه، وصلت رسالة من تشيشا تشينغ تحمل خبر عودته إلى العاصمة من مركز المحافظة. وهذان بالطبع، دفع باو-يو إلى إجراء جردة على دروسه، ونسخ ما يكفي من الخطوط لإرضاء والده وإنقاعه بأنه لم يكن خاماً ومهملاً أثناء غيابه.

عاد تشيشا تشينغ في الموعد المحدد لحفلة عيد الأم الكبيرة – في اليوم الثالث من الشهر الثامن. تم الاحتفال بالمناسبة بإسهام، ولم تتميز إلا بحضور المحظية الإمبراطورية. استمرت الاحتفالات عارمة مدة ثمانية أيام، مُنطلقة بالولائم من أجل

أمراء الإمبراطورية، ومحظومة بالعديد من الهدايا والعطاءات من قبل وكلاء أعمال وخدم القصررين. وكانت فينيكس مسؤولة عن إدارة الاحتفالات من جديد، وقد سار كل شيء على خير ما يرام في ظل إشرافها البارع.

كان في جناح الأم الكبيرة خادمة تُدعى شاتا-تشيه أو ستوبيد سيسستر (الأخت الحمقاء). كان لهذه الخادمة قدمين كبيرتين وملامح ضخمة، وكانت على درجة كبيرة من السذاجة، إن لم نقل بسيطة العقل، وعادة ما تنطق بأشياء تُضحك الأم الكبيرة لفترة من الوقت. ولهذا السبب، كانت لها معاملة خاصة، ومنحت المزيد من الحرية أكثر من غيرها من الخادمات؛ فكانت تخرج من وقت إلى آخر للهو في الحديقة في أوقات الفراغ.

في إحدى نُزُهاتها الخارجية، وبعد فترة وجيزة من الأحداث السابقة، عثرت ستوبيد سيسستر على محفظة مُطڑزة أثناء ملاحتها لبعض الحشرات وراء بعض الصخور. وبدلاً من الزينة المعتادة الشائعة من الطيور والزهور أو الشخصيات في الأزياء التقليدية، وُجد على أحد الجوانب شخصين عاريين تماماً ومحصورين معاً، كما لو أنهما يشاركان في مباراة مصارعة. ذهلت الخادمة بما وجدت وفكّرت بعرضها على الأم الكبيرة، عندما مرت مدام هسينغ في المكان.

كان من الممکن تصوّر مشاعر مدام هسينغ عندما رأت المحفظة برسم الشخصين العاريين. ولكن إذا كانت قد شعرت هي بالخزي، فما الذي ستشعر فيه مدام وانغ عندما تعلم باكتشاف هذا الشيء في تاكوان يوان، على اعتبار أنّ شؤون تاكوان يوان كانت من مسؤوليتها أكثر من مدام هسينغ.

كانت فينيكس تتحدث مع باشينس في جناحها، عندما أُعلن فجأة عن وصول مدام وانغ. كان وجه الأخيرة كالحَمْأَةِ، وما إن دخلت الغرفة حتى أشاحت بوجهها عن باشينس، واتجهت مباشرة إلى فينيكس، فأخرجت المحفظة من كُمْها ورمت بها إليها قائلة لها:

- «أنظري إلى هذا!!»

صُدِّمت فينيكس لرؤيه الرسم على المحفظة، وسألتها:

- «من أين حصلت تاي-تاي عليها؟»

أجابت مدام وانغ والرجفة في صوتها:

- «من أين حصلت عليها؟ وهل تسأليني أنا؟ لطالما كنت أقول بأنك قليلة الحذر والاهتمام، ولكن من الواضح أن هفواتك لا تزال هي نفسها. فكيف يمكن أن تكوني مهملة إلى درجة ترك هذا الشيء في الخارج؟ فقد وجدته إحدى خادمات لاو تاي-تاي، ولو أتنى لم أكن أمر في الوقت المناسب، كانت الخادمة قد أوصلته إلى سيدتها!»

دُهشت فينيكس من هذا الاتهام، وسألتها وقد بدت ملامح الاستهجان على

وجهها:

- «ما الذي جعل تاي-تاي تعتقد بأن هذا الشيء لي؟»

- «ومن يكون غيرك؟»، سألتها مدام وانغ، وتتابعت: «ففي المجتمع الداخلي، أنت ولين-يز الوحدين المتزوجين، وليس بإمكان ما لدينا هنا من خادمات صغيرات، امتلاك هذا النوع من الأشياء، أما البالغات منهنْ اعتقاد بأنهن قد يأتين بها إلى هنا. وأعتقد بأن لين-يز عديم النفع هذا، هو من حصل عليه بطريقة ما وأعطاكِ أياه. بصرامة، من المتوقع حصول شباب هذه الأيام على هذه الأشياء دون رادع، ولكن الذي استفزني هو إهمالك المتواصل. فماذا لو أن واحدة من أخواتك قد عثرت عليه؟ ومن الأسوأ، أن تتعثر عليه واحدة من الخادمات، وتنقله خارج القصر. فتصوري فقط مدى الفضيحة التي قد يتسبب فيها ذلك!»

قالت فينيكس، بعد أن ركعت أمام مدام وانغ:

- «إن طريقة تفكير تاي-تاي صحيحة تماماً، ولا ينبغي علي افتراضاً أن أعارض ما تقصده. ولكن الحقيقة الثابتة هي أنني لم يسبق لي أن امتلكت شيئاً كهذا، ولكن تأملي عميقاً في الأمر، تاي-تاي. . . حتى لو حصلت على هذا الشيء، فلن أفكر في حمله أينما حللت، وعلى الأخص إلى

الحديقة. فنحن الأخوات ندفع عادة بعضنا أثناء اللهو، أو نسحب بعضنا البعض على سبيل اللعب والتسلية. وفرصة رؤيته من قبل أخواتي ممكّنة في تلك الحالات، ومن غير الممكّن إذن أن أجازف بحمله في مثل تلك الأوقات، مهما كانت درجة إهمالي التي تصفيني بها».

ذهبت فينيكس في حديثها إلى حد الإشارة إلى أنها، ورغم كونها أكثر أعضاء يونغ كُوْفُو المُباشرين التي يمكن الشك بأمرها، فقد كان هناك الكثير من الزوار الذين يتربّدون بصورة مُستمرة على تاكوان يوان، مثل محظيات تشيه وتشيهان، اللذين كانوا بمستوى عمرها، ومن المحتمل إدخال هذا النوع من الأشياء إلى القصر.

عندما أنهت فينيكس كلامها، قالت مدام وانغ:

- «أرجو منكِ النهوض. ينبغي لي أن أعلم أنه لا يمكن أن تكوني أنتِ المسئولة، ولو لا غضبي لما شككتُ بكِ أبداً. ولكن السؤال الآن ما الذي علينا فعله حال ذلك؟»

قالت فينيكس:

- «إنَّ أهم شيء الآن، هو التكتم على الموضوع، بحيث لا يصل إلى لاوتاي-تاي. علينا فقط أن نسرّ به إلى الموثوقين من خدمتنا، ونطلب إليهم البحث في كل أقسام وأجنحة مُجمع الحديقة تحت مُختلف الذرائع، وسيكون هذا وقتاً مُناسباً بالطبع للتخلص من بعض الخدمات غير المرغوب فيها، وسنتحقق بذلك شيئاً على حد سواء: التحرّز مِمَّا قد يستجدّ مُستقبلاً من أمور مُماثلة، وكإجراء اقتصادي. فما رأي تاي-تاي بذلك؟»

- «أنتِ على حق، بالطبع»، أجبت مدام وانغ، وأضافت: «ولكنني لن أفكّر أبداً في تجريد أخواتك من خادماتهن. وكما هي الحال الآن، فكل واحدة منهن لديها اثنين أو ثلاثة من الخدمات المُعتدلات الهيئة. ويسبب صعوبة الأمور، لم نُناقِش هذه النقطة بعد. أودّ في هذا الخصوص، أن أجري بعض التضحيات الشخصية بدلاً من تجريدهن بهذه الطريقة، ولكن تابعي عملية

البحث التي اقترحتها».

وسرعان ما وصلت زوجة تشُو دجُوي مع أربع باي-فانغ آخريات تابعات لدام وانغ، وفينيكس، في الوقت نفسه، مع زوجة وانغ شان، وخادمة مدام هسينغ، التي كانت قد أحضرت المحفظة، وقد أرسلت الآن من قبل سيدتها للاستفسار عما آلت إليه الأمور بالنسبة للموضوع. وبرغبة منها لعدم استغلال خادماتها فقط، التفت مدام وانغ إليها وقالت:

- «أخبri سيدتك بأنّي أرغب في مساعدتك في هذه المسألة إذا أمكن لها أن تستغني عنكِ الآن».

اعتمدت زوجة وانغ شان دائمًا على حمل الضغينة ضدّ أفضل خدمات مجتمع الحديقة، لأنّ أكثرهن لا يعنها أيّ اهتمام، وكانت في هذه الفرصة ترغب في إثبات أهميتها، ولتسجيل النقاط على اللواتي يتصرفن معها بفظاظة على وجه الخصوص. فتنطّحت وقالت:

- «يُجدر بي عدم الكلام، ولكني أرى أنّ بعض الخادمات هُنَا يحتاجن إلى التأديب. إنّهن يتصرفن وكأنّهن سيدات وليس كخدمات. إنّهن أشبه بكتلٍ من الوضاحة التي لا تُحتمل. فلهن دائمًا طرقهن، لأنّ كل واحدة منهن تخاف من قول أي شيء، خشية أن تتحول الأمور وتُصبح الفتيات على محك الانتقاد والملامسة. وتأي-تاي لا تدري بهذه الأمور، لأنّها لا تذهب إلى أقسام مجتمع الحديقة بصورة دائمة».

- «يُمكّنني أن أتخيل ذلك تماماً»، قالت مدام وانغ وهي تهزّ برأسها بالموافقة، وتابعت: «إنّ كل ما في الأمر هو أنّ الخادمات الشخصية للشباب قد حصلن على بعض الدلال الذي أفسدهن».

ردّت زوجة وانغ شان موافقة:

- «هذا صحيح، ولكن بعضهن قد تجاوز حدود اللياقة، ولا زالت في رأسي كمثل على ذلك، تشينغ-وين [برایت دیزاین] الموجودة في غرفة باو-يو. إنّها جميلة بالفعل، ولكن المشكلة تكمن في أنها تعرف ما تفعله

تماماً، وتصرّف عليه؟ فهـي ترتدي وكـأنـها الأمـيرة هـسي شـيهـ، وتـتـصرف وكـأنـها الوحـيدةـ. إنـها سـريـعةـ الغـضـبـ وـسـليـطـةـ اللـسانـ وـمـيـالـةـ لـلـتأـبـيـ ولـلـاسـتـمـارـ فـي إـظـهـارـ بـعـضـ أـسـالـيـبـاـ الـمـشـيـنـةـ عـنـدـ أـقـلـ اـسـتـفـازــ.

ـ تـذـكـرـتـ مـداـمـ وـانـغـ عـنـدـماـ سـمعـتـ هـذـاـ الـوـصـفـ عـنـ بـراـيـتـ دـيزـاـينـ، بـمـاـ سـبقـ أـنـ لـاحـظـتـ خـادـمـتـهاـ. فـالـتـفـتـ إـلـىـ فيـنيـكـسـ وـسـأـلـتـ:

ـ «ـ لـاحـظـتـ فـيـ آخـرـ زـيـارـةـ رـافـقـتـ فـيـهاـ الـأـمـ الـكـبـيرـةـ إـلـىـ مـجـمـعـ الـحـدـيـقـةـ، فـتـاةـ ذاتـ خـصـرـ بـلـيـونـةـ الصـفـصـافـ، وـعـيـنـيـنـ تـشـبـهـانـ إـلـىـ حدـ بـعـيدـ عـيـنـاـ خـادـمـتـهاـ لـيـنـ مـايـ-مـايــ. وـسـمعـتـهاـ توـيـخـ الصـغـيرـ يـاـ-توـ. لـمـ تـعـجـبـنـيـ أـبـدـاـ، لـكـنـيـ لـمـ أـقـلـ شـيـئـاـ لـأـنـيـ لـاـ أـرـيدـ التـسـبـبـ بـأـيـ كـراـهـيـةـ أـمـامـ لـاوـ تـايـ-تـايــ. وـأـرـدـتـ أـنـ أـتـأـكـدـ مـنـ هوـيـتهاـ، إـلـاـ أـنـيـ لـمـ أـتـمـكـنـ مـنـ الـوـصـولـ إـلـيـهاـ عـنـ كـثـبــ إـنـ موـاصـفـاتـهاـ تـنـطـبـقـ عـلـىـ تـشـيـنـغـ-وـينــ»ـ.

ـ «ـ إـنـ تـشـيـنـغـ-وـينـ مـنـ أـجـمـلـ الـخـادـمـاتـ، وـهـيـ فـظـةـ نـوـعـاـ مـاـ»ـ، قـالـتـ فيـنيـكـسـ، وـتـابـعـتـ: «ـ وـوـصـفـ تـايـ-تـايـ يـنـطـبـقـ عـلـيـهاـ تـامـاماـ، وـلـكـنـيـ لـاـ أـرـغـبـ فـيـ استـحـضـارـ الـوـاقـعـةـ، وـلـاـ أـفـرـضـ بـأـنـيـ سـأـعـمـلـ عـلـىـ التـحـقـيقـ مـعـهــ»ـ.

ـ «ـ إـذـنـ، تـمـتـ تـسوـيـةـ الـمـسـائـلـةـ»ـ، قـالـتـ زـوـجـةـ وـانـغـ شـانـ، وـتـابـعـتـ بـنـبـرـةـ تـحـريـضـ: «ـ وـكـلـ مـاـ عـلـىـ تـايـ-تـايـ فـعـلـهـ اـسـتـدـعـاءـهـ وـالـتـحـقـقـ مـنـهـاـ بـنـفـسـهـاـ»ـ.

ـ قـالـتـ مـداـمـ وـانـغـ:

ـ «ـ عـنـدـماـ أـزـورـ غـرـفـةـ باـوـ-يـوـ، كـنـتـ أـرـىـ عـادـةـ كـلـ مـنـ هـسـيـ-جيـنـ وـشـيهـ-يـوـيـهــ. وـهـمـاـ لـطـيفـتـانـ، وـصـرـيـحـتـانـ وـتـمـيـزـانـ بـبـسـاطـةـ وـاضـحةــ. وـلـاـ أـرـىـ أـنـ باـوـ-يـوـ مـسـتـعـدـ لـتـأـثـيرـ فـتـاةـ مـثـلـ تـشـيـنـغـ-وـينــ. فـلـطـالـمـاـ كـرـهـتـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـفـتـيـاتــ، وـيـجـبـ أـلـاـ يـسـمـحـ بـإـفـسـادـ باـوـ-يـوــ، ثـمـ التـفـتـتـ إـلـىـ إـحدـىـ خـادـمـاتـهـاـ وـقـالـتـ: «ـ إـذـهـبـيـ وـأـتـيـ لـيـ بـواـحـدـةـ مـنـ خـادـمـاتـ باـوـ-يـوــ..ـ أـعـتـقـدـ بـأـنـ لـدـيـهـ هـسـيـ-جيـنـ وـشـيهـ-يـوـيـهــ، فـاحـضـرـيـ لـيـ شـيهـ-يـوـيـهــ، وـلـاـ تـقـولـيـ شـيـئـاـ لـهـاــ»ـ.

ـ لـمـ تـكـنـ بـرـايـتـ دـيزـاـينـ تـشـعـرـ بـالـرـاحـةـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ، فـهـاـ هـيـ صـحـتـ لـلـتـؤـ منـ قـيلـولـتـهاـ، عـنـدـماـ وـصـلـتـ خـادـمـةـ مـداـمـ وـانـغـ تـطـلـبـهـاـ هـيـ الـأـخـرـىــ. كـانـتـ دـائـمـةـ الـخـشـيـةـ

من مدام وانغ، وحاولت دائمًا أن تبدو وكأنها بعيدة عن أي شبهة خلال زياراتها إلى منزل باو-يو. كانت متفاجأة بطلبهما، لكنها كانت متأكدة من أنها لم تفعل شيئاً، وليس لديها أدنى شكوك، وخاصة منذ أن توقفت عن الإسراف في تزيين نفسها. ولكن بالنسبة إلى مدام وانغ التي كانت تشک فيها، فإن بساطة ثيابها وغياب زيتها ظهرها لها وكأنهما كانا مدروسين وليسوا طبيعيين، وهذا بالتحديد ما أغضبها وأثار استياءها. فقالت بسخرية:

- «ما هذه الهيئة التي تبدين فيها! هل تتصنعين أنت متوعكة؟ ولماذا تقومين بأنواع التصنّع هذه؟ قد تعتقدين بأنني لا أعرف شيئاً عنكِ، ولكنكِ مخطئة، ولسوف أعتني بكِ جيداً عما قريب. كيف هو باو-يو اليوم؟»

عرفت الخادمة المسكينة على الفور، أن أحداً ما قد وشى بها، ودفعها الوحيد الآن أن تُظهر بأنها ليست حميمة بالنسبة لـ باو-يو. فركعت وأجابت:

- «لم أدخل أبداً إلى غرفة باو-يو وفقاً للقواعد والتعليمات، ولا أستطيع الإخبار عن حالته كيف هي بالتحديد. ولكن لديه هناك هسي-جين وشيء يُويه، وإمكان تاي-تاي أن تستفسر منهم». .

- «تستحقين الصفع على وجهك لهذه الإجابة الورقة»، قالت مدام وانغ بنبرة حادة، وأكملت توبیخ الخادمة: «أليست لك عينين وأذنين؟ وهل أنت ميتة لكي لا تعرفي شيئاً مما يحدث؟ فما نفعك إذا كنت غير قادرة على الإجابة عن سؤال مثل هذا؟»

أجابت برأي ديزاين:

- «لقد كنت واحدة من خادمات تاي-تاي، وعندما انتقل باو-يو إلى مجمع الحديقة وخصصتني لاو تاي-تاي بالعمل لديه، قلتُ لسيدي لاو تاي-تاي بأنني لستُ رشيقه كفاية وقد لا تكون مرضي عنها في العمل، لكنها قالت لي بحزم: "لا أريدك أن تهتمي بحاجات باو-يو الشخصية، ولكن عملك الأساسي هو المراقبة أثناء الليل في الغرف الخارجية، ولا تحتاجين إلى الكثير من المهارات والذكاء للقيام بذلك". وبناء على هذا ذهبت. ومن

النادر أن يطلبني باو-يُو، وإذا ما فعل، كنت أقف أمامه وأجيب عن الأسئلة التي كان يطرحها، وهذا كل شيء. وعندما لا يكون لدى ما أفعله، أعمل على خيطة بعض الأشياء من أجل لاو تاي-تاي. أما بالنسبة إلى متطلبات باو-يُو الشخصية، فهناك المرببات والخدمات الكبيرات، بالإضافة إلى خادماته الشخصية مثل بيرثايدينغ فريغرانس، وماسك مؤون وآتون من سكاي. وهذا هو سبب عدم قدرتي على الإجابة عن أي سؤال يخص باو-يُو. وبكل الأحوال سأحرص على أن تكون أكثر انتباهاً في المرة القادمة إذا ما كانت تاي-تاي تُريد ذلك».

قالت مدام وانغ:

ـ «لا، لا تزعجي نفسك بذلك. فكلما ابتعدت عن باو-يُو أكثر، كلما كنت سعيدة أكثر. ولكن طالما أُنِّك قد عيَّنتِ لدِيه من قبل لاو تاي-تاي، فمن واجبي أن أتكلّم معها أولاً قبل التخلص منها. والآن، يمكنني الذهاب واحذرِي من أن تصرّفي كامرأة غاوية! فلا نفع لي بفتیات على شاكلتك هُنَا». في تلك الليلة، وبعد أن أوت الأم الكبيرة إلى سريرها، تقدّم فريق التفتيش إلى مجمّع الحديقة. شرعوا أولاً بالخدم الذين يُراقبون في الليل، فلم يجدوا لديهم ما يدعوا إلى التجريم سوى القليل من الشموع وجرة أو جزتين من الزيت للمصابيح، والتي كان قد أخفاها أحدهم من أجل أخذها إلى البيت لاحقاً. وهذا النوع من السرقات الصغيرة كانت غير ذي أهمية، ومتوقعة عادة في مقتنيات هذا التجمع الضخم مثل يُونغ كُوفوـ إلا أن زوجة وانغ شانـباو، وثبت من فوقها كما لو أنها قد اكتشفت جريمة عظيمة. وأصرّت على اعتبار هذه الأشياء نوع من الأدلة وبعثت إلى مدام وانغ للتصرف بذلك في اليوم التالي.

بعد ذلك انتقلوا إلى صومعة الفاوانيا (بيوني كورت) حيث كان باو-يُو يتواصى مع برايت ديزلين. دُهش بقدوم فينيكس مع هذه الحاشية من كبار المساعدين، وقد ازدادت حيرته عندما دخلوا مباشرة إلى غرف الخادمات. وعندما سأل فينيكس عن معنى هذا، قالت:

- «فقدت بعض الأشياء الثمينة ولم يعترف بها أحد، وقد قررنا تفتيش كل غرف الخادمات».

جلست فينيكس وحصلت على بعض الشاي، بينما استمرت زوجة وانغ شان-باو في عملية التفتيش. وبعد تفقد الأشياء المطروحة في أرض الغرف، أمرت كل خادمة بفتح صندوقها؛ فعلت الخادمات جميعهن ذلك دون تردد كما فعلت بيرثايدينغ فريغرانس. لكن برأيت ديزاين لم تكن موجودة من أجل فتح صندوقها، وما إن سألت زوجة وانغ شان-باو عن صاحبة هذا الصندوق الذي لم يُفتح بعد، حتى تسللت خلسة ومن دون أي كلمة، فتحت الصندوق وأفرغت محتوياته على أرض الغرفة. عند ذلك، قالت زوجة وانغ شان-باو وقد طفح وجهها غضباً:

«يجب ألا يغضبك ذلك، كُو-نيانغ. لم نأت إلى هنا من تلقاء أنفسنا، بل بأمر من تاي-تاي. وإذا كنت لا ترغبين في تفتيشك، فما عليك إلا القول، فسوف نفعل ذلك، ومن ثم تبلغ تاي-تاي. فلا يجب عليك التصرف بهذه الفظاظة».

أدى هذا الكلام إلى زيادة حنق برایت دیزاین. فقالت وهي تشير بإصبعها تجاه زوجة وانغ شان-باو:

ـ «إذن أنتِ هنا بأمرٍ من تاي-تاي. وماذا في ذلك؟ وأنا هنا أيضاً بأمرٍ من لاو تاي-تاي. وأعرفُ أيضاً جميع خادمات تاي-تاي، ولم يسبق لي بالتشريف بمعرفتك وبأنك بهذه الأهمية والتفضيل».

وقفت زوجة وانغ شان-باو صامتة تُفكّر في الرد، لكن فينيكس قالت لها:
- «إنها أقل من منزلتك، ما-ما، ولا تستحق المناقشة. فمن الأفضل الاستمرار
في مهمتك، لأن هناك العديد من الأجنحة وإذا تلگأنا هنا طويلاً، فقد تنتقل
أخبار ذلك بسرعة».

كظمت زوجة وانع شان-باو غيظها، ثم تفحصت أغراض برايت ديزاين بتمعن؛
ولم تجد شيئاً لافتاً، أبلغت فينيكس بذلك.

بعد أن غادر فريق التفتيش بـيوني كورت قالت فينيكس تكلم زوجة وانغ شان- باو:

- «لدي اقتراح أتمنى أنه ينال إعجابك. ما رأيك في أن نُفتتش فقط خادمتنا، ونبعد عن خادمات هسويه كُو-نيانغ؛ فسيبدو ذلك أمراً غير مُستساغاً».
- وافقت زوجة وانغ شان-باو من دون تردد، قائلة:
- «حسناً، سيكون ذلك بلا مُناقشة».

في جولة التفتيش التالية، وصل الفريق إلى جناح بلاك دجاييد، فوجد في غرفة بيريل كوكو بعض التذكريات من باو-يُو. فاعتقدت زوجة وانغ شان-باو بأنها قد اكتشفت شيئاً يُدينها. ولكن سرعان ما لفتها إلى هذا الخطأ.

في هذه الأثناء، علمت كويست سبرينغ بعملية التفتيش، فأعادت نفسها لاستقبال النساء والفريق. وسألت الفريق عن الهدف من القدوم، فردت فينيكس:

- «إنه بسبب فقدان بعض الأشياء؛ وتم تفتيش الأجنحة الخارجية من دون العثور على شيء. وقد اقترحنا تفتيش كل الفتيات في مجمع الحديقة أيضاً، ليس لأنهن تحت الشبهات، بل لأنها الطريقة الوحيدة لتبرأتهن».
- «لست مضطرة إلى إبداء كل هذا التهذيب معك بالنسبة لهذه المسألة»، قالت كويست سبرينغ ضاحكة، وتابعت: «ولربما قد تخرجين أيضاً وتشيعي بأن الشبهة تحوم حول كل خادماتي، وبأنني أتلقي منها المسروقات. ولهذا، أقول لك لا بأس، إبدأي أولاً بتفتيش أشيائي».

وما إن أنهت كلامها، حتى أمرت خادماتها بفتح كل صناديقها ورزمها أمام فينيكس للتفتيش. وبينما كانت باشينس تعمل على مُساعدة فوليوا في إغلاق الصناديق، قالت كويست سبرينغ:

- «تأكدوا من كل شيء قبل إقفال الصناديق لأنني لدي الوصاية الكاملة على ممتلكات خادماتي، باستثناء حاجياتهن الشخصية التي يحملنها. فإذا وجدتم أي شيء مسروق لديهن، فستجدونه بين أشيائي، وليس في غرفهن. ولهذا السبب، لن أسمح بتفتيش غرفهن؛ فأنا سيدة حازمة، وأعلم كل شيء

عنهن، وأعرف ما يملكن، وأنا مسؤولة عنهن بالكامل. ويإمكانك نقل
كلامي هذا إلى تاي-تاي، وسوف أتحمل كل النتائج المترتبة على مُخالفة
أوامرها».

وفي الحال، قالت فينيكس موافقة:

- «طالما أن كل مُمتكلات الخادمات هُنا في عهديك، فلا حاجة إلى تفتيشها».
- «تقولين لا حاجة إلى التفتيش فيها بعد أن فتحت لك كل الصناديق لرؤيتها!»، قالت كويست سبرينغ، وتتابعت: «أنا مُصرّة على تفتيشها بدقة، لأنني لن أسمع بأي تفتيش آخر، ولأنني لا أريدك أن تقولي لاحقاً بأنني قد حميتك خادماتي».
- «حسناً»، قالت فينيكس، وتتابعت ضاحكة: «لقد فتشناها جيداً ولم نجد فيها شيئاً، ثم التفت إلى المساعدات وقالت تسأل: «هذا ما حصل، أليس كذلك؟»

أجبتها المساعدات، وقد غمر كلامهن الدهاء والخبث:

- «نعم، هذا ما حصل».

ولكن زوجة وانغ شان-باو، التي تعوزها اللباقه، اختارت هذه اللحظة من أجل أن تتلاطف بنكتتها السمدجة. فقد سمعت عن كويست سبرينغ بأنها ليست بالفتاة التي يمكن العبث معها، ولكنها كانت تعتقد بأن هذا يعود إلى أن الآخرين لا يعرفون كيف يتعاملون معها؛ وانطلاقاً من حقيقة أن كويست سبرينغ قد أبدت كل ما لديها من ملاحظات إلى فينيكس. فاستنتجت أن كويست سبرينغ كانت غاضبة من فينيكس، وأنها هي نفسها والخدمات الأخريات لم يكن موضوع استياءها. ومن هنا، تقدمت من كويست سبرينغ، وفتحت لها معطفها، وقالت لها:

«أنظري! حتى أنا فتشنا كُو-نيانغ نفسها. فهناك—»

وقبل أن تنهي زوجة وانغ شان-باو ما تقول، حتى تلقت صفعه مُدوية على وجهها من كويست سبرينغ، وقالت تُخاطبها بغضب:
- «ومن أنتِ لكي تتجزأي على لمسي؟ إبني، احتراماً لستك، ولحقيقة

خدمتكِ لسنوات في ظل تاي-تاي، أحترمكِ بمناداتكِ ما-ما وأعمالك بلطف واحترام، ولكن هذا لا يعني أبداً أن تنسى نفسك وتتخطي الرسميات إلى هذه الدرجة. لقد حاولت التغاضي كثيراً عن تعجرفكِ وتصلك، إلى أن وصل بك الحد لأن تمدي يديك عليء، فإذا كنتِ تظنين بأنك قادرة على معاملتي بالطريقة التي تعاملين بها فاتنك، فأنت بالتأكيد مخطئة.

وبعد أن بدأت بفك ازرار معطفها.. التفت إلى فينيكس وقالت:

- «إذا كنتِ ترغبين في تفتيسي شخصياً، فعليكِ أنتِ أن تفعلي ذلك، ولا تتركي يد خادمة تمتد إليّ».

أسرعت كل من فينيكس وباشينس بإعادة تزوير معطف كويست سبرينغ، وخاطبنا زوجة وانغ شان-باو بصوتٍ واحد:

- «ما-ما، لا بد أنكِ شربتِ ونسيتِ نفسكِ إلى هذا الحد. فمن الأفضل لكِ مغادرة الغرفة في الحال قبل أن تتسببي بفوضى أخرى».

وفي نهاية المطاف، وبعد الكثير من الاعتذارات، استطاعت كل من فينيكس وباشينس من إقناع كويست سبرينغ بالخلود إلى النوم. بعدها، ذهب الجميع إلى جناحي كل من لي هُوان وكومباشن سبرينغ، حيث فتشن غُرف الخادمات من دون إزعاج سيداتهن.

عندما وصل فريق التفتيش إلى جناح ولكوم سبرينغ، كانت الأخيرة قد أوت إلى فراشها، وكانت الخادمات يُحضرن أنفسهن لذلك... ولهذا كانت هناك مسافة ما بين الطريق على الباب وفتحه. والآن، كانت تشيس ابنة وانغ شان-باو الكبرى، وأحسست فينيكس بالفضول لترى ما إذا كان سيجري تفتيش أشياء ابنته بالكامل كما حصل مع الخادمات الأخرى. شرع فريق التفتيش عمله على أغراض الخادمة الأخرى أولاً، ولم يجد شيئاً. وعندما جاء دور إبنة زوجة وانغ شان-باو، فأسرعت وأجرت تفتيشاً سطحياً على عجل وقالت:

- «لا يوجد أي شيء هنا».

ولكنها عندما كانت على وشك إقفال الصندوق، قالت زوجة تشوش دجوي:

- «من العدالة أن نُفتش في أغراضها جيداً كما فعلنا مع غيرها من الخادمات». وبعد أن غاصت كثيراً في التدقيق في صندوق ابنة زوجة وانغ شان-باو، عثرت على زوجي أحذية رجالية، ورسالة من ابن عم الخادمة تُشير إلى أنَّ الاثنين قد التقى في الحديقة منذ بضعة أيام خلت.

تسبب هذا الاكتشاف غير المتوقع لزوجة وانغ شان-باو بالخجل الشديد، وأوقعها في حرج لم تكن مهيئة لاحتماله. و كنتيجة لذلك، راحت تصفع وجهها وتلعن نفسها، وتقول:

- «أيتها العجوز البائسة.. أنتِ التي تعيشين من وراء الزمن. فما الذي فعلته لكي تجلبي هذا العار على نفسك؟ ولماذا لا تهتمين بشؤونك وتتركين شؤون الآخرين؟»

وبالرغم من أنَّ التفتيش قد انتهى من دون العثور على أي أدلة جرمية بحق برايت ديزاين، فقد تمت مُعاقبتها مع تشيس سوية. ولمَا كانت قد تحسنت منذ فترة وجيزة، فقد أدى ما حصل إلى تفاقم مرضها، وهي، التي كانت فخورة وحساسة إلى حد الإفراط، فقد توفيت في وقتٍ لاحق ليس بطويل.

الفصل الثالث والثلاثون

وفيه تزوج هسوبيه بان من «لبوة، هو-تونغ
وتزاوجت ولكوم سبرينغ مع «دب»، تشانغ-شان

ذهب باو-يو في أحد الأيام إلى جناح تشيما شيه لزيارة سون شاو-تسو، خطيب ولكوم سبرينغ، بناء على رغبة والديه، واقتراح تشيما شيه. كانت الأم الكبير وتشيا تشينغ يعارضان، والسبب في ذلك، أنّ عائلة سون كانت حديثة القدوم إلى المكان، وكان جدّ سون شاو-تسو قد ربط نفسه إلى تشيما تاي-شان لأنّه كان في موقع يسمح له بمساعدة في إنجاز بعض المعاملات الصعبة. ولكن لما كانت مواضيع الزواج هي هم الوالدين، لم يضغطوا كثيراً من أجل صرف النظر عن الزيارة، وهكذا تم في النهاية تحقيق الخطوبة. وكانت زيارة سان شاو-تسو الخطوة الأخيرة من إجراءات التنفيذ.

والواقع أنّ باو-يو لم يكن سون شاو-تسو يعجبه. وكانت ردّة فعله على خطوبته ولكوم سبرينغ كمن يوافق من أجل الهروب من الواقع والحقائق. فهو لم يفهم لماذا على الفتيات الجميلات الزواج والتحول إلى عبادات للرجال كأمر مُسلم به، بينما يُمكنهنّ البقاء مُتحرّرات من كل شيء، حتى من انشغال الذهن، والانغماس في اللعب وكتابة الشعر.

أوى باو-يو إلى الفراش تلك الليلة، وهو متعرّك المزاج، وشاهد الكثير من الأحلام والكتابيس. وكان بسبب ذلك يصحو وهو يُنادي باسم برايت ديزاين، أو يتغوه بكلام غير واضح ومتقطّع. وفي اليوم التالي، لم تكن لديه شهية للطعام،

وأصابته الحمى المترافقية مع حرارة عالية. كان ذلك، طبعاً، نتيجة للأحداث الأخيرة: تفتيش مجمعات الحديقة، طرد تشيس وغيرها، مغادرة ولكوم سبرينغ، وعلاوة على ذلك، إذلال وموت برايت ديزاين.

حينما حضر الطبيب، طلب من باو-يُو الانحباس في الغرفة لمدة مئة يوم. وبعد حوالي الشهر، بدأ يشعر بالتحسن الكافي لكن التضائق من الحبس في مسكنه، وحاولت الأم الكبيرة التملق لكي تدعه يخرج، ولكن بلا فائدة. ولهذا حدث أن فاته زواج هُسويه بان، وزواج ولكوم سبرينغ، واللذين حصلا خلال هذه الفترة.

وبالعودة إلى زواج هُسويه بان، فقد كانت عروسه، كاسيما، الوحيدة في عائلة هُسيما. وكانت هذه العائلة غنية على غرار عائلة هُسويه، بالإضافة إلى تشابههما في تأليف لجنة كوكلاء شراء لقصر من أجل جيل العائلة الجديد. كانت كاسيما جميلة وطيبة، لكنها كانت تُعامل بقسوة مُهينة من قبل والدتها الأرملا. فقد كانت هذه الأخيرة أنانية، وكثيرة الشك، وقاسية جداً، وتحتقر كل من هم تحت سيطرتها. وإذا ما تصدّى لها واحد بأدنى شيء، كانت تثور كالجنونة، وتبكي وتصرخ وتتشتم بحرية وكأنها قد طُبعت على هذا السلوك الرديء.

والآن وقد تزوجت، فقد تنبهت إلى أنها ستلعب دور الزوجة المتواضعة والمُطيعة. وصممت على أن تظهر بأنها سيدة نفسها، وهذا ما كانت عليه، من قبل أي من تلك الأفكار الخاطئة التي فبركها البعض عنها. لكنها لم تكن بعد قد وضعت خطتها الدقيقة والحاصلة. أمّا هُسويه بان، وهو واحد من أولئك الذين يؤمنون بتطبيقات مبدأ "ما لي هو لي، وما لك، هو لك وللي"، كان توافقاً إلى إسعاد عروسه، وجاهزاً بأن يتنازل لها، إذا ما برزت الاختلافات بينهما. ففي الشهر الأول من الزواج، كان الأخذ والعطاء بينهما متعدلاً إلى حد بعيد؛ ومع مرور الشهر الثاني، بدأ هُسويه بان يأخذ الكثير ويعطي القليل.

كان هُسويه بان مِثالاً حياً، ليس فقط عن الأقوال المقتبسة، وإنما أيضاً عن الأقوال المأثورة، مثل: "يستولي على أرض شو، وطعمه بأرض لانغ". فبعد أن أشبع رغباته من زوجته كاسيما، بدأ يصب اهتمامه على خادمتها تشاري التي كانت تفتقد

إلى الجاذبية نفسها. كانت الخادمة راغبة في ذلك، ولأنها كانت تعرف سيدتها جيداً، كانت خائفة من تشجيعه.

في هذه الأثناء، كانت كاسيا أكثر اهتماماً في تحريض هسوبيه بان ضد لوتوس، مع أن هذه الأخيرة مثالية في سلوكها، ولم تكن لديها أرضية للغيرة والحسد. ومن خلال عقلها المترعرع والكيدي، رأت كاسيا الفرصة مؤاتية لاستخدام تشاري كوسيلة ضد لوتوس. ومن أجل ذلك، لم تُحاول منع زوجها عن مغازلة خادمتها والتحرّش بها من وقت لآخر.

في إحدى الأمسيات، قبض هسوبيه لا بان على يد تشاري وهي تناوله كوباً من الشاي. تظاهرت الخادمة بأنها ترفض، وسحبت يدها، وخلال ذلك، سقط الكوب على الأرض وتحطم. وللتغطية على عمله، اتهم هسوبيه الخادمة بقلة الانتباه، فتراجع إلى الوراء تحت وطأة لومه.

عند ذلك، قالت كاسيا:

- «لا حاجة للتوضيح، لست بعمياء لكي لا أرى ما كنت بتصدّه».

انفوج وجه هسوبيه بان عن ابتسامة عريضة، بينما غادرت الخادمة إلى غرفها وقد فاض وجهها خجلاً.

بعد ذلك، وخلال فترة النوم، تظاهرت كاسيا بأنها غير مهتمة بالطريقة التي يُمضي بها زوجها ليلته، فقالت له:

- «إذهب حيث تشاق أن تكون»، ودفعته على سبيل المداعبة، وتتابعت: «فأنا لا أريدك أن تحرق قلبك في الشوق إلى الخارج».

عاود هسوبيه بان إلى بسمته إليها، بينما استمررت كاسيا تقول:

- «أفعل ما تشاء طالما أنه ليس من وراء ظهري».

ولإظهار عُرفانه بالجميل، قام هسوبيه بان بواجباته الزوجية بأفضل ما يمكن من قدرته في تلك الليلة. وفي اليوم التالي، لم يذهب خارج الغرفة بتاتاً. متأمل في فرصة لإشباع رغباته من جديد. وفي فترة ما بعد الظهر، تركته كاسيا عن قصد مع خادمتها في الغرفة. وبعد أن تركت لهما مجال من أجل الحركات التمهيدية، أرسلت

طلب خادمة صغيرة لديها، وقالت لها:

- «إذهي وأخبري لوتوس بأنني قد نسيت منديلي في الغرفة، ولتذهب إلى هناك وتحضره لي، وأكدي عليها بأنّ هذا الاقتراح قد جاء منك وليس مني أنا».

فعلت الخادمة ما أمِرت به، فقالت تطلب من لوتوس:

- «لقد نسيت ناي-ناي منديلها في الغرفة، وأنا أكيدة من أنها سُتُّسر منك إذا ما أحضرته لها».

تلقت لوتوس الاقتراح بفارغ الصبر؛ لأنّها كانت قد أخطأت من قبل ورغبت في كسب رضي سيتها. وما حدث أنّها دخلت إلى غرفة سيتها، ولكن في اللحظة التي كانت فيها الخادمة تشاري قد استسلمت بين يديّ سيتها، الذي لم يُزعج نفسه حتى في إغلاق الباب. وبسرعة، أشاحت بوجهها بعيداً واحمّرت خجلاً وعاراً.

لم يتأثر هُسُويه بان بدخول الخادمة، لأنّه كان يظن بأنّه قد حصل على موافقة ضمنية من زوجته؛ لكنّ تشاري ذُعرت لذلك وأصابها القلق الشديد، ولم تترك أي نوع من الكلام عن لوتوس إلا وتفوهت به، ولم تترك أي فرصة للأخيرة من أجل الرد بالمثل. وما لبثت أن دفعته عنها، واندفعت خارج الغرفة تدعى محاولة الاعتداء عليها.

ثمّ أنّ غضب هُسُويه بان في هذه الحال لا يمكن تخيله. فقد صبّ على لوتوس جام غضبه، ولم يترك إهانة أو شتيمة إلاً ورمها بها. وفي تلك الليلة، كانت لوتوس قد زادت من سخونة المياه في حمامه، فاتهماها بأنّها قد فعلت ذلك عن عمد لتتسبب له بالحرق في جسمه، فأهانها وضربها، وهو شيء لم يسبق له أن فعله من قبل - فقد كان سريع الغضب ومتهوراً لا سيما وأنّه كان يعامل لوتوس كابنة أكثر منها كخادمة. ومن أجل التخفيف من عذابات هُسُويه بان، قامت كاسيا بالترتيب له من أجل أن يُمضي الليلة فترة من الوقت في غرفة تشاري، وطلبت من لوتوس النوم معها في الغرفة من أجل السهر على خدمتها. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنها ترحب في إرهاق لوتوس وإذلالها؛ فقد عملت على إنهاض الخادمة من نومها سبع

أو ثمانين مرات من أجل إعداد الشاي لها، أو لتدليلك رجليها، وغير ذلك، لتأكد من أن الخادمة لن تحصل على فترة من النوم المريض. كما أنها تعمدت إيجاد الأخطاء في كل ما فعلته لها لوتوس، وادعى بأنَّ الخادمة قد قصدت إثارتها، ودفعها إلى الموت، ومن أجل ذلك، قامت لوتوس بالتقرب من هُسُويه بان إلى درجة احتكاره. وفي ذلك الوقت، بدأت كاسيا تشكو من ألم في المعدة والأطراف. استمرت هذه الأمراض المزعومة بحسب رأي الآخرين والتي فاقت قدرة التشخيص الطبي.

وفي أحد الأيام، قامت إحدى الخادمات بفتح وسادتها من أجل تغيير حشوطها، وجدت في داخلها دمية ورقية عليها يوم وساعة ولادة كاسيا مكتوبين على الدمية بسبعين أبْرَم غروزة داخل القلب والمفاصل الأربع من الأطراف. فلم تدرِّ هُسُويه ليــ ما مَاذا عليها أــن تفعل؟ أمر هُسُويه بــان بــجلد الخادمات والخدم حتى يــعترف المذنب.

قالت كاسيا:

ـ «ليس من العدل أن يُجلد الصالح مع الطالح، فعلى الأرجح هي تشاري، التي تُريد أن تتخلص مني من أجل الحلول محلّي».

وقال هُسُويه بــان:

ـ «لا، لا يمكن أن تكون هي؛ فهي لم تدخل غرفتك في الآونة الأخيرة».

ـ «ومن ثــراه يكون إذن، إلا إذا أنا كنت أــجرب السحر الأسود على نفسي».

ـ «من المــرجح أنَّ لوتوس تعرف»، قال هُسُويه بــان، وتابع: «فهي كانت تعمل على خدمتك هذه الأيام».

قالت كاسيا:

ـ «لا فائدة من استجواب أحد، إذ لن يــعترف بذلك أي من الموجودين. وأرى أنه من الأفضل نسيان الموضوع، والتصــرف كما لو أنه لم يكن. وما يــهم إن أنا مت؟ فيسمح لك ذلك الزواج بأــي واحدة ترغــب فيها، لأنــني أــعرف جــيداً أنــكم جميعــاً تــريدون التخلص منــي وإــزاحتــي منــ أمامكم!»

أنــهــت كــاســياــ كــلامــهاــ وــانــفــجــرتــ باــكــةــ بــعــنــفــ.

عقب ذلك، ومن أجل شحن زوجها، ردت كاسيا عليه بعنف وبصوت أعلى
ارتفاعاً، فقالت بنيرة تحريرية:

ـ «أولاً، أخذت خادمتى الخاصة إلى الخارج بالقوة، ودفعتني لأأخذ لتونس إلى غرفتي... ولا تُريدى أن أحقق مع تشارى لأنها ساخنة وتناسب مع غرائزك. والآن تظاهر بأنك تُعاقب لتونس؛ فأنا أعرف بما يدور في خلدك! إنك تحاول دفعي إلى حتفى، من أجل إفساح المجال لك للزواج بواحدة أجمل، وأكثر تواصلاً معك منى».

أصابت هُسُويه بي-ما ثورة من الغضب على الطريقة المُخجلة التي تصرّف بها، بالإضافة إلى اتهاماتها وتلميحاتها السخيفية؛ وكانت غاضبة من ابنها أيضاً لأنَّه يسمح لزوجته أن تصرّف بهذه الطريقة. كما أنها لم تكن لديها الوسيلة المناسبة لتحديد الشخص المسؤول عن السحر الأسود. والحقيقة التي يُمكن قولها في هذا المجال: «إذا كان الحكيم العاقل لا يستطيع تفسير التعقيبات العائلية» فمن المؤكَّد أنَّ يكون الآباء الأكثر تبصرًا عاجزين أمام التزاعات بين الإبن والزوجة ».

وفي ظلّ غضبها وعجزها، صرخت تُخاطب هُسُويه بـ:

ـ «ما الذي فعلته في التجسيد السابق لكي أستحق ولداً مثلك؟ حتى الكلب التائه في الحز ليس لديه الوقاحة التي لديك. فكيف تفعل شيء كهذا لتجعل زوجتك تتذمر وتشتكي من خادمتها وتقول بأنها قد تعرضت لمحاولة اغتصاب؟ وما الذي حدى بك إلى اتهام لوتوس؟ فأنا أعرفك؛ إنك تعمل دائمًا على هجر القديم من أجل الجديد. وطالما أنك سئمت من لوتوس، فسأشتريها إن كان هذا سيؤدي إلى إحلال السلام بينكمما».

ثم التفت إلى الخادمات، وأمرت قائلة: «فلتذهب واحدة منكن لإحضار هذا الوسيط، لتخالص من هذه الشوكة الموجودة في اللحم، والمسمار الموجود في العين. والآن، هل لنا أن نحصل على الهدوء والسلام هنا». اكتفى هسوبيه بان ياحناء رأسه لوالدته صامتاً، إلا أن كاسيا التي لم تعد تتحمل الصمت أكثر من ذلك، فقالت باكية وهي تصرخ بصوت أعلى:

- «إذا كنتِ ترغبين بشرائها، فهيا افعلي ذلك دون تردد. ليس من الضروري أن تُبدي التلميحات بإشارتك إلى شوكة في اللحم ومسمار في العين. وإلى من تلمحين بقولكِ ذلك؟ ولو أنتي كنت من النوع الغيور كما تلمحين، لما سمحت له بالحصول على خادمتني».

وهنّا، ضرب هسوبيه بان رجليه بالأرض وقال يائساً وهو يُشير إلى كاسيا:

- «توقفِي! توقفِي! لا تجعلينا أضحوكة أكثر مما تفعلين!»

رفعت كاسيا صوتها الآن أعلى، وقالت:

- «ليس لدى ما أحجل منه! فلماذا عليَ السكوت، بينما حبيبتك المفضلة تعمل على التخلص مني؟ فعللوك تُريد بيعي ووضعها هي في مكانِي؟ من ذا الذي لا يعلم بأنَ آل هسوبيه لديهم المال والتأثير ويستطيعون فعل ما يشاؤون؟ لماذا لا تحسم الأمر وتتخلص مني؟ ما الذي تتظره؟ ولكن دعني أسألك أيضاً، لو صحِّي أنني كنتُ غير مناسبة لك، فلماذا ارتديت حذائك وجريت تتنطح إلى منزلنا في المقام الأول؟»

وهكذا استمرّت ثورتها، ولكن هسوبيه بي-ما وابنها سيواجهان المزيد من هذا النوع من الغضب لو لا أنَ بريشوس فيرتشو لم تخرج في النهاية وحثّ الجميع على ترك هذه المرأة السليطة لوحدها.

كان إعلان نية هسوبيه بي-ما بشراء لوتوس، بالطبع، نوع من التهديد الذي أطلق في لحظة انفعال عفوية. ففي عائلة مثل عائلة هسوبيه، كما ألمحت إلى ذلك بريشوس فيرتشو، يمكن إعادة العبدة إلى ذويها أو تزويجها إلى رجل ذات مركز مناسب، لكن الشراء لم يكن تقليداً، ولم يكن موجوداً أصلاً. وانطلاقاً من هذا، وافقت هسوبيه

لم تكن لتوس قوية، ولما كانت عرضة لاضطرابات الدورة الشهرية، فقد أدت المعاناة والمذلة التي واجهتها، إلى تطور حالتها والتسبب لها بتوقف كامل لهذه الدورة. ففقدت الشهية على الطعام وازدادت ضعفاً يوماً بعد يوم. ولم تنفع وصفات الأطباء في إظهار أي بريق أمل من التحسن على حالتها المتدهورة.

تابعت كاسيا استكمال رسم المشهد. ولمرة أو مرتين، كان هسوبيه بان يُدعّم شجاعته بالخمر، ويشرع في محاولة منه إلى إعادة هذه المرأة إلى صوابها، وكانت، عندما يُهدّد بضربيها، تُدير ظهرها وتقول له: «هيا افعل ما تشاء!»، وعندما هددتها بالقتل، مذلت بعنقها إليه وتحدىت أن يفعل إذا كانت لديه الجرأة على فعل ذلك. وفي النهاية، جعلت منه هذه التهديدات الكلامية صغيراً ومُجرد خسبيّ، بنظرها.

كانت خطوة كاسيا التالية، تركيز اهتمامها على تشاري، التي كانت تُضاهي سيدتها إلى حد ما؛ فلم تكن ترید أن ترَد على الكلام بالكلام فحسب، بل كانت لترَد على ذلك بكلمات أكثر قوَّة وتأثيراً. وعندما استفزَت كاسيا على ضربها، فقد شرعت، بالرغم من أنها لم ترَد بالضرب، بالبكاء والصرخ حتى يسمع الجميع الجيران في المنطقة، وتُدحرج نفسها على الأرض وتُهدَّد بالانتحار، «وهي تبحث عن السكاكيَّن والمقصات في النهار، والجيال والربطات في الليل».

لم يحدث أي نوع من السلام بين الزوجين في منزل هسوبيه. وقد اعتاد هسوبيه
بان على التسلل إلى خارج المنزل عندما يشعر بأن الأوضاع لم تعد تتحمل، ولكن
لم يكن هذا الهرب ملائماً بالنسبة إلى كل من هسوبيه بي-ما أو بريشوس فيرتشو،
فلم تكونا قادرتين على فعل شيء إلا جبس نفسيهما في الغرفة والعويل. كما أنهما
لم تكونا قادرتين على حفظ أسرار هذه العائلة وتفاصيل ما يحدث فيها؛ إذ سرعان
ما أصبحت أخبار تصرفات كاسيا السيئة هذه متدولة في قصرني آل تشيما كخبيتهم
اليومي—وقد وصلت حتى إلى باو-يو وحملت الجميع على الهرّ برؤوسهم والتاؤه
اللماً وبأساً.

انتهت في هذه الأوقات فترة المئة يوم لنقاوه باو-يو، وقام بزيارة كاسيا كعادته قبل المرض. وفي تلك المناسبة، أظهرت حسن التصرف والمُعاملة الجيدة الشكلية فقط، ولو لم يكن قد سمع بأخبار تمردتها وثورتها الجامحة، لبقي على اعتقاده من أنها تلك الأخت الرصينة والمُحببة كغيرها من أخواته في تاكوان يوان. وقد استغرب طبعاً كيف يمكن لهذا الوحش البشري الذي سمع عن سلوكها السيء الكثير، أن تحول بهذه السرعة إلى هذا الحمل الوديع الهدائِ ذات المظهر الجميل.

وفي أحد الأيام، وبينما كان باو-يو في منزل مدام وانغ، حضرت لزيارتها المُربية ولكوم سبرينغ حاملة لها تحيّات سيدتها. فتكلّمت معها بخصوص استبداد واضطهاد سون شاو-تسو، واستنتجت قائلة:

- «كل ما تقدر على فعله كُو-نيانغ هو البكاء سرّاً. كم تمنى أن تُرسل تاي-تاي بطلبها، فقد تحصل من خلال ذلك على فترة راحة لبضعة أيام».

قالت مدام وانغ:

- «كنتُ أفكّر في القيام بهذا منذ بضعة أيام، لكنني لم أستطع فعل ذلك للكثير من الأسباب. حسناً، سُرّسل أحدهم لإحضارها غداً، طالما أنه سيكون يوماً محظوظاً».

حضرت ولكوم سبرينغ لزيارة تاكوان يوان في اليوم التالي. فأخبرت مدام وانغ وغيرها من أفراد العائلة بمشاكلها وأحزانها: كيف أن زوجها قد أدمَن على الشرب والقمار، وكيف أصبح على علاقات عمل وغيرها مع كل زوجات الخدم ومع الخادمات، وقالت:

- «لقد عارضته وتناوشت معه لفترة من الوقت، لكنه لم يرد إلا بشتمي، قائلاً بأنه لا مُبرّر للوقوف في وجهه سوى الغيرة القاتلة التي يُسبّبها لي الخمر... وسمعته يذكر بأنّ لا ويه يدين له بخمسة آلاف تايل. وعندما نهض وأشار إليّ وقال: "لا تتظاهري كالسيدات، لقد أخذتك من والدك مقابل المال الذي يدينه لي؛ فأنت لا شيء سوى عبدة تُباع وتُشرى، وإذا لم تُحسنني من سلوكك، فسوف أُضربك وأُحبسك في مُجمّع الخادمات"».

وبعد الانتهاء من رواية قصتها، انفجرت باكية. وما لبث أن بكى كل من حولها.
ثم حاولت مدام وانغ مواساتها قائلة:

- «لا بد أن تقدّمي أفضل ما عندك، وبقدر استطاعتك يا صغيرتي. وإذا كان عمك قد فعل ذلك، فما هو إلا مُحاولة منه لثنبي تا لاو-يه عن قبول عرض الزواج، لكنه لم يُصلح—فللعل هذا هو قدرك».

- «لا أدرى لماذا يجب أن أكون سيئة الحظ هكذا»، قالت ولكوم سبرينغ، وتتابعت باكية: «لقد تركت والدتي هذا العالم وأنا طفلة، ولم أعش أسعد سنوات عمري إلا في هذا البيت. لكنني لم أفك أبداً بأن نهايتي ستكون على هذا النحو».

وعندما سُئلت أين تحب الإقامة طوال زيارتها، قالت بأنها ترغب بغرفتها القديمة، مُضيفة:

- «بالقرب من إخواتي وأخواتي، الذين كانوا يُشاركوني أفكارياً، ولعلني لن أحصل على فرصة أخرى لقضاء لحظات هنية بعد الآن هناك».

وباختصار مدام وانغ على كلامها هذا بالقول:

- «لا تتفوهي بهذه السخافات. فالشجرات والمُشاحنات ما بين الزوجين الشابين شائعة وليس بغريبة. وعليك ألا تتأسي وتقهقر ب بهذه السرعة». بعد ذلك، أمرت مدام وانغ بإعداد جناح بروكайд تشامبر (غرفة الزركشة)، وأبلغت باو-يو بأن لا يذكر أي شيء عما حصل أمام الأم الكبيرة، لكي لا تشعر بأي أسى.

أمضت ولكوم سبرينغ ثلاثة أيام من اللقاء السعيد مع السيدات الصغيرات والخدمات الأخرى، ثم انتقلت إلى القصر الآخر، حيث أمضت يومين مع مدام هسينغ، في الوقت الذي أرسلت فيه عائلة سون لإحضارها. كانت ترغب في تمضية وقت أطول في هذا الجانب، لكنها لم تكن تجرؤ على الإفصاح عن ذلك، خشية أن تُعاود زوجها نوبة جديدة من جنون الغضب.

الفصل الرابع والثلاثون

وفيه تشعر بلاك دجاييد باليأس بالرغم من وجود الأمل
وتعود إلى العواطف من جديد بالرغم من ضياع كل شيء

لم يذهب باو-يو إلى المدرسة لستين أو ثلثاً، بسبب تكرار أزماته الصحية من جهة، وبسبب سفريات تشييا تشينغ المتواصلة لأعمال تخصّ المحافظة، بينما كانت الأم الكبيرة، خلال كل تلك الفترات جاهزة من أجل تسليته والترويح عنه. ولكن باو-يو الآن في السابعة عشرة، وعليه أن يُعدّ نفسه جيداً من أجل الامتحانات. وبناء عليه، وبعد التشاور مع الأم الكبيرة ومدام وانغ، قرر تشييا تشينغ إعادة باو-يو إلى مدرسة العائلة. وقد عمل هو شخصياً على أخذ باو-يو إلى تشييا تاي-جو ومارس ضغوطه عليه لكي يكون قاسياً وحازماً مع ولده وحثّه ولو بالقوة على تحصيل دروسه.

كان جناح بيوني كورت (صومعة الفاواني) صامتاً هادئاً من دون باو-يو. في أحد الأيام، كانت بيرثايدينغ فريغرانس جالسة لوحدها مع مطرزاتها، وغارقة في أفكارها؛ كان غياب باو-يو نعمة في حد ذاته. فلو أنه كان في المدرسة طوال هذا الوقت، لما كانت الخادمات قد انشغلت معه إلى هذا الحد، ولكن هناك القليل من التعقيدات. ولما كانت برايت ديزلين قد استاءت وأسرعت إلى حتفها. ثم عادت بيرثايدينغ فريغرانس إلى نفسها؛ فهي في النهاية ترغب في أن تكون مجرّد محظية أو خليلة لـ باو-يو. لكن مُستقبلها يعتمد إلى درجة كبيرة على شخصية زوجة باو-يو المستقبليّة. فإذا كانت سيدة المستقبل هذه لطيفة وكريمة، فسوف تتأمل بيرثايدينغ

فريغرانس حياة سعيدة. وإذا لم تكن كذلك، فإنّ مصيرها سيكون إلى حدّ بعيد أشبه بمصير يوّير-تشيه أو لوتوس.

فمن تكون زوجة باو-يو؟ لقد بدا من الأحاديث التي كانت تجري ما بين الأم الكبيرة ومدام وانغ، بأنّ بلاك دجاييد قد تكون هي الخيار الحتمي. وأيّ نوع من السيدات قد تكون؟ وعند هذه الفكرة، بدا قلبها يخفق بشكل أسرع، وفار وجهها أحمراراً. وسوف تذهب إلى بلاك دجاييد وتستطلع رأيها.

كانت بلاك دجاييد ودية في لقائهما مع بيرثايدينغ فريغرانس؛ فقد ألقت جانبها الكتاب الذي كانت تطالعه، وطلبت من ضيفتها الجلوس. وبعد أن أحضرت بيرثايدينغ كوكو الشاي، شرعتا بالحديث في مختلف المواضيع. وسرعان ما تطرّق حديثهما إلى لوتوس ويوّير-تشيه. قالت بيرثايدينغ فريغرانس:

- «المسكينة لوتوس تستحق سيدة أفضل. يا له من قدر بائس أصحابها! لطالما قلت لها بأنّ سيدتها أسوأ من الصورة التي تبدو عليها».

وهنا، رفعت بيرثايدينغ فريغرانس إصبعين في يدها للإشارة إلى فينيكس،⁽¹⁾ كما لو أنها لا ترغب في ذكر الإسم أمام الخادمات.

وفي الحال، دخلت خادمة عجوز وفي يدها جرة من شراب الـ «ليتشي»⁽²⁾ المحفوظ من بريشوس فيرتشو. وقفـت العجوز تنظر إلى بلاك دجاييد لفترة، ثمّ قالت: - «لا عجب في أن تقول سيدتنا تاي-تاي دائمًا بأنّ هذه الجميلة وباؤ-بو سيشكلان ثنائيًا كاملاً ورائعاً. لم أر في حياتي أبداً أجمل من هذه الشابة على الإطلاق».

بعد انتصارها، غرقت بلاك دجاييد في أفكارها هي الأخرى. وكانت تعلم

(1) كان تشيا لين، زوجها، ير-يه أو «السيد الشاب رقم اثنين».

(2) هو شراب جنسي حلو الطعم ولذيد، مصنوع من عصير تمرة الـ «ليتشي» وهي واحدة من الفواكه الصينية الصيفية الشائعة، والتي تحتوي على قائمة طويلة من المواد الغذائية الأساسية مثل الأوليغونول والفيتامينات والمعادن ...

بأنَّ باو-يو يُحبها أكثر من أيٍ واحدة أخرى، وكانت مُتأكدة من هذا؛ إلَّا أنَّ كلَّ من الأم الكبيرة ومدام وانغ، لم تُشيرَا أبداً إلى أفضليتها كزوجته المستقبلية. وتمتنَّ بأن يكون والديها، قد عملا على حسم المسألة بهذا الخصوص قبل وفاتهما. وأقنعت نفسها أيضاً، في لو أنهما قد خطباها لعائلة أخرى، لما تعرَّفت إلى باو-يو من الأساس. ولكنَّ كان لديها الآن أملاً في ذلك تُعزِّي به نفسها على الأقل.

غرقت في نومٍ عميق وهي تُفكِّر في تلك الأشياء، وحلمت أنَّ تُشيا يُو-تسون قد حضر لأخذها إلى البيت من أجل الزواج.

وعندما تساءلت عن معنى هذا الحلم، حضرت مدام وانغ وغيرها من أجل تهنتها، قائلين لها بأنَّ والدها -الذي بدا في منامها بأنَّه لا يزال على قيد الحياة- قد تزوج من جديد، وأنَّ زوجة أبيها قد خطبتها إلى أحد أقاربيها. لكنَّ بلاك دجايـد احتجـت على ذلك واعتبرـته مُغـايـراً للـحـقـيقـةـ، غيرـ أنَّـ الجـمـيعـ كانواـ يـضـحـكـونـ ويـقـولـونـ لهاـ بـأـنـهـاـ سـتـرـىـ ذـلـكـ عـاجـلـاًـ أمـ آـجـلـاًـ.

بعد ذلك ذهبت إلى جناح الأم الكبيرة. وهنا، على الأقل، كما فكرت، يوجد الشخص الذي يستمع بصدقٍ إلى مناشدتها. فركعت أمام جدتها وأخبرتها بأنَّها لا تُريد مفارقتها، وأنَّها ترغب في البقاء إلى جوارها طوال حياتها. بدت الأم الكبيرة غير مُكتـرـثـةـ؛ فقالـتـ لهاـ بـأـنـهـاـ عـاجـزـةـ عـنـ مـعـ ذـلـكـ، وـأـنـ الفتـاةـ لـاـ بـدـ مـنـ أـنـ تـزـوـجـ عـاجـلـاًـ أوـ آـجـلـاًـ. لكنـ، بلاـكـ دـجـايـدـ التـيـ كـانـتـ لـاـ تـتوـقـعـ الـبـقاءـ فـيـ يـؤـنـغـ كـوـفـوـ إـلـىـ ماـ لـاـ نـهـاـيـةـ، قـالـتـ مـتـوـسـلـةـ:

- «دعيني إذن أكون عبدتك؛ فسأخدمك بإخلاص، وأعكف على راحتك، ولن أكون عبـناـ عـلـيـكـ، ولكنـ لاـ تـدـعـيـهـمـ يـأـخـذـونـيـ بـعـدـأـ».

أما الأم الكبيرة التي كانت أشهـبـهـ بالضمـاءـ لـسـمـاعـ توـسـلاتـهاـ، قـالـتـ لـإـحدـيـ خـادـمـاتـهاـ:

- «أعـيـديـ كـوـفـوـ نـيـانـغـ إـلـىـ جـنـاحـهـاـ، فـهـيـ تـرـهـقـنـيـ بـتـوـسـلاتـهـاـ».

ولـمـ شـعـرـتـ بلاـكـ دـجـايـدـ بـعـدـ جـدـوىـ المـزـيدـ مـنـ التـوـسـلاتـ، غـادـرـتـ غـرـفـةـ الأمـ الكـبـيرـةـ، آـسـفـةـ عـلـىـ مـصـيرـهـاـ؛ أـعـلـنـتـ لـنـفـسـهـاـ أـنـ كـلـ العـطـفـ وـالـمـوـدـةـ التـيـ قدـ لـقـيـتـهـاـ

من أقاربها كانت خاطئة. وفكّرت بأنها قد تقتل نفسها؛ ثُمَّ خطر على بالها بأنّها لم تعد ترى باو-يو منذ فترة في الجوار، ولعله هو الوحيد القادر الآن على فعل شيء لمساعدتها.

لم تمض فترة طويلة على التفكير بهذا، حتّى ظهر باو-يو من جديد. ولكنه هو الآخر كان غير مُبال؛ فقد أجاب وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

- «تهانِي الحارة، ماي-ماي!»

نسّيت بلاك دجايدي في خُضمِ يأسها الكبير، تواضعها، فأخذت يدَّ باو-يو وقالت وهي تقترب منه:

- «الآن، قد أثبتت لي بأنّك غشاش. كيف أمكنك أن تقول شيء كهذا، إذا كنت تُحبّني حقاً؟»

- «لم أكن غشّاشاً أبداً»، أجابها باو-يو، وتابع يشكّو: «ولكن ما الذي على فعله إذا كان والدك سيزوجانك إلى شخص آخر؟»

قالت بلاك دجايدي بيسأن:

- «ولكتني لا أريد الذهاب».

- «في تلك الحالة، بإمكانكِ البقاء هنا»، قال باو-يو، وأضاف مؤكداً: «لقد كنتِ في الأصل مخطوبة لي، ولهذا السبب أتيت إلى هنا للبقاء منذ البداية». وبدأ لها في تلك اللحظة، أنها لا بد مخطوبة إلى باو-يو منذ زمن طويل. وقد غمرتها السعادة لتأكدها من هذا الآن. قالت تُخاطب باو-يو بنبرة جدّ:

- «لقد اتخذت قراري بأنني سأفضل الموت على أن أغادر هذا المكان. ولكن أخبرني أنت، هل تُريد بقائي هنا، أم تريدينني أن أذهب؟»

- «بالطبع أرغب في بقائك. وسأريك قلبِي».

وما إن انتهتِ من الكلام، حتّى تناول سكينا حاداً وطعن بها صدره. ارتعبت بلاك دجايدي لهول ما ترى، ووضعت يدها على الجرح لوقف نزيف الدم، وصرخت:

- «كيف أمكنك أن تفعل ذلك؟ كان عليك قتلي أولاً!»

- «لا تخافي، سأريك قلبي».

ثم أقحم يده في صدره وهو ينش كالباحث عن شيء. بينما كانت هي تصرخ وتحاول منعه.

ثم قال باو-يو متسائلاً:

- «أوه، لقد أضعت قلبي! ولا بد من أنني سأموت الآن!»

وعلى الفور، استدارت عيناه إلى أعلى، وسقط إلى الخلف محدثاً جلبة قوية. بينما سقطت هي بعد أن انفجرت في عاصفة من البكاء والصرخ، ولم تشعر إلا وهي تسمع بيريل كوكو تناديها وتدعوها للاستيقاظ.

كان الحلم غريباً وحقيقةً إلى درجة أنها لم تزل حتى اللحظة تتربع وتغرق عينيها بالدموع. نهضت من فراشها، وخلعت ملابسها، وأوْت إلى فراشها، ولكنها، ولفترة طويلة، لم يغمض لها جفن، وقد أصابها السعال طوال الليل. وفي صباح اليوم التالي، حينما أخرجت بيريل كوكو الجرة لغسلها، أطلقت صرخة لا إرادية، لأنها عثرت فيها على بعض البقع من الدم. وعندما سألتها بلاك دجايدي عما حصل، خشيَت من قول الحقيقة، وقالت بأنها كادت أن تسقط الجرة من يدها إلى الأرض. لكن هذه الإجابة لم تخدع بلاك دجايدي؛ وفكَّرت بأنها كانت قد لاحظت الطعم المالح في حنجرتها-عندما عادت بيريل كوكو إلى الغرفة، لاحظت بأنها كانت لا تزال تبكي. كانت بلاك دجايدي متأكدة من أنها قد بصقت دماً؛ وتَأكَّدت أيضاً، وللمرة الأولى، من أنها في حالة مرضية خطيرة.

وسرعان ما علم كل من في مجمع العدالة بمرضها. وأرسلت كويست سبرينغ إحدى خادماتها لدعوة بلاك دجايدي للانضمام إليها مع ريشر ميست إلى جناح كومباشن سبرينغ لثريهما اللوحات التي كانت تعمل عليها من أجل تاكوان يوان، وكانت بذلك الأولى التي علمت بمرضها. وعلى الفور، ذهبت لرؤيه بلاك دجايدي وأبلغت الأم الكبيرة بالأمر لاحقاً. وعندما ذهبت بيرثايدينغ فريغوانس إلى بامبو ريتريت (معزل الخيزران)، وعلمت من بيريل كوكو بكتابوس بلاك دجايدي، أخبرت الأخيرة بأنَّ باو-يو قد استيقظ تلك الليلة وهو يُعاني من ألمٍ شديدٍ في صدره.

بعد مرور بضعة أيام، اغتنمت الأم الكبيرة الفرصة لتحدث مع ولدها تشيما تشينغ بموضوع دراسة باو-يو. وكالعادة، وجه تشيما تشينغ انتقاداته إلى إنجازات ولده الدراسية، بينما عملت الأم الكبيرة على تقديرها وتعظيمها. وقالت لولدها توبixe:

- «إنك عديم الصبر! ولكن عليك أن تذكري دائمًا أن ملعقة واحدة من الطعام، لن تجعل من الطفل سميناً. وبالمناسبة، أرى أن الوقت قد حان من أجل الإعداد لخطوبته. وأريدك أن تفتح أذنيك جيداً وتختر فتاة جيدة له. وأنا شخصياً لا يهمني ما إذا كانت من إحدى عائلاتنا أو من غيرها، ولا يهمني إن كانت غنية أم فقيرة. ولكن المهم أن تكون الفتاة حلوة الطلة، عذبة الكلام، وليس قبيحة».

وهكذا، كانت الأم الكبيرة مُفتتحة العقل بخصوص زوجة باو-يو المستقبلية؛ فقد كانت تُفكِّر فيها فقط من ناحية الشروط والصفات العامة، من دون الإشارة إلى أيٍ من الترشيحات والتفضيلات المُحددة. وكانت قد ألمحت في مثل هذه الملاحظات العرضية على أنها «ستجعل منهما ثائتاً لطيفاً ومتكاملاً»، قاصدة بذلك باو-يو وبلاك دجايid. ولكنها سرعان ما أطلقت ملاحظاتها المُشابهة بالنسبة إلى بريشوس فيرتشو وغيرها.

اقتصر أحد مُساعدي تشيما تشينغ ابنه إحدى عائلات تشيما البارزة، والتي ترتبط بـ مدام هسينغ عن طريق القرابة بعيدة. وعندما سألت الأم الكبيرة هذه الأخيرة عن تلك الإبنة، فقالت بأن الفتاة هي الوحيدة وأن والديها يتوقعان من صهرهما الانتقال للعيش معهما. كانت هذه الإجابة خارجة عن الموضوع بالطبع، لأنّ باو-يو، وكما أشارت الأم الكبيرة، يحتاج إلى من يرعاه ويهتم به؛ فهو ليس بالشخص الذي سيعمل على الاهتمام بشؤون عائلة أخرى.

وخلال المناقشات التي تطرقت إلى موضوع زواج باو-يو، اقترحت فينيكس بأن تكون بريشوس فيرتشو «لأنها الأكثر ملائمة لذلك». وقالت بهذا الخصوص:

- «أبحث في مكان آخر ، بينما قضت السماء بوجود ما نطلبه بيننا؟»، ولما سُئلت عن التوضيح، قالت: «هل غاب عن بال لاو تاي-تاي موضوع حجر

البِشَّامِيُّونَ وَالْمُطْوَقُونَ الْذَّهَبِيُّونَ، وَمَا الَّذِي تَمَّ تَوْقِعَهُ عَنْهُمَا؟ فَعَائِلَاتُنَا فِي الْأَصْلِ
مُتَرَابِطَةٌ؛ وَهَذَا الزَّوْجُ سَيُضَيِّفُ رِبَاطًا إِضافِيًّا فِي مَا بَيْنَنَا». شَعَرَتِ الْأُمَّ الْكَبِيرَةُ بِالْغَبْطَةِ بِهَذَا الاقتَراحِ، وَأَخْبَرَتِ مَدَامَ وَانْجَ وَفِينِيكسَ لِإِعْلَامِ
هُسْوِيَّهِ بِي-ما، عِنْدَ أَقْرَبِ فَرْصَةٍ.

ولكن، في هذا الوقت، علمت سُنُو داك بأمر عرض الزواج هذا من فوليyo، خادمة كويست سبرينغ الرئيسة. فاستدعت بيريل كُوكو جانباً وأخبرتها بالأمر. وكان الجميع قد سمع عن بلاك دجايده، التي كانت تُصارع مرضها بياس من أجل البقاء، بأنها عزمت على إهمال مرضها، وبذلك ستضع حدّاً مبكراً لحياتها التعيسة. وبعد أن أُصيّرت بيريل كُوكو بالذعر بسبب تدهور سيدتها، هرعت هذه الأخيرة على عجل لإبلاغ الأم الكبيرة بذلك.

بدأت سُنُّ داك، التي بقيت وحيدة مع سيدتها شبه الغائبة عن الوعي، بالشعور بالخوف الشديد، وتمتنَّت عودة بيربل كُوكو السريعة، عندما وصلت فوليyo في إحدى المأموريات. وبما أنها كانت تعتقد بأنَّ بلاك دجايid غير واعية بالكامل، سألت فوليyo ما إذا كان خبر عرض الزواج الذي شاع بخصوصها باو-يو صحيحاً.

قالت فوليyo:

«نعم، إنَّ هذا صحيح جدًا، لكنَّ هذا الاقتراح قد سقط بسبب مُعارضته لاو-
تاي-تاي. وسمعتُ بأنَّ لديها فتاة من أجل باو-يو ولكنَّها لم تذكر شيئاً
عنها. والفتاة ترتبط بعائلتنا، وتعيشُ هنا في مُجمَع الحديقة. ورغبت السيدة
الكبيرة في إضافة رباط جديد إضافي إلى الرباط الحالى».

قالت سُنْهُ دَكٌّ وَهِيَ تُشَيرُ إِلَى سِيَدِهَا:

- «وفي هذه الحالة، فإن تلك الفتاة تموت عبئاً!»

سألتها فوليو:

- «ما الذي تقصدينه؟»

- «أنت لا تعلمين، بالطبع، ولكن كُو-نيانغ سمعتني بكل وضوح أخبر بيرفابدينغ فريغرانس عن عرض الزواج.

ومنذ ذلك الحين، راح القلق يُصيّبها كل يوم، حتى أصبحت الآن أقرب إلى الموت من أي وقت مضى.»

- «إذن، دعينا نتحدث بهدوء، فلعلّها تسمعنا الآن.»

- «لا، لن تستطيع سمعتنا، فهي فاقدة للوعي. وأخشى من أن لا يطول ذلك الآن.»

عند هذه النقطة، عادت بيريل كُوكو ووبختهما، قائلة:

- «انتما الاثنين، عليكم ألا تتحدثان هُنا. أتخشيان من أنها لن تموت في القريب العاجل؟ أخرجوا من هنا إذا كتما مُصرّتين على الحديث.»

لم تكن بلاك دجاييد غائبة عن الوعي أو نائمة. فقد شعرت بالتحسن عندما سمعت بأن عرض الزواج قد سقط. وعندما سمعت بأن هذه العروس المتوقعة تعيش هُنا في الحديقة، وأن الارتباط مع باو-يو سيُضيف رباطاً آخر للعائلتين، وكانت متأكدة من أن هذه العروس هي نفسها. وقد شعرت بالتحسن، وبدت أكثر حيوية في الوقت الذي وصلت فيه الأم الكبيرة، ومدام وانغ وغيرهما. فقالت فينيكس لـ بيريل كُوكو:

- «لماذا أربعتنا بهذه الطريقة؟ فحالة سيدتك ليست بنصف الخطورة التي أخبرتنا عنها.»

قالت الخادمة:

- «لكتها لم تكن كذلك عندما تركتها. لقد كانت ذات شكل مُرعب حينها، وإنما كنت أفلقت الأم الكبيرة. ومن الغريب أنها قد تغيرت كلياً في هذه الفترة القصيرة.»

قالت الأم الكبيرة:

- «لا توبخها، فهي تفتقر إلى الخبرة. ومن الأفضل لها أن تكون على الجانب السليم.»

أصبح مرض وتحسن بلاك دجاييد السريع، خبراً شائعاً في أوساط العائلتين ولم يُشكّك بصحّته أحد. وقد تأكّدت الأم الكبيرة من سبب ذلك من بعد اطلاعها على

الظروف المُحيطة ببداية هذا المرض. وفي أحد الأيام، وبينما كانت تتحدث مع كل من مدام وانغ، ومدام هسينج وفينيكس، قالت لهن:

- «لم يزل باو-يو ولين يا-تو يعيشان معاً منذ الطفولة. كنتُ أنظر إليهما دائمًا كطفلين، ولم يخطر بيالي أبدًا أنه يمكن حدوث أي شيء بينهما أبدًا. ولكنني بدأتُ أفكّر الآن بأنّ نوبات لين يا-تو المرضية المفاجأة، قد يكون لها علاقة بما يُشعّران به تجاه بعضهما البعض. وأرى أنه من غير الحكمة عيشهما قريين في مُجتمع الحديقة؛ فما هو رأيك بذلك؟»

قالت مدام وانغ:

- «قد تكون لاو تاي-تاي على حق، ولكن قد يؤدي انتقال أحدهما المفاجئ إلى خارج الحديقة، إلى انتشار الاشاعات والتآويلات... وأرى أنّ الحل الأفضل هو الزواج».

صمتت الأم الكبيرة للحظات قبل أن تقول:

- «تصف لين يا-تو بالكثير من المُميزات الحسنة، ولكن في داخلها نزعة مُنحرفة. وعدا عن ذلك، فهي سقيمة، وأخشى من أنها قد لا تعيش طويلاً. وأنا أميل إلى القول بأنّ باو يا-تو هي الأفضل والأنسّب».

- «وهذا ما نُفكّر فيه جمِيعاً»، قالت مدام وانغ موافقة، وأكملت: «ولكن لا بد من الاهتمام بوضع لين تا-يو أيضًا. وهي الآن أكبر من أن تُفكّر في هذا النوع من الأشياء؛ فلربما لديها ميل إلى باو-يو، كما ذكرت لاو تاي-تاي. وإذا كانت هذه هي الحالة، فأعتقد أن خطوبته من باو يا-تو قد يؤدي إلى إنتاج وضعاً دقيقاً».

- «إنّ خطوبتها ستجري عقب خطوبه باو-يو مُباشرة»، قالت الأم الكبيرة، واستمررت: «نعم هي أكبر بستين، وأنتِ على حق في أنها حقيقة مشاعرها؛ علينا أن نُخفي هذه الأخبار عنها في الوقت الحاضر».

عند هذا، التفتت فينيكس إلى الخادمات وقالت:

- «هل سمعتن ما قالته لاو تاي-تاي للتو؟ لا أريد تسريب أي حرف عن

خطوبة باو-يُو إلى أيّ كان. وإذا ما علمنا بأيّ تسريب، فسوف تتحملن المسؤولية الكاملة».

وهكذا كان؛ فقد صحمت الأم الكبيرة على بريشوس فيرتشو، بنفس الوقت الذي كانت فيه بلاك دجايدي تظن نفسها سعيدة، وبأنّها هي زوجة باو-يُو المستقبلية، والذي بدأت تميل إليه أكثر.

الفصل الخامس والثلاثون

وفيه يُعتبر إزهار نبتة البيغونيا قبل أوانها دليل
على الفأل السيء
واختفاء حجر اليشم من باو-يو يؤدي إلى
فقدانه لصوابه

سمعت بلاك دجاييد في أحد الأيام، حديثاً مثيراً، في تاكوان يوان. وتم إرسال بيريل كوكو إلى الخارج للتحقق من أن شجر البيغونيا^(١) في صومعة الفاوانيا (بايوني كورت) قد بدأت تُزهر قبل أوانها. وكان باو-يو قد لاحظ في اليوم السابق ظهور البراعم على الأغصان بكثرة، ولكن لم يهتم أحد كان يقوله، لا سيما وأن ذلك يحدث في غير موسمها السنوي. والآن، لم يُعد هناك من شك حول الموضوع؛ فقد امتلأت الأشجار بالأزهار اللامعة على مرأى الجميع. وأوضحت بيريل كوكو أيضاً من أن صومعة الفاوانيا قد نُظمت وأُعدت بشكل كبير مع ترقب وصول الأم الكبيرة إليها.

عندما وصلت بلاك دجاييد إلى جناح باو-يو، كانت الأم الكبيرة قد وصلت فعلاً إلى هناك، بالإضافة إلى مدام وانغ ومدام هسينغ. كانت الأم الكبيرة تعمل على التخفيف من أهمية وغرابة هذه الظاهرة غير الطبيعية أمامهم بالقول:

(١) هي نبتة شجرية تحمل زهور وردية كبيرة، وأوراق باللون الأرجواني البرونزي وتوجد في الحدائق العامة، ومن حول القبائل والقصور.

- «يُزهِر شجر البيغونيا في الربيع عادة، ومن المعروف إنَّه قد يفتح أيضًا موجات الحر التي قد تقع في الخريف. ومع أنَّنا الآن في الشهر الحادي عشر من السنة، فهو بحرارة الشهر العاشر تماماً، والذي لا يختلف أيضاً عن الثالث - وهو موسم تفتح أشجار البيغونيا».

حاولت مدام وانغ أن تبدو متوافقة مع رأي الأم الكبيرة، بينما ألحت لي هوان على أنَّه قد يكون علامه على وقوع حادث غير سعيد في حياة باو-يو. لكنَّ كويست سبرينغ لم تقبل هذه التفسيرات المُتشائمة؛ فهي لم تُبدِ رأيها، لكنَّها قالت في نفسها: لا يُمكن أن يكون هذا نذير بالفَلَل الحسن، لأنَّ ما يتبع طُرق السماء يزدهر، وما يعارضها يندثر؛ فهذه الظاهرة الطبيعية التي نشهدها الآن، ما هي إلا نذير بأنَّ عَزَّ وثروة العائلة أصبحا على طريق الانحدار.

شعرت بلاك دجاييد بالسعادة لتفسير لي هوان، واقتنعت بأنَّ أي حادث سعيد يطأ على حياة باو-يو سيكون لها أيضاً.

وفي هذا الوقت، حضر المشهد أيضاً كل من تشيشا شيه وتتشيا تشينغ؛ فقال الأول بأنَّ بعض الأرواح الخبيثة تقف من وراء هذه الظاهرة الغريبة، ولتجنب شرها، لا بد من قطع هذه الأشجار في الحال. أمَّا تشيشا تشاينغ، فقد أخذ بتعاليم كونفوشيوس التي تقول بأنَّ تجريد الأرواح الشريرة من قواها وشلَّها عن التأثير، يمكن في تجاهلها. لم تشعر الأم الكبيرة بالسعادة تجاه هذين الرأيين غير المُريحين، وقالت:

- «لا تعمقان كثيراً في الحديث عن بشائر ونذر الشر. فإذا ما كانت نُذر خير، فجميعكم شركاء فيه؛ وإذا كانت نُذر شر، فدعوني أحمله لوحدي».

عند البدء بتغيير ملابسه لاستقبال الأم الكبيرة، نسي باو-يو وضع قلادة حجر اليشم من جديد في عنقه. وعندما لاحظت بير فأيدينغ فريفرانس ذلك وسألته عنه، قال بأنَّه قد يكون نسيه على الكانغ. وعلى الفور ذهبت الخادمة تبحث عنه، لكنَّها لم تجده؛ فقال لها باو-يو:

- «يجوز أن تكون ماسك مُؤون أو غيرها من الخدمات قد خبأوه على سبيل المزاح».

ولمّا نفت الخدمات علمهنّ به، بدأت بيرثا يدينغ فريغرانس حملة تفتيش واسعة عنه في جناح باو-يو، وفي كافة الأجنحة التي يُمكن أن يكون قد زارها طوال اليوم. ولكن لا جدوى من كل ذلك. وبعد مرور بضعة أيام، أمل الجميع في حلّ سريع لاختفاء قلادة الحجر الكريم، الذي وصلت أخباره إلى الجميع باستثناء الأم الكبيرة، التي لم يرحب أحد في تكدير أوقاتها وإقلالها.

بدا باو-يو فاتر الحركة ومنشغل عقب هذه الخسارة، لكن مدام وانغ اعتبرت ذلك طبيعياً وبخاصة أنه قد ارتدى هذه القلادة طوال حياته، عدا عن أنها لديها مشاغلها الأخرى التي تُشغل بها أفكارها. وفي تلك المرحلة، كان أخوها قد عُين في أحد المراكز الوزارية، وكان في طريقه إلى العاصمة، وكانت تطلع إلى عودة الاجتماع به بفارغ الصبر. أضف إلى ذلك، وفاة محظيّة الإمبراطور المُفاجأة، ومُداومة مدام وانغ مع الأم الكبيرة على حضور مراسم الدفن واستقبالات العزاء.

وفي هذه الفترة أيضاً، حدث تغيير لافت في حالة باو-يو؛ كان يبدو طبيعياً بالشكل، ولكنه كان يتصرف كمن فقد عقله. وبدأ باتباع نصائح واقتراحات بيرثا يدينغ فريغرانس؛ أما ما عدا ذلك، فقد كان لا يقدر على شيء إلا الأكل والنوم أو التحديق عالياً إلى الفضاء. كانت الخادمة متأكدة من أنه ليس مُحبطاً بسبب فقدانه للقلادة وحسب، وإنما يعاني من المرض الشديد. ومن أجل التخفيف عنه، ذهبت بيرثا يدينغ فريغرانس إلى بلاك دجاييد تطلب منها المساعدة في الترويح عن باو-يو وتسلية، لكنّها رفضت بالقول أنها ستتزوج قريباً من باو-يو، وعليها تجنبه الآن من أجل عدم إثارة الشائعات. كما أنه كان من الصعب على بريشوس فيريتشو القدوم إليه، لأنّها كانت قد أخبرت بقدوم فترة خطوبتها منه. وبالنسبة إلى هُسويه بي-ما فقد كانت تزوره من وقت إلى آخر، لكنّها كانت هي أيضاً مشغولة لأنّ هُسويه بي-ما كان في هذا الوقت يقبع في السجن لاتهامه بجريمة قتل، فكانت في حالة انشغال لترتيب موضوع الدفاع.

بعد الانتهاء من مراسم تشيع محظيّة الإمبراطور، ذهبت الأم الكبيرة إلى صومعة الفاواني لزيارة باو-يو. شعرت بالارتياح لرؤيتها صاحياً ويتحرك ويبدو

أفضل، ولكنها لاحظت أنه حالياً يعمل على تنفيذ تلقينات بيرفاديونغ فريغرانس.
قالت الأم الكبيرة:

- «عندما جئت في المرة الأولى، لم أشعر بأي شيء غريب، ولكنني الآن
الاحظ الآن بأنه مريض جداً. أخبريني، كم مر عليه من الوقت وهو على
هذه الحال؟»

بعد تأكدها من أن لا مجال من إخفاء الحقيقة عن الأم الكبيرة مدة أطول،
أخبرتها مدام وانغ عن فقدان قلادة الحجر الكريم. وفي الحال شعرت الأم الكبيرة
بالأسى والقلق، واقتربت من مدام وانغ تلومها على عدم إبلاغها بهذا الأمر باكراً.
وأعلنت بأن هذا الحجر هو حياة باو-يو ويجب العثور عليه الآن وبأي ثمن. ثم
أرسلت بطلب تثبيتاً شانغاً، وعندما لم تجده في البيت، أمرت في الحال بتخصيص
جائزه قدرها عشرة آلاف تايل من يجد القلادة، وقررت نقل باو-يو إلى جناحها،
قائلة:

- «لم يعجبني الإزهار غير العادي لأشجار البيغونيا؛ فقلادة حجر اليشم تمنع
الأرواح الشريرة من الأذية، ولكن من دونها، لن يكون باو-يو بمأمن الآن.
ولهذا السبب أريد نقله حالاً إلى جناحي الخاص». .

- «لاو تاي-تاي على حق»، قالت مدام وانغ موافقة، وأضافت: «إن ملائكة
لاو تاي-تاي الخيرة ستتحميء من الشر».

قالت الأم الكبيرة:

- «ليس هذا ما أقصده، بل لدى العديد من المجلدات لمخطوطات بوذا في
جناحي هناك. سأستمر بقراءة هذه المخطوطات، لطرد الأرواح الشريرة
وإيقاعها بعيدة عن المكان، واسألي باو-يو إذا لم يكن يُفكّر في الشيء
نفسه».

لم يُجب باو-يو إلا بابتسامة عريضة.

كان العام عاماً كثيئاً على تاكونان بوان، كانت الاحتفالات فاترة وروتينية، بسبب
وفاة المحظية الإمبراطورية ومرض باو-يو. ولتسعير حرارة الكآبة في القصر، فقد

وصلت أخبار وفاة وانغ تزو-تينغ بعد يومين فقط من عيد الفوانيس. وأصيبت مدام وانغ بالكتابة لوفاة أخيها ووُقعت طريحة الفراش مريضة بسبب ذلك.

مع قدوم الشهر التالي، نصبَ تشيا تشانغ مفروضاً إمبراطوريَاً للإيرادات في ولاية كيانغسي. لكنه لم يكن سعيداً بمنصبه الجديد كما كان متوقعاً، ذلك لأنَّه لم تكن لديه الخبرة الكافية الضرورية للمنصب من جهة، ولأنَّ الأم الكبيرة قد أصبحت طاعنة في السنّ ومرض باو-يو من جهة ثانية. وبينما هو جالس وحيداً يُفكِّر في كل هذه الأشياء، وصلت خادمة تطلب له مقابلة الأم الكبيرة.

علم تشيا تشانغ بأنَّ لدى الأم الكبيرة أمراً مهماً تُريد قوله، عندما رأى أنَّ مدام وانغ موجودة في الغرفة أيضاً، بالرغم من مرضها. قالت له الأم الكبيرة عندما رأته يدخل:

- «أنت ذاهبٌ للعمل بعيداً عما قريب. ولدي شيء أرغب في تسويته قبل ذهابك، ولكن لا أدري إن كنت ستعمل وفق رغباتي أم لا».

هبت تشيا تشانغ على الفور من مكانه، وقال:

- «ما الذي تقولينه، لاو تاي-تاي! منذ متى يتلقى ولدك أوامركِ ولا ينفذها؟»
تابعت الأم الكبيرة كلامها:

- «أصبحتُ الآن في الحادية والثمانين من العمر، وقد تم تعينك أنت في أحد المناصب الإمبراطورية في إحدى الولايات البعيدة، ولا يُمكنك رفض المنصب... وهذا أخوك الأصغر هنا سيهتم بي. ولكن بعد ذهابك، لن أقبل بوجود أحد غير باو-يو بقربي لتسلطي. والآن، ها هو طريح الفراش يُعاني من المرض الشديد، وليس هناك من بريق أمل في الأفق بشفائه؛ لقد أرسلت البارحة زوجة لاي تا إلى إحدى العزافات لاستشارتها في أمر باو-يو، فقالت العزافة بأنه لن ينجو من مرضه الغريب إلا إذا تزوج من الفتاة البعيدة التي ولدت بـ مصير ذهبي.⁽²⁾ أنا أعلم بأنك لا تؤمن بهذه الأشياء،

(2) أي ولدت على غرار باو-يو، ولكن مع قطعة يشم من ذهب.

ولكن اعتقادي أنه في ظل هذه الظروف عليك أن تتخلى عن تعصبك وتحاملك. والآن أخبرني، هل تُريد شفاء باو-يو أم لا؟»
أجاب تشيما تشانغ:

- «كيف يمكن لـ لاو تاي-تاي أن تسأل هذا النوع من الأسئلة؟ فالرغم من أن ابنك لا يُظهر محبته لابنه ومُراعاة مشاعره كما تفعل لاو تاي-تاي لحفيدتها، ولكنه لا يخلو من المشاعر الأبوية. وقد رأيت أن ولدك قد تصرف بقساوة وفظاظة مع ولده في مرحلة ما، ذلك لأنّه كان يُظهر نفسه بلا فائدة، وأنا كنت أحاول الاهتمام بمصلحته وصقل عقله وسلوكه؛ وهذا أشبه بمحاولات تحويل قطعة من الحديد إلى قطعة من الفولاذ. أما إذا كانت لاو تاي-تاي ترغب في تزويجه، فكيف لها أن تتوقع معارضتي؟»

في هذه اللحظة، طلبت الأم الكبيرة من بيرثايدينغ فريغرانس إحضار باو-يو إلى الغرفة. عندما دخل باو-يو إلى غرفة جدته، راح يستفسر عن صحة تشيما تشانغ، لكنه لم يكن يهتم بأي شيء آخر في الغرفة. كان واهن القوى، نحيف الجسد، وعيناه فارهتان؛ كان واضحًا أنه يفتقر إلى أي نوع من الحواس. شعر تشيما تشانغ بالحزن والأسى لرؤيه ولده على هذه الحال، وطلب إلى بيرثايدينغ فريغرانس العودة به إلى غرفته ليرتاح. ثم قال يُخاطب الأم الكبيرة:

- «لاو تاي-تاي تعلم تماماً ما الذي عليها فعله من أجل إنقاذ حياة باو-يو، وأن تفعل ما ترتؤيه مُناسبًا. ولكن هل تم توضيح الأمر بالنسبة إلى بي تاي-تاي؟»

- «لقد أبدت بي تاي-تاي موافقتها منذ وقت طويل» أجابته مدام وانغ، وتتابعت: «لكننا لم نقارب بعد مسألة الزواج المبكر بسبب المصيبة التي حلّت على بان-يز». قال تشيما تشانغ:

- «تلك عقبة بالفعل. إذ من الصعب تزويج فتاة بينما يقع أخيها الصغير في السجن، علاوة عن الحداد على صاحبة السمو الذي يجب أخذها بعين

الاعتبار أيضاً، فالرغم من أنَّ الزواج غير مُحرِّم في مثل هذه المُناسبات، لكنَّ باو-يو كان ولا يزال يبذل جهده لرؤيَّة القواعد تحكم حداد الشقيقة الكبُرى، والذي يجب أن يستمرَّ إلى تسعه أشهر. أضف إلى ذلك أنَّ موعد مُغادرتي قد تمَّ تحديده من قبل مجلس الضرائب، فكيف يُمكِّن ترتيب كل هذه الأمور في الأيام القليلة المتبقية؟»

إلا أنَّ الأم الكبيرة قد اتَّخذت القرار. سيجري ترتيب كل شيء قبل رحيل تشيَا تشانغ، لأنَّ عودته ستستغرق عاماً أو عامين. ولذلك، قالت له:

- «أستطيع تدبير كل شيء إن كنت تُريد إنقاذ ولدك باو-يو. يُمكِّننا إيفاد كيُو-يُز إلى بان-يُز والحصول على موافقته؛ وأنا أكيدةً من أنَّه سيُوافق على هذا الأمر من أجل باو-يو. أمَّا بالنسبة لفترة الحداد، فأرى أنَّ رأي باو-يو في الأمر سُيُشكّل عقبة حقيقة. ولكن علينا أن لا نجعله يبدو وكأنَّه زواجاً حقيقياً أولاً وأخيراً؛ فيمكن تنفيذه بهدوء وسرية، فيبدو بالتالي وكأنَّ «طقس تشفعي»، بدلاً من «حفل زواج». والمُؤكَّد أنَّ باو-يا-توُّ فتاة عاقلة ولن ترفض. وبعد أن تتحسن حالة باو-يو، وانصرام فترة الحداد، يُمكِّننا عندها إجراء حفل الزواج كما نشاء».

طفح غضب الإحساس بالخصوصية لدى تشيَا تشانغ من عدم انتظام الإجراءات المذكورة من قبل الأم الحاكمة، لكنَّه كظم غيظه، وكتب مشاعره في داخله. وقال:

- «لا أشك أبداً في أنَّ حكم تاي-تاي سيكون صائباً، ولكن علينا التأكد من أنَّ المسألة ستبقى سرية لكي تنجُّب الانتقادات المتوقعة».

انصرف تشيَا تشانغ من أمام الأم الكبيرة، ورأسه عامر بالشكوك والأفكار السوداوية. وتساءل كيف يُمكِّن لهذه السلسلة من الأحداث الأخيرة أن تحدث في أسرة كان حظُّها وثروتها في تصاعد، والآن يأتي هذا الزواج غير الرَّسمي! ولكن نظراً لرحيله الوشيك، لم يكن لديه الوقت ليبدأ ترتيب وتدبير الأشياء بنفسه؛ فكل الترتيبات والإجراءات لا بد من أن تُلقى في هذه الحال على عاتق الأم الكبيرة، بالإضافة إلى كل من مدام وانغ وفينيكس.

لم يسع باو-يو الاستماع إلى أيّ كلمة من المناقشة، لأنّه غطّ في نوم عميق فور عودته إلى الغرفة الداخلية. أمّا بيرثايدينغ فريغرانس، فقد سمعت كل شيء، وكانت سعيدة بانقلاب الأوضاع إلى هذه النتيجة، لأنّها كانت على يقين من أنّ بريشوس فيرتشو ستكون سيدة مثالية. ولكن ماذا عن باو-يو؟ فكيف ستكون ردّ فعله عندما يعرف الحقيقة؟ نعم، كانت الأم الكبيرة تعرف هي ومدام وانغ بالمشاعر المتبادلة بين باو-يو وبلاك دجايدي، لكنّهما كانتا لا تعرفان كامل القصة وتفاصيلها. جلست بريشوس فيرتشو لوحدها تستعيد بحيوية ذاك اليوم الصيفي عندما كلامها باو-يو مُعتقداً أنها بلاك دجايدي، والكلمات الجميلة التي قالها لها - فإذا كانت مشاعر باو-يو قوية تجاه بلاك دجايدي، فهل ستزيد مسألة الزواج من سوء حالته، أم أنها ستؤدي إلى تحسّنه؟

ذهبت بريشوس فيرتشو بهذه الأفكار إلى مدام وانغ، وأفضت لها بكلّ ما تعرف. واقترحت أيضاً إعلام الأم الكبيرة وفينيكس بذلك من أجل اتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية باو-يو. أبدت مدام وانغ موافقتها، واقترحت وفيبيكس خطة لحلّ هذه المعضلة: أولاً، يجب المحافظة على سرية الخطوبة، بحيث لا يتسرّب شيء من تفاصيلها إلى بلاك دجايدي؛ ثُمّ، إخبار باو-يو بأنه قد خطّب إلى بلاك دجايدي وسيتم زواجه منها عما قريب.

الفصل السادس والثلاثون

وفيه يبدو باو-يُو سعيداً لاقتراب موعد زواجه
وتكون بلاك دجايid مجرودة القلب بسبب مصيرها المأساوي

بعد الإفطار ذات صباح، قررت بلاك دجايid أن تذهب إلى الأم الكبيرة. وتقديم الإطراء والثناء لها. واثناء طريقها، تذكرت بأنّها قد نسيت حمل منديلها، فأرسلت بيريل كوكو لإحضاره. حينما اقتربت من جانب التل الذي كانت قد دفنت عليه الأزهار مرّة مع باو-يُو، وجدت الخادمة سيسستر ستُوييد تبكي وحيدة. توقفت بلاك دجايid وسألت الخادمة عن سبب بكائها، فأجابتها:

- «الآن يا لين كوكو-نيانغ، كوني أنتِ الحكم على هذا، وانظري إذا ما كانت سألتها بلاك دجايid:
 - «وأيّ تشيه-تشيه».
 - «أنا أعني تشين-تششو الموجودة في غرفة لاو تاي-تاي. كنتُ أتحدث مع هسي-دجين حول موضوع الزواج، وقلت: "لقد كُننا نُناديها باو كوكو-نيانغ؛ وسُنُناديها هكذا لفترة قبل أن نعتاد على مناداتها باو ناي-ناي". وبسبب كلامي هذا فقط، صفعتني تشين-تششو وقالت بأنّي قد خالفت الأوامر. لم يخبرني أحد بأن لا أذكر شيئاً حول الموضوع، وحتى لأولئك الذي يعلمون مُسبقاً».

سارت بلاك دجاييد برفقة الفتاة إلى مكان هادئ، وسرعان ما حصلت منها على كامل تفاصيل القصة، باستثناء المقطع حيث يظنّ باو-يو بأنّها ستكون زوجته. سقطت عليها هذه الأخبار كالصاعقة؛ فشعرت في قلبها وكأنّه قد امتلاً بمزيج من الزيت، والصويا، والسكر، والنبيذ، أي بطعم ونكهة لا تستطيع تبيانها. انصرفت بلاك دجاييد عن الخادمة طالبة منها أن لا تذكر أي شيء عن المسألة إذا ما أرادت أن تنجو من العقاب، ووقفت عائدة إلى بامبو ريتريت (معزل الخيزران). وبعد أن سارت لمسافة لا بأس بها، عادت أدراجها من دون أن تدري بالضبط ما هي فاعلة. وما هي إلا لحظات حتى وصلت بيربل كوكو حاملة المنديل. وكانت هذه الأخيرة قد شاهدت بلاك دجاييد تسير باتجاه بامبو ريتريت ومن ثم استدارت وعادت، وهي تسير على غير هدى أو بدون هدف. كما لمحت سيسستر ستوبيد وهي تسير مُبتعدة. حينما وصلت إلى بلاك دجاييد وتواجهت معها، رأت وجهها شاحباً وعيناها ثابتان تُحدقان إلى الفضاء. وبعد أن تأكّدت من حدوث أمرٍ ما، طلبت من سيدتها العودة إلى غرفتها، ولكن لم يبدُ أنّ بلاك دجاييد تسمعها؛ ولم يكن يجري على لسانها إلا عبارة واحدة:

- «لا بد من أسأل باو-يو».

عندما وصلتا إلى جناح الأم الكبيرة، وجدتاها تأخذ قيلولتها، وكانت الخادمات تلعبن في البهو. وكانت بيرثايدينغ فريغرانس لوحدها مع باو-يو. فقد كان يجلس على سريره وعلى وجهه الضحكة إليها، وبالرغم من وقوف بلاك دجاييد أمامه، فلم يبدُ أنه قد لاحظ وجودها. ولا حتّى كانت بلاك دجاييد تدري من هو وأين هي؛ جلست قبالته تبتسم ابتسامة عريضة ردّاً على ابتسامته لها. وفجأة سأله:

- «لماذا أنت مريض، باو-يو؟»

أجاب:

- «أنا مريض بسبب لين ماي-ماي».

شعرت كل من بيرثايدينغ فريغرانس وبيربل كوكو بالدهشة والإرجاج لسماع هذا التصرّيف، وحاولتا تغيير الحديث. ولكن لم يكن هناك من حاجة إلى هذا القلق؛

لأنَّ بعد هذا التغيير، عاد المُحبّين إلى الصمت من جديد وفي الوقت نفسه. أمّا بيرثا يدينغ فريغرانس، التي كانت تعلم بأنَّ بلاك دجايدي هي الأخرى مريضة مثل باو-يُو أيضًا، فقد همست إلى بيريل كوكُو بضرورة إعادة سيدتها إلى بامبو ريتريت، وقالت:

- «لم تلبث كوكُونيانغ أن تحسنت حديثاً من مرضها، ولا بد لها من أن تستريح، سأبعث أوتومن سكاي لمُراقبتكِ، في حال احتجتِ إلى أي مُساعدة».

نهضت بلاك دجايدي من مكانها حينما اقتربت بيريل كوكُو منها وأخذت بيدها. وعندما قالت لها الخادمة: «لقد حان وقت عودتكِ إلى البيت من أجل الراحة»، ردت عليها بلاك دجايدي آلياً وبالعبارة نفسها: «نعم، لقد حان وقت عودتي إلى البيت من أجل الراحة». ثم سارت إلى خارج الغرفة من دون مُساعدة؛ فقد بدت حقيقةً قوية لا إرادياً وبشكل عفوي واضح.

تنفست بيريل كوكُو الصعداء بعد وصولهن أخيراً إلى بامبو ريتريت. فقالت:

- «الشكّر للّاهة، وأخيراً وصلنا».

في تلك اللحظة، مالت بلاك دجايدي إلى الخلف، وتقيّات كمية من الدم؛ وعلى الفور أسرعت الخادمتان إليها في اللحظة المناسبة ومنعاها من السقوط، ومن ثم ساعدتاها على الوصول إلى غرفتها، واستلقت على سريرها.

استعادت بلاك دجايدي وعيها، بعد فترة، وعندما لاحظت الدموع على وجنتي الخادمتين، سألهما عن سبب بكائهما، فأجبتها بيريل كوكُو:

- «لم تكن كوكُونيانغ بخير عندما عادت من جناح لاو تاي-تاي، وقد أشعرنا ذلك بالخوف».

قالت بلاك دجايدي لهما:

- «لا تكونا سخيفتين، فلن أموت بهذه السهولة».

ولكن، عندما عاودها ما حدث معها من لقائهما بـ سيسستر ستُوبيد وتفاصيل القصة التي سمعتها منها، تمنت لو أنها تموت بأسرع ما يمكن، وبذلك تكون قد

دفعت ثمن الحب الذي سيكون بذمتها من الحياة السابقة.
حينما علمت الأم الكبيرة من أوتومن سكاي عما يحدث، أتت في الحال
لرؤيتها مع مدام وانغ وفينيكس. فوجدت شاحبة كالموتي، وبالكاد تتنفس. فتحت
بلاك دجايده عينها ببطء، وقالت، عندما انحنت الأم الكبيرة من فوقها:

- «لاؤ تاي-تاي، لقد أحبيبتي واهتممت بي بلا فائدة».

عند هذا، تألمت الأم الكبيرة من قلبها، لكنها حاولت تهدئه حفيدتها بالقول:

- «لا تخافي يا صغيرتي. انتبهي إلى نفسك، وسوف تتحسنين قريباً».

تبسمت بلاك دجايده على نحوٍ ضعيف، وأغمضت عينيها من جديد.

في الأيام التالية، بدت بلاك دجايده أضعف بشكل مُطرد، وحاولت بيريل كوكو^١
تشجيعها بالتأكيد لها على أنّ ما اشتهرت به أو سمعته لم يكن صحيحاً، ولكنها لم
تُجبها بشيء، فاكتفت مُبتسمةً بصمت. ثمّ أخذت تسلح بشكل متواصل، وتقىأت
المزيد من الدم بشكل متكرر. واستمرّت بيريل كوكو^٢ برعايتها بإخلاص كامل،
وكان تردد على الأم الكبيرة في فترات مُتفاوتة، من أجل تزويدها بتطورات حالتها.
لكنّ الأم كانت مشغولة كثيراً في الإعداد لزواج باو-يو وفق المُتفق عليه. كما أنها
دعت الطبيب لعيادة بلاك دجايده في مرات عديدة، لكنها هي نفسها لم تأتِ، وكذلك
بالنسبة للجميع في يؤُنخ كُوفو، بسبب انشغال الجميع في الإعداد للزواج المُرتقب.
لم يكن باستطاعة بلاك دجايده ملاحظة ما يجري، لكنها كانت تشعر بالحزن عندما
تستعيد ذاكرتها صور قلقهم عليها في الماضي.

وفي أحد الأيام، وبعد تأكدها من أنها لن تعيش طويلاً، قالت تُخاطب بيريل
كوكو^٣:

- «ماي-ماي، أنت الوحيدة التي تعرف أسرار قلبي، منذ أن أتيت إلى هنا من
جناح لاؤ تاي-تاي. ولطالما اعتبرتك، ولم أزل، كشقيقتي».

شعرت بلاك دجايده بالتعب من الجهد الذي بذلتة للكلام، وتوقفت من أجل
استعادة أنفاسها. وبدأت بيريل كوكو^٤ بالبكاء. . . وبعد فترة، عادت بلاك دجايده
للكلام من جديد:

- «لا أشعر بالراحة وأنا مُستلقية هكذا طوال اليوم. تعالى وساعديني على الجلوس».

قالت لها بيريل كوكو بأنّ عليها ألا تُرهق نفسها، لكنّها عندما رأت أنّ سيدتها مُصرّة على الوقوف، ساعدتها على ذلك - فوضعت لها الوسادات من وراء ظهرها، ودعمتها بيديها. ثُمّ نادت بلاك دجايدي على سنُو داك، وقالت لها:

- «أحضرني لي كتب الشعر».

أحضرت الخادمة الكتب المخطوطة، ووضعتها بقربها. انحنت بلاك دجايدي وراحت تبحث باتّجاه صندوق موجود على الرف، وشعرت بالانزعاج لأنّ الخادمة لم تستطع قراءة أفكارها، لكنّها لم تتمكن من إعلامها بما تُريد بسبب إصابتها بتنوبة قوية من السعال. وحينما ناولتها بيريل كوكو منديلاً، طرحته جانبًا بنفاذ الصبر، وقالت جاهدة:

- «ليس هذا - بل الشيء الذي عليه كتابة».

فهمت الخادمة أنها تُريد المنديل الذي بعثه لها باو-يو، والذي سبق لها وأن كتبت عليه مجموعة من المقاطع الشعرية. ناولتها سنُو داك المنديل من الصندوق، فأخذته منها بقوّة، وشرعت جاهدة في محاولة لتمزيقه لكنّها لم تستطع فعل ذلك بسبب ضعفها. فهمت بيريل كوكو السبب الذي يدفع بلاك دجايدي إلى الإقدام على ذلك، لكنّها لم تتفوه بحرف واحد خوفاً من تفاقم حزن سيدتها، فاكتفت بالقول:

- «لا تغضبي، فسوف يزيد ذلك من مرضك وأساشك».

ولمّا عجزت بلاك دجايدي عن تمزيق المنديل، طلبت من خادمتها ناراً. لكنّ بيريل كوكو، التي اعتقدت بأنّ سيدتها تشعر بالبرد، اقترحت عليها التمدد ووضع المزيد من الأغطية عليها، لأنّ دخان النار قد يُسبّب لها السعال. هزّت بلاك دجايدي برأسها، فأسرعت بيريل كوكو بإشعال النار في شعالة الفحم وأحضرتها، ووضعتها في زاوية الغرفة. أوعزت لها بلاك دجايدي بوضع الشعالة على مسافة قريبة منها. ثُمّ انتظرت فترة، فاستغلّت خروج الخادمتين من غرفتها؛ فحملت المخطوطات والمنديل، وانحنت إلى الأمام ثُمّ، وباستخدام كامل قوتها وجهدها، ألقت بكل شيء إلى النار.

كانت بيربل كوكو مُرتبعة من حالة سيدتها المتفاقمة. وشعرت بأنَّ الوقت متاخر لإخبار الأم الكبيرة بما يحصل، ولربما كان هذا أيضاً إنذاراً كاذباً كما حصل معها من قبل؛ ولكن، ماذا إن ماتت بلاك دجايدي أثناء الليل؟ كانت الخادمة تتالم من عدم قُدرتها على حسم خياراتها، لكنها شعرت بالغبطة عندما أطل النهار من جديد دون حدوث أي سوء.

بدت بلاك دجايدي أفضل اليوم، ولكنها في وقت الإفطار، بدأت بالسعال العنيف من جديد. وصممت بيربل كوكو على ضرورة إبلاغ الأم الكبيرة بالأزمة. ثُمَّ كلفت سُنُو داك وغيرها بالاهتمام بأمر بلاك دجايدي، وغادرت إلى جناح الأم، ووجدت هناك مجموعة قليلة من الخدم والخدمات. فسألتهم:

- «أين لاو تاي-تاي؟»

أجاب الجميع بأنهم لا يعلمون أين هي. ثُمَّ تركتهم وانصرفت إلى غرفة باو-يو تظن أنه لربما لن يكون موجوداً هو أيضاً، لعلها بقصة زواجه؛ فسألت الخادمات عن الموضوع، فلم تلتقط سوى الأوجبة المُراوغة. وصارت تتحدث إلى نفسها باستغراب: "كم يبدو القوم هنا قساة القلب!". كانت ساخطة من إجاباتهم المُتضاربة، ففقلت عائدة إلى بامبو ريتريت باكية طوال الطريق. وعند اقترابها، رأت عند المدخل خادمتين صغيرتين تنتظرانها بقلق وارتباك، وعلمت منها أنَّ بلاك دجايدي قد عاودتها الأزمة، ولكن بشكل أشد.

كان وجه بلاك دجايدي يفور أحمراراً، وشعرت بيربل كوكو بأنَّ هذا نذير شؤم. فأسرعت إلى مُربية بلاك دجايدي العجوز تطلب عونها، لكن هذه الأخيرة كانت تبكي وتولول وغير قادرة على فعل شيء. ثُمَّ خطرت في بالها لي هوان؛ فكونها أرملة، لن تكون في غرفة الزواج بالتأكيد. وعند سماعها الأخبار المؤسفة من الخادمة المسئولة، هبت لي هوان على الفور إلى بامبو ريتريت. وهي تُفكِّر في جمال بلاك دجايدي النادر، وفي إنجازاتها العديدة، وازداد سخطها على سخرية القدر وقسوته. كانت تعلم أيضاً بالخطة التي وضعتها فينيكس، ولذلك لم تأتِ لتفقد بلاك دجايدي، لأنها ستكون عاجزة عن التظاهر بأنها لا تعرف أي شيء. ولكن لا بد من ذهابها

الآن والنطق بكلمة الفراق معها.

عندما دخلت البوابة، كان الجو هادئاً والصمت يُخيّم على كل شيء؛ ظنّت أنها لربما وصلت متأخرة. وتساءلت ما إذا كان الجميع هنا مشغولون بتحضير مُستلزمات ما بعد الحياة. فهربت إلى غرفة الجلوس، والتقت بيريل كوكو التي كانت تخرج للتو من الغرفة الداخلية. فأشارت إليها ناحية الغرفة الداخلية لأنّها لم تكن قادرة على النطق، بسبب فيض حزنها وبكائها الشديد.

وفي الداخل، كانت بلاك دجايدي ضعيفة جداً وغير قادرة على النطق. فاقربت منها لي هوان تُناديها بهدوء ولطف؛ ففتحت عينيها ببطء وبدت وكأنّها قد تعرّفت على زائرتها، ولكنّها بالمقابل، بدت وكأنّها قد فقدت كل علامات الحياة، وبالكاد كانت قادرة على الإحساس بأنفاسها.

نظرت لي هوان حولها، فلم تلحظ وجود بيريل كوكو كما هو متوقّع، فتحرّكت باتجاه الغرفة التالية. وهنّاك رأت الخادمة تبكي وتتنحّب كالسابق. فخاطبتهَا موبخة: - «خادمة حمقاء، هذا ليس وقت البكاء. هاتي ثياب سيدتك وضعيّها عليها.

فأنت لا ترغبين في أن ترحل وهي على هذه الحال، أليس كذلك؟» عند هذا، ازداد بكاء ونحيب الخادمة بشكل أشد. وبدأت لي هوان بالبكاء أيضاً، لكنّها كانت أقدر على ضبط نفسها أكثر من الخادمة. فتقدّمت من الأخيرة وقالت لها، وهي تُرثّب على كتفها:

- «لا تبكي يا صغيرتي، هيّا أعدّي لها ما طلبته منّك، فلم يعد هنّاك مُتّسّع من الوقت».

وصلت في هذه الفترة باشينس ومعها زوجة تشيه-هسيباو. وعندما سُئّلّتا عن سبب قدومهما، أجبتا باشينس:

- «بدت يُرّ ناي-ناي مشغولة البال حول مجريات الأمور هنّا، وأرسلتني من أجل الاستطلاع. ولكن طالما أنّ تا ناي-ناي موجودة هنّا، فلا داعي للقلق. وسأبلغها بأن لا تشغل بها بما يحصل هنّا، والاهتمام بما لديها هنّاك». أحنت لي هوان رأسها، ودخلت باشينس لرؤيتها بلاك دجايدي.

عندما، قالت لي هوان توجه كلامها إلى زوجة تشيه-هسياو:
- «يمكنك الدخول والتأكد من أن كل حاجيات بلاك دجاييد لما بعد الحياة قد تم تحضيرها، ومن بعدها، أخبريني عن أي نقص».

وافتت زوجة تشيه-هسياو على ما سمعته، إلا أنها لم تدخل. فسألتها لي هوان:
- «وماذا تنتظرين؟»

أجبتها زوجة تشيه-هسياو بشيء من الارتباك:
- «لقد استشارت يز ناي-ناي السيدة لاو تاي-تاي، وقالتا بأنهما ت يريدان حضور بيربل كوكو إلى هناك، لاعتقادهما بأن ذلك قد يبعث الطمأنينة في نفس باو-يو».

عنما سمعت بيربل كوكو بهذا، لم تتمالك نفسها عن الغضب والسخط، فقالت بسخرية:

- «من الأفضل للسيدة لاو تاي-تاي أن ترتاح. فلتنتظر إلى أن تموت السيدة التي لدينا هنا قبل أن تطلبني خدمتها. كان عليهما ألا تكونا— توقفت عن الكلام فجأة، وانتظرت قليلاً في محاولة منها لتمالك نفسها، ثم عاودت الكلام بالهجة أكثر اعتقداً:

- «لقد أمضيت فترة طويلة من الزمن، وأنا ساهرة بالقرب من سرير المريضة؛ فلستُ مُناسبة الآن لغُرف الزواج. بالإضافة إلى أن لين كوكو-نيانغ هي الآن في لحظات وعيها، وتسأل عنّي بلا انقطاع».

قالت لي هوان:
- «يبدو لي أن لين كوكو-نيانغ وهذه الخادمة قد ارتبطتا معاً في مصير واحد. ومع أنها قد أحضرت سنو داك من الجنوب، لكنها لا تُحب إلا هذه الخادمة. وأخشى من أننا لا نستطيع التفريق بينهما».

شعرت زوجة تشيه-هسياو بغليان في داخلها من أسلوب بيربل كوكو الفظّ والمؤذني في الكلام، لكنها لم تُقابل الأذى بمثله، لأنها كانت تعلم بحالة الخادمة

الحزينة والمأساوية. فقالت:

- «لن أكثرك بما قالته لي للتّو، ولكن ما الذي عليّ قوله للسيدة لاو تاي-تاي ول يز ناي-ناي؟ فلن أكون قادرة على تكرار ما قالته هذه الخادمة لهما». وبعد أن خرجت باشينس من غرفة المريضة، وعلمت بموضوع النقاش الذي حصل، اقتربت ذهاب سنُو داك بدلًا من بيريل كوكُ.

الفصل السابع والثلاثون

وفيه تتزوج بريشوس فيرتشو بناء على حُكم القدر
وتموت بلاك دجاييد وفاء لدِين قديم

لم تغبط سُنُو داك بمهمتها، ولكن ماذا على الخادمة أن تفعل غير الطاعة؟ حينما جلست في غرفها في المُجتمع المُخخصوص من قبل تشيما تشانغ لـ باو-يو وبريشوس فيرتشو، بدأت تُفكّر في سيدتها وما الذي كانت تعنيه للعرس، وتساءلت ما إذا كان باو-يو يُعاني حقاً من أيّ مرض عقلي ولا يدرى ما الذي يحصل، أو أنه يتظاهر بما هو عليه لمجرد التملّص من بلاك دجاييد. وإذا كان ذلك مجرّد تظاهر، فما الذي سيقوله لها عند رؤيتها - طالما أنّ هذا ما سيحصل عاجلاً أم آجالاً؟ ثم دخلت إلى غرفة باو-يو، وفي رأسها كل هذه الهواجس تطفى على أفكارها.

بدا باو-يو أفضل من الفترة السابقة، لكنه كان لا يزال مُشوشاً وغير متوازن، إلا أنه كان سعيداً لأمر ما. وبالرغم من أنّ سُنُو داك لا تدرى بسر الزواج، فقد كانت تشعر بالكره تجاه باو-يو بسبب قسوته، وانصرفت عنه من دون أن تكلّمه. أما باو-يو، من الجهة الأخرى، كان يتّظر ساعة الزواج بفارغ الصبر. فقال يُخاطب بيرثايدينغ فريغرانس:

- «ستأتي لين ماي-ماي من بامبو ريتريت، ولكن لماذا تتأخر كل هذا الوقت؟»

أجبته الخادمة، وقد كبتت شعورها بالضحك:

- «إنها تنتظر الساعة المحددة، ولا يمكنها أن تأتي قبل ذلك».

وأخيراً، وصلت هذه الساعة المحددة. وفي لحظة دخول عربة الزواج إلى البهو، بدأت فرقة صغيرة عزف موسيقى الزواج التقليدية. كانت هذه الموسيقى تُعبر عن قضية زواج حزينة لأسرة تُقيم في يُونغ كُوفو، على الرغم من أنها قد تُعتبر بالنسبة لعائلة عادمة كافية تماماً لإقامة عرس كامل. كانت العروس تضع من فوق رأسها وشاحاً أحمر وتخرج من العربة بمساعدة إشبيتها المساعدة. ومن هي هذه الإشيبة باعتقادك؟ لم تكن سوى سنُو داك! تفاجأ باو-يو بها؛ فمن المُتُوقَّع وفق اعتقاده أن تكون بيربل كوكُو. ثم غرق في أفكاره: آه، بالطبع... سنُو داك هي الخادمة التي أحضرتها لين ماي-ماي من الجنوب، أمّا بيربل كوكُو فقد كانت خادمة لاو تاي-تاي في الأصل. ولعلها رأت أنه من الأنسب أن تكون سنُو داك إشبيتها في هذه المناسبة.

وفي هذه الأثناء، حلّت اللحظة الحرجية لرفع الوشاح عن العروس. فوقفت الأم الكبيرة وغيرها الكثير بفارغ الصبر، لترقب ما الذي يمكن أن يحدث عند رفع الغطاء عن رأس العروس، واكتشاف باو-يو بأنها ليست بلاك دجايدي.

اقترب باو-يو من عروسه بحذر وبيطء، وقال مُغبظاً:

- «ها هي ماي-ماي بخير أخيراً؟ فأنا لم أرك منذ أيام وأيام. فلماذا تُغطين نفسك بهذا الشيء؟ وما إن شرع برفع الغطاء، حتى انقطعت أنفاس جميع من في القاعة. لكنه توقف عن ذلك، وقال مازحاً بصوت مرتفع:

- «إن لين ماي-ماي حساسة جداً، ولن أضايقها».

ووقف يتذكر للحظات، لكنه لم يعد يتحمل مشاعر التشويق، فتقدّم إلى بريشوس فيرتشو على عجل ورفع الغطاء. وما إن فعل ذلك، حتى انسحبت سنُو داك من المكان على الفور؛ وتقدّمت أوريول، خادمة بريشوس فيرتشو وأخذت مكانها. لم يُصدق باو-يو ما يرى؛ فالعروس تُشبه إلى حد كبير بريشوس فيرتشو - ثم فرك عينيه ونظر من جديد، النظر لم يُخطئ فهي بريشوس فيرتشو، لا شك في ذلك. كانت ترتدي ثوب الزواج الذي بدا على درجة عالية من الجاذبية والجمال. وقف

باو-يو مشدوهاً كالمزهول بما يرى، ثم التفت من حوله فتفاجأ بوجود أوريول. فارتبك، وأصابته الحيرة معتقداً أنه يحلم. تقدم المساعد إليه، وأخذ منه المصباح الذي كان يحمله وأجلسه. حينما بدا مترنحاً في مقعده، وكأنه قد تاه عن محظه، هبت فينيكس برفقة يوُّ-شيه ورفقتا بريشوس قيرتشو إلى الغرف الداخلية. ثم طلبت الأم الكبيرة من بريشوس قيرتشو وضع باو-يو في فراشه.

سأل باو-يو خادمته:

- «أين أنا؟ هل أنا أحلم؟»

- «لا تتفوه بهذه السخافات. إنه يوم زفافك. لماذا تعتقد بأنك تحلم؟ لا تتكلّم، لاو-يه في الخارج، فلا تدعه يسمع هذه السخافات التي تتفوه بها».

قال باو-يو بإصرار، وهو يُشير إلى بريشوس قيرتشو:

- «ولكن من هي تلك الحسناء الجميلة التي تجلس هناك؟»

وضعت الخادمة يدها على فمه لإخفاء صاحتها، وقالت:

- «تلك هي ناي-ناي التي تزوجتها للتو».

قال باو-يو مُستهجنًا:

- «أنت بالتأكيد مخطئة، فمن هي يز ناي-ناي؟»

- «هي باو كُو-نيانغ، بالطبع».

- «وأين لين كُو-نيانغ إذن؟ ما الذي حدث لها؟»

- «لقد كان قرار لاو-يه بتزويدك من باو كُو-نيانغ، ولا تتكلّم مرة ثانية عن لين كُو-نيانغ».

لم يقنع باو-يو، وتتابع الأسئلة:

- «ولكنني متأكد من أنني رأيت لين كُو-نيانغ منذ لحظات. وقد كانت سُنْداك إلى جانبها أيضاً. وهل أنت تُمازحونني؟»

وعلى الأثر، تقدّمت منه فينيكس وقالت:

- «توقف الآن، ها هي باو كُو-نيانغ موجودة في الغرفة الداخلية، وستُزعجها لو استمرت على هذا النحو».

شهد اليوم التالي، مغادرة تشييا تشانغ، وباستثناء باو-يو الذي كان معذوراً بسبب مرضه، فقد رافقه جميع من في المنزل لمسافة خمسة كيلومترات خارج العاصمة من أجل توديعه. وبالنسبة لفترة الوداع داخل المنزل، فقد تدرّب عليه باو-يو بعناية. وبسبب ذلك، لم يلاحظ تشييا تشانغ الانتكasa المفاجئة التي عاناه ولده. وطلب منه والده أن ينشط ويُقوّي من عزيمته، وأكّد على مدام وانغ الإصرار على باو-يو للتقدم للامتحانات القادمة لدرجة «الإنسان المُترّفّع».

ازدادت حالة باو-يو سوءً بعد رحيل تشيما تشانغ. وفي اليوم التاسع، أعدت الأم الكبيرة العدة لإرساله إلى منزل هسوبيه بي-ما للعناية بتحسين مظهره. وفي هذه الأثناء، كانت بريشوس فيرتشو قد اعتزلت؛ فهي كانت تعتقد في خفايا نفسها من أن والدتها قد تسرّعت في الموافقة على هذا الزواج الغريب. وكانت قد أسفت هسوبيه بي-ما لذلك أيضاً، وبخاصة عندما رأت حالة باو-يو في اليوم التاسع - ولكن ما الذي يمكن أن يفعله المرء بعد أن تكون طبخة الأرض قد نضجت؟

وفي يومٍ كان فيه باو-يو نسبياً واضحاً للذهن، أخذ بيرثا يدينغ فريغرانس جانباً وقال لها باكيماً:

«أرجوكِ أخبريني كيف أمكن لـ باو تشي-تشي أن تصبح هنا. ذكر أن لا و-
يه قد خطب لي لين ماي-ماي، وكان عليَّ أن أكون زوجها الآن. فكيف
يمكن أن تأتي باو تشي-تشي لحل محلها؟ أرغب كثيراً في توضيح هذه
المسألة، لكنني أخشى إغاظة باو تشي-تشي»، ولا بد أن لين ماي-ماي
تبكي نفسها حتى الموت الآن».

لم تجرؤ بيرثا يدينغ فريغرانس على إخباره بالحقيقة. واكتفت بالقول أنَّ بلاك دجاييد لم تكن على ما يُرام. وعلى الفور، انتفض باو-يو قائلاً: «سأذهب لرؤيتها».

حاول النهوض، لكنه كان متعباً جداً، ولم يتناول الطعام منذ فترة طويلة الشيء

الذى أفقده قواه. فارتدى إلى الخلف وغرق في البكاء، صارخاً:

- «ليس لدى الوقت الكافى للعيش، ولكن أريدك أن تخبرى لاو تاي-تاي برغبتي؛ أنا أكيد من أن لين ماي-ماي ستموت، عندما أموت أيضاً - قوله لها أن تضعنا الآن في غرفة واحدة، وبإمكاننا الاعتناء بأنفسنا. فإذا شفينا، فذلكجيد وخير. وإذا متنا، فسنكون على الأقل قد متنا معاً.. . لقد أمضينا معًا العديد من السنوات. وسأبتهللكي يبقى الحب بيننا حتى النهاية؛ أبلغى لاو تاي-تاي بأنها رغبتي ووصيتي الأخيرة».

وحدث أن عادت بريشوس ثيرتشو في تلك اللحظة، وسمعت كلام باو-يو،

قالت:

- «لا تبدأ الآن بالنطق بتلك الكلمات الكثيبة. فها أنت لم تثبت أن بدأت بالتحسن، وما عليك إلا الاعتناء بنفسك جيداً، بدلاً من ترديد هذه الكلمات المضحكة. وحتى لو كنت تزيد الموت، فالسماء لن تتركك ترحل، لأن لاو تاي-تاي تحبك كثيراً ولسوف تُحطم قلبها إن أنت رحلت. كما أن هذه هي حالة تاي-تاي بنفسها - فالجميع يهتمون برعايتها من أجل شفائك ومن أجل سعادتك المستقبلية. فالرغم من أنني سيئة الحظ، فأنا لا أصدق بأن الأمور سوف تحول من أجلي كما تعتقد. ومن أجل هذه الأسباب الثلاثة، فأنا أجرب على القول من أن السماء لن تدعك تموت، حتى ولو كنت ترغب في ذلك».

صممت بريشوس ثيرتشو على اللجوء إلى العلاج الجذري للمسألة، فقالت

تزيد من رعب بيرثايدينغ فريغرانس:

- «عليك ألا تفكّر في لين ماي-ماي أكثر من ذلك، لأنها قد ماتت منذ بضعة أيام أثناء غيبوبتك».

وعلى الفور، هب باو-يو من فراشه صارخاً:

- «هل هذا صحيح؟

- «بالطبع هذا صحيح»، قالت بريشوس ثيرتشو، وأضافت مؤكدة: «وهل

تعتقد بأنني سأخبر بهذا أياً كان لو لم يكن صحيحاً؟ ولم تشا لاو تاي-تاي ولا تاي-تاي إخبارك لأنهما لم تُريدا التسبب لك بمعاناة إضافية». ارتمى باو-يو باكيًّا بحزن شديد، وما لبث أن راح يلهمث، ثم فقد وعيه. كان موت بلاك دجاييد قد تزامن مع ساعة زواج باو-يو وبريشوس فيرتشو؛ فمُباشرة بعد استدعاء ستو داك إلى غرفة الزواج، استعادت بلاك دجاييد وعيها. وخلال لحظة الوعي هذه، التي لا تختلف كثيراً عن لحظة الشفق عند غروب الشمس، أخذت ييد بيريل كوكوًّا وقالت لها بجهد:

- «ها أنا أخيراً قد حانت ساعتي. لقد عملت على خدمتي للعديد من السنوات، وكم كنت أرغب في أن نعيش معاً ما تبقى لنا من العمر. . . لكنني أخاف من. . .»

وبعد أن أجدها الإرهاق، سقطت إلى الخلف، لاهثة. كانت لا تزال تمسك بيدي بيريل كوكوًّا، فتابعت بعد فترة تقول وقد أعيتها المرض:

- «ماي-ماي، لدى رغبة واحدة فقط، وليس لدى أي مُرافقين هُنا، أخبريهم أن يُعيدوني من بعد موتي إلى الجنوب—»

توقفت عن النطق من جديد، وأغمضت عينيها ببطء شديد. وشعرت بيريل كوكوًّا بيد سيدتها قد قبضت على يديها بإحكام. ولما شعرت بدنور لحظة الفراق، استدعت لي هُوان، فيما عادت الأخيرة ومعها كويست سبرينغ. كانت يدي بلاك دجاييد قد أصبحتا باردين، وعيناها شاحبتين. وعلى الفور، كبتتا أسامها، وأسرعنا لوضع ملابسها على جسدها البارد والهزيل. وفجأة، هتفت بلاك دجاييد:

- «باو-يو، باو-يو، كيف—»

كانت تلك كلماتها الأخيرة. . . ثم انطفأ قبس الحياة فيها ورحلت.

فبالرغم من الفواجع التي كانت ترهقهن، ظلت لي هُوان وبيريل كوكوًّا وكويست سبرينغ بانهن قد سمعن نغمات موسيقى الأثير الرقيقة في السماء. فخرجن فوراً للتحقق منه، فلم يكن كل ما سمعنه سوى حفيظ الرياح بأغصان الخيزران، وكل ما يمكن تمييزه كان ظلَّ القمر وهو يزحف نزواً على الجدار الغربي.

بقيت الكلمات الأخيرة التي نطقت بها بلاك دجايدي خافية على باو-يو، وحتى أنَّ الأم الكبيرة لم تُبلغ بها، إلاَّ بعد مرور بضعة أيام؛ فقد كان لديها ما يكفيها من الأحزان لكي يتم إبلاغها بخبر موت حفيدتها. وهكذا، وبعد كشف بريشوس فيرتشو للخبر أمام باو-يو من دون أي تحذير، صدم هذا الطيش الجميع. ولكنها كانت في أعماق ذاتها، مُقتنة بضرورة إخباره؛ فقد كانت تظنَّ بأنَّ هذه الصدمة لا بد وأن تكون إيجابية بالنسبة له، طالما أنَّ مرضه كان بحسبه الأكبر نفسيًا. وهذا ما استطاعت أن تُبرهنَه من خلال ما أقدمت عليه: فقد تحسنت حالة باو-يو باطراد من بعد استعادته لوعيه، وبمساعدة الوصفات الطبية، للنهوض في خلال بضعة أيام. وبعد أشهر، وعقب انتهاء فترة باو-يو للحداد على كاردينال سبرينغ، أُقيم احتفال كبير من أجل إتمام عملية الزواج، وبذلك أصبح باو-يو وبريشوس فيرتشو، زوج وزوجة بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى.

الفصل الثامن والثلاثون

وفيه يُصبح تاكوان يُوان مرتعًا للأرواح الشريرة
ويصل قصري نينغ كُوفو ويُونغ كُوفو إلى انهيارهما المُحتمّ

مقارنة مع حالته التي كان عليها في فترة ازدهار نادي الشعر، فقد أصبح تاكوان يُوان خالٍ من سكانه حالياً. كان باو-يو يعيش في شقة قرية من جناح مدام وانغ، ولم تعد تسمح له الأم الكبيرة بزيارة تاكوان يُوان إلا في المناسبات النادرة، لأنَّه بالرغم من نقل بقایا بلاك دجاييد إلى مدفن داخل أحد الأديرة، فإنَّ باميُو ريتريت لا يزال قائماً، وقد يتسبب بإعادة إحياء أحزانه.

غادرت بريشوس هارب للعيش مع هسوبيه بي-ما، بعد وفاة ابن عمها. وريثر ميسٌت عادت لعائلتها - التي عادت مرة جديدة إلى العاصمة - وكانت على أبواب الرواج. وكانت خلال الأشهر الأخيرة، قد زارت يُونغ كُوفو مرتين:مرة عند زواج باو-يو، ومرة عند قيامه بـ «تدوير الغرفة». في هذه الأثناء، تزوجت ولكوم سبرينغ، ونتيجة لذلك، تم إغلاق جناح بروكайд تشامبر، وغادرت ماونتن ريث للعيش مع مدام هسينغ. أما الأختين لي، فكانتا تعيشان مع عائلتهما، وواظبتا على زيارة يونغ كُوفو باستمرار. ولم يبق في مجمع الحديقة سوى لي هُوان، كويست سبرينغ وكومباشن سبرينغ.

وفي إحدى الليالي، وعلى أبواب عيد الحصاد، كانت فينيكس تمر بالقرب من تاكوان يوان، فقررت زيارة كويست سبرينغ. ولما كان ضوء القمر يتشر على

المكان، صرفت حامل المصباح، ودخلت مع خادمتين فقط. وعندما سمعت خادمتين تتشاجران في وهو الخارجي، أرسلت إحدى خادماتها للتحقق مما يحصل، بينما تابعت هي سيرها مع الأخرى. وما لبثت في تلك اللحظة أن هبّت عاصفة مفاجئة من الرياح دوت من خلال بساتين الحديقة، مما تسبب في ذعر الطيور الليلية وراحت تُحلق في دائرة من فوق الأشجار التي كانت تميل بقوّة. شعرت فينيكس بقشعريرة أسفل ظهرها، فأرسلت الخادمة المُرافقه لها، لإحضار سترة الصوف الفضية، وأخذها إلى مكتب أوتومن.

بعد مغادرة الخادمة، بدأت فينيكس تشعر بالخوف وراحت تُسرع في خطواتها. ولاحظت شخصاً بالقرب من مكتب أوتومن يتحرك في الظلام. صرخت تستفسر عن الموجود، ولكن لم تلق أي رد. وفجأة سمعت أحدهم يقول من خلفها:

- «هل نسيتني، شين-شين؟ هل نسيت شين-شين ما كنت قد قلت لهها منذ سنوات حول إدامة مدرسة الأسرة وأرض مقبرة الأجداد؟»

تبهت فينيكس وقد أصابتها القشعريرة من أنها تشنن-شيه. ومن خوفها، بدأت تبصر يمنة ويسرى في محاولة منها للتخلص من التأثيرات الشريرة وما لبثت أن انطلقت تعلو بكل ما أوتيت من عزم. وفجأة، تعثرت وسقطت أرضاً. وعندما استعادت وعيها وقوها، أحسست وكأنها كانت تحلم. في هذه اللحظة، عادت الخادمتان معاً، وأسرعت فينيكس برفقتهم إلى البيت، مُتظاهراً بأنها تنوي الذهاب إلى مكتب أوتومن بحجة أن كويست سبرينغ قد نامت الآن.

بعد بضعة أيام لاحقة، حدث أن كانت يو-شيه تمر في مجمع الحديقة، وسقطت طريحة الفراش مريضة في اليوم الثاني. وكانت تهذى في بعض الأحيان، وتُتمم بكلمات عن الشياطين والأشباح. والواضح من كلامها، أنها قد تفاجأت ببعض الأرواح الشريرة في الحديقة. وتمت في هذا الإطار، استشارة أحد العزافين، فقال بأن الأرواح الشريرة قد تؤدي إلى المزيد من حالات المرض في نينغ كوفو. وقد ثبتت صحة هذه النبوءة في الفترات اللاحقة؛ فتوالى مرض كل من تشيادجين وتشيا دجانغ وزوجة الأخير الواحد تلو الآخر. وللاستفسار عما يحصل،

تم استدعاء بعض الرهبان البوذيين، وبواسطة بعض الطقوس السحرية والتعاوني تم تطهير مجمع الحديقة من الأرواح الشريرة. وهكذا تم تبديد هذه المخاوف الخرافية، وبدأ الجميع من بعدها يزورون الحديقة، مع أن العديد منهم، من الذين يعيشون في المجمع، لم يكونوا يتجرأون على الخروج بمفردهم إلى الممرات أو البهو الخارجي في الليل.

طلب منصب تشيا تشينغ الجديد في الولايات، الكثير من الفطنة الإدارية والمهارة أكثر من تلك التي يمتلكها. وكتيبة، فقد تعرض للخيانة من قبل مرؤوسيه، وأثنهم بأنه موظف جشع يحب المال، على الرغم من أنه لم يتلقَّ الرشاوى، ولم يُقدم على لمس أي شيء ليس ملكه. كان متلهفاً لتقديم استقالته وترك المنصب، ولكن بسبب فقدانه للعذر القانوني من أجل ذلك، كان ملزماً بقضاء فترة ولايته كاملة، وانتظار مشيئة الإمبراطور ورغبته. وأنباء وجوده في منصبه، تلقى رسالة من أحد كبار مسؤولي الولايات يطلب فيها زواج ابنه من كويست سبرينغ. كتب تشيا تشينغ إلى الأم الكبيرة يسألها رأيها في الأمر. أدركت هذه الأخيرة بأنها يجب أن تحسم أمرها لصالح الاقتراح، من حيث أن تشيا تشينغ كان قد تحمل عناه استشارتها، فوافقت. كان هناك شعور عام بالأسى والحزن في يؤُنـغ كُوفـو لـزـواـج كـويـسـت سـبـرـينـغ إـلـى تلك المسافة البعيدة، ولكن لا بد للمرء من أن يسلّم بمصيره؛ فعندما تضع السماء القواعد، فلن يكسب المرء إلا الشّرّ من خرقها؛ فقد تم إرسال كويست سبرينغ إلى مكتب تشيا تشينغ ، وتزوجت من نجل مسؤول الحدود في الوقت المحدد.

تأثر باو-يو أكثر من غيره لفارق كويست سبرينغ؛ فبدا الأمر له وكأنها قد حكم عليها بالنفي. فها هو قد شهد زواج ابنة عمّه الصغرى كويست سبرينغ. وسمع بأنّ عائلة صن تشتهر بالبخل وطرق الابتزاز القاسية التي كانت تمارسها على زوجات الأولاد، ولاحظ عدم سعادة كويست سبرينغ وحزنها عندما عادت لزيارة يؤُنـغ كـوفـو. وسمع أيضاً أنّ زوج ريفر ميسٌت لم يكن ذا شخصية قوية، مع أنه كان وسيماً ولطيفاً ويجزل بالعطايا عليها. والآن، وقد بدأ الأعداد لسفر كويست سبرينغ للزواج بعيداً أيضاً. فأصبح يشعر بالوحدة والحزن، وبدأت تظهر عليه بوادر الضعف والوهن.

بعد عودة تشينغ من منصبه، كانت لديه مقابلة مع الإمبراطور، الذي يبدو أنه غير راضٍ عنه. وكان تشيا تشينغ قد تعرض للتهجم من قبل الوالي خلال حفل تشييد نصب تذكاري للعرش، متهمًا إيهًا بعدم الكفاءة والفشل في التحقق من المخالفات التي كانت تُرتكب من قبل مُساعديه. بعد أن انتهى من المقابلة في الخارج بانتظار التبليغات بالأمر الإمبراطوري وشعر بالارتياح عندما أعلمته أصدقائه في مجلس الوزراء بأن موضوع إقالته من منصبه اعتبر العقوبة الكافية لعدم أهليته، لا سيما عندما علم الإمبراطور بأنَّ تشيا تشينغ بريء من قضايا الفساد التي ارتكبها مُساعديه، ولم يكسب أي فائدة من عمليات الابتزاز غير القانونية.

كانت هُنالك اتهامات من قبل الرقابة ضدَّ تشيا دجين وتشيا شيه التي لا يمكن التغاضي عنها. وكما ظهر من التحقيقات، فقد كان تشيا دجين مُذنبًا بإفساد أبناء العديد من الأسر البارزة في العاصمة. ثمَّ علم تشيا تشينغ بأنَّ نينغ كُوفو كان من أبرز مُنتجعات القمار المفضلة لدى أولئك الأولاد غير الجديرین بالثقة. ومن التهم ذات الطابع الأكثر خطورة، كانت تهمة تشيا دجين أيضًا بإجبار ابنة إحدى العائلات المُحترمة لتكون خليلته، مما دفع بها لاحقًا إلى الانتحار. كانت القضية تتعلق بعده إدارات قضائية في العاصمة، كما اكتشفت هيئة الرقابة، أنَّ خطيب الفتاة الأولى المسؤول، قد رفع دعوى في ذلك الوقت، وأنَّ تشيا دجين، قد عمل على عرقلة سير العدالة عن طريق الرشوة. وكانت هذه بالطبع، واقعة يُؤرِّخُها تشيه.

أما التُّهم المنسوبة إلى تشيا شيه، فتمثلت في أنه كان قد دخل في مؤامرات مع المسؤولين في المحافظة لغرض العبث بالدعوى القضائية وإفساد العدالة. أما التهمة الأكثر خطورة، فكانت موت أحد الملاك لبعض المراوح الأثرية النادرة، والتي كان فيها تشيا تشيه المحرَّض غير المباشر.

أما نتائج هذه الإتهامات وفق هيئة الرقابة، فقد تمثلت في التالي: أثناء قيام تشيا تشينغ بتسلية أصدقائه بمناسبة عودته، تمَّ تطويق يُونغ كُوفو ونينغ كُوفو من قبل الحرس الإمبراطوري. وتمَّ اعتقال تشيا تشيه وتشيا دجين، وتمَّت مصادرة أملاكهما. كان الارتباك الناجم عن عمل الحراس الشرس والمتعطرس لا يوصف.

فقد دخلوا كل بيوه أو ممر، وفتحوا وأفرغوا كل البراميل والصناديق، وأخذوا كل ثمين. ولحسن الحظ، صودف وصول الأمير ييس - أمير الشمال - وهو يحمل مرسوماً آخرأً من الامبراطور يمنع بموجبه الحراس من الاستيلاء العشوائي على أملاك كل من عائلتي تشيبا تشينغ وتشيبا شيه. وخضع التفتيش إلى رقابة الأمير المباشرة، وهو صديق جيد لأسرة يوونغ كُوفو وباو-يُو، الذي أظهر التساهل حيث طلبت الضرورة. ولكنه، ولسوء الحظ، لم يصل في الوقت المناسب لمنع كشف الدليل على القروض الربوية التي أقدمت عليها فينيكس في السابق.

كان الإمبراطور، الذي كانت ذكرى وفاة المحظية الإمبراطورية تشيبا لا تزال حاضرة في ذهنه، متألاً إلى العفو؛ وبعد مراجعته لكل التهم الموجهة ضد قصري نينغ كُوفو ويُونغ كُوفو، استدعى تشيبا تشينغ إلى القصر وأصدر قراراته على لسان الأمير. كان تشيبا شيه، كما بدا، قريب المسؤول الإقليمي الذي لوحظ وهو يجري الاتصالات به بشكل متكرر، والتي كانت بطبيعتها خاصة وسرية بحيث لم تكن هيئة الرقابة على الأقل قادرة على تقديم الدليل القاطع لإثبات العكس. أما بالنسبة للتهمة المتعلقة بالمراوح، فقد تبين أنها كانت بالدرجة الأولى أشبه بمجموعات هاو، والتي لا يمكن مقارنتها بالأملاك الحقيقة. ووفاة صاحب المراوح كان سببها انحرافه الشخصي وليس بسبب الاضطهاد الفعلي لـ تشيبا شيه. واكتشف صاحب السمو أيضاً أن هناك ظروفاً مخففة في الاتهامات الموجهة ضد تشيبا دجين. وبناء عليه، جاءت الأحكام متساهلة؛ فقد تم نفيهما إلى المنطقة الحدودية، حيث كان عليهما خدمة مصالح الإمبراطور للتكميل عن جنحهما. لم يكن صيت تشيبا تشينغ بالسلوك القوي معروفاً لدى الإمبراطور، والذي كان غائباً عن المنزل أثناء وقوع هذه الأحداث، ولذلك، فقد تمت تبرئته كلياً. واستعاد أيضاً كامل أملاكه ولقبه.

كانت الشهامة الإمبراطورية غير متوقعة على غرار ما بدر سابقاً من أولى علامات الإستياء الإمبراطوري. فالأم الكبيرة، التي كانت قد صُدمت عميقاً عندما أحاط بها أولادها وأحفادها وهم ي يكون بأسي ولوعة، ظلت أنها لن ترى ولديها من جديد. وراحـت تُصلـي للسماء لـكي تتحـمـل مـعـانـة ذـنـوب ولـديـها، وـشعـرت بـأنـ

السماء تستجيب لصلواتها عندما عاد تشيا تشينغ إليها من جديد.

اهتم تشيا تشينغ بشؤون العائلة، واكتشف أن المداخل من الإيجارات وغيرها من المصادر قد انخفضت كثيراً عن النفقات منذ سنوات خلت، وأن هناك العديد من الاستحقاقات التي لا بد من مواجهتها؛ فربخ تشيا لين لترك الأمور تجري على هذا النحو، مع العلم أنه لا يملك الوسائل لمعالجة الأمور. واستمر تشيا لين في إدارة الأمور بالطرق نفسها، والشيء الوحيد الذي فعله بعدهما زجره تشيا تشينغ من أجل اعتماد تدابير اقتصادية فعالة، تمثل في بيع بعض الأراضي لتغطية مختلف النفقات التي تتطلبها احتياجات تشيا شيه وتشيا دجين خلال مدة نفيهما.

كانت فينيكس مريضة لبعض الوقت. بالرغم من محاولاتها المتكررة لإخفاء ذلك، لأنها كانت تكره تخليها عن إدارة الأمور. وقد أغمي عليها حينما علمت بمعاينة شقتها وتفيشهما، لأنها كانت تعلم بأن مذكرياتها وملاحظاتها معرضة للاكتشاف. وظلت بأن كشف الأمور، قد يؤدي إلى كره الأم الكبيرة لها، وأن زوجها سيعرضها للمساءلة؛ فشعرت باليأس الشديد وانتظرت توقع النهاية. لكن زيارة الأم الكبيرة إليها مباشرة بعد مغادرة تشيا شيه وتشيا دجين، قد أثبتت لها أنها لا تزال تحبها أكثر من السابق؛ فأحيا ذلك آمالها وأنعش نفسها وبالتالي، بدأت علامات التحسن تظهر على حالتها تباعاً.

عند اقتراب موعد السنة الجديدة، كانت مصائب القصرين الأخيرة قد خفت كثيراً استعداداً لدخول الاحتفالات بقلوب خالية من الهموم. ولكن بتاريخ الواحد والعشرين، يوم ميلاد بريشوس فيريتشو، قامت الأم الكبيرة بالتحضير لحفلة على شرفها. فقد كانت تشعر بالأسى الشديد على بريشوس فيريتشو، التي لم تشعر بيوم سعادة خلال العام الأول من زواجهما. فخصصت مبلغاً من مالها الخاص لتغطية تكاليف الحفلة، وبعثت الدعوات لكل من ريفر ميست، التي كانت تعيش في هذا الوقت مع عائلتها، ولوكوم سبرينغ والأختين لي.

كانت ولكوم سبرينغ التي لم تزر أو تبعث بأي خبر خلال مرور يُونغ كوفو في فترة المصائب، تبكي وهي تشكو أمام الأم الكبيرة وغيرها، بأن عائلة زوجها، لم

تكن تسمح لها في البداية من الاتصال بقومها، ولكنهم حين علموا بأنّ شيئاً تشينغ قد استعاد لقبه، وأنّ يونغ كوفو لم يزل تحت رعاية الإمبراطور، سمحوا لها بزيارة عائلتها من جديد.

إِتَّصَفَتْ جَهُودُ الْأُمِّ الْكَبِيرَةِ مِنْ أَجْلِ إِسْعَادِ الْجَمِيعِ بِالنَّجَاحِ الْجَزِئِيِّ، لِأَنَّ مَدَامُ هَسِينِيُّ وَيُو-شِيهَ كَانَا حَزِينَتِينَ بِسَبَبِ نَفِيِّ زَوْجِيهِمَا. وَحَاوَلُتْ فِينِيُّكِسْ بِدُورِهَا بِذَلِكَ الْجَهُودُ فِي سَبِيلِ التَّخْفِيفِ عَنْهُمَا، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَفْشِلُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ.

الفصل التاسع والثلاثون

وفيه تعود الأم الكبيرة إلى السماء بعد حياة طويلة
وتبلغ فينيكس الراحة الأبدية من العمل الذي فرضته على نفسها

منذ الصدمة التي تلقتها خلال الفترة التي تم فيها حجز قصري عائلة تشيما بسبب الديون، بدأت حالة الأم الكبيرة الصحية بالتدحرج؛وها هي الآن قد أصبحت على مشارف الثالثة والثمانين من العمر - العمر الذي قد ينتهي عند أي وعكة صحية عنيفة مفاجئة. وفي أحد الأيام، وبعد أن حذر الطبيب مدام وانغ وغيرها من خطورة حالتها، تداعى أولاد الأم الكبيرة وأحفادها إلى غرفتها، وبدت وكأنها قد دعت إلى اجتماع وطلبت الشاي. أحضرت لها مدام هسينغ كوباً من مشتقات الجينسنغ، إلا أن مدام وانغ أصرّت على الالكتفاء بالشاي فقط، وهذا ما حصل؛ فشربت الشاي وعبرت عن رغبتها في الجلوس، فقال تشيما تشينغ والباقين:

- «يمكن للأم الكبيرة أن تأمننا كما ترغب، ولا داعي لأن تُجهد نفسها». فرددت عليهم:

- «أشعر بأنني أفضل من بعد الشاي، وأريد أن أنهض لكي أتمكن من الحديث معكم وأنا مرتاح». وبعد أن أعادوها على الجلوس في وضع مريح، تابعت تقول:

- «لقد مضى لي حتى الآن ستون عاماً منذ أن انتميت إلى عائلتكم... ولقد استمتعت بالكثير من الخيرات والنعم خلال هذه المدة. وأرى أن جميعكم،

ابتداء من لا-وـيه نـزولاً إـلى الـأولاد والأـحفاد - الجميع يـستحقون حـبـي
عـلـى العـمـوم... وبـاـوـيـو... أـحـبـيـتـهـ وـلـمـ أـزلـ..»

توقفت عن الكلام، وبدأت عينها تبحث في أرجاء الغرفة. فهمت مدام وانغ رغبتها، ودفعت باـوـيـو إـلـى الـأـمـامـ، فـسـجـبـتـ الـأـمـ الـكـبـيرـةـ يـدـهـاـ منـ تـحـتـ الغـطـاءـ وـوـضـعـتـهاـ عـلـى رـأـسـ باـوـيـوـ، وـقـالـتـ:

- «ولـديـ، عـلـيـكـ أـنـ تـحـمـيـ نـفـسـكـ...»

إـغـرـورـقـتـ عـيـنـاـ باـوـيـوـ بـالـدـمـوعـ، لـكـنـهـ لـمـ يـجـرـؤـ عـلـىـ البـكـاءـ. وـتـابـعـتـ الـأـمـ الـكـبـيرـةـ تـقولـ:

- «كم أـرـغـبـ فـيـ أـنـ أـرـىـ وـلـدـ حـفـيدـيـ الـأـكـبـرـ، وـمـنـ بـعـدـهـ سـأـمـوـتـ مـرـتـاحـةـ.
أـينـ هـوـ لـاـنـ-يـرـ؟»

وهـنـاـ، دـفـعـتـ لـيـ هـوـانـ تـشـيـاـ لـاـنـ إـلـىـ الـأـمـامـ. رـفـعـتـ الـأـمـ يـدـهـاـ عـنـ باـوـيـوـ وـوـضـعـتـهاـ عـلـىـ رـأـسـ تـشـيـاـ لـاـنـ، وـقـالـتـ:

- «يـجـبـ أـنـ تـكـوـنـ جـيـداـًـ مـعـ وـالـدـتـكـ. عـلـيـكـ أـنـ تـقـوـمـ بـعـضـ الـمـنـجـزـاتـ الـلـافـةـ
الـتـيـ تـجـعـلـهـاـ فـخـورـةـ بـكـ...ـ وـأـينـ فـيـنـغـ يـاـ-تـوـ؟»

كـانـتـ فـيـنـيـكـسـ تـقـفـ مـنـ خـلـفـهـاـ، أـجـابـتـهـاـ، بـعـدـ أـنـ تـقـدـمـتـ إـلـىـ الـأـمـامـ:
-

«أـنـاـ هـنـاـ».

قـالـتـ الـأـمـ الـكـبـيرـةـ:

- «عـزـيزـتـيـ، أـنـتـ ذـكـيـةـ وـمـاهـرـةـ. عـلـيـكـ أـنـ تـبـارـكـيـ التـعـمـ بـالـأـفـعـالـ الطـيـةـ وـالـورـعـةـ.
لـمـ أـكـنـ أـنـاـ نـفـسـيـ وـرـعـةـ، وـلـمـ أـصـمـ أـوـ أـصـلـيـ كـمـاـ يـنـبـغـيـ لـيـ. مـاـذـاـ عـنـ نـسـخـ
مـخـطـوـطـةـ «دـيـاـمـونـدـ سـوـتـرـاـ»⁽¹⁾ـ الـتـيـ رـغـبـتـ فـيـ نـسـخـهـاـ الـعـامـ الـمـاضـيـ؟ـ فـهـلـ تـمـ
تـوزـيـعـهـاـ جـمـيـعـاًـ؟ـ»

ـ(1)ـ «دـيـاـمـونـدـ سـوـتـرـاـ»ـ أـوـ «ـكـمـالـ الـحـكـمـةـ»ـ هـيـ مـخـطـوـطـةـ شـعـرـيـةـ دـيـنـيـةـ مـنـ الـعـهـدـ الـصـيـنـيـ الـقـدـيمـ
عـهـدـ الـمـاهـاـيـاـنـاـ (ـالـبـوـذـيـةـ)، تـشـدـدـ عـلـىـ مـارـسـاتـ غـيـرـ الـمـؤـمـنـ، أـوـ غـيـرـ الـمـلـتـرـمـينـ دـيـنـتـاـ، لـمـ شـادـهـمـ
إـلـىـ طـرـيقـ النـورـ وـالـصـوابـ...ـ

ثُمَّ تنبهت إلى بعض الغائبين عن الحضور في الغرفة، فقالت:
- «أعلم بأنَّ تا لاو-يه ودجين-يير في المنفى، ولكنَّ أين يُون يا-تو؟ لماذا لم تأت هذه المخلوقة القاسية لرؤيتي؟»

كان الجميع يعرف لماذا لم تأت ريفر ميست ولكن لم يشا أحد إخبارها؛ كان من الأفضل ألا تعلم بأنَّ زوج ريفر ميست يعاني من مرض عُضال، ولربما لن تكتب له الحياة الطويلة.

كما أتَهم لم يُخبروها عن وفاة ولكوم سبرينغ، التي كانت قد ذابت في الجو العادئ لأسرة صن الدينية، ثُمَّ توفيت قبل فترة وجيزة.

بعد ذلك، التفتت الأم الكبيرة إلى بريشوس فيرتشو وتهدت من دون أن تنطق بأيَّ كلمة للتعبير عما تُفكِّر فيه. ثُمَّ أغضبت عينيها لفترة وجiezة، وعادت تفتحهما ببطء شديد، وراحت تُحدق في الغرفة. وما لبثت أنَّ أغضبتهما من جديد للمرة الأخيرة، وقد ارتسمت على مُحياتها ابتسامة مُضيئة. على الرغم من أنَّ فينيكس كانت واحدة من جيلين يعودان إلى الأم الحاكمة، طالبت بأن تكون المسؤولة عن ترتيبات الجنازة بسبب كفاءتها وخبرتها في إدارة جنازة تشين-شييه منذ سنوات مضت. لم تكن فينيكس حريصة كل الحرص على تحمل المسؤولية، لأنَّها كانت تعلم مدى الصعوبات التي قد تواجهها؛ لكنَّها لم تكن قادرة على رفض طلب مدام وانغ ومدام هسينغ بهذا الخصوص.

وبعد أن أجرت المسح المطلوب، وجدت بأنَّ مهمتها ستكون حتى أصعب من مخاوفها؛ فلديها تحت يدها فقط واحد وعشرون من الخدم الذكور، وتشمل عشرة من الإناث. بالإضافة إلى وجود حوالي الثلاثين من الخادمات الشابات اللواتي يفتقرن إلى الخبرة. وهذا العدد لم يُعادل نصف الفريق الذي عمل خلال جنازة تشينا-شييه، لا سيما وأنَّ جنازة الأم الكبيرة كانت أهم منها بمرات عديدة. كما كان المال المتوفَّر كميزانية للتنفيذ، قليل ولا يكفي، ولم يكن هناك ما يكفي من الكراسي، والطاولات، والأطباقي وغير ذلك من الأدوات والأوعية والأواني الضرورية من أجل الولائم وغيرها من حفلات العزاء المختلفة.

قدم تشييا تشينغ الملزمن بتعاليم وشرائع كونفوشيوس، أفكاره ورأيه بخصوص الإعداد للجنازة. فاعتبر أن الحداد الصادق لا يعني بذل الكثير من النفقات والإسراف بلا سبب، فتفرغ من أجل الحداد، وترك الترتيبات من شأن الآخرين. وعندما كان يُستشار بأي تفصيل يتعلق بالمناسبة، كان يُحيل الأمر إلى مدام هسينغ-التي كانت المعنية الأولى بالحداد لكونها زوجة الإبن الأول للأم المتوفية. وكذلك كانت لها أسبابها من أجل الخفض في النفقات؛ فهي لم تكن ترغب في الضغط على موارد العائلة المتناقصة.

وهكذا، وقعت فينيكس في مأزق صعب. فكانت تتعرض لللوم عند حدوث أي خطأ، مع أنها لم تتلق الوسائل الضرورية للعمل. ولعل أكثر الأمور التي دفعتها إلى التأزم، المقاربات التي كانت تقترب بها فايث؛ فهي كانت تُلحّ عليها وتوّكّد لها بأن جنازة الأم الكبيرة لا بد وأن تسير على أكمل وجه وتتلاءم مع مكانة الأم وفضيلتها. فتقول مثلاً:

- «لم تكن لاو تاي-تاي مُسرفة في حياتها. ولا أدرى ما الذي عنده تشييا تشينغ بالحداد الصادق وتعاليم الحكماء، لكنني أعلم بأن لاو تاي-تاي اعتادت على حب ناي-ناي، وحبّي أنا أيضاً، وكانت لطيفة وطيبة معنا أكثر من الجميع، ولهذا، فأنا امرأة أعتبر بأنني سأشعر بالعار لمواجهةها في الحياة الأخرى إذا ما مرت جنازتها بهذا النوع من التقطير والميل إلى التوفير. لذلك، أناشد ناي-ناي وأستحثّها على عدم التقثير في أي مصاريف- لقد اذخرت لاو تاي-تاي من أجل ذلك بنفسها».

والواقع، أن الأم الكبيرة كانت قد عملت على تأمين المؤونة من أجل المستقبل. وبعد فترة وجيزة من المصائب التي حلّت بالأسرة، احتفظت بمخزون مواردها من المال، وكذلك مُدخراتها الشخصية لتسهيل حياتها الطويلة بحكمة وعدل، ثم وزّعت ما تبقى لديها إلى حচص متساوية على كل من تشييا شيء وتشييا تشينغ وغيرهما، كما أنها احتفظت بمبلغ خاص من أجل جنازتها. أحست فينيكس بالحزن من شكرية فايث، واعتبارها المسؤولة عن الاقتصاد في المصاريف غير المُبرر، مع أنها

لم تفهم بأي شكل مدام هسينغ، والدة زوجها. كانت فينيكس تعمل بلا كلل، وواصلة ليلها بنهارها. كان عليها أن تتملق، وتهدد، وتحث نفسها للرذ على أي استفسار من الخدم والخدمات. وعندما كانت تُغامر لسرقة دقيقة من الراحة، يحدث شيئاً غير مُتوقع؛ وكم كانت تسمع الكثير من التلميحات بأنها مُقصورة وقد أصبحت توافقة إلى النوم. وفي الليلة التي سبقت الجنازة، حيث كان من المفترض نقل جثة الأم الكبيرة لدفنها في «معبد الختم الحديدي» (آيرون سيل نابل)، انهارت ولم تعد قادرة على مغادرة غرفتها، بالرغم من أن الحاجة إليها في ذلك اليوم كانت ماسة.

وفي الليلة نفسها، انتحرت فيث؛ في بينما كان الجميع مُنهماً في التحضيرات الخاصة باليوم التالي، لجأت إلى غرفة الأم الكبيرة الداخلية. دون أن يلاحظ غيابها أحد. جلست تُفكّر في الماضي وتأملت في مستقبلها المجهول، وقررت اللحاق بسيادتها إلى القبر. حينما تم اكتشاف جثتها المعلقة في دعامة السقف في الصباح التالي، بدا الجميع مُعجبون بإخلاصها وقرارها الصائب! فأمر تشييع تشينغ بوجوب دفنهما كابنة كبيرة للأم الكبيرة، والسماح له باو-يو، الذي كان أكثر المصايبن ألماً وحزناً، لتشريفها وتكريمهها كشقيقة كُبرى.

خلال إقامة القداديس للأم الكبيرة في المعبد، غزت مجموعة من قطاع الطرُق تاكوان يوان. ولحسن الحظ، كان من بين الخدم المُتبقين في القصر باو يُونغ، وهو رجل شجاع ضخم، وقوى البنية، فحشد زملائه وواجهوا اللصوص وهزموهم قبل يُحدثوا الكثير من الضرر. وأثناء هذه الغارة، رأى أحد اللصوص إكسكويزيت دجاييد، الراهبة التي تعيش في زاوية معزولة في تاكوان يوان، فتأثر بروعة جمالها الأخاذ—وكان اللصوص قد عادوا إليها فيما بعد، وخطفوها، ونقلوها إلى مناطق خارج حدود الإمبراطورية. لم يُعرف مصير الراهبة، التي كانت شديدة الحساسية في عاداتها وغيوره جداً على طهارتها وعفتها. ولكن يمكن للمرء تصوّر المصير المُرعب والمأساوي الذي يُمكن أن تكون قد واجهته هذه الوردة الرقيقة عندما تقع بين أيدي هذا النوع من الوحش البرية.

أدى الرعب الذي سببه هجوم قطاع الطرق ونتائجها، إلى تفاقم حالة فينيكس

المرضية، ولم يكن هناك من بصيص أمل ولو ضئيل لتحسين حالتها، عند عودة أعضاء يونغ كُوفو من المعبد والوقوف على حالتها الحرجية. وقبل بضعة أيام من وفاتها، تلقت زيارة من ليو لاو-لاو، التي وجدت في قدمها العزاء والسلوى، كزيارة لها هي الأولى؛ وراح تُفكّر في الانقلاب الذي أحدهه الزمن، والفرق الذي صنعته الأيام بينها وبين ليو لاو-لاو، لأن الأخيرة قد أصبحت سمينة على «فضلات الطعام» التي كانت تصلها من موائد آن تشييا، وأصبحت الآن في ظروف ميسورة، بينما تدهورت أوضاع يونغ كُوفو،وها هي نفسها تحتضر الآن من دون أي رعاية تذكر.

كانت أيام فينيكس الأخيرة عارمة بالتجارب المؤلمة. فهي التي كانت المحرّك للنشاط وهدفاً للإطراء والإغراء، تستلقي على سريرها تحتضر ولا عزاء لها إلا الصبر لتهدايتها؛ فزوجها، الذي كان في الماضي رهن إشارتها، لم يكن يتဂاھل وضعها وينكر وجودها فحسب، بل كان أيضاً يحتقرها ويزدریها علانية. كما أن تشييو-تونغ، خليلة تشييا لین، كانت تتجاهلها وكأنّها قد ماتت، وبدا لها أنّ الاثنين أصبحا ينتظران النهاية. شعرت بأنّها كانت مسكونة بروح يو ير-تشيه، التي كانت تضطهدّها حتى الموت، ومن كين-كيو وخطيبها، اللذين وقعت على مصيرهما عندما كانت في أوج قوتها وزهوها، ووصلـا إلى يدها من معبد قمر الماء (وتر مون كونثينت) وأجبرتهما على فسخ خطوبتهما. رأت في منامها تشين-شيه، الذي أكد لها على أنّ صور معاناتها قد أصبحت تسبح وتهيم عالياً، وأنّها ستتحـد عـما قريب في فلك آخر.

وبالرغم من أنّ موتها قد أضيف إلى الأجواء القاتمة، إلا أنّه لم يُحدث أي نوع من الصدمة أو المفاجأة لأعضاء يونغ كُوفو، بسبب مرضها الطويل. وقد أصبح تشييا لین الآن، مشغولاً بعتاب الذات وتأنيب الضمير والتواح عليها. أمّا باشينس التي كانت بطبيعة الحال، أكثر المتألمين والمصعوقين برحيل فينيكس، فقد أخذت على عاتقها رعاية وتربيـة ابنتهـا، التي عملـت بفضل براعتها في الحـيل، وبمساعدة ليـو لاـوـلاـوـ، على حمايتها ومنع بـعـها لـاتـخـاذـهاـ كـخلـيلـةـ للـزواـجـ غـيرـ الشـرـعيـ، بـواسـطةـ

مُحكمة من أحد أخوتها، وبتشجيع سري وتسתר من قبل مدام هسينغ نفسها، وأثناء غياب تشايا لين عن العاصمة. ثم أصبحت باشينس في نهاية المطاف، زوجة تشايا لين—وكل هذه الأمور لم تحدث إلا في وقت لاحق. ولكن، لنعد الآن إلى باو-يو.

الفصل الأربعون

وفيه يتخلّى باو-يُو عن ريد داست عندما تبدو أكثر احمراراً
وتتزوج بيرفابيدينج فريغرايس عندما تُصبح أقل نِيّة للزواج

لم يكن باو-يُو غير مُدركٍ لتقلبات عائلته، بالرغم من أنه يصعب توقع مُساعدته أو تقديمها لأي نوع من الرفاهية والراحة لأعضاء يُونغ كُوفو، وهو في هذه الحالة الجنونية التي أصابته عقب فقدانه لقلادته. كانت دروسه، بالطبع مُهمملاً، ليس فقط بسبب عدم قدرته على الاجتهد والكَد، بل لأنّ تشيا تشينغ لم يكن لديه الوقت الكافي للاهتمام به.

وبعد أن بدأت ضغوط الهموم والمصائب التي نزلت على رأس العائلة تحفت تدريجياً، أدرك تشيا تشينغ في هذا الوقت، أنّ عليه الاهتمام برعاية ولده من الناحية الدراسية، والتأكد من المرحلة التي وصل إليها، والشروع بإعداده من أجل الامتحانات التي يفترض إجراؤها في الخريف. فاستدعى باو-يُو وأعلمته بوجوب مراجعة دروسه، وبكتابة بعض المقالات للتأكد من المرحلة التي وصل إليها. ولكن قبل أن يجد باو-يُو الوقت الكافي لاستجماع مهاراته، ومراجعة معلوماته، وقعت حادثة جعلت من المشروع مُستحيلاً.

كان باو-يُو قد سمع عن شخص اسمه تشين باو-يُو،⁽¹⁾ نجل أحد أصدقاء تشيا

(1) «تشين» هي لفظ مُتجانس مع الكلمة «صح»، بينما «تشيا» تتجانس مع «خطأ».

تشينغ، والذي يتوافق تاريخ عيد ميلاده مع تاريخ عيد باو-يو أيضاً – وأن يكون هناك شخص بنفس عيد ميلادك وعمرك وإنسمك، هو أمر لافت ومميت حقاً. ولكن في هذه الحالة، قد تذهب الصدفة إلى أبعد من ذلك: اشتهر تشين باو-يو بتشابهه الكامل مع باو-يو؛ لدرجة أنه عندما زارت خادمتان من عائلة تشين قصر يونغ كوفو منذ سنوات، قالتا بأنهما قد رأيا باو-يو نفسه في منزلهما من قبل، وقد اعتقاداه سيدهما، وتعاملا معه على هذا الأساس. ومن هنا، احتار باو-يو في أمر نظيره هذا ورغب في مقابلته. والآن أصبحت الفرصة مُتاحة لذلك؛ فقد انتقلت عائلة تشين للعيش في العاصمة، وفي أحد الأيام، زار والد تشين باو-يو قصر يونغ كوفو مع ولده.

وجد باو-يو أنَّ الكلام عن التشابه لهذا لم يكن مبالغَ في؛ فإذا ما ارتديا الملابس نفسها، فسيبدوان وكأنَّ أحدهما يقف أمام المرأة، والثاني انعكاس له. اغتبط باو-يو بهذا، لتأكدَه من أنَّه أمام شخص نسخة طبق الأصل عنه، شخص قد يفهمه، وقدر على الحديث معه – شخص يُمكن الاعتماد على تعاطفه. ولكن كم كانت خيته عميقَة؛ فالرغم من أنَّ تشين باو-يو كان يتشابه معه في الملامح والشكل، إلا أنَّهما كان في الكلام والأراء والأفكار، أشبه بالمياه والنيران إن اجتمعَا. كانت طموحات تشين باو-يو وحسن التقييم لديه، كما يبدو، صفات شاب يجعل والديه في موضع حسد من قبل جميع الآباء والأمهات، ولدُ يُمكن أن يؤخذ كمثالٍ ساطع لجميع الشبان الآخرين. عندما حاول باو-يو الإفصاح له عن بعض أفكاره، فلم يجد منه أي تشجيع، ولكن نصحه بدلاً من ذلك، من أنْ يُوفر أفكاره هذه للامتحنات، لأنَّها الطريقة الوحيدة التي يكون من خلالها الفرد قادرًا على إتمام واجباته تجاه والديه، وأسلافه وأميره.

عاد باو-يو إلى شقته، وهو في حالة كبيرة من الضجر واليأس. فذهب إلى النوم من دون أي تعلقات أو تفكير. وعندما حاولت كل من بريشوس فيريتشو وبيرثا يدينغ فريغوانس الاستفسار منه عن وجومه، لم تتلقيا منه أكثر من الإجابات غير المتماسكة عادة، مُرفة بتكتشيرات تافهة ومُربكة. وظننا أنَّه لربما قد عاودته نوبة أخرى من النوبات التي اعتاد الجميع على رؤيتها فيها، ولسوف يتحسن في غضون أيام، كما

حدث معه في مُناسبات كثيرة سابقة. لكن باو-يو استمر وضعه يتتطور إلى الأسوأ، حتى وصل الأمر بطبيبه الذي كان يُعانيه أن يرفض وصف أي علاج له.

وبعد أن تلاشت كل الآمال بتحسن حالته، وبعد أن كانت تشيا لين مع تشيا تشينغ على وشك البدء بتجهيز حاجات ما بعد الموت، ظهر فجأة راهب بوذى وقال بأنه قادر على إعادة القلادة المفقودة وإنقاذ باو-يو في مقابل عشرة آلاف تايل.

و قبل أن يصحيا من المفاجأة بهذا الكلام، والذي كان أشبه بقارئ يستعيد ما قرأه، عادت بهما الذاكرة إلى الراهب الآخر الذي كان قد ظهر في لحظة حرجة سابقة من حياة باو-يو، وخلال استعادة وعيهما بمحيطهما، اندفع الراهب إلى الشقة الداخلية، وسار مباشرة إلى غرفة باو-يو. اقترب الراهب من باو-يو وهمس في أذنه بأنه قد أتى لإعادة قلادة حجر اليشم المفقود له. وعلى وقع تأثير هذه الكلمات، فتح باو-يو عينيه، وتناول القلادة من الراهب. نظر إليها بتقدير كبير، وقال:

- «لقد افترقنا لوقت طويل!»

انتظر الراهب في بهو الضيوف الخارجي مُصراً علىأخذ العشرة آلاف تايل، وهدد بأنه سيعود إلىأخذ القلادة ويرحل إذا لم يتم تسليمه الفضة في الحال.

وصلت مطالبه المتذمرة وإلحاحه إلى مسامع باو-يو، الذي كان قد استعاد كامل صحته وقواه في هذه اللحظة، وخرج بعد تغلبه على معارضه مدام وانغ والآخرين في الغرفة، للحديث مع الراهب. وبديا وكأنهما صديقين حميمين، يتحدثان ويضحكان معاً وكأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن طويل. كان حديثهما غير مفهوم بالنسبة لأولئك الذين يسمعونه، مع أن بعض الكلمات مثل: «قمة المروج الخضراء»، و«أرض الفراغ العظيم»، يمكن تمييزها. وفي النهاية، انصرف الراهب من دون المطالبة بالعشرة آلاف تايل.

حينما عاد باو-يو وسألته مدام وانغ إذا ما علم شيئاً عن مكان إقامة هذا الراهب، أجابها:

- «إن المكان الذي يعيش فيه هو بعيدٌ إن ظنتْ بأنه بعيد، و قريبٌ إن ظنتْ بأنه قريب». .

لم يمر مغزى وأهمية هذه الكلمات المُبَهِّمة على مسامع بريشوس فيرتشو مرور
الكرام، فقالت له:

- «هيا عد إلى صوابك! فوالديك، لاو-يه وتاي-تاي لم يعد لديهما غيرك
الآن لكي تجلب لهما التشريف والعز».

- «وها أنذا الآن أيضاً، أتكلّم عن التشريف»، قال باو-يو، وتابع: «ألم تسمعي
بالمثل الذي يقول: إنَّ الولد الذي يحتقر الأرض الحمراء،⁽²⁾ سيرفع سبعة
أجيال من سلالته إلى الفردوس».

حزنت مدام وانغ مِمَا قاله باو-يو لأنها اعتبرت أن تخليه عن العالم الأرضي
كان واضحاً في كلامه، فقالت متأوهة:

- «ما الذي حصل لعائلتنا! كانت أختنا الرابعة تتكلّم عن الرَّهبة، والآن هذا
الولد يريد أن يكون راهباً». ثم انفجرت باكية.

وعلى الفور، قال باو-يو ضاحكاً:

- «لا تبكي، فأنا أمزح فقط. فلا تأخذني ذلك على محمل الجد».

لكنه في الواقع، لم يكن يمزح؛ إذ خلال حديثه مع الراهب، انكشف كل شيء
له بوضوح. لقد بدأ بتذكرة حياته السابقة، ولو بشيء من الغموض-تذكرة وأدرك
الحلم الذي كان فيه يتسلّى مع إلهة خيبة الأمل، وتعزّف إلى مصيره بوضوح
الشكوك من حوله. فاحتفظ بهذه الأفكار لنفسه، لأنَّه لم يكن يرغب في إثلاق مدام
وانغ والآخرين؛ وخوفاً من إمكانية أن يخون نفسه عن غير قصد، فقد عمد إلى منع
الشكوك من حوله بالضحك والمُزاح.

كان هناك شخص واحد فقط في يونغ كُوفو لا يقلق من رغبة باو-يو المخفية

(2) «الأرض الحمراء» كما سبق، هي «الأرض الفانية»، أي أرض البشر، ويقصد هنا بالتنكر لها
واحتقارها، احتقار المادة والانغماس في الرذيلة والطمع والجشع، والسلامة تكون بالعودة
إلى الروحانيات والعمل بالمثل العليا.

في دخول بوابة بوذا؛ كانت تلك هي كومباشن سبرينغ؛ كانت تبدو دائمًا وحيدة، وتنحو إلى الاعتزال، وميالة إلى التأمل. لم تكن مرّة مشاركة بفرح أو غبطة في كل الحفلات التي كانت تقام في تاكوان يوان. ولم يكن لها حميم سوى الراهبة إسكونيزيت دجايده. لم تكن لديها الشجاعة أبدًا للتعبير عن طموحاتها وأمانيتها المستقبلية، لأنّها كانت على يقين من أنّ العائلات كعائتها لن تسمح لأيّ واحدة من بناتها باللجوء إلى المعبد، والتحول إلى راهبة. ولكن بعد النكسات التي أصابت العائلة، ومصير المرض الذي أصاب العديد من أعضائها، أصبحت بخيه الأمل أكثر من أيّ وقت مضى، وقد زودتها خيبة أملها هذه بالشجاعة الضرورية.

في البداية، لم تأخذ مدام وانغ ومدام هسينغ أمر «رهبتهما» على محمل الجد، ولكن عندما كانت تلح وتكرر مُصممة على ذلك تارة، ومهددّة بالانتحار إذا لم يلبّ طلبها تارة أخرى، مالتا إلى تركها ثريّ نفسها على التعاليم الطاوية كـ«كاهنة طاوية»، مع تعهدّهما بتركها تصرف بكامل الحرية وكما تُريد. توسلت بيريل كوكو، خادمة بلاك دجايده، بأنّ ترافق كومباشن سبرينغ والحصول على موافقة مدام وانغ؛ لقد حصل كل هذا خلال فترة غياب تشيا تشينغ، الذي غادر، مباشرة بعد استعادة قلادة باو-يو، ناقلاً رفات الأم الكبيرة، وفينيكس، وبلاك دجايده وفيايث إلى تشيلينغ حيث توجد مدافن سلالة تشيا.

في هذه الأثناء، بدأ موعد الامتحانات يقترب. لم تكن مُثابرة تشيا لان وموظبتها على الدرس مُفاجأة لأحد، من حيث عادته في العمل المخلص لتأدية واجباته. إلا أنّ تبدل باو-يو المُفاجئ دهش الجميع، وبالأخضر بريشوس فيرسشو وبيرشايدينغ فريغرانس؛ فقد حبس نفسه في إحدى الغرف، حيث توجد الكتب الضرورية للتحضير من أجل الاختبار. وراح يقرأ ويكتب طوال اليوم، وأحياناً يوصل نهاره بليله. شعرت بريشوس فيرسشو والآخرون بالسعادة لذلك، واعتبروا نشاطه وكده، عنواناً ودليلًا واضحًا على عودته إلى صوابه ومنطقه.

في صباح اليوم الذي بدأت فيه الامتحانات، استعد كل من باو-يو وتشيا لين لأخذ إذن مدام وانغ للذهاب، فقالت:

- «ستكون هذه هي المرة الأولى التي تقضيان فيها ليتكمما خارج البيت. عليكمما أن تهتمما جيداً بنفسكم، وعوداً لي فور الانتهاء من واجبكم، لكي لا تشغلا بالجميع عليكم». ركع باو-يو أمام والدته وانحنى ثلث مرات قائلًا:

- «لن أكون أبداً قادرًا على رد جميلك لي، ولكني سأفعل أفضل ما أستطيع، وكل ما في وسعي هو الحصول على شهادة هذه الامتحانات. ولعل هذا سيجعل تاي-تاي سعيدة مني، أو على الأقل، أُكفر بذلك عن سيئاتي وأخطائي الماضية».

ثم انحنى أمام لي هُوان مؤكداً لها أنَّ ولدها تشيما لان سينجح؛ ثم فعل ذلك بالنسبة إلى بريشوس فيرتشو، وقال لها بلهجة وقار:

- «تشيه-تشيه، أنا ذاهب الآن. وانتظري مع تاي-تاي الأنبياء السعيدة». جاءت لهجة باو-يو مفعمة بالوقار إلى بريشوس فيرتشو انطلاقاً من حقيقة أنه لم يحدث أن خرج من المنزل لوحده دونها، لكن شعور بريشوس فيرتشو الباطني، كان يُبيّنها بأنها لن تراه ثانية.

في اليوم الأخير من الامتحانات، وقفت مدام وانغ بشوق تنتظر عودة باو-يو وتشيما لان. مِن الوقت، وأوشك النهار على النهاية، دون جدو. أرسل الخدم لتفقد قاعة الامتحانات والتتأكد من فراغهما منها، ولكنهم لم يعودوا هم أيضاً. وعند المساء، عاد تشيما لان وحيداً، وبعيون ملأى بالدموع، قال بأنَّ باو-يو قد اختفى. الواقع، أنَّ باو-يو كان قد خرج من قاعة الامتحانات أولاً، ووقف يتضرر تشيما لان للفراغ من المُسابقة. وما إن خرجا من البوابة، حتى اختفى باو-يو بشكل مُفاجئ. فرافق تشيما لان الخدم وراحوا يبحثون في قاعة الامتحانات، ويسألون كل واحد عنه، ولكن من دون جدو.

وخلال اليوم التالي، تم تفتيش كل العاصمة، وشارك في العملية عدد هائل من الأصدقاء والأصحاب والأقارب، دون العثور على أيٍّ ثُرٍّ له. انشغل كل من في يُونغ كُوفو، ومِن يوم الإعلان من دون اهتمام. وفي ليلة اليوم الخامس، هرعت

مجموعة من الخادمات إلى غرفة مدام وانغ وباقى السيدات اللواتي كنَّ لا تزلن صاحبات، وهنفن:

- «تهانينا لكما، تاي-تاي وناي-ناي وللجميع».
- طارت مدام وانغ من الفرحة مُعتقدة أنَّ باو-يو قد عاد. فهتفت:
 - «ولكن أين باو-يو؟»
- لم تُجب الخادمات ولا الخدم على سؤالها.

والحقيقة، أنَّ كل من باو-يو وتشيا لان قد نجحا في الامتحانات—باو-يو في المرتبة السابعة، تشيا لان في المرتبة المئة والثلاثين. هتف مينغ-ين، أحد أصدقاء باو-يو، بفرح وسط هذا الوجوم الحزين الذي كان مُخيّماً على المكان، وهو يقول بأنَّ «الرجل الأرفع» لا يُمكن أن يضيع طالما أنَّ اسمه سيتلألاً في سماء كل الإمبراطورية».

إلا أنَّ كومباشن سبرينغ قالت بأنَّه يُمكن أن يضيع إذا ما كان يرغب في ذلك! أما كويست سبرينغ التي عادت مع عائلة زوجها إلى العاصمة خلال هذه الأيام المحمومة، وأشارت إلى أنَّ كل الدلائل تدلُّ على اختفاء باو-يو بيارادته، وليس هناك من حاجة إلى القلق على أمر حتمي.

كانت إحدى نتائج نجاح باو-يو وتشيا لان المُهمة، صدور المرسوم الإمبراطوري بالعفو عن كل من تشيا شيه وتشيا دجين وإعادة ألقابهما وأملاكهما بالكامل؛ فعند مراجعة جلالته للائحة المرشحين الناجحين، لفت انتباهه إسمى باو-يو وتشيا لان، وكلاهما من تشيلينغ. فاستفسر عما إذا كانوا على صلة ما بمحظية الإمبراطور السابقة، وأصدر مرسوم العفو فور عودة الوزراء بنتيجة تحقّقهم من الأمر. كما أنه ألحق مرسوم العفو، بمرسوم آخر يأمر بالبحث الرسمي عن باو-يو في كل أنحاء الإمبراطورية.

كان تشيا تشينغ عائدًا من الجنوب، عندما وصلته أخبار كل هذه الأحداث الأخيرة. ولم تسعه الفرحة حينما علم بحصول باو-يو على الشهادة، لكنَّ حزن بشدة حين عرف بأمر اختفائه، ثمَّ فرح من جديد نتيجة العفو عن شقيقه. وفي

المساء، جلس في كابينة المركب ليكتب رسالة للعائلة. وفي تلك اللحظة، نظر إلى القمر يتأمل وهو يكتب إلى باو-يو. وفجأة وصل إليه رجلًا حليق الرأس؛ وقف برجليه الحافيتين على قوس المركب؛ كان معطفه الأحمر المُتوهّج مُغايير تماماً للثلج الذي يُغطي صفة القناة. تقدم الرجل منه ورکع أمامه وانحنى له ثلاثة مرات، ثم نهض. اندفع شيئاً تشينغ إلى الخارج ليرى من هو، فوجد نفسه وجهاً لوجه مع باو-يو. فخاطبه مُندهشاً:

- «ألسْت باو-يو؟

ولكن قبل أن يُجيب باو-يو بشيء، تقدم منه كاهن وراهب، فأمسك كل واحد منهما يد من يديه، وقالا:

- «لقد تم الإيفاء بكل التزاماتك الدنيوية. تعال من دون تأخير!»
ولم يلبث أن قفز الثلاثة إلى الشاطئ واختفوا عن الأ بصار.

لما أيقن الجميع من أنّ باو-يو قد اختفى نهائياً وإلى الأبد، كانت أول تعهدات بيرثايدينغ فريغرانس لنفسها، بأن تبقى تُحبه ووفية له طوال حياتها. وبكت حتى أكثر مما فعلت بريشوس ثيرتشو. لأنها كانت تعرف باو-يو منذ مدة أطول، وكان وضعها يعتمد عليه أكثر من سيدتها. ولكن للأسف، لا تجري الأمور دائمًا كما يشتهي المرء.

وفي أحد الأيام حضر شقيقها لرؤيه مدام وانغ، وأخبرها بأن إحدى عائلات تشينغ طلبت يد شقيقته للزواج. وعلى الفور، وافقت مدام وانغ وقدمت له مبلغاً ضخماً كمهر. لم تكن بيرثايدينغ فريغرانس ترغب بمُغادرة يُونغ كُوفو، ولكنها لم تكن ترغب في القول بأنها لا تزال وفية لـ باو-يو، لأنها، وبكل الأحوال، هي خادمته الرئيسة في جناح إقامته. ولكن ما المقابل من أجل أن تكون «مخلصه»؟ منعها تواضعها من الكلام، ولكن لم تكن تعرف إلا البكاء. كانت أفكارها تُحذّرها من الإقدام على أي عمل أحمق يتسبب لسيتها الطيبة معها بالحزن والإزعاج، ولكن هل ستبقى هناك إلى الأبد؟ فقد تتحرّر وتموت في منزل أخيها. ثم فكرت من جديد، فأدركت كم كان شقيقها وزوجته عاقلين—وكيف كانا ينظران إلى الأمور

بمنطقٍ وتفكيرٍ، وها هُما قد أعدا التحضيرات والاستعدادات الواافية من أجل الزواج. لا، لا يُمكنها أن تموت في منزل شقيقها؛ فمن المفترض لها أن تعيش فترةً أطول، حتى إلى ما بعد الزواج. ويا للأسف! فعائلة تشييانغ كانت عقلانيةً أيضاً حتى في التحضيرات لاستقبالها. فكل واحد كان يُناديها ناي-ناي، وكان لطيفاً ومُهذباً معها. فكيف إذن، يُمكنها أن تصب لعنة الموت على منزلهما أو تُدنسه بموتها؟ فكان من المستحيل عليها إلا التسليم للقدر وما يفرضه عليها والتسليم لحكمه.

بعد بضعة أيام من الزواج، وجد العريس منديلاً أحمرأً في صدرها. فأيقن بأنه مثل منديله، الذي قدّمه يوماً إلى باو-يُو، وتأكد على الفور من أنه لم يتزوج أي خادمة من يُونغ كُوفو، وإنما خادمة باو-يُو الشخصية. وبدأ منذ تلك اللحظة، شديد القلق والخوف على عروسه ومعاملتها بكثير من العطف والتواضع. وعرض عليها منديلاً أخضرأً كانت بير قايدينغ فريغرانس قد طرّزته من أجل باو-يُو، وقام باو-يُو بدوره إلى تقديميه له – الواقع أنَّ هذا العريس لم يكن سوى تشييانغ يُو-هان، أو تشي-كوان، الممثل الذي كان يعرفه باو-يُو.

ومع عودة كل من تشيابا شيه وتشيابا دجين من المنفى، واستعادتهما لألقابهما وأملاكهما بالكامل، لم يكن هناك من حاجة للقول، بأنَّ جوًّا من الازدهار قد بدأ ملامحه تلوح في الأفق في قصر يُونغ كوفو وبنينغ كوفو.

عندما وصلت أخبار تاريخ باو-يُو الفريد إلى الإمبراطور، عبر عن أسفه لعدم رغبة باو-يُو بخدمة البلاط، وأطلق عليه لقب: «رجل الروائع الأدبية الحالدة». وبطريقة أو بأخرى، لم يختف باو-يُو كلية من عائلة تشيابا، لأنَّ سُرعان ما انتشر خبر حول بريشوس ثيرتشسو بأنها حامل وستضع ولداً؛ ومع الوقت، اتضح بأنَّه ابنه. والآن تبقى الشخصية الوحيدة في الكتاب، التي لم نأت على ذكرها، هي لتونس؛ بعد أن تم سحب هُسويه بان إلى السجن، ثم نفيه إلى المنطقة الحدودية، لم تكن كاسيا راضية عن زواجهما الأشبه بالترمل غير الفعلي، فشرعت بإغواء هُسويه كيُو. ويسبب تصرفاتها العميماء هذه، لم تدرك أنَّ ابن عم هُسويه بان، لم يكن فقط قادراً على الخيانة والغدر، وإنما كان هو نفسه سعيداً بخطوبته إلى ماونتن ريث،

التي كان سيتزوج منها عما قريب. وفي أحد الأيام، وبينما كانت كاسيا تعمل على إغواء هسوبيه كيُو بحركاتها الوقحة والفاضحة، معتقدة من أنها أصبحت على وشك تحقيق هدفها، أدى ظهور لوتوس غير المقصود فجأة، إلى منح هسوبيه كيُو فرصة الهرب التي كان ينتظرها. وبهدف الانتقام، عمدت كاسيا إلى تسميم لوتوس. لكن هذه الأخيرة، لم تكن لتموت هكذا؛ فشربت كاسيا السم بنفسها خطأً وماتت على الفور. وبعد عودة هسوبيه بان لاحقاً إلى المنزل، نتيجة لعفو إمبراطوري عام، اتّخذ لوتوس كزوجة له وعاشا معاً في المنزل نفسه.

ولربما يعتقد المرء أنه، وبعد كل هذه الحياة الصعبة وغير السعيدة، قد خفَّف القدر من أحکامه عليها ومنحها فرصة التمتع بحياتها مع قدر مقبول من السعادة. ولكن، هذه ليست طرق القدر؛ فقد توفيت لوتوس أثناء الولادة في غضون عام من زواجهما.

المحتويات

5	الفصل الأول
23	الفصل الثاني
36	الفصل الثالث
49	الفصل الرابع
61	الفصل الخامس
75	الفصل السادس
82	الفصل السابع
93	الفصل الثامن
106	الفصل التاسع
117	الفصل العاشر
127	الفصل الحادي عشر
135	الفصل الثاني عشر
141	الفصل الثالث عشر
147	الفصل الرابع عشر
160	الفصل الخامس عشر
171	الفصل السادس عشر
180	الفصل السابع عشر
189	الفصل الثامن عشر
198	الفصل التاسع عشر

الفصل العشرون.....	209
الفصل الحادي والعشرون.....	220
الفصل الثاني والعشرون.....	229
الفصل الثالث والعشرون.....	239
الفصل الرابع والعشرون.....	252
الفصل الخامس والعشرون.....	263
الفصل السادس والعشرون.....	278
الفصل السابع والعشرون.....	287
الفصل الثامن والعشرون.....	297
الفصل التاسع والعشرون.....	307
الفصل الثلاثون.....	316
الفصل الحادي والثلاثون.....	323
الفصل الثاني والثلاثون.....	334
الفصل الثالث والثلاثون.....	347
الفصل الرابع والثلاثون.....	357
الفصل الخامس والثلاثون.....	367
الفصل السادس والثلاثون.....	375
الفصل السابع والثلاثون.....	384
الفصل الثامن والثلاثون.....	391
الفصل التاسع والثلاثون.....	398
الفصل الأربعون.....	405